حوارات مع الإمام عبد السلام ياسين



جمع وإعداد

أحمد الفراك



حوارات مع الإمام عبد السلام ياسين

جمع وإعداد:
أحمد الفـراك

تقديم:
رشدي بويبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: حوارات مع الإمام عبد السلام ياسين

جمع وإعداد: أحمد الفراك

الطبعة الأولى: 1444هـ/2023م

ردمك: 978-625-6483-01-9

الطباعة: دار إقدام للطباعة والنشر والتوزيع - إستانبول

تقديم

إنه رجل الكلمة الذي عرف قدرها وأعطاها حقها، كيف لا وهو القائل: «ما ينبغي لنا أن نخاف من تبعات الكلمة الصريحة المسؤولة فإنما ذَلَّ المسلمون من غياب هذه الكلمة»[1]. فمنذ انبثاق اليقظة الفكرية الإيمانية في عقله وقلبه لم يتوقف الإمام عبد السلام ياسين، رحمه الله، عن جهاد الكلمة، كتابة وتنظيرا ومحاضرة ونصحا ووعظا وتوجيها ثم محاورة وتواصلا. وقد ظهر وعي الرجل بأهمية الكلمة في زمن مبكر من حياته المديدة، منذ أن سطّرت يده الكريمة أولى كتاباتها في علوم التربية والبيداغوجيا في أواسط القرن الماضي. ويشهد لتعظيمه للكلمة ودورها هذا الإرث الزاخر الذي خلفه من كتابات ومحاضرات ولقاءات وغيرها، يضاف إليه حرصه الكبير على أن يعم الوعي بهذه الأهمية كل من تعامل معه وخاصة أبناء وبنات دعوته وجماعته، جماعة العدل والإحسان. فقد كان، رحمه الله، يشجع الجميع على خوض غمار الكتابة وتعلم مهارات توظيف الكلمة وتقنيات التواصل والمحاورة، وخير دليل على هذا الحرص قيامه شخصيا بتأسيس رابطة للكتبة، حيث كان يعقد مع ثلة من قياديي الجماعة وأعضائها لقاءات في الموضوع ناهزت العشرة، وخصصت للحض على الكتابة والتحرير وإتقان أدواتها واكتساب القدرة على تبليغ الدعوة من خلال الكلمة والمقال والكتاب.

غير أن شغف الإمام ياسين بالكلمة لم يكن من منطلق فلسفي أو فكري صرف، كما أن توظيفه لها في سياقات مختلفة لم تحركه دوافع نفعية مثل طلب الشهرة أو السمعة أو الانتصار للذات أو تحقيق مصلحة سياسية أو غيرها، بل الأمر أكبر من ذلك. فالرجل كان صاحب قضية عظيمة ملأت عليه روحه وعقله وكيانه كله، قضية الدلالة على الله عز وجل ودعوة الناس إليه وتقريبهم من مولاهم تبارك وتعالى. ولا يحتاج الأمر إلى كبير جهد للوقوف على ذلك، فأثر البلاغ القرآني واضح وجلي في أسلوب الإمام كما أن روحانيته تلف الكلمات والتعبيرات فتعطيها نكهة خاصة ورونقا أخّاذا، يجد القارئ أثره فور الانخراط في قراءة أي نص من نصوصه. فقد اعتبر دائما أن الكلمة يجب أن تكون مطية للتبليغ عن الله ودالة على

(1) عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص8.

الطريق إليه جل وعلا، يقول في هذا الصدد: «إن مطمحنا الأول والأساس أن تكون كل كلمة نخطها ونقرأها تذكرنا بالله»[1].

ومن تمام حرص الإمام عبد السلام ياسين، رحمه الله، على تبليغ كلمة الحق أن سعى لإيصالها إلى أوسع جمهور داخل أمة الإسلام وخارجها، واستثمر، من أجل ذلك، كل فرصة متوفرة واعتمد كل وسيلة متاحة سواء كانت تأليفا لكتاب أو تحريرا لمقال أو إلقاء لمحاضرة أو حوارا صحفيا أو لقاء مع باحثين ومهتمين. كما أنه لم يقتصر على التعبير باللغة العربية بل تعداها إلى اللغة الفرنسية وشجَّع على ترجمة كتبه إلى لغات أخرى في مقدمتها اللغة الإنجليزية.

وقد كان للقاءات الإعلامية حظ وافر من الأنشطة التواصلية للإمام، والكتاب الذي أتشرف بالتقديم له هو تجميع لمعظم المقابلات الحوارية التي عقدها على مر أزيد من ثلاثين سنة، منذ انبثاق الدعوة التي شيد أركانها وأرسى دعائمها، دعوة العدل والإحسان. وهي حوارات تمت مع منابر مختلفة، منها صحف مكتوبة وقنوات تلفازية وباحثين ودارسين للحركة الإسلامية. فقد كان الرجل شخصية استثنائية ومُلهمة حرص كثيرون على محاورته، ولولا التضييق الهائل الذي مورس عليه من لدن النظام المغربي والذي بلغ مداه بفرض الإقامة الجبرية عليه لمدة تزيد على عشر سنوات، لكانت غلة اللقاءات الإعلامية أغزر وأكثر تنوعا.

ومما ميز حوارات الإمام عبد السلام ياسين الإعلامية عدم تركيزها على قضية واحدة بل تناولها لقضايا متعددة ومتنوعة، منها ما كان مرتبطا بالظروف السياسية للفترة التي أنجزت فيها، ومنها ما تعلق بأمور استراتيجية ترتبط بالعمل الإسلامي والعلاقة مع العالم الغربي عامة وغيرها. ولا يسع المطلع على مضمون هذه الحوارات إلا أن ينبهر بالأداء الإعلامي للرجل، ففضلا عن العمق في تناول مختلف القضايا برزت صراحته، رحمه الله، وغيرته على دين الله وشدة موالاته لأمة الإسلام وقضاياها العادلة. يضاف إلى ما سبق مهارته وحسن إدارته للحوار فقد كان يتعاطى مع الأسئلة الصحفية بأساليب مختلفة فتارة يختصر الجواب اختصارا غير مخل وتارة يستفيض في جوابه، والحَكَمُ في ذلك نوع القضية المطروقة واستحضاره لما ينبغي أن يصل إلى المتلقي الذي لا شك يكون متنوعا ومختلفا

(1) عبد السلام ياسين، مقدمات لمستقبل الإسلام، ص 13.

في خلفياته وإمكاناته الفكرية ووعيه السياسي. ومن المحقق أن من تابع تلك الحوارات في إبانها، يدرك مدى تبحره في مجال المعرفة والعلم وسعة اطلاعه على قضايا زمانه ومقاربته لها برؤية واضحة وبعيدة المدى تستشرف الأفق الواسع المنفتح أمام أمة المسلمين وحركة التجديد الديني فيها وتستحضر اتجاه الأحداث وحركة التاريخ. ويأبى الزمان إلا أن يؤكد مصداقية كثير من تلك التحليلات وواقعيتها.

ينقسم هذا الكتاب إلى مقدمة وأربعة فصول:

يتضمن الفصل الأول حوارا مطولا مع الإمام، رحمه الله، أجراه الأستاذان عبد الكريم العلمي ومنير الركراكي تناول أمورا عديدة مرتبطة بسيرته وبمحطات من تاريخ نشأة دعوة العدل والإحسان فضلا عن قضايا تصورية ومنهجية. وتتجلى أهمية هذا الحوار في كونه ركز على جوانب مهمة من حياة الأستاذ المرشد يرويها بنفسه ويقدم حولها إضاءات يستطيع من خلالها القارئ التعرف، بتركيز، على نشأته ومساره العلمي وأبرز العوامل التي أثرت في شخصيته وأهم التحولات التي تعرضت لها حياته، إضافة إلى تكوينه الفكري ومسار تدينه وخاصة تجربته في الزاوية البوتشيشية. كما تم الوقوف على مساره السياسي بدءا من رسالة الإسلام والطوفان وما صاحبها من ابتلاءات ثم تجربته السجنية الثانية، وأخيرا مساره الدعوي وتأسيسه لجماعة إسلامية هي جماعة العدل والإحسان. فهذا الحوار رغم صغر حجمه، مقارنة بما يستحق أن يكون عليه، إلا أنه يقدم معطيات تاريخية وفكرية مهمة في فهم شخصية الإمام ودوافعه وأهم عتبات حياته وخلاصات لتصوراته حول قضايا فكرية ودعوية وسياسية مهمة وذات أولوية.

أما الفصل الثاني فيشتمل على الحوار المطول الذي أجرته قناة الحوار اللندنية مع الإمام عبد السلام ياسين ضمن برنامجها المشهور والموسوم بمراجعات. وقد تم هذا الحوار في أربع حلقات سجلت بتاريخ 14 يوليوز 2008م بمدينة الرباط، وتم بثها فيما بعد من لندن. ويكتسي هذا الحوار أهمية كبيرة ترتبط بسياقه وجمهوره ومضامينه. ففيما يرتبط بالسياق أجري الحوار مع قناة فضائية خارجية وهو الأول من نوعه، وجاء في سياق برنامج مهم لقناة الحوار يروم تقديم إضاءات حول تجارب الحركة الإسلامية في المشرق والمغرب وتقييمها بلسان مؤسسيها أو رموزها، وهذا ما يجعل جمهور البرنامج واسعا ومتعددا. وقد أتاح هذا البرنامج للإمام فتح ثغرة في جدار الحصار الإعلامي والسياسي السميك الذي

فرضه عليه النظام المغربي طيلة حياته. ثم تبرز أهمية ثالثة لهذه المقابلة في كونها سلطت الضوء على تجربة مهمة للدعوة الإسلامية لم يتمكن كثيرون من أبناء العالم الإسلامي من الاطلاع عليها والاستفادة منها، خاصة وأن الشخصية المحاورة هو مؤسس هذه التجربة ورائدها. وقد خصصت الحلقة الأولى للحديث عن مرحلة نشأة الإمام ومساره التعليمي وكذا تجربته المهنية في أسلاك التعليم. أما الحلقة الثانية فركزت على التحولات التي طرأت على حياته بدءا من يقظته القلبية ومرورا بانخراطه في المسار التربوي الصوفي بعد لقائه مع شيخه الحاج العباس الدرقاوي رحمه الله، وتجربته في الزاوية البوتشيشية، وأسباب خروجه منها وإنهاء علاقته بها. كما تطرقت هذه الحلقة أيضا إلى ملابسات إرسال الأستاذ المرشد لرسالة الإسلام والطوفان إلى الراحل الحسن الثاني وتبعات تلك الخطوة ونتائجها. وفي الحلقة الثالثة استمر الحديث عن رسالة الإسلام أو الطوفان ثم عرّج على إصداره لجريدتي الصبح والخطاب وما ووجهتا به من منع، إضافة إلى حرمانه من إلقاء دروس في المسجد. كما وقف الحوار على مرحلة الاعتقال الثانية التي تعرض لها الإمام، رحمه الله، وسياقها والظروف التي عاش فيها داخل المعتقل ومشاهداته خلالها. وتطرق الحديث خلال هذه الحلقة أيضا إلى سياق تأسيس جماعة العدل والإحسان والعلاقة مع النظام المغربي وأنواع التضييقات التي يتعرض لها أبناء الجماعة من اعتقالات وغيرها. أما الحلقة الرابعة والأخيرة فركزت على مرحلة اعتقال مجلس الإرشاد وفرض الإقامة الجبرية على الإمام عبد السلام ياسين، كما تم الحديث عن قضية الرؤى وبعض مؤلفات الإمام رحمه الله.

واحتوى الفصل الثالث من هذا الكتاب على سلسلة من الحوارات مع الإمام أشرف عليها مكتب الإعلام في الجماعة، وشارك فيها ثلة من أعضاء مجلس الإرشاد وسيّرها عدد من مسؤولي الجماعة، سُمّيت حوارات في المنهاج النبوي، وهي ستة لقاءات متتالية تمحورت حول مواضيع تربوية وفكرية ودعوية وسياسية، وكانت في دجنبر من سنة 2009م. وتكمن أهمية هذه الحوارات في تركيزها على قضايا محورية في الدعوة الإسلامية عامة ومشروع العدل والاحسان خاصة، كما تظهر فائدتها في مناقشة تلك القضايا من خلال ندوات حوارية مع الإمام عبد السلام ياسين بمشاركة أعضاء من مجلس إرشاد الجماعة مما يجسد وحدة الصحبة والجماعة.

وقد خصصت الندوة الأولى لمناقشة الإمام، رحمه الله، وحده في موضوع حساس هو الصحبة والجماعة إضافة لقضايا تربوية تتعلق بالسلوك إلى الله عز وجل والتجديد الذي منَّ به الله عز وجل على الرجل في هذا الباب. وخصص اللقاء الثاني لقضية التصور التربوي لجماعة العدل والإحسان بصفة عامة، وتحديدا لمسألة التوازن التربوي. أما اللقاء الثالث فقد تحدث عن بعض القضايا الأساسية المرتبطة بالشأن التنظيمي للجماعة. وتركز النقاش في الندوة الرابعة حول موضوع الانكسار التاريخي، الذي اعتبره الإمام أصل البلاء في أمة الإسلام والسبب الرئيس في انحراف مجرى تاريخها، فالانقلاب على شرعية الحكم الراشد هو الذي تسبب في فقدانها لمقوماتها وعناصر قوتها وسيادتها، لذا كان لا بد من تحصيل الوعي التاريخي بخطورة ذلك الانحراف الأول، خاصة في حقِّ العاملين للإسلام والحاملين لهمِّ إعادة البناء على الأساس النبوي الأول. وكان موضوع الندوة الخامسة الدعوة إلى الله عز وجل في منهاج جماعة العدل والإحسان تصورا وسلوكا، وذلك من خلال معالجة تساؤلات حول ماهية هذه الدعوة وشروطها ووسائلها والمعني بها، أي بمن تناط إليه مسؤولية الإشراف عليها. وركز الحوار السادس والأخير على مسألة ساخنة ومُلحة هي قضية الخلافة على منهاج النبوة، بحيث انصب النقاش على دلالة المفهوم وسبب تركيز الإمام عليه في مكتوباته واعتباره أفقا استراتيجيا للأمة، وعن مدى إمكانية تحقق هذا الأفق في ظل واقع شديد العداوة للإسلام ولمن يناصرون دعوته. وقد مثلت هذه الندوات، بحق، فرصا مهمة لتوضيح جوانب تصورية وعملية في مشروع العدل والإحسان كانت بحاجة لمزيد تقريب الفهم للأذهان.

وخصص الفصل الرابع والأخير من الكتاب لعدد من المقابلات الصحفية التي أجرتها مجموعة من المنابر الإعلامية العربية والأجنبية مع الإمام، رحمه الله، في فترات متباعدة، أولها الحوار الذي عقده الباحث المتخصص فرانسوا بورغا في سياق إعداده لكتاب حول الحركة الإسلامية بين سنتي 1986 و1987م. وتأتي أهمية هذا الحوار من كونه تم مع باحث أكاديمي فرنسي متخصص أجرى مقابلات عديدة مع شخصيات إسلامية مختلفة في سياق إعداده لدراسة مهمة حول الحركة الإسلامية(1) وبواعثها وغاياتها ونظرتها لقضايا

(1) François, Burgat. L'islamisme au Maghreb : la voix du sud : Tunisie, Algérie, Libye, Maroc. Karthala. 1ère édition. Janvier 1988.

أساسية ترتبط بمشاريعها وعلاقاتها بمجتمعاتها وبالعالم الغربي. وقد مثلت هذه المقابلة مناسبة للإمام عبد السلام ياسين للانفتاح على المتابع الغربي، في شخص النخب الفكرية والسياسية، والتواصل معه من خلال شرح بعض معالم مشروع العدل والإحسان ومواقفه تجاه قضايا أساسية وراهنة وإبراز خصوصيات هذا المشروع وعناصر تميزه عن غيره من المشاريع الإسلامية.

كما تضمن هذا الفصل أيضا مقابلة مع جريدة فرانكفورتر الألمانية نشرت سنة 1988م، وهي الأولى التي تجرى مع منبر إعلامي أوروبي غربي حينئذ، وقد تميزت بعمق كبير من حيث القضايا التي طرحتها وكذا من حيث مقاربة الإمام عبد السلام ياسين لها. وقد تنوعت المواضيع المطروقة بين العلاقة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي ونظرة الساسة الغربيين للصحوة الإسلامية والأسباب الحقيقية لعدائهم لها ومسؤوليتهم عن تردي الأوضاع في العالم الإسلامي في المرحلة الحالية. كما تطرق اللقاء إلى العلاقة التاريخية بين المسلمين واليهود ومسؤولية الصهيونية عن نشأة المشكلة الفلسطينية. وكان هناك حديث كذلك عن مستقبل الصحوة الإسلامية وشعاراتها والمعضلات التي تواجه زحفها نحو قيادة العالم الإسلامي وكذا أهمية الحوار بين الشرق والغرب على أسس الاحترام والتبادل المشترك. واللافت للنظر في هذه المقابلة صراحةُ الإمام في عرض تصوراته ومواقفه وقوة حجته ووضوح استشرافه.

وعرض هذا الفصل أيضا حوارا مع جريدة المنقذ الجزائرية سنة 1989م، وهو الوحيد الذي أجرته صحيفة جزائرية وعربية وإسلامية مع الإمام رحمه الله، وقد دار النقاش فيه حول جوانب من تجربته الدعوية والسياسية وسياقات تأسيسه لجماعة العدل والإحسان ودواعي هذا التأسيس والغاية منه. وتطرق الحوار كذلك إلى نظرة الإمام للعلاقة مع دول الجوار والتجربة الإسلامية فيها والتحديات التي تواجهها، يضاف إليه المخاض الذي كان يعيشه العالم آنذاك. وقد مثل اللقاء فرصة لمخاطبة الرأي العام الجزائري والإسلامي وتوضيح جوانب من سيرة الإمام ومواقف جماعته. إضافة إلى ذلك تضمن الفصل كذلك الندوة الصحفية المشهودة التي جرت عقب رفع الحصار عن الإمام سنة 2000م، وعرفت حضورا قويا مثلته منابر إعلامية مغربية ودولية مختلفة وأجاب فيه الإمام عن أسئلة متعددة متعلقة بمستقبل جماعة العدل والإحسان والموقف من النظام المغربي و«اللعبة السياسية» وغيرها. وقد كان أداء الإمام مُبهرا في تعاطيه مع مداخلات مختلف المنابر الإعلامية، وكذلك في

عرض مظلومية الجماعة وتسليط الضوء على أهم التضييقات التي تتعرض لها باستمرار من قبل المخزن وأجهزته التسلطية.

كما أُدرج في هذا الفصل كذلك الحوار الذي عقده الإمام مع مراسل جريدة إلبايس الإسبانية إيغناسيو سمبريرو سنة 2000م، وتمحورت الأسئلة التي أجاب عنها حول أمور متعددة ترتبط بالأوضاع السياسية في المغرب خاصة مع التغيير الذي حصل في رئاسة الدولة بمجيء الملك الجديد، فضلا عن التحديات التي تواجه هذا البلد وتقييمه للأداء السياسي لحكومة اليوسفي وعن مدى إمكانية حصول تغيير إيجابي جوهري وحقيقي في الأوضاع العامة في المغرب. وقد عَبَّر الإمام عبد السلام ياسين بصراحته المعهودة عن كون الأوضاع في هذا البلد تتجه لمزيد من التدهور على جميع الأصعدة وأن كل المؤشرات تدل على أن النظام السياسي ليس جادا في مباشرة تغيير حقيقي، فكل الجلبة التي يُحدثها ليست إلا تضييعا للوقت وهدرا للإمكانات وترويجا للأوهام وتضليلا للرأي العام العالمي والمحلي. فالمطلوب لتصحيح المسار هو تغيير التوجهات الأساسية ومباشرة العمل عوض كثرة اللغو بلا طائل. وتجلت أهمية هذا اللقاء في كونه فتح نافذة أطل من خلالها الإمام على الرأي العام الإسباني والعالمي لشرح موقفه من التغيير الذي حصل في هرم السلطة بالمغرب وما سمي بالعهد الجديد حينئذ.

واحتوى الفصل الأخير أيضا على مقابلة مطولة مع قناة سويسرية، كانت مناسبة استثمرها الإمام لمخاطبة جمهور أوروبي من فئة أخرى وعرض تصوراته ومواقفه من العديد من المسائل المتعلقة بالوضع في المغرب والتحولات الجارية في العالم إضافة إلى قضايا فكرية وسياسية أخرى. وخُتم بآخر حوار أنجزه الإمام ياسين رحمه الله، وقد تم مع قناة الحوار اللندنية في سياق التصعيد الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني واستشهاد الشيخ أحمد ياسين رحمه الله.

رحم الله الإمام عبد السلام ياسين وأجزل له المثوبة والعطاء وحقق رجاءه واستجاب بفضله دعاءه.

د. رشدي بويبري

أكادير 13 جمادى الأولى 1444هـ

الموافق لـ 8 دجنبر 2022م

بين يدي الكتاب

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه وحزبه.

نظرا لأهمية المضامين التي أدلى بها الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله في عدد من حواراته الفكرية والثقافية والسياسية رغم أنها أنجزت على مراحل غطت ثلاثة عقود جرت فيها أحداث ووقعت تحولات عالمية ومحلية، ونظرا لحاجة الباحثين والمهتمين إلى مؤلَّف يجمع هذا الحوارات بعد نقلها من مصادرها الأصلية (كتب، فيديوهات، جرائد، مجلات، قنوات تلفزيونية، إذاعات) قمنا برقنها وتوثيقها وترتيبها وتبويبها وترجمنا إلى اللغة العربية ما كان بغيرها (إنجليزية وإسبانية وفرنسية)، حتى يتيسر للجميع الاطلاع عليها واستثمار مضامينها.

ولا يخفى ما يعترض مثل هذا العمل من صعوبات، إذ يتعلق الأمر بنقل مضامين شفوية عفوية إلى عبارات مكتوبة منظمة، فللخطاب الشفوي خصوصيته التي قد لا يسمح بها النص المكتوب، ولذلك اضطررنا أحيانا إلى التصرف في بعض العبارات حتى يتضح المعنى، من قبيل حذف المكرر من الألفاظ أو إضافة حرف ليستقيم المقصود من الكلام، أو غير ذلك. بالإضافة إلى إتمام الآيات القرآنية المستشهد بها مع شكلها وتوثيقها، وعزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الحديثية، وإيرادها كاملة في الهامش، وتوثيق الأشعار كذلك.

ونشكر بالمناسبة مؤسسة الإمام عبد السلام ياسين للأبحاث والدراسات على جميل عنايتها بهذه الحوارات القيمة وحرصها على إخراجها في هذا الحلة القشيبة، ومن خلالها نشكر جميع المتعاونين في رقن وترجمة وتصحيح ومراجعة وتصفيف هذا العمل على كرم جهودهم وحسن صنيعهم. كما نرجو أن تصدر الأعمال الكاملة للإمام عبد السلام ياسين رحمه الله قريبا إن شاء الله.

أحمد الفراك

تطوان، 13 رجب 1444هـ

الموافق لـ 4 فبراير 2023م

الفصل الأول

حوار شامل مع الإمام عبد السلام ياسين

بسلا سنة 1989م

تقديم للحوار[1]

عُمر هذا الحوار خمس وعشرون سنة، حيث يرجع تاريخه إلى سنة 1989م، ففي إطار التفكير في التأريخ لجماعة العدل والإحسان يومذاك تم إجراء سلسلة من الحوارات مع ثلة من الإخوة من ذوي السابقة وعلى رأسهم أعضاء مجلس الإرشاد المؤسسون. أجرت هذه الحوارات وأشرفت عليها لجنة الإعلام التي كانت واحدة من لجان مجلس التنفيذ الذي تأسس في 20 فبراير 1986م -أي بعد خروج الأستاذ المرشد رحمه الله من السجن ببضعة أسابيع- والذي كان يرأسه الأستاذ المهندس أبو بكر ابن الصديق حفظه الله.

وكان أهم تلك الحوارات وأبرزها هذا الحوار الشامل مع الأستاذ المرشد الذي يشرفنا أن نقدمه اليوم إلى القراء الكرام لأول مرة بهذا الشكل -مكتوباً ومسموعاً- بعد أن كانت الاستفادة مقتصرة على جزء يسير منه خاصة في الجانب التأريخي لحياته رحمه الله.

وقد يسر الله لنا إجراء هذا الحوار الشيق مع السيد المرشد على امتداد أربعة لقاءات[2] في حوالي أربع ساعات خلال النصف الأول من سنة 1989م، أي قبيل فرض الإقامة الإجبارية عليه بأشهر قليلة، رغم مشاغله المتعددة يومئذ من مجالس وزيارات وتدبير وتنظيم وتأليف...

كنا نجلس إليه في هذه اللقاءات الحوارية فنلقي عليه رحمه الله ما أعددناه من أسئلة بشكل مباشر فيرتجل الإجابة عنها برحابة صدر وتواضع، وبتلقائية وعمق. ورغم أن الهدف الذي كان محددا من قبل لجنة الإعلام وقتها هو التأريخ للجماعة ومرشدها فإن حصيلة هذه الحوارات كانت أكبر من الهدف المسطر، فشملت إلى جانب السرد التاريخي مواقف من قضايا حيوية على صعيد القطر والأمة، وأفكارا عميقة تهم الحاضر والمستقبل.

(1) كُتب هذا التقديم بمناسبة الطبعة الأولى لنص الحوار الذي نُشر منفردا سنة 2014م.

(2) اللقاء الأول: الأحد 7جمادى الثانية 1409هـ/ 15 يناير 1989م، اللقاء الثاني: الأحد 5 رجب 1409هـ/ 12 فبراير 1989م، اللقاء الثالث: الأحد 22 شوال1409هـ/ 28 ماي1989م، اللقاء الرابع: الأحد 7 ذي القعدة 1409هـ/ 11 يونيو 1989م.

وهكذا فرغم مرور ربع قرن على هذا الحوار، لا يزال في مجمله يتمتع بجدته وطراوته، بالإضافة إلى كون الجانب المرتبط بحياة السيد المرشد محكيا بلسانه، وإن كان رحمه الله -كما ستلاحظ أخي القارئ- في كثير من مراحل حياته يطوي الكلام طيا، وفي غير قليل من المواضيع لا يعدو الإشارة والتلميح، خاصة عندما يتعلق الأمر بذكر نعمة الله عليه، وما خصه به الملك الوهاب مما لا يعلمه إلا هو سبحانه.

ففي الجانب التأريخي يقدم الحوار تعريفا بالإمام المرشد رحمه الله، وأهم المؤثرات في منشئه وتعلمه، والثوابت والمتغيرات الفزيولوجية والفكرية والنفسية، ومصادر تكوينه واطلاعه، وأهم نقطة في حياته: اليقظة القلبية ولقاؤه بالحاج العباس القادري، وسنوات الزاوية ثم الانفصال عنها وظروف ذلك وما تلاه، ومرحلة الاعتقال الأول على إثر توجيهه رسالة «الإسلام أو الطوفان» إلى ملك المغرب سنة 1974م، وما تلا الإفراج عنه من أنشطة إلى مرحلة تأسيس «أسرة الجماعة» ثم تغيير الاسم إلى «العدل والإحسان»، وما سبق ذلك من اعتقال وسجن سنتين، وما أعقبه من عمل، وإرهاصات الحصار التي ظهرت قبل شهور إلى أن تحولت إلى إقامة إجبارية شاملة في متم السنة نفسها: 30 دجنبر 1989م.

أما في ما يخص الأفكار والمواقف التي جاءت في ثنايا الحوار فمن أبرزها الموقف من الصوفية والفروق بينها وبين السلوك الإحساني الجهادي، والموقف من التعددية في العمل الإسلامي، والتأكيد على الموقف من العنف بكل أشكاله، والموقف من النخب وكيفية التعامل والتواصل معها، وقضية التجديد والدعوة والرؤى والخلاف بين السنة والشيعة...

وخلال كل ذلك، كان للإمام رحمه الله إضاءات حول محاضراته وبعض كتبه التي صدرت من قبل مثل «الإسلام بين الدعوة والدولة»، و«الإسلام أو الطوفان»، ودروسه وكلماته في دار الدعوة، ومحاضرته بالفرنسية « **Pour un dialogue islamique avec l'élite occidentalisée**» (من أجل حوار إسلامي مع النخبة المُغَرَّبة)، وكتابه بالفرنسية «**la révolution à l'heure de l'islam**» الذي يسميه (الله أكبر)، وكتاب «المنهاج النبوي»، ومقالته في العدد العاشر من مجلة الجماعة: «رسالة القرن الملكية في ميزان الإسلام»، و«الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية»، وكتاب «الإحسان» الذي صدر الفصل الأول منه آنذاك، ثم كتاب «نظرات في الفقه والتاريخ».

رحم الله أستاذنا ومرشدنا رحمة واسعة، ونفعنا وأمتنا بعلمه وجهاده واجتهاده، وألحقنا به على أحسن حال وأرضاه.

آمين والحمد لله رب العالمين.

منير الركراكي وعبد الكريم العلمي

الأربعاء 10 صفر 1436هـ الموافق لـ 3 دجنبر 2014م

نص الحـــوار:

أولا: ما قبل التأسيس

1. النشأة والتكوين

سؤال: نود بدءا لو تعرفوننا على نشأتكم وتعلمكم وأهم المؤثرات فيهما أحداثا وأشخاصا؟

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المخلوقين وعلى آله وصحبه أجمعين. سألتني أخي الكريم عن نشأتي وعن تعلمي وعن المؤثرات في حياتي، فأظن أن معلومات من هذا القبيل ليست بذات الأهمية القصوى. فما منا إلا من كانت له في طريقه إشارات إلهية، وأسباب دبرها الله عز وجل الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كي تكون صوى في طريقه.

مولدي أيها الأخ الكريم كان صباح الاثنين الرابع من ربيع الثاني سنة 1347هـ (19 شتنبر 1928م)، نشأت في بيت رجل كان فلاحا ثم هرب من بلدنا «حاحا» قبيلة «أيت زلطن»، فر بحياته لما كان يحيط به، وبأسرتنا عامة، من مؤامرات، فقد أخبر أن القايد آنذاك عول على اغتياله. كان أبي رحمه الله فارسا من فرسان القبيلة، وكان ينتمي إلى أسرة شهيرة في الجنوب تدعى أيت بهي، وكان من رجال هذه الأسرة وهم أشراف أدارسة، أصلهم من ناحية بلدة تسمى «أولوز» بسوس، كان لهذه الأسرة صيت وذكر في تاريخ المغرب. كان أشهرهم، وقد توفي رحمه الله منذ ما يقرب من مائة سنة، رجل يسمى «القايد عبد الله ولد بهي» مشهور في الذاكرة الشعبية الأمازيغية المغربية. كان له جاه عريض في الجنوب المغربي. أخبرنا أهلنا أنه كان يحكم اثنتي عشرة قبيلة وكان له أعمام وأسرة كانت أسرة رؤساء. هذا الرجل أجتمع معه في الجد الرابع، جدي الرابع هو عمه. فلما نكب هذا الرجل وقتل، قتله السلطان محمد بن عبد الرحمن، بقيت الأسرة تحت وطأة الملاحقات.

هؤلاء الأوبهيون أشار شيخنا وأستاذنا المختار السّوسي في كتاب له لما يطبع إلى نسبهم وحقق أنهم أدارسة، رغم أن وثائقهم بعثرت وأن بيوتهم دمرت بعد نكبة عبد الله أبهي، أثبت

المختار السوسي[1] أنهم أدارسة وأنهم من نسب شريف، ومازلت أنتظر صدور هذا الكتاب وعنوانه «من مراكش إلى إلغ»[2]، لكي أتحقق من هذه الأمور، وإن كنا نعلم عندنا نقلا من الآباء عن الأجداد أننا من الأشراف.

أرجع إلى الوالد رحمه الله، فقد فر والتحق بالجيش الفرنسي، وشارك في الحرب العالمية الأولى. نشأت إذن في أسرة رجل ذاق مرارة الحياة، ثم استقر آخر الأمر في مراكش، وتزوج على كبر، وقد تجاوز الخمسين، من إحدى بنات عمومته. فنشأت هكذا في جو مدني بدوي، وكان الاتصال المستمر بالبادية في صغري، فكان لهذا تأثير كبير جدا في حياتي المستقبلية، إذ كنت أتردد على البادية فأرى كيف يعيش الناس قريبين إلى الفطرة وإلى الطبيعة. كان لاتصالي بالبادية، وعيشي قريبا من الحيوان والنبات والإنسان الفطري، أبلغ الأثر في حياتي.

ثم قيض الله رجلا أعتبر أن اتصالي به، وإن كان بوسائط، هو نقطة الهداية الأولى في حياتي. هذا الرجل هو «محمد المختار السوسي»، وهو معروف مشهور بالتآليف المعروفة، رجل مؤرخ. هذا الرجل بعد رجوعه من فاس، أسس مدرسة في حينا قريبا من بيتنا، نحو مائة متر، كانت هذه المدرسة عشا لتربية الشباب الصالحين. كانوا يومئذ ينادون بالاستقلال وينتمون إلى حزب الاستقلال، كما كان هو رحمه الله ينتمي إليه، لكنه كان رحمه الله يمتاز -زيادة على الفضل والعلم- بالتقوى والاستقامة والصلاح. فكنا نحن الصغار ندرج بين يدي تلامذته الذين كانوا يتلقون عنه العلم. كانوا يعلموننا القرآن الكريم، ثم شيئا فشيئا -ومنذ السنوات الأولى- كانوا يلقنوننا أيضا مبادئ اللغة العربية. فكان هذا التكوين المزدوج الذي كان يومئذ جديدا على الناس -إذ المعهود أن المدرسة القرآنية لا تلقن إلا القرآن حتى يحفظه الإنسان- نحن بدأنا بحفظ القرآن وبتلقي دروس العربية.

أذكر رجلا منهم رحمه الله له في عنقي دين كبير يسمى عبد الرحمن بن فارس، كان شابا من الشباب الذين يتحلقون حول محمد المختار السوسي، هذا السيد -عبد الرحمن بن فارس- أذكر جيدا أنه وعظنا يوما نحن الصغار موعظة -ونحن على أعتاب المراهقة نكون

(1) توفي رحمه الله سنة 1383هـ/ 1963م.

(2) رحلة قيدها المختار السوسي رحمه الله عام 1354هـ، ذيلها بأخبار عن حاحة وأكادير، فذكر رؤساءها وعلماءها ومدارسها. وقد دون الرحلة في قصيدة تسمى «البرميلية» تشبيها للسيارة القديمة التي نقلوه فيها منفيا من مراكش إلى إيلغ بالبرميل. وقد بقي منفيا تسع سنوات.

يومئذ في العاشرة أو الحادية عشرة- قال إنكم ستشعرون في جسمكم بقوة وبحيوية جديدة -وكأنه يشير رحمه الله إلى البلوغ وإلى المراهقة- فاتقوا الله فيما تفعلون. كانت هذه الكلمة ذات أثر بليغ جدا في حياتي وفي مستقبلي. كان هناك من لقنونا القرآن رحمهم الله، هؤلاء لهم عليَّ الفضل الكبير.

أخطو خطوات فأجد نفسي أمام لجنة امتحان في المعهد الديني معهد ابن يوسف، كان يومئذ الأستاذ ابن عثمان رحمه الله مدير المعهد، وكان مراقب الدروس الأستاذ بورَقبة رحمه الله، أجلسني هذان العالمان الجليلان أمامهما يسألاني: تريد أن تدخل المعهد فما عندك؟ فامتحناني امتحانا تبين لهما أنني أستحق أن أطوي ثلاث سنوات من الابتدائي وأدخل إلى الثانوي مباشرة.

قرأت نحو أربع سنوات في المعهد الديني ولم أكن -هذا هو الواقع- شديد الشغف بتلك الدروس التي كانت تخلو من الاجتهاد في تفهيم الطلبة، كانت ترديدا على النمط القديم لما في بطون الكتب، كانت تقريرية رغم أنهم قالوا إنهم أدخلوا التنظيم على المعهد الديني، فكنت أحضر الدروس تارة وأتغيب تارات، وكان هاجسي في آخر تلك السنوات أن أتعلم اللغات الحية لما كان يتراءى لي في الأساتذة العلماء مشايخنا رحمهم الله وجزاهم عنا خيرا، من تخلف في فهم الدين أولا والعربية ثانيا. نسيت أن أقول إن العربية التي تلقيناها من أساتذتنا في مدرسة المختار السُّوسي رحمه الله جعلت بعضنا وأنا كنت منهم يتمكن جيدا من اللغة بحيث كنت أقرض الشعر قرضا جيدا وأنا في الثانية عشرة. فكانت نفسي تحدثني بأن أبحث عن طريقة لأتعلم، وكنت أطلع على ما يسقط في أيدينا يومئذ -وكانت الحرب العالمية الثانية على أشدها- من كتب ومجلات، وأهفو إلى مزيد من الاطلاع.

تلك صفحة طويت. بلغت التاسعة عشرة وأنا على حدود السنة الرابعة من الثانوي فسمعت أن هنالك امتحانا لتوظيف المعلمين. دخلت الامتحان ونجحت فيه، فبدأت مرحلة أخرى من حياتي، انتقلت من مراكش البلد البعيد النائي إلى العاصمة في مدرسة ثانوية هي مدرسة مولاي يوسف. كانت تحتوي يومئذ داخلية، وكان فيها قسم لتكوين المعلمين، فكانت تلك أولى اتصالاتي بالعالم الحي. خرجت من هامش مراكش إلى العاصمة. وكنت قد بدأت منذ نحو سنة تعلم اللغة الفرنسية بجهود خاصة. في الداخلية التقيت بالتلامذة

المعلمين الذين يتكونون في اللغة الفرنسية كي يكونوا معلمين لهذه اللغة. واتصلت بعدد من التلامذة ينحدرون من أرجاء متنوعة من البلاد، وهذا فتح أفقي كثيرا وكان عامل التنافس مع طلبة الثانوية الذين كنت ألتقي بهم في الاستراحات وقاعات المطالعات عاملا حاسما في تشميري كي أتعلم.

تخرجت من مدرسة المعلمين وقد حزت المرتبة الثالثة، وعينت في مدرسة ابتدائية بالجديدة. كانت هذه مرحلة أخرى في حياتي. توفي والدي رحمه الله في آخر سنة لي بمدرسة المعلمين، فترك لي الوالدة رحمها الله. كانت هي عائلتي الوحيدة، سكنا في الجديدة، وتحملت أعباء الإنفاق على الأسرة، كانت هذه مرحلة أخرى.

واستمر اجتهادي في التعلم. طويت في سنوات قليلة جدا الدراسات في معهد الدروس العليا للدراسات الإسلامية في الرباط[1]، ما لبثت أن حصلت على الدبلوم، فعينت بمراكش أستاذا للغة العربية والترجمة، عملت نحو ثلاث سنوات، تقدمت إثرها مباشرة لمباراة توظيف المفتشين في الابتدائي. كانت كل هذه مراحل تطورية فتحت أفقي على أشياء كثيرة لكنها أنستني الأصل أنستني أن أراجع وأن أحافظ على القرآن الكريم الذي حفظته وأنا في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، فهجرت القرآن غفر الله لي، وأقبلت على تعلم اللغات وعلى ممارسة الوظيف.

جاء الاستقلال وأنا مفتش للغة العربية في المدارس الابتدائية بالدار البيضاء، كانت تجربتي مع المعلمين، تجربتي مع الوظيف، اطلاعي على أسرار الإدارة، وكانت يومئذ في يد الفرنسيين، كان كل هذا دروسا في تكويني. جاء الاستقلال فكنت من الرعيل الأول من الموظفين المغاربة الذين تسلموا مقاليد الأمور من الإدارة الفرنسية. وعندئذ تعلمت أيضا من الواقع كيف كانت الحزبية والوصولية والمحسوبية والرشوة وكل هذه الأمراض التي استفحلت بعد الاستقلال إلى الآن استفحالا عظيما، كيف كانت بذور كل هذه الأمراض تمهد لما نحن فيه الآن من الويلات.

(1) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس حاليا.

جربت أول الاستقلال أن أكون الموظف المستقيم، وكانت لي سلطة على كل حال على معلمي اللغة العربية في مدارس الدار البيضاء ونواحيها. فكانوا يقولون يومئذ هذا عمر ابن الخطاب جاءنا بالعدل، لأنني غيرت عادة نشأوا عليها، وهي أن الإنسان يتقدم في وظيفه -بل يدخل إلى الوظيفة أساسا- بالعطاء والرشوة. حفظني الله عز وجل طيلة حياتي إلى الآن وأسأله المزيد من الحفظ أن أقبل شيئا من هذه المناكر، لا أذكر أنه كانت أية محاولة لإغرائي بالعطاء إلا مرة واحدة، جاءني رجل بدجاج وقال لي هدية، فعنفته تعنيفا كثيرا، وأغناني عن تعنيف الآخرين ما كان يعرف عني -بحمد الله عز وجل- من الجدية، بل من الصرامة بل من الخشونة في حكم بعض الناس.

هنا أنتقل إلى أهم نقطة في حياتي أعتبرها، وهي عندما استيقظ فيَ في سنة -وأؤرخ هنا بالعجمي- 1965، استيقظ في ذكر الله عز وجل كنت يومئذ على عتبة الأربعين كنت في الثامنة والثلاثين، بالهجري 1384-1385، فوقعت في سؤال وامتحان لنفسي عسير، أو أوقعتها في امتحان عسير، قلت لها ماذا فعلت بحياتك؟ هل عرفت الله عز وجل؟ هل تقربت إلى الله عز وجل؟ كيف تلقينه؟ هل إيمانك بالله واليوم الآخر إيمان حقيقي أم أنها كلمة تردد؟ فعكفت على قراءة الكتب، كتب الصوفية وكتب الحديث وكل ما كان يقع في يدي من كتب الدين، فوجدت أن الطريق إلى معرفة الله عز وجل، كما اتفق عليه الطيبو الأنفاس المشايخ الصوفية، أنه لا بد لك من رجل يأخذ بيدك، فاستنكفت من هذا أول الأمر، لكنني رأيت كلامهم من الغزالي إلى الشاذلي إلى الجنيد إلى كل هؤلاء العظام إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، رأيتهم متفقين على أنه لا بد لك من رجل يرشدك. فقلت يا رب ومن أين لي بمثل عبد القادر الجيلاني؟ حتى يسر الله رجلا لم أكن أعرفه. التقينا هكذا بمشيئة الله عز وجل في مسجد، فجلس في حلقة، يعظ الناس ويخبرهم أن في المغرب رجلا هو شيخ صوفي مرب.

ذهبت عند شيخي رحمه الله، السيد الحاج العباس القادري البوتشيشي، أعتبر أن لقائي به كان ميلادي الحقيقي بعد الميلاد الجسدي، والميلاد الجسدي يشترك فيه الإنسان والحيوان، لكن ميلاد الروح هو الشيء الذي يميز الإنسان الحق، الإنسان الموعود بالكرامة من الله عز وجل من غيره.

صحبته رحمه الله ست سنوات حتى لقي الله وأنا معه على أحسن الأحوال، وكان من أمر خلفه -غفر الله لنا وله- أن رجع إلى تقاليد الطرقيين، ولا أريد هنا أن أكثر الكلام، فكان بيني وبينه خلاف جذري، بعد محاولة سنتين، حاولت أن أنصحه، أنا هكذا أقول أنصح.

افترقت مع هؤلاء القوم وأنا آسف لما تؤول إليه عادة المدارس التربوية الصوفية، ووكلت أمر أولئك إلى الله عز وجل. فكانت سنة 1394هـ [1974م] كتبت فيها رسالة «الإسلام أو الطوفان» وتعلمون ما حدث بعد ذلك من اعتقال، كان سنة ونصف منه في مستشفى الأمراض الصدرية، وسنتان في مستشفى الأمراض العقلية. وكان لأخوي الكريمين سيدي «محمد العلوي» وسيدي «أحمد الملاخ» الفضل في طبع كتابي: «الإسلام أو الطوفان» ونشره، وقد أديا إثر ذلك على يد الشرطة ما قدر الله لهما من البلاء، فقد أوذيا أذى كثيرا يكفي أن تعلموا أنهما أمضيا خمسة عشر شهرا على الأرض، وفي البرد الشديد، يأكلان الخبز اليابس الملطخ بالبترول، والعدس الممزوج بالحصى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بعد خروجي من المعتقل الأول حاولت أن أصدر مجلة، فكانت مجلة «الجماعة» التي قرأتم أعدادها، هي الأسلوب الثاني من محاولة تبليغ ما كنت أكنه من غيرة على دين الله عز وجل في هذا البلد وفي كل بلد.

مرت السنوات الأولى والأعداد الأولى من «الجماعة» في شبه غفلة من النظام، لكن لما نشرت في العدد العاشر مقدمة بعنوان «قول وفعل» كانت نقدا للرسالة الملكية «رسالة القرن»، عول النظام على اعتقالي مرة ثانية، وهو ما تم بعد ذلك بنحو سنتين أو أكثر. فتربص القوم بنا إلى أن نشرنا وأصدرنا جريدة «الصبح». فكان الاعتقال الثاني الذي أوذي فيه بعض إخوتنا، ونحن اليوم على موعد مع آخر معتقل في هذه القضية وهو أخونا سعيد من الصويرة، سيخرج من السجن في التاسع من فبراير المقبل إن شاء الله، أرجو الله له العفو والعافية.

كانت الحكومة تظن أن هذه الاعتقالات ستقضي على جماعتنا، فإذا بذلك الاعتقال يصبح السبب الحقيقي لكي تأخذ الجماعة حجمها الطبيعي، وحجمها الحقيقي، إذ أن الإخوان زادهم ذلك الاضطهاد صبرا، وزادهم تماسكا، وزادهم إقبالا على الدعوة، وزادهم نشاطا.

نحن الآن منذ خروجنا من السجن في آخر 1985م [1406هـ]، في سعة ولله الحمد من أمرنا، إذ أن الخصوم الآن في حيرة، فبيوتنا تحاصر وتراقب، ولعلكم رأيتم قبل دخولكم إلي، سياراتهم ومن معهم أمام البيت. هم في حيرة كيف تكون معاملاتهم معنا في الخطوة المقبلة. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة:52).

سؤال: على كل حال هذا جرد سريع لمراحل الحياة، ويعلم الله كم هي هوامش على هوامش الحياة والمعاناة. يبقى أن نسائل السيد المرشد، في إطار كل مرحلة بنوع من الدقة ليجيبنا عن بعض الأسئلة.

يتغير الإنسان عبر سنين حياته ومراحل عمره، تغيرات عدة، لكن بعض ملامح شخصيته الفيزيولوجية تظل مرافقة له وملازمة، وكذلك بعض الثوابت النفسية والعقلية والسلوكية والأخلاقية، تبقى شاخصة أمام عوامل التغير والتحول، لا تزول إلا أن تنمو. فإلى أي حد يصدق هذا القول على شخصكم؟

الإمام: تكلمت عن الثوابت الفيزيولوجية في حقي، الثوابت الفيزيولوجية هي أنني رجل نشأت ولدي أمراض متعددة كثيرة. ناهيك بطفل ثم شاب كان في حضن أسرة بدوية التكوين على كل حال، قليلة الوسائل، كان التطبيب بالنسبة إليها أعشابا من هنا وهناك، فمررت في طفولتي بأمراض شديدة. هذا كان له أثر على بنيتي بعد ذلك. أصبت مثلا بمرض حمى المستنقعات سنوات طويلة، حمى التفويد -والعياذ بالله- خضخضتني خضخضة شديدة، وحطمت مني الأركان الفيزيولوجية كما قلت.

أما الثوابت الفكرية والنفسية، فمن الصعب أن يحكم الإنسان على نفسه، لكني أظن أن هذه الأمراض نقصت كثيرا مما كان لدي من استعداد في منشئي الأول، في قسمي كنت دائما الأول، هذا شيء أقوله والحمد لله، باستثناء السنة التي قضيتها في مدرسة المعلمين، كنت لا أشتغل تماما بمدرسة المعلمين، أشتغل باللغات الفرنسية واللاتينية، كان لدي نهم شديد لتعلم كل ما يمكن أن أتعلمه في نفس الوقت.

على كل حال، من الناحية النفسية، أستطيع أن أقول إنني كان يغلب علي الانفعالُ في شبابي، صرامةٌ وانطواءٌ. أما الآن وقد شخت فأسأل الله عز وجل أن يختم لي بالحسنى ليكون طبعي طبع القرآن، أسأل الله عز وجل أن يكون طبعي طبع المؤمنين، طبع المخبتين وطبع الخاضعين لعزة المولى عز وجل.

سؤال: علما أن سيدي عبد السلام له بعض الحساسية مع لفظ الثقافة، بعد أن تحدثونا عن التعليل لهذا النوع من الحساسية الذي تجدونه أمام هذا اللفظ -الثقافة- نود أن تطلعونا على مصادر ثقافتكم وما هي العوامل التي أَثْرَتْها وأَثَّرَت فيها؟

الإمام: لعلكم سمعتم مني مرارا التعريض بالثقافة وبالإسلام الثقافي. أنا أحب من الإخوة أن يكونوا كثيري الاطلاع وكثيري الفضول وحب الاطلاع، وأن يطلعوا على كل ما يفكره الإنسان وما فكره الإنسان، وما يحدث وما حدث، لكن على شرط ألا يكون كل ذلك الجمع وكل ذلك التكديس على حساب الجوهر ألا وهو التفكر في الله عز وجل وفي المصير. الشيء الذي أخاف منه أن تكون الثقافة وهي عبارة مستوردة، عبارة أتتنا من الخارج، فهي ترجمة لكلمة **Kultur** الألمانية أو **Culture** الأنجليزية، عندما نجلس مع أغلب المثقفين نجد أن المثقف معناه هو رجل قرأ كل شيء، واطلع على كل شيء أنتجه الفكر البشري، ومن جملته القرآن ومن جملته الإسلام. والإسلام يقبع في ذهن هذا المثقف في ركن ضيق باعتباره ثقافة من الثقافات، وإفرازا فكريا، وحدثا تاريخيا والسلام.

أما اطلاعي فهو اطلاع شاب ثم رجل قرأ من الكتب، أخذ من الكتب ومن الواقع مباشرة. فالأسس المتينة التي أخذتها عن أساتذتي في المدرسة الأولى، مدرسة السيد المختار السوسي رحمه الله -لم يكن لي به اتصال مباشر إلا مرتين أو أقل في حياتي، ولكن بواسطة تلامذته- كان التكوين الذي كُوِّنَاه يومئذ ونحن في صبانا، تكوينا متينا. فأنا أعتبر أن هؤلاء، رحمهم الله وجزاهم عنا خيرا، هم الذين أرسوا قواعد تفكيري وقواعد تعاملي مع اللغة العربية، ومع الدين، مع احترام الإسلام، واحترام القرآن، واحترام السنة، واحترام المقدسات الدينية.

أما اطلاعي على الأشياء الأخرى فلست بمستطيع أن أحصر ما قرأته من كتب، وقد طالعت كثيرا كثيرا من فلسفة وإيديولوجيات وماركسية وتاريخ ويطول هذا.

2. اليقظة القلبية.. والتجربة الصوفية

سؤال: سيدي، تحدثتم عن تاريخ دخولكم إلى الطريقة البوتشيشية وعن أسبابه وعن أهدافه بشيء من الاختصار. نود لو أخذنا فكرة مفصلة عن هذه الأسباب وعن هذه الأهداف. ثم ما هو النشاط أو العمل الذي قمتم به داخل الطريقة؟

الإمام: شيخنا رحمه الله كان قليل الكلام، كلمته إلينا دائما ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:7)، فكانت جهودي يوم كنت بين ظهرانيهم، أن أطبق هذا التوجيه، ولست بحاجة أن أقول إن محاولاتي لتطبيق هذا التوجيه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ لم تحظ بقبول الكثيرين، لأن الفقراء يحبون الأحوال، ويعيشون الأحوال، والأحوال سكرة. أسأل الله عز وجل أن ييسر خروج كتابي «الإحسان» وقد خرج الجزء الأول منه -أو قل الفصل الأول منه- تحت عنوان «الرجال» تقرأونه إن شاء الله قريبا[1]. في هذا الكتاب سأنشر إن شاء الله وأفصل، لا بذكر التاريخ لكن بالبحث العلمي في المسألة لكي تعلموا ما هي التجربة الصوفية التي تحدث عنها أمثال الإمام الغزالي وغيره، وجئت أنا في آخر الزمان لكي أتحدث بنفس الحديث.

سؤال: أظن أن هذا السؤال سبقت الإشارة إليه ولكن إن كان هناك المزيد من حديث عن الحاج العباس؟

الإمام: الحاج العباس رحمه الله ينتمي إلى أسرة قادرية. أسرة تنتمي إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله. كان رجلا فلاحا، وكان فلاحا ناجحا في شبابه وكهولته الأولى. وأخبرني رحمه الله بأنه كان أبعد الناس عن الاهتمام بالسلوك الصوفي لأنه نشأ في الزاوية، كان أبوه وجده وجد جده والسلسلة طويلة، كانوا مشايخ، مشايخ طريقة. فكان هو يعرف أن الطريقة شيء ورث عن الأجداد وكفى، ولكنه التقى بشيخه وشيخنا جميعا بالتالي، السيد أبي مدين، وهو ابن عمه، وكان سيدي أبو مدين هذا رحمه الله رجلا مقرئا كان يُقرئ القرآن، كان مُدرِّرا، كان يعلم القرآن، لكنه أمضى حياة طويلة طويلة طويلة في البحث عن شيخ يربيه. فلما حصل على ما يصبو إليه الرجال رجع إلى بلدته. يحكي لي الحاج العباس رحمه الله

(1) صدر كتاب «الإحسان» بعد ذلك في جزأين عام 1998م.

أنهم لما جاءهم هذا الرجل وهو ابن عمهم ظنوا أنه جاء ينافسهم في الطريقة، أنه جاء ليأخذ زمام الزاوية. لم يكونوا يفرقون بين رجل بحث حتى عرف الله وبين رجل ورث عن آبائه طريقة فهو يعطي أورادا هكذا.

فبصحبته لهذا الرجل اكتشف شيئا فشيئا أنه لا بد له أن يبحث عن شيخ يربيه، وهذا الرجل ابن عمه كان رجلا عرف الله عز وجل فهو مؤهل لكي يأخذ بيده. فلجأ إليه وطلب إليه الصحبة فكان ما كان، وقبيل أن يتوفى الله أبا مدين عهد إلى الشيخ العباس من بعده أن يكون قدوة لمن يريدون السلوك إلى الله سبحانه وتعالى.

سؤال: رغم ما أبديتموه من رغبة في أن تطوي صفحة علاقتك بابن الشيخ العباس، الشيخ حمزة، نود أن نعرف حدود علاقتك بالمريدين؟

الإمام: ﴿وَكُنْتُ عَلَيهِم شَهِيدًا﴾ أستشهد بهذه الكلمة، كلمة سيدنا عيسى عليه السلام وأتمثل بها، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة:117)، كانت علاقتي بالمريدين علاقة محبة، وكانت النيات الطيبة وكانوا من الناس الأخيار. لكن هذا الشيء الذي يتهدد كل سالك لطريق الله، وهو ظهور الأحوال والمشاهدات والكرامات والأشياء التي طالما نبه عليها كُمَّل المشايخ، قالوا هذه الأشياء تلهي عن الله عز وجل وتحجب عن الله عز وجل، فلعل بعض المريدين يظهر لهم نورانية أو مكاشفة فيقول أنا وصلت، أنا أصبحت من الواصلين فيقف، عندئذ خسر الدنيا والآخرة، وعلى كل حال سأرجع لأبسط هذا في كتابي «الإحسان» بسطا كافيا وأسأل الله التوفيق.

سؤال: على كل نعتذر إن كان في أسئلتنا إعادة وتكرار ولكن إرادة التفصيل والتدقيق تحتم علينا أن نعيد بعض الأشياء. متى كان الانفصال عن الزاوية ولماذا وكيف؟ بعبارة أخرى ماذا كنتم تنتظرون من الزاوية؟

الإمام: كان انفصالي عن الزاوية انفصالا لينا ولطيفا. عندما كتبت رسالة «الإسلام أو الطوفان» لم أستشر فيها أحدا من أهل الزاوية بتاتا، فلما خرجت من الزاوية اعتبروها هم وثيقة انفصال، وكانت واقعيا انفصالا جذريا على مستوى الفكر، وعلى مستوى الموقف السياسي، وعلى كل مستوى، فهمي للحاضر والمستقبل والماضي. وانتهى الأمر.

سؤال: كتبتم كتابين وأنتم لا تزالون ابن الزاوية بل أحد مؤسسيها. هما «الإسلام بين الدعوة والدولة»[1] و«الإسلام غدا»[2]، نود سيدي لو تحدثونا عن الداعي لكتابة الكتابين وعن الفترة ما بينهما، وعن أوجه الاختلاف بينهما، علما أن الزمن الفاصل بينهما على ضخامتهما قليل، جد قليل، سنة أو أقل من سنة على ما أذكر؟

الإمام: لما كنت مع هؤلاء السادة، كانت نيتي -لما علمت من أن ذلك الرجل المنور القلب يمكن أن يكون يعسوبا لتربية أجيال من المؤمنين الصالحين- كان همي أن آخذ ذاك النبع المجسد في الشيخ ذاك القلب الطاهر، إلى معرض عام ليستفيد منه الخاص والعام. فكنت أحدث نفسي أن أكون جنديا لهذا الرجل المبارك. عندما انتصف كتاب «الإسلام بين الدعوة والدولة» توفي الشيخ العباس رحمه الله. في النصف الثاني من هذا الكتاب تجدون إشادتي بابنه وخلفه، وتجدون شهادتي على نفسي بأنني بين يديه تلميذ. وكانت هذه نيتي إذ ذاك أن أخدمه كما خدمت أباه، لكي يستفيد منه الخلق. هذه كانت نيتي. وبعض الناس يقرؤون اليوم، يقولون: أنت كتبت عن هذا الرجل أنك تلميذ بين يديه وأنه كذا وأنه كذا، ثم نراك تتنكر له، فأخبرهم أن نيتي يومئذ كانت هي تلك، علمت أن لله عز وجل أولياء، وأن هؤلاء الأولياء صحبتهم تفيد الخلق، تنفع الخلق، فتجندت لخدمة أولياء الله. لكن بعد ذلك حدثت أشياء. هذه الأشياء ما هي؟ بعضهم يقول أنت دعي ودخيل في الصوفية لأنك ليس لك إذن من شيخك. أقول نعم باعتباركم هذا أنا لم يأذن لي شيخي ولم يقل تصدر وأعط الناس الطريق وعلم الناس السلوك، إذن فهل أنت صوفي أو لست صوفيا؟ هذه الأسئلة ترد والجواب عنها يكون محرجا جدا، لأنني أعوذ بالله وأسأله أن لا أكون من أهل الدعوى لأن الدعوى تقصم الظهور، ذلك الذي يقول أنا أنا أنا أنا، أما من باب النصح فأقول: إن ما في القلوب هو شيء يطلع الله عز وجل عليه ويظهر في عمل الإنسان ويظهر بعد الإنسان، فأنا عندما ألتفت إلى حياة الصوفية أجد أن الصوفية رحمهم الله قوم هربوا من ساحة الجهاد لكي يتفرغوا لتربية القلوب وتربية الأفراد. بهذا الاعتبار أنا لست صوفيا. للصوفية تقاليد أنا لا أعترف بها ولا أعرفها ولا أريد أن أعرفها. أنا أعرف سنة رسول الله وأجتهد في إطارها. ثم بعد ذلك إذا لم تكن صوفيا ولم تكن تعترف بطريق الصوفية إذن فأنت والناس الآخرون

(1) صدر عام 1972م.

(2) صدر عام 1973م.

سواء! فأقول إن ثماني سنوات قضيتها في حجر الزاوية، وبعدها الآن نحو ستّ عشرة سنة قضيتها في نفس الاتجاه أبحث عن الله عز وجل وأتوسل إليه وأذكره كما علمني شيخي رحمه الله، أقول إن عمرا مديدا مثل هذا، يبدؤه المرء بالنية الصالحة، وتزداد هذه النية قوة كلما ازداد تقدما في العمر، لدليل على أن هذا السالك وجد طريقا عرف أنها الحق فاستقام عليها. أما أن أدعي أقول أنا أنا كذا لا، هذا ليس من شأني.

سؤال: بعد الانفصال عن الزاوية، من هم الأشخاص الذين وجدتم إلى جانبكم؟

الإمام: في كلمة واحدة وجدت الأخ الملاخ والأخ العلوي وتعرفان الرجلين. فقط. لا غير.

سؤال: من سنة الخروج من الزاوية إلى سنة كتابة «الإسلام أو الطوفان» حلقة مفقودة بالنسبة للمتتبع لحياة سيدي المرشد. هل من حديث عن هذه الفترة ونشاطها؟

الإمام: لم تكن هناك فترة، انتقلت من الرباط -لأسباب صحية- إلى مراكش، فكان مجرد انتقالي هو انقطاع عن الزاوية، دون أن أعلن أني انقطعت أو أنني أريد الانقطاع. ثم بعد ثلاثة أشهر خرج كتاب «الإسلام أو الطوفان».

3. الإسلام أو الطوفان

سؤال: كيف واتتكم فكرة بعث رسالة إلى ملك البلاد؟ ثم ما هو الهدف منها؟ وما هو تقييمكم لآثارها ونتائجها؟ وهل سبقت بمحاولة أخرى؟

الإمام: كيف تأتي الأفكار إلى الناس! الأفكار لا تأتي، لأنها ليست أشياء لها إرادات مستقلة، لكن الله عز وجل يقلب قلوب العباد كما يشاء، فكان حزني على ما يعيثه المفسدون في الأرض من فساد، كان هذا شيئا يسكن كياني منذ سنوات، عندما دخلت إلى طريق الشيخ كنت خليا من هذه الأشياء لم أكن أحمل إلا هم نفسي فقط، فقط، لا يهمني شيء آخر، لكن لما استنار قلبي -ولله الحمد-، أذكر نعمة الله علي- صرت أشعر بقوة تزداد على مر الأيام بأن من واجبي أن أقول كلمة حق عند سلطان جائر. لا أقول إنني فكرت في هذا سنوات، بل شهورا، فاستقر أمري على كتابة هذه الرسالة.

أما نتائجها وما يمكن أن يترتب عنها، فقد رأيتم ما نتج عنها، وسترون بحول الله ما سيترتب عنها لأنها كلمة حق قيلت، قالها رجل لا يريد بذلك إلا وجه الله عز وجل، هذا كلام لا يموت أبدا.

سؤال: هل سبقت هذه المحاولة محاولة أخرى؟

الإمام: أذكر أنني عندما كتبت «الإسلام بين الدعوة والدولة» كتبت فيه لقاءات بين رجال الدعوة ورجال الدولة. وكان في تفكيري يومئذ أن هؤلاء الحكام الجبابرة يمكن أن يستفيدوا لو فعلوا مثل ما فعل من ذكرتهم، أظن خمسة أمثلة في التاريخ من الرجال، صحبوا أفاضل من العلماء والمشايخ المربين، فبعثت نسخة إلى القصر الملكي بل حملتها بنفسي إلى الديوان الملكي، نسخة من «الإسلام بين الدعوة والدولة». وبالطبع ألقيت في سلة المهملات.

سؤال: هل يمكنكم أن تعطونا صورة عن مرحلة الاعتقال، ظروفها، برنامجكم خلالها، أهم أحداثها؟

الإمام: فترة الاعتقال الأولى في سنة 1974م [1394هـ] كانت فترة هدوء وتأمل وتفكير في الظاهر. وفترة ذكر عميق وخلوة. كانت هي من أسعد فترات خلوتي، لا أقول أسعد فترات حياتي. كانت من أسعد فترات خلوتي. فكانت السنوات الثلاث والنصف مناسبة لملازمة الأذكار، ولمراجعة ما كان فقد من القرآن الكريم. كان هذا أهم شيء من به الله علي في ذلك الوقت، استرجعت القرآن وأعدت حفظه، وكان سهلا على كل حال لأني حفظته منذ الصبا، فاسترجعت القرآن استرجاعا جيدا ولله الحمد، وقرأت أيضا كتبا. كانت فترة ذكر في كلمة واحدة.

سؤال: هل هناك أحداث مسجلة في هذه الفترة؟

الإمام: أحداث مسجلة من مضايقات هذا شيء لا يحصى. ولكن الذي سجلته هو أن الحراس الذين كانوا يتناوبون على حراستي كانوا -باستثناء ربما واحد- كلهم يتعاطفون مع رجل يصلي ويقول لا إله إلا الله. فهذا درس.

سؤال: حاولتم سيدي بعث رسالة من داخل المعتقل إلى الحسن الثاني. ما هو الهدف الذي كان مرجوا منها؟ وما هي مضامينها؟ ولماذا لم يتم الأمر؟

الإمام: كان ذلك في سنة 1976م [1396هـ] -أظن- كتبت رسالة إلى وزير الداخلية، وكتبتها باللغة الفرنسية. لست أدري هل بقيت منها نسخة. أقول فيها نفس ما قلته في رسالة «الإسلام أو الطوفان» بلغة أخرى يفهمونها، لأن هؤلاء لا يقرؤون العربية، تكلمت إليهم باللغة الفرنسية، قلت إنكم في ورطة من حرب الصحراء، في ورطة اقتصادية في كذا في كذا، والمخرج هو الإسلام. ولما وصلت هذه الرسالة إلى عميد الشرطة في مراكش شدَّد علي وضيق تضييقا مضاعفا، كان يتوقع أن تكون هذه الرسالة سبب شنقي أو الحكم علي بالإعدام لأنه استفظع أن أقول مثل هذا الكلام. يكفي هذا للدلالة على لهجتها. لكن رد وزير الداخلية بعد ذلك كان ردا رفيقا، وكان ردا واعيا، قال: بلغتني رسالتك وسأقرأها وأنا أشكرك عليها. ولم يمض بعد ذلك إلا نحو سنة ونصف حتى أفرج عني.

سؤال: للتاريخ ما اسم هذا الوزير وزير الداخلية؟

الإمام: اسمه بنهيمة. محمد بنهيمة.

سؤال: شاع بين الناس أن اتصالا تم بينكم وبين ملك البلاد، ما هي حقيقة هذه الشائعات؟

الإمام: لا. لا. هذا كذب محض وتخرص، الذي وقع هو أنهم كانوا اعتقلوني في اليوم الأول من رمضان، سنة 1974م/ 1394هـ، في اليوم الثاني من رمضان جاءني عميد من الشرطة ومعه ضابط، فخرجنا إلى ساحة وجلسنا على الكراسي، وأخبرني بما يلي: إني تلقيت أمرين غريبين، أولهما أن أعاملك معاملة لطيفة وألا أشدد عليك، والثانية أن الملك يريد أن يقابلك. قلت له: أما مقابلة الملك فأنا لست مستعدا لها لأنني مريض، وإذا كان يريد أن يتحادث أو يحاورني فليبعث إليَّ رجلا عاقلا، وكأنني كنت أعرض بأنه ليس بالعاقل.

سؤال: يتساءل الكثير عن عدم البطش بشخصكم الكريم أو على الأقل محاكمتكم بعد رسالة «الإسلام أو الطوفان»، فهل من تفسير لهذه المسألة شهادة وغيبا؟

الإمام: يتصور الناس بسهولة ما يكون وقع هذه الرسالة الفاضحة على شخص تربى على ألا يسمع كلمة لا أبدا، وعلى ألا يسمع كلمة نقد أبدا. تسألني لماذا لم يبطش بي ولماذا لم يحاكمني. أما المحاكمة فتكون فضيحة أفضح، فإنه بعد اعتقالي في رمضان تجندت الشرطة وتجندت الداخلية، لكي تطوق انتشار رسالة «الإسلام أو الطوفان»، فكانت زيارات

بالليل، بلغني ذلك بعد خروجي من المعتقل، زاروا الناس وسط الليل يسألونهم هل بلغتكم رسالة عنوانها كذا وكذا. وسبحان الله من الناس من كانت زيارة الشرطة لهم في وسط الليل، هي المنبه لهم إلى أهمية هذه الرسالة، فبلغني أن منهم من كان لا يعرف عن الموضوع شيئا فلما زاروه وسط الليل، أصبح في الصباح يسأل عن هذه الرسالة ومن الذي كتب وكيف يحصل عليها؟ فإذن لم يكن من حسن السياسة أن تعقد محاكمة في هذه الظروف، وكان حسن التدبير أن تطوق المسألة وأن يسكت هذا الصوت ويخنق.

أما البطش، فقد بلغني بعد خروجي من المعتقل أن صاحبنا لما بلغته الرسالة أو بلغته نسخة الرسالة التي بعثت بها إليه عن طريق عامل المدينة -مدينة مراكش- دفعها إلى بعض كتبته كي يلخصها له، ثم بعث إليه أن ائتني بالرسالة فقيل لي إنه قرأها ثلاث مرات، ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

وبلغني أيضا أنه عزم على البطش بي فعلا وعلى قتلي حينا، لكنه رجع إلى شيء من التريث، فأشاروا عليه بأن يأخذ بالتي هي أدهى، وهي أن يعرضني للناس على صفة مجنون، لأنه لا يجسُر أن يكتب للملك مثل هذا الكلام إلا مجنون. وهكذا تحولت سياسة الملك من هذا العزم على البطش، إلى سياسة التطويق، وبالفعل مرت علي سنتان بمعتقل في مستشفى الأمراض العقلية مع المجانين، وسُمع هذا وكانت هذه سياسة صبيانية لأن المجنون لا يكتب مباشرة، ولا يكتب بمثل ما كتبت.

وبلغني أيضا -وتسألني عن الناحية الغيبية- أنه رأى رؤيا أفزعته، ما حقيقة هذه الرؤيا؟ وكيف أفزعته؟ الله أعلم بذلك.

سؤال: جزاكم الله خيرا. متى كان الخروج من المعتقل؟ وكيف تم ذلك؟

الإمام: الخروج من المعتقل كان في شهر ربيع الأول من سنة 1398هـ[1978م]، كان يوم عيد المولد بالضبط. والكيفية التي تم بها الإفراج عني من المعتقل هو أن الملك زار مراكش، فأوحى إلى بعض جلسائه، ممن كان أصلهم من مراكش، أن طوفوا بعلماء المدينة وبوجهائها وبكُبرائها لكي يُمضوا على رسالة استعطاف في شأن فلان. وهذا ما حدث. فما راعني على الساعة الواحدة من يوم العيد إلا وسيارات فخمة تقف أمام باب الزنزانة

أو قل باب الكوخ الذي كنت معتقلا فيه، فدخل علي فوج من رجال السلطة من الداخلية، كل عمداء البوليس كانوا، الكبير والمتوسط والأصغر وأعوانهم، دخل علي فوج كبير من الناس إلى المعتقل. قال لي زعيمهم إن الملك أفرج عنك، ثم أضاف لم لا تقول جزاه الله خيرا؟ قلت جزاه الله خيرا. ورجعت إلى البيت متعجبا من فُجاءة المسألة، لكن لمّا أُخبرت بالإخراج الفني الذي وقع في هذا الإفراج زال العجب، وعلمت أن تلك السنوات الثلاث والنصف التي قضيتها في المعتقل كانت بمثابة جولة اضطر من بعدها النظام في شخص الملك أن يتراجع عن زعمه أن فلانا مجنون أو... أو....

ثانيا: تأسيس الجماعة

1. مجلة الجماعة

سؤال: سيدي ما هو المشروع الذي خرجتم به، ومن وجدتم إلى جانبكم في هذه المرحلة؟

الإمام: المشروع كان أول مرة هو أن أقول كلمة الحق وأن أسعى في أن يعقب هذه الكلمة عمل جاد لإيقاظ النائمين ولتعبئة المتخاذلين.

لم يزرني بعد خروجي من المعتقل إلا عدد قليل جدا من أصدقائي القدامى ومن المعارف، مضت شهور ففكرت أنا وإخوتي -ولم يكن لي يومئذ إلا الملاخ والعلوي، وكان العلوي مريضا- في إصدار مجلة، لتكون هي حاملة رسالتنا ومبلغة كلمتنا. أثناء تفكيرنا هذا، وجدنا أن وسائلنا للعمل قليلة جدا، وأن وسائلنا المادية منعدمة، وأن دخولنا إلى ميدان النشر، نشر مجلة، تأسيس مجلة، هو دخول إلى عالم نجهله ونحن غرباء عنه. توكلنا على الله عز وجل، فكتبت العدد الأول من المجلة، كتبته وحدي، ولعلكم إن رجعتم إليه تجدونه كلمة واحدة ليس فيها أي عنوان، وشاركني فيه الأخ الملاخ أيضا بكلمة في آخره. ثم ذهب الملاخ إلى مطابع الدار البيضاء، وبعد مشقة، استطاع أن يطبع العدد الأول، بأغلاط مطبعية كثيرة جدا، هذا يدل على قلة النصير، وعلى قلة خبرتنا مع المطابع، ومع رجال المطابع ومع فن النشر.

بعد ذلك زارني أخونا الكريم إبراهيم الشرقاوي، الحاج إبراهيم الشرقاوي[1]، فقال أنا مستعد لمساعدتكم فيما تنوون عمله، قلت إن كنت تستطيع أن تنشر لنا، أن تساعدنا في نشر المجلة فنعم. وهكذا بدأ تعاوننا مع هذا الرجل الذي أمضى معنا في الجماعة زمانا -ثلاث أو أربع سنوات- كان فيها نعم الرفيق. وهكذا بدأ مشروع نشر المجلة تباعا، كان هذا أول خروجنا إلى الساحة العامة بعد رسالة الإسلام أو الطوفان.

(1) توفي رحمه الله في 24 صفر الخير 1435هـ/ 27 دجنبر 2013.

2. أسرة الجماعة

سؤال: ما هي أهم الأحداث والظروف التي عاشتها هذه المجموعة قبل تأسيس الجماعة؟

الإمام: أستطيع أن أقول إن أهم ما عشناه في هذه الفترة تأسيس الجماعة سنة 1401هـ [1981م] هو الأمل المتواصل في أن يكون لكلمتنا وقع ولندائنا استجابة. كان اتصالنا بالناس عسيرا جدا، كان الناس يهربون منا، وكنا نتودد إليهم ونتقرب فيزداد هروبهم وخوفهم. أذكر أنه في رمضان الذي تلا خروجي من المعتقل دخلت المسجد لألقي دروسا. كان حولي الملاخ والأخ إبراهيم مزين وأذكر الأخ عبد الكريم الهلالي ونفر قليل، سبعة أو ثمانية من الإخوة. فبعد الجلسة الثالثة استدعاني القائد وبلغني أن العامل يأمر بإيقافي فاحتججت عليه، ولكنني ما قدرت إلا أن أرجع إلى المسجد في الصباح التالي كي أخبر الناس، وكانوا قد بدأوا يجتمعون علي، أخبرتهم أنني أُمرت بالتوقف وتلوت عليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلاَّ خَآئِفِينَ لَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:114). فانفعل الناس قليلا لأن صحبتنا لم تتعد يومين كان الوداع في ثالثهما، فانفعل بعض الناس وقالوا نذهب عند القائد وعند العامل، لنحتج على هذا التوقيف فهي دروس بدأنا نستفيد منها. على كل حال كان اتصالنا بالناس صعبا.

أهم ما عشناه في هذه الفترة هو اتصالنا بالأخوين سيدي محمد العبادي وسيدي محمد بشيري. وسبحان الله أنتم اليوم تعيشون زمانا فيه جاذبية الدعوة تضاعفت أضعافا كثيرة، ففي كل يوم ينضاف إلى الجماعة أفراد يحصي الله عددهم سبحانه وتعالى. في ذلك الوقت كان انضمام واحد إلينا يتطلب جهود شهور بل سنوات.

سؤال: بالنسبة لمجلة «الجماعة» ما هي ظروف إنشائها وما هو الهدف من هذا الإنشاء؟ ثم ما هي العقبات التي وجدتها في طريقها؟

الإمام: أظن أنني أجبتك عن هذا السؤال. فمن يريد أن يبلغ الناس كلمته ينبغي أن ينشرها. وكنا نتوقع أن يستمر صدور المجلة إلى عشرة أعداد، يكون بعد هذه العشرة أعداد حصاد

السمعة التي يمكن أن تكون قد حصلت عليها هذه المجلة، يمكن بعدها أن نعقد تجمعا، أن نراسل مثلا قراءنا نطلب إليهم أن يأتوا إلينا، أن يفدوا علينا. كان تصورنا لبناء الجماعة تصورا متفائلا جدا، كنا نظن أنه يمكن أن نبدأ تأسيس الجماعة من أعلى من فوق، وشاء الله أن يكون هذا الدرس مفيدا لنا، فتوقف الناس عنا، ثم زيارة بعض الناس المشبوهين -ولا أريد أن أقول المعتوهين، لأنه بالفعل زارنا بعض المعتوهين- كان كل هذا تربية لنا وتجربة استفدنا منها والحمد لله فيما بعد، وشاء الله بعد ذلك أن يكون البناء من أساسه لا من أعلاه.

3. تعدد وتعاون

سؤال: اتصلتم قبل التأسيس بشخصيات وهيئات إسلامية وغير إسلامية، هل يمكننا أخذ فكرة عن هذه الاتصالات أسماء وظروفا ومرامي ونتائج؟

الإمام: كنا نتهيب قبل أن نؤسس جماعة تضاف إلى الجماعات الموجودة أن نحدث في العمل الإسلامي بالمغرب تشويشا. وكانت هذه من المثاليات التي عشناها في تلك الحقبة. فكنا نتورع من زيادة الشق في الصف الإسلامي، وكان منشقا بالفعل، فلذلك قررنا أن نزور بعض العاملين في حقل الدعوة ندعوهم إلى توحيد العمل.

كانت هذه مثالية عشناها سنة ونصفا، اجتمعنا مع العاملين في الحقل الإسلامي، وكنا نقدم أنفسنا على أننا شيء سائل لا وجود له ولا يحب أن يتجمد في تجمع وفي تنظيم. ومن موقع الأفراد الذين كانوا يمثلون الجماعات، كانوا يجيبون -ونحن نعذرهم كل العذر- إن هناك أمرا واقعا، ويعنون به تجمعاتهم وتنظيماتهم، وليس من المعقول أن تطالبونا بفض تجمعاتنا لكي نبدأ من الصفر. كان لكل جماعة ذاتيتها، كان لها تصورها، كان لها إرادتها، كان لها توقعاتها، كان لها «سياستها». تلك مثالية عشناها زمانا.

أما اليوم فإنني أعتقد جازما أن العمل الإسلامي، في المغرب وخارج المغرب، يجب أن يقبل بكل رحابة صدر، وبكل تعقل، وبكل سعة أفق، وجود تعددية في العمل الإسلامي داخل كل قطر أولا، فإن من المخيب للآمال، وإن من المثبط للأعمال، أن نتعلق بمثالية الوحدة المتكتلة الموحّدة فنطمع فيما لا مطمع فيه، لأن هذا لم يحدث حتى على عهد الصحابة رضي الله عنهم، قال قائلهم بعد وفاة رسول الله: «منا أمير ومنكم أمير». هذا ابن المنذر

رضي الله عنه. فلا نطمع فيما ليس فيه مطمع، أن يكون التكتل الموحّد المتكاثف المتفق بدون خلاف، هذا شيء لا يمكن اليوم ولا غدا ولا بعد غد. معالجة الخلاف لكي نقرب بين شقة المتخالفين هذه مشكلة مطروحة على العمل الإسلامي في المغرب وخارج المغرب.

أظن أنه لا مناص من قبول مبدأ تعدد الجماعات الإسلامية، على أساس أن يكون التعاون على البر والتقوى، أن يكون الدخول في الولاية الإيمانية الجامعة بمقتضى قوله عز وجل: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة:71)، فنتعاون في الأمر بالمعروف وفي النهي عن المنكر، وفي الإيمان بالله عز وجل، وفيما اتفقنا عليه، على أساس أن يعذر بعضنا بعضا في الشيء الآخر.

4. تواصل

سؤال: بالنسبة للشطر الأول من السؤال، فيما يخص الاتصالات بغير الإسلاميين؟

الإمام: كان اتصالنا بغير الإسلاميين محدودا، أذكر في رمضان، أظن والله أعلم، من سنة 1399هـ [1979م] أو قبل ذلك بسنة، لا أذكر بالضبط، كنا أمضينا شهرا كاملا -شهر رمضان المعظم- في بيت الحاج إبراهيم الشرقاوي في الرباط، وكنا نروح إلى الدار البيضاء لنتصل ببعض بقايا من جماعة إسلامية كانت قبلنا، وبأفراد كنا نتوسم فيهم الخير، منهم سلفيون ومنهم غير ذلك، فكانت تجمعات هنا وهناك، وأذكر أنه أثناء ذلك اتصلنا بالزعيم الاشتراكي عبد الله إبراهيم[1] في بيته. زرناه جماعة، كان معنا محمد بشيري، وأحمد الملاخ، وكان معنا خليط آخر من الناس هكذا وهكذا، من المتعاطفين والسلام. عقدنا معه اجتماعين أو ثلاثة اجتماعات في بيته نفاتحه في أمر العمل الإسلامي. على كل حال أظن أن هذه أهم شخصية اتصلنا بها يومئذ.

سؤال: أجريتم حوارا مفتوحا -إن صح التعبير- مع النخب المغربة بالفرنسية، لماذا كان هذا الحوار ولماذا لم يتكرر؟

(1) توفي في 11/ 9/ 2005 وتوافق يوم وفاته مع اجتماع كان لنا مع الأستاذ المرشد رحمه الله فأثنى على الرجل وعلى مواقفه وطلب إلى الحاضرين تلاوة أعداد من سورة الإخلاص وإهداءها إلى روح الفقيد رحمه الله.

الإمام: هذا الحوار كان في 1979م[1] -أظن- كان في الرباط جمعية شبابية لا أذكر اسمها[2]، يرأسها يومئذ الدكتور زكي مبارك[3]، أستاذ التاريخ، وكانت لي به سابق معرفة، فأراد أن يكون من أنشطة جمعيته استدعاء هذا الرجل المعروف المجهول عبد السلام ياسين بعد خروجه من المعتقل، بعد سنتين أظن من الخروج من المعتقل، فاستدعاني بواسطة الحاج إبراهيم الشرقاوي لكي ألقي محاضرة في الرباط بالفرنسية، كانت هذه مناسبة لنا لكي نحاول محاولة أخرى من هذا الجانب، فكان حرصنا على الدخول في المعمعة من الأبواب أو حتى من النوافذ حرصا شديدا، فلبيت الدعوة وبالفعل كان هذا التجمع كبيرا احتشد له كثير من الشباب الإسلامي وغير الإسلامي، خاصة أن دار الدعوة[4] -التي كان يرأسها يومئذ أحمد المقفع، وكان معه فتح الله أرسلان- كان هؤلاء استدعوني لكي ألقي بعض المحاضرات في مقر دار الدعوة، فكان الشباب الإسلامي في الرباط يسمعني في هذه الجلسات، فاحتشدوا في هذه الليلة التي ألقيت فيها حوارا مع النخبة المثقفة في المغرب.

أهم ما حدث -في نظري- في هذا الملتقى، هو أننا هيأنا قبل البدء في المحاضرة أفرشة للصلاة، وقررنا أنه عندما يؤذن المؤذن لصلاة المغرب تقف المحاضرة لكي نصلي جماعة. وكانت هذه تظاهرة صغيرة في وسط وزارة الثقافة قاعة «باحنيني».

لماذا لم يتكرر هذا؟ لأنني لم أدع لغيرها من المناسبات. لماذا لم أُدع؟

هل تلقى الذين نظموا الاحتفال الأول توبيخا أو تنبيها أو زجرا أو تهديدا أو تعنيفا؟ لا أدري.

سؤال: في أي إطار يمكن إدخال دروسكم في دار الدعوة حول المنهاج النبوي وغيرها من الدروس؟

الإمام: مشاركتي في الحلقات التي كانت تعقد بدار الدعوة بالرباط كانت من ضمن اهتماماتي بالتقرب إلى كل من يعملون للإسلام، وكانت هذه دار دعوة سلفية، كان لها اتصال

(1) الحوار كان بتاريخ 27 يونيو 1980م/ 13 شعبان 1400هـ.

(2) جمعية الشباب والتقدم.

(3) توفي رحمه الله في 2 مارس 2019م.

(4) جمعية الدعوة إلى الله.

وثيق -واسألوا عن هذا فتح الله أرسلان- بالأوساط القريبة من السعودية، وكانوا يستدعون علماء -وأضع علماء بين هلالين- سلفيين -وأضع سلفيين بين هلالين أيضا- فلما فتحوا لي هذه النافذة، رحبت بها وشاركت فيها من كل قلبي، دون أن يكون لدي حساب إلا أن أقول كلمتي وأن أبلغ ما عندي لهذا الجيل.

سؤال: ما هو الجو العام الذي تأسست فيه أسرة الجماعة؟ ومتى كان هذا التأسيس؟ ولماذا؟ ثم كيف قوبلت فكرة التأسيس من قبل الجميع؟

الإمام: تقول كيف قوبلت من طرف الجميع؟ كان الجميع عبارة عن مجموعة من الناس، قليل جدا عددهم. فأثناء اتصالنا وحوارنا بأعضاء الحركة الإسلامية، كُنتُ أنا أسوف وأقول نتريث وننتظر لعل أن يستجيب لنا إخوتنا فيتوحدون، لعل ولعل. وكان أخونا محمد بشيري أحرص الناس على أن نبدأ الآن نؤسس عملنا. فكنت أنا أتريث وأريث إخواني. بدا لي بعد سنة ونصف من المحاولات أننا نطرق في حديد بارد، وأننا -كما قلت في سؤال مضى- كنا نطمع في غير مطمع. فلما قررنا أن نتوكل على الله عز وجل وأن نبدأ، أظن أنه تلك الحفنة من الناس التي كانت في بداية عملنا، لم يكن لنا أي تردد ولا أي خوف ولا أي شرط، بل توكلنا على الله ورمينا السفينة في اللجة. وهكذا بدأت الرحلة.

سؤال: ما هو رد الفعل بالنسبة لكل الجهات، الإسلاميين، غير الإسلاميين، السلطات...؟

الإمام: الجواب عن هذا السؤال يا أخي عسير. فأنا لست مراقبا جيدا لما يقوله الناس، ولما يفعله الناس، لكن إجمالا قيل ما كان من الطبيعي أن يقال، هؤلاء زادوا الطين بلة، الشيء الذي كنا نحن نحترز منه قيل. وهذا شيء طبيعي، ونتفهمه ونتقبله، قيل هؤلاء جاؤوا بكذا، وهؤلاء جاؤوا بجماعة جديدة. وإذن إذا نشأ شاب في جماعة لسنة أو سنتين أو ثلاث سنوات، فهو يعتبر أن جماعته هي الأصل، وأنه ليس في الإمكان أن يبدع خيرا منها، وأن من جاء بعده قد ابتدع وشق العصا. كانت هنالك أفكار هكذا فجة. على كل حال هذا موضوع لست حريصا أن أتكلم فيه طويلا.

سؤال: جزاكم الله خيرا. ما هو الإطار الذي يمكن أن يوضع فيه كتابكم بالفرنسية: «**la Révolution à l'Heure de l'Islam**»، فكرة وموضوعا وإقبالا؟

الإمام: أما فكرة وموضوعا فإن اهتمامي بمخاطبة النخبة المغربة، كان ولا يزال في مقدمة اهتماماتي. لأنني أعلم أن الذين في يدهم الخبرة، والذين في يدهم القدرة على التنظيم، والذين في يدهم القدرة على تسيير دواليب الدولة، والذين في يدهم المال، والذين في يدهم المعرفة، هم هؤلاء النخبة المغربون.

وفي سنة 1978-1979 بتاريخ النصارى [1398-1399هـ]، في بداية الثورة الإيرانية، كانت الحركة الإسلامية شيئا غريبا عن هؤلاء النخبة، كانت لا تزال في بعض عُنفُوانها رغم انكسار ما سمي بنكسة 67 في فلسطين. رغم هذا كان هؤلاء المثقفون -خاصة في المغرب- لا يزالون يقولون المستقبل للاشتراكية والعلمانية وكفى. فكنت حريصا أن أبلغهم بما يتاح لي من رفق، وبما يتاح لي من تلطف، كلمة الإسلام، لأن خطابنا لهؤلاء ينبغي أن يكون في مقدمة اهتمامنا دائما، إلى أن يأتي الله بأجيال أخرى تبدأ من أول الأمر موقنة بدين ربها، متبرئة من فلسفات الغرب ومن إيديولوجياته، وفي أي جيل، الله أعلم. لأن ما حرثه الاستعمار أو قل الاحتلال في بلادنا شيء تجذر ونبت وأثمر وعشش وفرخ، فأجيال تتلو أجيالا، وكل جيل يرضع من أثداء الجيل الذي قبله. فلا يمكننا أن نتصور أن هذه الأجيال المغربة يمكن أن نجتثها كما تجتث النبتة الخبيثة، لا، كلا. بل الإقناع والتفاهم والحوار والصبر الطويل. وبداية حوارنا معهم كان في كتابي أنا أسميه كتاب «الله أكبر»، سمَّيتَه، «**La Révolution à l'Heure de l'Islam**»[1] أنا أسميه كتاب «الله أكبر».

أما إقبال الناس عليه فأظن أنه هنالك موانع ولا تزال، هو أنه كتب بفرنسية خاصة، يعني أنا لم أكتب بفرنسية فولتير، كتبت بفرنسية اضطررت لاستعمالها، لكن تصرفت فيها تصرفا ربما لا يوافقني معه المحافظون على طلاوة اللغة الأصلية وعلى سلاستها وقواعدها، لعلني لويت أعناق بعض القواعد وبعض أساليب التعبير، فكان هذا عائقا من العوائق.

العائق الثاني هو أن نشره تم في فرنسا، وذلك الذي طبعه كان خائنا -فرنسيا خائنا- فلم يصلنا إلا نسخ قليلة منه، أسأل الله أن يكون في طبعه، الطبعة الثانية وما بعدها، خير بحول الله وقوته.

(1) صدر عام 1981م.

سؤال: ما هي أسباب انتقالكم من مراكش إلى سلا؟

الإمام: انتقالي من مراكش إلى سلا كان سببه الرئيسي والوحيد هو التقرب من مواطن الدعوة. فمراكش المدينة الجميلة أصبحت مباءة للطوافين من البلدان، مباءة للجوالين، مباءة للأفاقين، تغري بجمالها، وتعهدون ما يكون في بلدة مثل هذه عريقة في حضارتها، مليئة بالسياح، مليئة بأسباب المتعة والراحة والهدوء، تعلمون ما يكون في مثل هذه البلدة -وهي متطرفة جغرافيا- من أسباب الدعة والراحة والاستجمام.

ثم إن انتقالي إلى العاصمة -سواء أتدبرت هذا من قبل أم لم أتدبره- هو هجوم على الأمر في عقر داره، فالعاصمة فيها يجتمع المثقفون، فيها يجتمع السياسيون، فيها تجتمع النخب الاقتصادية، فيها يجتمع كل المفكرين، كل العاقلين في هذا البلد. فمن الطبيعي ألا نبقى معزولين في بلدة نائية مثل مراكش.

5. المنهاج النبوي

سؤال: نعود إلى مجلة «الجماعة» لما تحمله في طياتها من صفحات مشرقة لتاريخ هذه الجماعة. ابتداء من العدد الثامن بدأ صدور «المنهاج النبوي»، وقد توافق ورود لفظ «المنهاج النبوي» الذي ارتضيته سيدي عنوانا لطرحكم مع نفس اللفظ الموجود في حديث الخلافة على منهاج النبوة[1]، كما توافق صدور هذا المنهاج مع مطلع القرن الخامس عشر الذي ما فتئتم تصرحون أنه قرن الخلافة على منهاج النبوة إن شاء الله. هل من حديث عن المنهاج البشرى وموعود الخلافة؟

الإمام: لعلني أكون مُفتاتا على الحق إن زعمت أن استعمالي لكلمة «المنهاج النبوي» وتواطؤ هذا العنوان مع الحديث الكريم الشريف المتحدث عن الخلافة على منهاج النبوة، أكون مفتاتا إن زعمت أنني دبرت هذا وقدرته تقديرا وهيأته تهييئا. فإن الأقدار الإلهية تنطق عباد الله بما يريد الله عز وجل أن ينطقوا به.

أما استبشاري بهذا الحديث العظيم الكريم وبمستقبل الخلافة الثانية على منهاج النبوة، فهو إيمان محض بوعد رسول الله ﷺ. إن كان في إيماننا نقص وكان لنا في كلام رسولنا

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير، 18406.

وحبينا شك فبئس العبيد نكون. أما قولك إن الخلافة على منهاج النبوة تكون في هذا القرن الخامس عشر أو ما بعده، على كل حال خطواتنا تسير ويفعل الله ما يشاء وقت ما يشاء. لا راد لحكمه سبحانه.

سؤال: يبدو من خلال كتاباتكم ومؤلفاتكم أن فكرة المنهاج اختمرت في ذهنكم طويلا، قبل أن تخرج في صورتها المكتملة، مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري. ما هي بذرة التفكير؟ وما سيرته؟ وكيف تنظرون إلى ثمرته؟ هل هي نهاية الطرح الإسلامي البديل، أم بدايته المبرعمة في أذهان الأجيال القادمة؟

الإمام: نعم، أنا فكرت طويلا في ضرورة تقديم فكر منظم مبسط جامع لما ينبغي أن يعرفه العاملون للإسلام. فكرت في هذا سنوات طويلة. وطيلة هذه السنوات ترتبت في ذهني هذه الخصال العشر، هذا الترتيب الذي ترونه، على مكث، وليست شيئا مرتجلا.

في المعتقل الأول أخذت ما حصل عندي من كتب الحديث، جمعتها ثم قسمتها ثم صنفتها لكي أخرج منها شعب الإيمان، وأدرجت بعدئذ هذه العناوين العشرة. وهكذا شيئا فشيئا اكتسب هذا التفكير المتواضع في المنهاج النبوي صورته التي تقرأونه عليها.

أما سؤالك هل هذه نهاية التفكير المنهاجي؟ فأقول لك كلا ثم كلا. فما كان قصدي ولا ينبغي أن يكون قصدي أن أقف حجر عثرة أمام أي كان، الآن وبعد الآن، فأمنعه من التفكير الحر في ما فيه مصلحة الناس، في ما فيه مصلحة المسلمين فرادى وجماعة. ما كان لي وما يكون لي وما ينبغي أن أزعم للناس وأن أدعوهم هلموا، اتخذوا هذا الفكر وثنا، وقفوا عنده وتحجروا، فأنا أقصد عكس هذا. وإن الرجل الذي يحدث نفسه بأن يتخذ فكره مرجعا دون ما قال الله وقال رسول الله ﷺ، وأن يقال بعد موته، لقرون أو لسنوات أو لما شاء، قال المصنف رحمه الله، ونقف عندما قاله المصنف، هذا رجل متحجر ميت قبل أن يحشر في قبره. فأنا أرجو الله عز وجل وأسأله جلت عزته أن تكون هذه القواعد التي بسطتها في متناول الجميع، يؤخذ منها ويترك حسب الوقت وحسب الظرف، حسب الزمان وحسب المكان. وما هي إلا محاولة لجمع شعب الإيمان وتصنيفها، وشعب الإيمان من جاء بها؟ ليس لهذا العبد إلا تبسيط المنهاج، وتوصيل الفهم للناس. وعلى الناس -في زماني وبعد زماني، في هذه الجماعة وفي غيرها- أن ينتقدوا، وأن يحللوا، وأن يردوا، وأن يأخذوا، وأن يطوروا، وأن

يحوروا، فذلك ما أريده. وأرجو الله ألا يقف أحد معي فأنا أحاجه عند الله عز وجل إن اتخذ فكري وثنا وصنما.

أما أن يكون شيئا يستأنس به، شيئا لا يؤخذ بخفة، يقال هذا كلام... فأنا بذلت فيه عصارة فكري وعصارة رغبتي في نصر كلمة الله عز وجل.

سؤال: اطلعتم سيدي على سفر تجارب الحركة الإسلامية في كثير من الأقطار العربية والإسلامية: مصر، سوريا، السودان، تونس، إيران، أفغانستان. ما هو تقييمكم لهذه الحركات وما صحبها من أحداث وأسفرت عنه من نتائج؟ وفي أي مكان تضعون حركة «العدل والإحسان» من بين هذه الحركات؟

الإمام: أبدأ الجواب من آخر السؤال. في يومنا هذا وفي سنتنا هذه، وفي ظروفنا هذه، جماعة العدل والإحسان لا تكون شيئا يذكر خارج البلد. فهي لا تزال في بداياتها، فنقارن شيئا وليدا مع حركات يافعة وأخرى -على كل حال- بلغت سن الرجولة وأمضت سنوات، عشرات السنين في مجال الدعوة هذا شيء لا يمكن. ما يخبئه القدر الإلهي غدا يتكفل أهل غد بالجواب عنه.

أما تقييمي للحركة الإسلامية في البلدان التي ذكرت، وفي سائر بلدان العالم، أرى أن الله عز وجل في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر، أبرز للوجود شبابا زرع الله عز وجل في قلوبهم محبة دينه، فهم يهفون إليه، ويتسابقون إليه. كان لهم رواد من جلتهم الأستاذ حسن البنا رحمه الله، ومن قبله ومن بعده رجال، فتنوع هذه الجماعات وتعددها، وغنى ثروتها في التجارب الحلوة والمرة والمتقدمة والمتأخرة والمتعددة الجوانب، على كل حال هذا التنوع والتكاثر يدل على يفاعة في الحركة الإسلامية تزداد قوة يوما بعد يوم أسأل الله عز وجل لها الرشد.

وأبرز الله عز وجل حركة إسلامية على صعيد العمل، هي حركة أفغانستان، التقى فيها فكر الإخوان المسلمين بشهامة المسلمين الأفغانيين، فنتج عنها هذا الشيء الرائع، هذه الكرامة العظيمة، وهي أن حزب الله هنالك هزموا أقوى دولة مسلحة في العالم. في هذا الأسبوع تم خروج الروس من أفغانستان، ودولتهم اللعبة الدمية في احتضارها. أسأل الله

عز وجل للمجاهدين، وهم طوائف وأصناف متعددة، أن يجدوا لرأب الصدع ولمعالجة الخلاف طريقا يجنب الأمة فاجعة -لا قدر الله- الحرب الأهلية في أفغانستان.[1]

بإجمال، الحركة الإسلامية بخير، ولا يمكن أن تستثنى من سنة الله في الخلائق جميعا، هي أن يكون يوم لها ويوم عليها، أن تفشل في هذا القطر وتنجح في ذلك القطر، أن تعلم قلة صلاحية الأسلوب السياسي مثلا في هذا البلد، فيتلافى الآخرون في قطر آخر هذه التجربة، سنة الله عز وجل أن يتعلم الناس كافرهم ومؤمنهم، شرقيهم وغربيهم من التجارب، وما التوفيق إلا من عند الله سبحانه وتعالى.

6. سجن لعلو

سؤال: هل يمكننا أخذ نظرة عن سير «أسرة الجماعة» خلال سنواتها الأولى ما قبل اعتقال سنة 83، وعن الأشواط التي قطعتها إبان هذه الفترة، وكذا أهم الأحداث التي مرت بها؟

الإمام: قلت لك سابقا لست مراقبا جيدا، ولست مؤرخا جيدا. الذي يترسخ عندي الآن أنه قبل اعتقال سنة 1983م [1403هـ][2] كانت الجماعة في خطواتها الأولى، كانت معالم عملها وجوامع تنظيمها لا يزال فيها نوع من التفكيك، ونوع من الارتجال، ونوع من قلة الضبط، ونوع من الطفولية. هذا غاية ما يمكن أن أقول. لعلنا بعد مضي سنوات أخرى فقط، يمكن أن نعرف إلى أي حد استفدنا من هذه الاعتقالات التي جاءت في إبانها -والله عز وجل هو العليم الحكيم- لكي تنبهنا إلى أنفسنا، ولكي تعرفنا بأنفسنا فنكتشف ما عندنا من ثغرات، ما عندنا من إيجابيات، وكانت هنالك إيجابيات والحمد لله، فإن حضور إخوة لنا، وكنتما منهم -الأخ منير الركراكي والأخ عبد الكريم العلمي- حضوركم في المحاكمات، ومواجهتكم الأمن، ولرجال الأمن ولتعديهم ولمحاولة إفشالهم لحضوركم وكل هذه

(1) للتذكير فالحوار تم في 1989م، وتلا ذلك فظاعات هذه الحرب الأهلية التي آلمت كل المسلمين، والتي كان الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله يحزن لها ويتأسف كثيرا، وكان يعلق عليها عند المراجعة قبل طبع كتبه التي كان قد كتبها قبل هذه الفاجعة. ومن أمثلة هذه التعليقات قوله في كتاب «الإحسان» ج 2 ص49 في الهامش: «وآه! آه! على ما آل إليه أمرهم من فظيع التقاتل الجاهلي القبلي».

(2) 27 دجنبر 1983م.

الخزعبلات التي أنتم أعلم بها مني، كل هذا يدل على أن هنالك إيجابيات، أننا لم نضيع عملنا في السنتين اللتين سبقتا الاعتقالات.

سؤال: ما هو الهدف الذي من أجله أنشأتم صحيفتي «الصبح» و«الخطاب»، وماذا كان منتظرا منهما ثم ما هو تقييمكم لهما في حياتهما القصيرة؟

الإمام: أبدأ من آخر سؤالك. لا شك أن الاعتقالات التي جعلتنا نكتشف أنفسنا نتجت عن صدور جريدة «الصبح». فإن كانت هذه النتيجة وحدها هي نتيجة صدور هذه الجريدة فهي نتيجة كبيرة. عرفنا فيها أن النظام غير مستعد لأن يسمع كلمة واحدة من جانبنا بعدما صدر من مقالات صريحة وفصيحة في مجلة «الجماعة»، وبعد الكلام الأول في «الإسلام أو الطوفان».

أما لماذا نشرنا وماذا كنا نتوقع وماذا كنا ننتظر، فأظن أن الأمر بغاية البساطة، هو أن الجماعة أخذت تتوسع، وأخذنا نفكر في أن نوجَد لا على صعيد العدد المتكاثر، ولكن على الصعيد الفكري، وعلى الصعيد الإعلامي، فكان من الطبيعي جدا أن نحاول إصدار جريدة.

سؤال: طالبتم سيدي بإعطائكم رخصة تأسيس جمعية، وكان شبه رفض، ثم استقرت الحركة في غياب الجمعية، وتوسعت بشكل أثار النظام، والدليل ما نراه من حراسة مشددة، ورقابة يقظة ودائمة مرابطة قرب بيتكم. هل عدلتم سيدي عن المطالبة بالجمعية بعد هذه المكتسبات أم أنكم مازلتم على عهد المطالبة بهذا الحق حتى إعطائه أو بالأحرى انتزاعه؟

الإمام: إن الأحمق يجد دائما أحمق منه، الأكثر حمقا من الأحمق هو ذلك الذي يعطي للأحمق حجرا لكي يضربه به. فإن كانت الدولة شديدة الحرص على ملاحقتنا، وعلى خنق دعوتنا -وأنتم تعلمون ذلك، فقد دخلتم لهذا البيت وهو مطوق، وفي الصباح وبالأمس وفي الأيام كلها، تعلمون مدى تضييقهم علينا- إذا كانوا هم في حرج من وجودنا فنكون نحن أكثر حمقا من حمقهم إن أعطيناهم وسيلة لكي يحاربونا بها بأي حرب كانت، بحرب خدعة أو بحرب التمييع أو... على كل حال هم لهم خبراء في هذا الميدان. إننا إن احتفظنا بمظلوميتنا قائلين: قلتم الديموقراطية قلنا نعم. قدمنا ملفا لتعطونا رخصة الجمعية[1] فتلاعبتم بنا، فنحن على حق في موقفنا نتمسك به.

(1) يقصد رحمه الله «جمعية الجماعة» قبل تأسيس «جمعية الجماعة الخيرية».

زارني في السنة الأخيرة مرات المسؤولون عن الأمن في الرباط العاصمة، ولوحوا لي بشتى أنواع التلويح، يقولون لماذا لا تقدمون طلبا جديدا للترخيص لكم بجمعية أو حزب حتى يكون لكم وجود معترف به؟ فأجيب إننا موجودون قانونيا، فقد قدمنا ملفا، وموجودون فعليا.

في الوقت الحاضر في المغرب تسابق بين الحكام وهم يحاولون بناء المغرب العربي كما يقولون، أيهم يقدم للناظر والمراقب الأجنبي أجمل وجه وأحسنه وأقله انكماشا وأكثره إغراء في هذا التعاشق الديموقراطي، فما منهم إلا من يزعم أنه هو زعيم حقوق الإنسان وأن حقوق الإنسان في بلده لا تنتهك. منذ أسبوعين وشحوا طاغية تونس الجديد ابن علي بجائزة من هذه الجائزات. فحكام المغرب لا يرغبون البتة -رغم ما ترونه من تضييق علينا- بأن يسمع عنهم في الخارج أن في المغرب نأمة باسم الإسلام، لا وجود للحركة الإسلامية في المغرب، إلا ما يصرح به الملك أحيانا من وجود ما يسميه هو **fondamentalistes** الأصوليين، والأصوليون هؤلاء صنف من الناس لطاف يمكن التفاهم معهم، أما هذا السم كما بلغني أنه سماني، قال: هذا رجل مسموم، أما تعامله مع هذا المسموم ومع هذه الجماعة المسمومة فهو ليس مستعدا لذلك.

سؤال: ما هي الأسباب الصورية والحقيقية لاعتقالكم ومحاكمتكم سنة 1983م [1403هـ]؟

الإمام: كان اعتقال سنة 1983م فيما ظهر للناس يومئذ على إثر ظهور جريدة الصبح، فقيل إن فلانا أصدر جريدة وتعرض فيها لانتقاد الحكومة، وكانت المحاكمة على هذا الأساس على كل حال. وإنما كانت هذه الأشياء ذرا للرماد في العيون، فإن ما كتبناه في جريدة «الصبح»، باستثناء أننا كتبنا عن الجهاد وكتبنا كلمات هي محرمة في عرف النظام، باستثناء هذا فإن تعرضنا لوزير الأوقاف أو لوزير الصحة أو إلى بعض أعضاء الحكومة، لم يكن هذا ليُثير حفيظة الحكومة لولا أنه كانت ثمة حسابات سابقة كانوا يتربصون لتصفيتها فرصة ملائمة.

أخبرت فيما بعد، من مصادر مطلعة عما يجري وراء الستائر، أن السبب الحقيقي لاعتقالي يومئذ هو ما كنت كتبته في مجلة الجماعة بعنوان «قول وفعل» وتعرضت في هذه

المقالة لنقد شامل كامل للإسلام الرسمي. كانت صدرت في ذلك العهد بمناسبة بزوغ القرن الخامس عشر الهجري، فيكون هذا في سنة 1981 من تاريخ النصارى [1401هـ]، كنت كتبت هذه المقالة أتعرض فيها للرسالة الملكية، «رسالة القرن» كما سميت، والتي يقال فيها، ويعلن فيها نية الحكم لتجديد الإسلام وإفساح المجال للدعاة إلى آخر ما في قاموس الإسلام الرسمي. صدرت مقالتي هذه في مجلة الجماعة مواكبة للجوقة الرسمية التي كانت تبشر بالعهد الجديد، بعهد التجديد الإسلامي على يد النظام إلى آخر ما في ذلكم. فاعتقالي لم يكن بأي حال سببه ظهور جريدة الصبح، وإنما كان مسح هذه الاعتقالات في جريدة الصبح وفي أنها تسب وزير الصحة تغطية للسبب الحقيقي وهو هذا المقال الذي انتقد رسالة القرن، والدليل على ذلك أنه في الاستنطاقات البوليسية والمحاكمة، كان السؤال يوجه إلي عن سبب ذكري لكلمة الجهاد وماذا أقصد بالجهاد، ولماذا نشرت في الصبح صورة مجاهد أفغاني مسلم، وتقصدون بالجهاد كذا أو كذا، وهل تريدون انقلابا، هل تريدون عنفا... فالحقيقة التي كانوا لا يستطيعون أن يجهروا بها هو أنهم يومئذ لم يكونوا على استعداد ليسمعوا نأمة في المغرب باسم إسلام حر لا يخضع للنظام ولا يسير في ركاب الإسلام الرسمي.

سؤال: كيف مرت سنتا السجن؟ وما هو تقييمكم لهذه الفترة ذاتيا وموضوعيا؟

الإمام: ذاتيا وموضوعيا! ها نحن في مصطلحات السياسيين ومصطلحات الفلاسفة والمثقفين. مرت السنتان في السجن في ظروف مادية لم تكن سهلة على كل حال، لأن سجن لعلو يعرفه الجميع، هو سجن رطب بارد، والرطوبة والبرودة هما سببا اعتلال صحة أمثالي. هذا من الناحية المادية.

السجن كان لي في التجربة الشخصية شيئا جديدا، لأن اعتقالي في المرة الأولى كان اعتقالا خارج حدود القانون تماما، فلم أعرف السجن، ولم أختلط بمسجون، وإنما اختلطت ببعض المرضى في مستشفى الأمراض الصدرية لمدة عام ونصف، ثم اختلطت ببعض المجانين في مستشفى المجانين قضيت فيه سنتين. أما في السجن فإنني اكتشفت عالما آخر هو خلاصة للواقع المغربي ولواقع المسلمين عامة. الحثالة في المجتمع في السجن تتشخص، وفي السجن تسكن، وفي السجن تعيش.

عايشت في السجن ملاحظة ورؤية وسماعا واطلاعا على الحالة الحقيقية لمجتمعنا في انحطاطه وسقوطه ورذالته. خارج السجون يتخفى الناس عادة من إظهار حقائقهم، فلكل خصوصيته، ولكل مسكنه، ولكل عاداته، ولكل حرمته الاجتماعية. أما في السجن بعد أن يكشف القناع عن الأوجه فيعرف أن الذين دخلوا السجن هم متهمون، ومتهمون بجرائم شتى، عندئذ يبدأ مسرح آخر. فمن حثالة الحثالة الذين حتى في داخل السجن لا يأنفون من ممارسة حقيقتهم وحقيقة أخلاقهم، فيتسلط القوي على الضعيف جهرا، وبدون حشمة وبدون حياء، وكيف وقد نبذ الحشمة والحياء والأخلاق والإنسانية خارج أسوار السجن!

أول الأقوياء الذين يتسلطون على الضعفاء حراس السجن. حراس السجن هؤلاء فظائع، وهؤلاء يمثلون الظلم ويمثلون العدوان ويمثلون كفران النعم أقبح ما يكون التمثيل. فما يصبونه على المستضعفين عامة، وهم عامة المساجين شيء لا يصفه القلم ولا يصفه اللسان ولا أستطيع أن أتحدث عن عشر معشاره، عن عشر معشار ما رأيت وسمعت واطلعت. وعلى كل حال هناك بعض المظلومين يحشر بهم في السجون لحفيظة عند القائد، أو لدسيسة، أو بشكل من الأشكال، أو هفوة هفاها رجل محترم على كل حال يستحق العطف، يحشرون في السجون -أبناء عائلات- فتأتيهم المؤونة، تأتيهم الأغذية، تأتيهم النقود خفية، فيتسلط ذلك الرئيس على الضعيف، ويأخذ منه الطعام والكساء. وعلى كل حال هناك رشوة في كل الأعمال وفي كل حركة يتحركها المسجون، لا بد أن يدفع لمن يدفع لمن يدفع لمن يدفع، ويكون الدفع متسلسلا.

فمن دخل السجن لأنه يرتشي كان يجد أن الرشوة عاصمتها السجن، من دخل السجن لأنه يشرب الخمر يجد أن الخمر تشرب في السجن أكثر مما تشرب خارج السجن، ثم من أدخل بتهمة أنه يبيع الحشيش والمخدرات يجد أن شبكة توزيع الحشيش في السجن من أرقى الشبكات تنظيما ومن أدقها تصريفا.

في السجن لقيت أيضا فئات من اليساريين؛ القاعديين، والاشتراكيين، والشيوعيين وأصناف الثوريين، وكانوا أصنافًا وألوانًا، ففي حملة مظاهرات الخبز في الدار البيضاء سنة 1984 من تاريخ النصارى [1404هـ] حشروا إلى السجن المناضلين. منهم من كان مناضلا ثم ارتد أو كف أو غير رأيه، ومنهم من كان مناضلا وبقي مناضلا، ومنهم من كان مناضلا فنام فأيقظوه ورجع إلى صف النضال، أصناف من الناس عشرات كانوا نحو مائة وثلاثين.

لقد قوطعت في السجن مدة أسبوعين أو ما يقرب من هذا، فلم يكن أحد يعلم أين أنا، كان الإخوان يظنون أني خطفت، وكان أهل بيتي يظنون أني خطفت، وكانت الإشاعات قتلوه أو كذا أو كذا. لم تكن لهم تجربة في هذه الأمور، بقيت هذين الأسبوعين جائعا وكدت أبقى جائعا لولا أن المتهمين من عامة المساجين الذين عشت معهم مدة شهر في عنبرهم، لولا أن هؤلاء المساجين رأوا أني أصوم في كل يوم، فكانوا عند الإفطار يأتونني بطعام غير طعام السجن، وطعام السجن لا يسمى طعاما وإنما هو علف يصلح للحيوانات، لبعض الحيوانات دون بعض. إلا أنني بنضالي، وأستعمل كلمة نضال بين هلالين، بنضالي الخاص وبنضالي الفردي مع الإدارة، أعطيت حجرة واحدة يعني زنزانة خاصة، ويعتبر هذا في السجن ثورة، هذا ما سبق مثله، ما أعطي أحد زنزانة واحدة، ربما بعض المساجين يهربون أن يكون لهم زنزانة واحدة وأنا كنت أطلب الوحدة لأتفرغ للعبادة، وعلى كل حال المعاشرة الطويلة للغافلين تشغل العبد عن أعماله.

لعلي وجدت خيرا كثيرا في بعض مسجوني الخاصة، مثل بعض الناس سجنوا لأنهم تاجروا تجارة محظورة اشتروا بضائع مهربة دون أن يعلموا، كان فيهم من يصلون، وكان فيهم من يتلون القرآن، كان فيهم ناس أفاضل على كل حال، خاصة عندما انفتحت الأبواب وصار اتصالي بالخارج وبالأسرة وبالإخوان اتصالا مستمرا يزورونني أسبوعيا، وكنتم تحضرون هذه الزيارات، وكان يدخل لي طعام كثير فكنت أوزع هذا الطعام على بعض فقراء هؤلاء المسلمين المصلين.

فتحت في ساحة السجن، قُلْ في سويحة السّجن، سويحة صغيرة ربما ثمانية أمتار في أربعة أو أقل من هذا، فيها يغسل المساجين الخاصة -وهذا أرقى حي، بعد ساعات الاستراحة- ثيابهم، ويغسلون قملهم، ويتفرغون إلى الحديث، حاولت أثناء الصلاة أن أؤذن، وأن أجمع المصلين لنصلي جماعة، فألقي عليهم بعد الصلاة موعظة، استمر هذا قليلا حتى أوقفوني عن الصلاة، كنت حاولت أن أحتج لدى الإدارة وألا أقبل وألا أرضخ، لكني وجدت في الحقيقة أن الذين يصلون معي كانت لهم مشاغل كثيرة، وكان جل ما يسألونني عنه في مواعظي وفي جلساتي معهم هكذا في سويحة السجن عن مشاكلهم عن ملفاتهم، كيف التعامل مع القاضي... فكانت نفوسهم ممتلئة مشغولة، فكففت عن الصلاة في الجماعة. لكن آحادهم كانوا يأتونني للزنزانة ليصلوا معي.

تركت إلى آخر الكلمة الحديث عن أهم شيء في السجن، وهو الخلوة والتفرغ لله سبحانه وتعالى، وكان هذا من فضل الله علي، واستمرارا لما سبق منذ -الآن- ثلاث وعشرين سنة، تفرغت للذكر والتلاوة ولله الحمد، وكنت لشهور طويلة أختم القرآن يوميا في جلسة واحدة، كنت أصوم باستمرار، كنت في حالة روحية جيدة ولله الحمد، ثم إنني قرأت كثيرا في السجن، كانت تدخل لي الكتب. قرأت كثيرا، وكانت تجربة اختلاطي بالناس، مضافة إلى الحالة الروحية التي كنت أعيش فيها تَكَوَّن لدي من هذا في هذه المدة المهمة سنتين، تحول في الفكر، خاصة الذي وطده وزكاه ما كنت أراه من الإخوان عندما يزورونني في السجن من خلف القضبان من ثبات ومن استمرار رغم المضايقات التي تعرفونها جميعا، رغم أن البوليس في كل سبت كانوا يأخذون البطائق ويأخذون الأسماء، وفي هذا تهديد خفي أو ظاهر، ضمني أو مصرح به، ما كنت أراه من الإخوان من ثبات وهذه اللقاءات التي تعرفونها جميعا، كنت ألقي عليكم فيها كلمات كان يزيدني تشجيعا.

وكلمة أخيرة، في هذه اللقاءات التي كنا نعقدها في السجن، هذا والحمد لله مما يعتد به ومما ينبغي أن تذكروه دائما. فاكتسابنا لهذه المزية الفريدة أن يأتي عشرات الإخوان يفوقون المائة وفي بعض الأحيان دون ذلك، مرتين في اليوم، أربع مرات في الأسبوع فيخلى لنا المزار وحدنا، لما أقول وحدنا يدخل معنا البوليس دائما المراقب متنكرا أحيانا وظاهرا في بعض الأحيان، متبرجا في أحيان أخرى، كوننا نجتمع ونتذاكر طويلا في أمرنا ونتحدث بصراحة وبحرية عما ينبغي أن نعمل وعن موقف الحكومة، كنا نقول في الحكومة ما لا نقوله الآن في خلواتنا، كنا نقول سياستها حمقاء وتذكرون هذا. هذا نصر والحمد لله.

أختم بحادثة وقعت بالسجن، كان في السجن طاغوت هو رئيس الحرس (يسمى: با ادريس)، فكان هذا (با ادريس) هو رئيس الحرس، رجل في نحو الستين من عمره يومئذ فكان جنديا، وكان في حزب الاستقلال، وكان مناضلا، هذا ما حكى هو لأصدقائه، فكان بيني وبين هذا الرجل عداوة من الأول، وأخبروني عندما سألت ما بال هذا (با ادريس) وما موقعه من الإعراب: قالوا هو الآمر بأمره في السجن، وإنما ينفذ الآخرون كل ما يقوله حتى المدير.

كانت بيني وبينه عداوة من الأول. فأعطيت المسكن الوحيد، يعني الزنزانة الوحيدة المنفردة أو الفردية رغم أنف (با ادريس) فكانت هذه كنقطة الخل في عينيه، ما قبل هذا، كان

يعاكسني في كل الأمور. كنت فرضت على الإدارة -أقول فرضت كنت مسجونا على كل حال- انتهيت مع الإدارة على أنهم يخلون لي الحمام وحدي، لأغتسل وحدي فاعترض اعتراضا شديدا. على كل حال كانت بيني وبينه حروب مستمرة حتى كان ذات يوم، وكان معي في السجن أخوانا: الأخ الحسين الحزبي، والأخ الآخر الحسين الذي كان زميله في السجن، وجدوا أن وجود هذين الأخوين وهما شابان صغيران أميان لا خبرة لهما بشيء من أمور الحياة لا يزالان مبتدئين يومئذ، قالوا هذه هي نقطة الضعف التي منها نصل إلى فلان، فما كان ذات صبح إلا أن جاءني أحد المساجين قال: أدرك أخويك فإنهما في مكتب (با ادريس) وإنهما يجلدان ويضربان فنزلت فزعا وكنت نائما، فإذا بأخوينا يجلدان و(با ادريس) واقف، فقلت له هكذا وصلنا معك يا (با ادريس) فأردت أن أتكلم مع المدير، فذهبت إلى البوابة الكبيرة لكي أخرج منها، نقرتها لكي أخرج إلى المدير، فمسني بيده (با ادريس) دفعني ليمنعني من الدخول، ففي وسط الإدارة، وعندما تسمعون وسط الإدارة في سجن العلو، هي المجزرة ليست فقط الإدارة، هي المجزرة لكل مسجون ولكل عات من المساجين يجمعونه في الإدارة، ومعنى الإدارة مكاتب هكذا مفتوحة على ساحة، فيجتمع كل أولئك الحراس والموظفون لكي يكسروا عظام ذلك العاتي ويضربوه ويهينوه، يفعلون في إدارتهم ما يشاؤون لأنهم يخافون أن يستفزوا أحدا داخل السجن.

في وسط إدارتهم دفعني (با ادريس) والحراس واقفون بجموعهم والموظفون والكبراء، وكان الجو شتاء وكنت ألبس برنسي الصوفي فارتميت على (با ادريس) ألكمه لكما، وفي هذه المعركة انكسرت أصبعي هذه الخنصر من اليد اليسرى، وضربني أيضا. فكان رد فعل الحراس جميعا ماذا؟ أخذوا يفارقون بين المتخاصمين بين المتشاجرين، وعلى كل حال لم تكن المعركة متكافئة لأنني كنت - ولا أزال وأطلب الله أن يقوينا جسما وعلما وروحا وإيمانا - ضعيفا ومريضا، وهو مبني بناء خاصا بناء الجبابرة، كانت المعركة في الحقيقة من الناحية المادية غير متكافئة لكن هزيمتهم المعنوية في وسط إدارتهم تجلت في أنهم اجتمعوا علينا فصاروا يفرقون وصاروا يطلبون حتى انتهت المعركة. ثم أدخلني رئيس الرئيس، كان هناك (با ادريس) هو الرئيس الفعلي الذي يأمر وينهى ويفعل ما يشاء، وكان هناك رئيس الحرس الرسمي، هو رئيس (با ادريس) في الأوراق ولكن على كل حال عمليا كان (با ادريس) هو الرئيس والسلام، أدخلني إلى مكتبه واستدعى الرؤساء الآخرين رؤساء الحرس، وبقينا مدة

طويلة، ورؤساء السجن كانوا يطلبون يا فلان! ويقبلون الرأس ويقبلون اليد، لا أزيد شيئا ولا أبالغ، لكي لا أتابع الأمر، ولكيلا يسمع هذا خارج السجن. كانوا يقدرون -هذا هو الدافع وليس من قبيل المروءة ولا من قبيل الإنسانية ولا من قبيل الإسلام ولا من قبيل عطفهم على مثلي- أن سماع الخبر وأنه اعتدي علي وضربت وأهنت وجلد الإخوان لو أذيع هذا خارج السجن لا يكون في صالحهم.

سؤال: جزاكم الله خيرا. فيما يخص الجماعة خلال هذه الفترة، هل يمكن الحديث عن مشاكل داخلية عرفتها الجماعة حينئذ؟

الإمام: أنا لا أستطيع إجابتك بالتفصيل عن هذه الأشياء، لكن الذي عرفته فيما بعد حينما خرجت من السجن، هو أنه كان في الجماعة ما هو طبيعي أن يحدث من دهشة، لأنه كان اعتقال الأخ بشيري واعتقل معه عشرة من الإخوان، واعتقلت أنا، واعتقل آخرون خارج الرباط والدار البيضاء فكانت للإخوة دهشة في هذا الأمر، لا أقول إن الدهشة انتهت إلى توقف أو خوف أو فشل، بل بالعكس من هذا، كان وقوفكم المتكرر خارج المحكمة، فإنهم كانوا يعلنون بين الفينة والفينة -ليجسوا النبض- أنه ستكون المحاكمة يوم كذا فتحضرون فتعتقلون، اعتقل المرة الأولى بضعة وسبعون وفي الأخرى بضعة وثمانون، كانوا يريدون أن يجربوا هل هذه الجماعة ستندثر وتنهزم وتتشتت وتتفرق بعد الاعتقالات الأولى، أم أنهم صامدون. فكان وقوفكم المتكرر وصبركم على المحن مؤشرا دلهم على أن جماعتنا -ولو فعلوا ما فعلوا- جماعة تعتمد على الله سبحانه وتعالى، وليست من النوع الذي ينهزم لأول تخويف وتهديد. فإذًا الدهشة لم يظهر أثرها في تلاشي الجماعة، أو في توقفها أو تفرق كلمتها، لكن لتكرر البلاء، اعتقلوا فتح الله، واعتقلوا العلوي بعدئذ واعتقلوا الملاخ، واعتقلوا الأخ الآخر[1] من الدار البيضاء. هذه الاعتقالات المستمرة والمكررة والمتنوعة، لعل الجو لم يكن يسمح باستقرار سير الجماعة، فإن كان خلل فيرجع إلى هذا الأمر الذي بقي مستمرا سنتين.

لكن بعد هذا البلاء -والحمد لله- وبعد خروجي من السجن وجدنا ووجدتم أنتم أيضا واكتشفتم أن هذه المحنة كانت من أهم مقومات بناء الجماعة، فكانت بمثابة ذلك الذي أقام

(1) عبد الهادي عبد الجبار أحد مؤسسي عمل جماعة العدل والإحسان بالدار البيضاء.

عمودا في الأرض، فأخذ يحركه ذات اليمين وذات الشمال لكي يخبره هل انغرز في الأرض انغرازا كافيا أو في حاجة إلى تعميق جذوره. كانت عاقبة هذا البلاء خيرا فتعلم الجميع كيف أن الأمر جماعة وليس تجمعا حول شخص، كما يتهمنا بعض الناس. تعلمتم أيضا كيف تفكرون باستقلال عن الغائبين عنكم، تعلمتم كيف تنفذون، تعلمتم كيف تصبرون، فأظن أن عاقبة هذه الاعتقالات كانت إيجابية كل الإيجابية.

سؤال: نتحدث عن هذه العاقبة. بعد الخروج من السجن هل طرأ جديد على الجماعة، فيما يخص خطها السياسي وسيرها التربوي والتنظيمي خاصة إذا استحضرنا تصريحا لكم مباشرة بعد خروجكم: «الآن تدخل سفينة الجماعة في مياه جديدة»؟

الإمام: هذه الكلمة التي قلتها يومئذ يصدقها ما تلا فترة الخروج من السجن، ذلك ما كان عندنا نظرية مكتوبة -لأننا كنا كتبنا المنهاج النبوي قبل السجن، كنا كتبناه في سنة 1982م [1402هـ] أظن- ما كان عندنا نظريا، أصبح عملا، أصبح تطبيقا، جولة هذه الاعتقالات علمتنا نحن أن العمل الإسلامي في المغرب شيء يكرهه النظام كراهية كبيرة، لكن النظام لم يكن وليس الآن مستعدا لكي يخسر مقابل توقيفنا سمعته في الخارج. كانت لنا سمعة قبل الاعتقالات. لكن الاعتقالات وحديث الصحافة العالمية والإذاعات العالمية والتلفزات العالمية، حديثها عن جماعتنا، وعن اعتقالاتنا، وعن فكرنا وعن مشروعنا، هذا أعطى لجماعتنا حجما سياسيا لم يكن لها قبل الاعتقالات، فإن قلت يومئذ إن سفينة جماعتنا تدخل في مياه جديدة، فقد صدق ما تلا تلك الفترة ما كنت أقول. وأسأل الله عز وجل أن تبقى سفينتنا سائرة في مياه النصر إلى أن تبلغ إلى مرفأ الخلافة الراشدة إن شاء الله.

ثالثا: العدل والإحسان

1. من أسرة الجماعة إلى جماعة العدل والإحسان

سؤال: ما هي دواعي تغيير اسم الجماعة من «أسرة الجماعة» إلى «جماعة العدل والإحسان»؟ وهل يعد هذا التغيير حدا فاصلا بين مرحلتين من حياة الجماعة؟ ثم ما علاقة هذا التبديل بصدور كتابكم «الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية»[1]؟

الإمام: حدث هذا منذ نحو سنة ونصف. ولعل الدافع الأول لتغيير اسم الجماعة هو أن الاسم الذي كان من قبل كان اسما مؤقتا كما يدل عليه منطوقه «أسرة الجماعة»، أسرة الجماعة هذا شيء نسب إلى مجلة كانت تسمى «الجماعة»، وكان حول مجلة «الجماعة» أفراد من الناس يكتبون فيها فسموا «أسرة الجماعة».

توسع الجماعة العددي وترسخ أقدامها في الميدان، والحمد لله على ذلك، واقتناع كثير من الناس بفكرنا ومنهاجنا، ثم تحولنا من الظن الجميل الذي كان يتمثل في أن نعيش فترة مؤقتة ريثما نوحد العمل الإسلامي في القطر، على الأقل، ولا حاجة إلى أن نتخذ اسما قارا نهائيا، تحولنا من هذا التفكير، من هذا الظن الجميل ولا أقول من الظن الجميل إلى الظن القبيح الظن السيئ نعوذ بالله من ذلك، لكن كنا مثاليين أكثر مما ينبغي عندما ظننا أن العاملين للإسلام في المغرب يمكن أن يوحدوا الصف في الظروف التي نعيشها الآن، في ظروف نظام يدعي الديمقراطية ويحارب الديمقراطية، يدعي الإسلام ويحارب ما هو مخالف للإسلام الرسمي. في هذه الظروف لا أظن أنه من الممكن أن نوحد شيئا. لذلك كنا بين خيارين: إما أن نبقى في الموقف الذي يستمر في التسمية المؤقتة، والتسمية لها واقع وانعكاس على المسمى دائما، المسمى دائما له نصيب من اسمه على كل حال، هناك علاقة جدلية إن شئتم، وإما أن نتوكل على الله، فاخترنا اسم «العدل والإحسان». ولعلك تسألني لماذا العدل والإحسان وليس اسما آخر؟ الجماعة الإسلامية مثلا، أو جماعة الجهاد، أو جماعة حزب الله أو جماعة... فأجيب بأن اختيارنا لاسم «العدل والإحسان» يضمن لنا وضوحا كاملا من جانب هو في الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي بصفة عامة، ومنذ زمان، مفروغ منه، هو مفهوم بالضرورة، وهو جانب العدل.

(1) صدر عام 1987م.

بعض الإخوة الإسلاميين يقولون عندما أقول أنا مسلم إنني أنشد العدل. لعله في نيتك أنت، أو في فكرك هذا شيء مفروغ منه، وهذا شيء معروف بالضرورة، لكن عند الناس الذين يتطلعون إلى ما تحمله من شعارات، هؤلاء الناس يقولون هذه جماعة ماذا؟ التجمع الديمقراطي الكذا، تجمع الأحرار الليبيراليين، تجمع الاشتراكيين القوميين. الاسم شعار، فأنت الجماعة الإسلامية، نحن نجهل الإسلام، ويعذر الناس في هذا لأنهم طالما قرنوا بين الإسلام والظلم، فساد الحكم في الإسلام، وانتقاض عروة الحكم طيلة القرون جعل الناس يظنون أن الإسلام يقر الظلم ويقر الحكم بغير ما أنزل الله ويقر الخ...

فتوضيحنا لنياتنا ومنهاجنا ومقصدنا بتبني اسم «العدل والإحسان» هو يعطي للناس عنوانا واضحا لجماعتنا. الإسلام يعني ماذا؟ يعني العدل والإحسان. ما هو العدل؟ نريد كذا وكذا وكذا. وهنا جاء بتوفيق من الله سبحانه وتعالى صدور هذا الكتاب، هذا الكتاب كان كتب قبل ذلك، لكن وجدنا عراقيل في طبعه، وطبعناه في الخارج، فصدر في الوقت الذي قررنا فيه أن نغير، ولم يكن ثمة تنسيق مسبق ولكن كان هذا من توفيق الله تعالى. ثم يسأل الناس ما هو الإحسان؟ الآن بدأنا نكتب، لكي نعلم أنفسنا ولكي نبين للناس ماذا نقصد بالإحسان. وفي هذه النقطة بالذات، ولعلك تسألني فيها من بعد إن شاء الله أتركك لأسئلتك.

سؤال: هل من تقييم لمرحلة العدل والإحسان؟

الإمام: لو وضحت لي من فضلك، هذا السؤال غير واضح لدي.

سؤال: أرى أن نقسم تاريخ الجماعة إلى ثلاث مراحل: مرحلة ما قبل التأسيس، ومرحلة «أسرة الجماعة، ومرحلة «العدل والإحسان»، يعني بعد الخروج من السجن، وبعد تغيير الاسم بالضبط، هل هذا التقسيم صحيح، وبالتالي هل من تقييم لهذه المرحلة الأخيرة؟

الإمام: أظن أن السؤال سابق لأوانه، ثم إن الذي طرحت عليه السؤال غير مؤهل ليجيبك، فالحديث عن مراحل الجماعة قبل التأسيس ثم عهد أسرة الجماعة ثم الآن عندما اتخذنا هذا الاسم الذي نحمد الله عليه، لأنه يجعلنا في مماسة كاملة مع القرآن الكريم، في اتصال تام مع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَانِ﴾ (النحل:90)، أظن أن هذا

يتطلب وقتا لكي يجمع الناس معطيات، ولكي يتمكن ذلك الملاحظ الموضوعي من خارج الجماعة من أن يستقصي المعلومات، ولكي يجمعها، ولكي يستخرج منها نتائج، هذا نتركه للمؤرخين أو من يهتمون بهذه الأمور.

2. حوارات

سؤال: أجرت معكم بعض الصحف والمجلات والمؤسسات العالمية لقاءات وحوارات، هل بالإمكان التعرف على أهدافهم من ورائها وربح الجماعة منها؟

الإمام: أظن أن من أهم هذه الاستجوابات والكتابات والتصحيحات والاستقصاءات ما قام به «بورغا»، هذا أستاذ فرنسي، أستاذ لعلم السياسة ومستعرب، يعمل في مؤسسة الأبحاث الجامعية السياسية وهو متخصص في شمال إفريقيا، طبع كتابه بعنوان: «**L'islamisme au Maghreb**» منذ بضعة شهور في أول هذه السنة[1]، نشره تحت إشراف وزارة الخارجية الفرنسية، فإذا أجبتك عن مقصود هذا الرجل، وعن مقصود وزارة الخارجية الفرنسية، لعلك عندئذ تدرك ماذا يقصد الآخرون الذين يجيئوننا.

الصحافي الفرد الذي كلفته صحيفته بأن يأتيها باستجواب لكي يطلع القراء على ما يجري في المغرب من أحداث، وعن الحركة الإسلامية التي يهتم بها العالم كثيرا، والغربيون بصفة خاصة، ويخافون من العملاق الإسلامي كما يقولون، هذا واضح، صحافي جاء لكي ينجز عملا نقطيا في نقطة معينة وانتهى الأمر.

لكن متخصصا متمرسا مثل هذا الذي كتب هذا الكتاب، هذا الفرنسي الذي تنشر وزارة الخارجية كتابه، هذا يطلعنا على ما وراء اهتمامهم بنا، أظن أن هؤلاء المتخصصين من خارج الدائرة الإسلامية، ومن خارج دائرة بلداننا هذه القليلة الخبرة في السياسة، كما في كل الأمور، هؤلاء المراقبون يكتشفون بسرعة النبض الحي في الحركات السياسية، فهم على اطلاع بما نشر، وعلى اطلاع بما سجل، وعلى اطلاع بما حدث، وعلى اطلاع بالمحاكمات التي جرت في المغرب للإسلاميين منذ 1975م [1394هـ]، إلى الآن، منذ خمس عشرة سنة أو ما يقرب من ذلك، ويتتبعونه. فهم متخصصون في هذا الأمر.

(1) سنة 1989م.

آخر الأمر اكتشفوا أن هناك نبضا حيا هي هذه الجماعة التي لها فكر، ولها موقف سياسي، ولها تنظيم معلن كتبته، وهذا استغرب له كثير من الناس، لماذا كتبتم في المنهاج السلم التنظيمي، وكيف ينظم وكيف يفعل إلخ.. قالوا هؤلاء الذين يعملون على المكشوف ويعملون على الوضوح، هؤلاء لا يشبهون الجماعات الأخرى السرية، ولا الجماعات الأخرى التي تعد السلاح، ولا الجماعات التي تقتل. هؤلاء جاءوا إلى صميم الموضوع، وقالوا الديمقراطية نريد نصيبنا منها، فهم عرفوا أن هذا أمر جاد، فتريد وزارة الخارجية أن يصلها من المعلومات الدقيق، وأن تستعد من الآن للتعامل مع كل حركة حية حسب ما تقتضيه ظروفها الحالية والمستقبلية، فأرسلت واحدا من أبرز إن لم أقل أبرز متخصص في السياسة في الحركة الإسلامية في شمال إفريقيا.

ونحن نعرف هذا جيدا، ولعل بعض قليلي الدراية من الإخوان يقولون إن كنتم تعرفون هذا، وتعرفون أن ما بين المتخصص وبين الجاسوسية المنظمة خيط أو شعرة، لا وجود لها في الحقيقة، لماذا تتركون هؤلاء يتجسسون عليكم، فأجيبهم: أولا ليس هناك أمر يستحق أن يتجسسوا عليه، فكل ما نريده كتبناه، وكل ما ننويه للمستقبل كتبناه، ومراجعنا الفكرية كتبناها، ومجموع ومجمل ما نريده كتبناه، وليس ثمة ما يستطيعون أن يتجسسوا عليه، بالطبع لنا أسرار لا يطلع عليها من يسأل، ولا من يتجسس، ولا من يحضر جلساتنا متخفيا من البوليس، نحتفظ بها، فلان اجتمع مع من، يعرف ماذا؟ لكن الذي يتجسس عليه المتجسّسون: هؤلاء هل معهم سلاح؟ الآن اقتنع الخاص والعام أننا لا نقتني سلاحا، ولا نقول بالعنف. ولعل هذا الأخ يقول: فلماذا تركتهم إذن يتجسسون عليكم، أو يحضرون أو تعطونهم معلومات كي يستفيدوا منها هم؟ فأجيب أن التعامل مع الواقع، مع القوة العالمية، ومع الناس في الداخل والخارج، إذا ظننا أن هذا التعامل سيكون في صالحنا إن استغشينا ثيابنا، وأغلقنا أسماعنا وأبصارنا، وعشنا في قوقعة مغلقة، من يظن أن هذا العمل المنغلق ينفع الدعوة، فهو على خطأ.

لذلك نتعامل مع الناس في الداخل والخارج من مواقعنا نحن، وفي أوضاعهم هم، ونفتح الحوار، ونطالب بالحقوق، لأن هذا هو الشرط المشروط سياسيا وإسلاميا وديمقراطيا وواقعيا وعالميا لكي يعرف الناس ما نريد، أما إذا فرضنا الحصار على أنفسنا باختيارنا فإن دعوتنا ستبقى محصورة مجهولة منقوصة منتقدة منقوضة.

3. الصوفية والإحسان:

سؤال: سيدي بدأتم سلسلة «الإحسان» بكتابكم الأول «الرجال»، ولوحظ فيه عودتكم للحديث عن الصوفية، هذه الكلمة التي لم تذكر ولو مرة واحدة في «المنهاج النبوي»، هل بالإمكان أخذ فكرة عن الكتاب، والهدف منه وما ينتظر له بصفة عامة؟

الإمام: إن الحديث عن الصوفية والتصوف في هذا الزمان أصبح شيئا يحذر منه كل من يحسب للهجمة التسطيحية الحساب، ونحن، بحمد الله عز وجل، لا نحسب لهؤلاء أي حساب، هؤلاء الذين يأتون يعمدون إلى أئمة المسلمين فيجرحون ويكفرون، ويبدعون ويقتلون دون أي ورع، ودون علم، ودون اطلاع ولا هدى ولا كتاب منير.

إذا كنت لاحظت، أيها الأخ الكريم، أنني في كتابي «الإحسان» الذي صدر منه الفصل الأول، وأسأل الله عز وجل أن يسهل إتمامه، إتمام الفصول الأخرى، أنني أتحدث عن الصوفية باسمهم فذلك أنني -كما وضعت العنوان «الإحسان»- قصدي في هذا الكتاب أن أتحدث عن أهل الإحسان أيا ما كانوا، وأهل الإحسان هم الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، كما جاء في الحديث الشريف[1]، والذين عرفوا في تاريخ هذه الأمة ببحثهم عن وسائل التقرب إلى الله عز وجل، والذين عرفوا بسلوكهم الطريق المقرب إلى الله عز وجل، الذين عرفوا بأنهم من أهل الله، الذين كانوا قبلة لكل صادق من علماء المسلمين ومن صالحي المسلمين، هم الذين سموا في التاريخ صوفية.

---

(1) نص الحديث هو: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». رواه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم 8.

فنحن بحمد الله لا يزعجنا المصطلح، وما علق بهذا المصطلح من طفيليات تاريخية، قوم لبسوا الاسم، ارتَدَوا اللقب، واتزروا بالشعار، فزعموا أنهم صوفية، من هؤلاء المنتسبين صادقون طالبون للحق، ومنهم دون ذلك، وتفصيل ذلك ستجدونه إن شاء الله في الفصول المقبلة، إن يسر الله عز وجل.

كلمة صوفي استعملتها، وهي اصطلاح تاريخي عرف به طائفة من الناس. بعض المعارضين من المفكرين أو من الكتاب الإسلاميين، منهم الشيخ الأستاذ أبو الحسن الندوي[1] -بارك الله فيه- يتحاشى أن يستعمل كلمة الصوفية، إبقاء على الحساسيات الحرفية، حساسيات قوم لا يحبون أن يسمعوا حتى الكلمة، أريد أن أتخطى هذا التحفظ فأسمي الأسماء كما سميت في التاريخ.

أظن أن السؤال لا يتعلق بتعريف، لا يطلب مني أن أعرف من هم الصوفية، وحتى لو سئل فلا يتسع المجال لفظيا في تسجيل هكذا لتعريف الصوفية، فارجعوا إلى هذا الكتاب، ترقبوا ما يصدر من أعداد إن شاء الله من سائر فصوله[2]، فأرجو الله عز وجل -بعد ما لا بد منه من إثارة المتواثبين على الأمور بدون علم- في فسحة من الفكر وفي راحة من هجوم الآخرين، الجواب والإخبار عما هو التصوف، وما هو الإحسان، وما علاقة الصوفية بالإحسان، وكيف انحدر ذلك المطلب العزيز الذي اجتمع عند رسول الله وأصحابه -وهو المطلب الإحساني الجهادي المتكامل- حتى أصبح طلبا إحسانيا خارج حلبة الجهاد.

سؤال: كيف تنظرون إلى ما يمكن تسميته بالحصار المضروب على بيتكم، وأين تضعونه؟

الإمام: ها أنت انتقلت من موضوع إلى موضوع آخر. الحصار المضروب علي من قبل الشرطة، هذا من ناحية أمر طبيعي، فمادامت الدولة متوجسة خيفة مما يمكن أن يبرز لها ومما يمكن أن يظهر، فمن الطبيعي أن تحاصر بكل الوسائل، من جملة هذه الوسائل أن يطوقوا البيت محاولة لإرهاب الناس، لإرهاب الواردين الداخلين إلي الزائرين، لكن الحمد

(1) توفي رحمه الله في 31 دجنبر 1999.

(2) صدر كتاب «الإحسان» بعد ذلك في جزأين عام 1998.

لله، منذ بضعة شهور انتهينا مع رجال الشرطة إلى إقناعهم عمليا، وبالأحداث المتوالية، أننا لا نحسب لهم أي حساب، فأصبحوا مجرد آلات تحصي من دخل ومن خرج لا غير.

ثم إن مراقبتهم لبيتي ربما يرجون أيضا أن يمنعوا من الزيارة ناسا من خارج المغرب، فلديهم حساسية خاصة لما ينشر عن الحركة الإسلامية بالمغرب، وبما أنهم قرأوا في الصحف العالمية أخبارا عنا لا تسرهم، وكل شيء يتحدث عن الإسلام المستقل الحر في المغرب يقول كلمة الحق دون أن تكون له مرجعية رسمية هذا شيء لا يريدونه، فلعلهم بهذا التطويق يحاولون تثبيط إرادة الزائرين من غير المغرب.

على كل فقد أصبح وجود الشرطة حول بيتي -عندي وعند كل الإخوة والحمد لله- أمرا مألوفا عاديا، فَقَدَ كل ما يمكن أن يكون عند الناس من فزع أو من تخوف أو من تهرب من البوليس. أصبح البوليس كحيطان الحي، كجدران الحي، وبيوت الحي، وإسفلت الحي، وسيارات الحي، شيئا مألوفا عاديا، لم يعد هذا الأمر يلتفت إليه أي ملتفت.

4. العدل أوثق عرى الإحسان

سؤال: ضمت الجماعة تحت لوائها مجموعة من العناصر التي سبق لها أن عملت في الساحة الإسلامية كما تخلى عنها مجموعة من العناصر المؤسسة والبانية، هل من تعليل واضح للظاهرتين وما هي الآثار الإيجابية أو السلبية التي يمكن أن تترتب عنهما؟

الإمام: أظن -أيها الأخ الكريم- أن العناصر المتحركة الداخلة الخارجة من الجماعة لا تعدو أن تكون ظاهرة جانبية وهامشية جدا، فالعاملون في جماعتنا ممن كان سبق لهم انتماء إلى جماعة من الجماعات هم نخبة لا بأس بها عددا ونوعا وعطاء، أظن أن الذي يرد على جماعتنا من جماعات إسلامية من العاملين من إخواننا هم أحد رجلين: إما أن يجدوا في جماعتنا ما كانوا يتوقون إليه خاصة فيما يتعلق بتجديد الإيمان وبوضوح الرؤية رؤية العمل، وبنوع من الجدية، ونوع من تسجيل موقف في ظروف غير مواتية، هذا نوع. آخرون ربما يكون الذي يغريهم ويدفعهم ويجلبهم إلى الجماعة، هو ما حصلت عليه جماعتنا -والحمد لله- من خلال تاريخها هذا القصير بعدد السنين من سمعة طيبة، فيأتي يظن أنه بوفوده علينا سيزيد مجدا بالانتماء إلى جماعة حرة عرفت بأنها لا تطأطئ الرأس، فيجد ما لا قبل له

به، فبعد أن كان له من حرية التصرف، ومن الإعفاء من مجاهدة النفس، يجد عندنا أمرا محكما مضبوطا، نقول تعال أيها الأخ هات ما عندك من عزم وصبر، اصبر معنا أولا في قيام الليل، وفي صيام النهار، شمر لتحفظ القرآن الكريم، اذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، فربما يكون هذا الوافد ممن عاش زمانا في محاضرات طيبة، فيها ألفة، فيها راحة، فيها ترف ثقافي، إسلاميون يتحدثون عن الحضارة والبديل الحضاري والثقافة العالمية، وينتقدون السياسة، وينتقدون الثقافة الغربية، هذا شيء مريح لا يكلف شيئا، عندما يأتي إلينا نقول: أيها الأخ الكريم، المطلوب إليك، عندما تضع أول قدم في جماعتنا، أن تضع نفسك في قفص الاتهام، هذا لا يطيقه كثير من الناس، كيف أضع نفسي في قفص الاتهام وأنا من أنا، وأنا أمضيت سنوات في الحركة الإسلامية، وربما يكون منهم من كتب وألف ونشر أو شعر، فلا يتحمل هذا، فأمثال هؤلاء لا يلبثون أن ينصرفوا عنا.

يبقى بعد هذا أن العناصر المحركة في جماعاتنا هم من أبناء الجماعة، من كان منهم عاش فترة في جماعة ما، فجاء فوجد ما كان يبحث عنه، وكان لديه من رصيد الصبر والعزم والصدق ما يؤهله أن يسير معنا، فهذا أصبح من أبناء البيت، من جاءنا دون أن يكون له سابق عمل، هذا يرضع من أثداء الجماعة، وقلت أثداء لعلني كان الأولى أن أقول من ثديي الجماعة لنشبهها بالكائن البشري، يرضع من الجماعة تربية جديدة خالصة خلوا من الشوائب التي لا يخلو منها المتطوف ها هنا وها هناك بين الجماعات دون أن يعمق فكرة، دون أن تستيقظ فيه إرادة، دون أن تتضح له وجهة، دون أن يكون له مقصود واضح.

مقصود جماعتنا أن يأتي الوارد ومعه مطلب غير واضح فنوضح له نقول: أيها الأخ الكريم، مطلبنا جميعا الله تعالى، نريد الله تعالى، يأتي أقوام يقولون: ألم نقل هؤلاء صوفية، وسبحان الله كيف عتت وتجبرت الحملات التسطيحية الحرفية التبديعية التكفيرية حتى أصبح من يقول أريد الله، أحب الله، أتشوق إلى الله، أعز المصطفى ﷺ، أحب محمدا ﷺ، أحب آل البيت، متهما بأنه زائغ العقيدة، فاسد الوجهة، منحرف العقيدة إلى آخر ما تعلمونه من السباب الذي نكون له عرضة.

فإذن الأخ الوارد علينا نقول له: أيها الأخ، نحن جماعة «العدل والإحسان»، الله عز وجل سبق «العدل» في كتابه العزيز في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ﴾ (النحل: 90)

يقول هذه الجماعة «العدل والإحسان» لكن العدل -وهو مطلب اجتماعي- يبقى وسيبقى دائما وهما من الأوهام التي تخامر بعض العقول الثورية، فلا يحققون من العدل شيئا، والتفتوا إلى ما يحدث الآن في الصين، الصين الاشتراكية الشيوعية في الأسبوع الأخير كانت فيها مذابح ومجازر، كان الحزب الشيوعي يقول إنه سيحل العدل، فاعترف آخر الأمر بأن العدل يريد أولا إنتاجا، والإنتاج يريد رأسمالا، والرأسمال يريد معه تكنولوجيا، وكل هذا يمتلكه الغرب ولا تمتلكه الصين، فمنذ عشر سنوات تخلى الصينيون عن الجانب الاقتصادي في الاشتراكية، فأصبحوا إيديولوجيا أمة اشتراكية، واقتصاديا أمة ليبرالية منفتحة على الغرب على مصارعها كلها، في الأسبوع الأخير -وكما يقولون- بدا واتضح التناقض بين الاقتصاد الليبرالي المفتوح وبين الإيديولوجية المحافظة، هذا تناقض صراعي تناحري، فكانت المجازر. التفتوا إلى ما يقع في روسيا، روسيا طلقت الاشتراكية والشيوعية مذهبا وإيديولوجيا واقتصادا طلاقا كاملا، وإن كانت في مجال الاقتصاد لم تبلغ ما بلغته الصين في انفتاحها على الغرب، لكنها سائرة بخطى حثيثة إلى هذا.

فعندما نقول نحن نريد العدل بالإسلام، نريد العدل بشرع الله ينبغي أولا أن نكون نحن من أهل الإسلام، وأعلى درجات الإسلام الإيمان ثم الإحسان، فإذا لم يكن المحسنون هم الذين يتكلمون ويتحدثون عن العدل، هم الذين يخططون للعدل، هم الذين يقودون مسيرة إقامة العدل في الأمة، هم الذين يعيشون فعليا مع المستضعفين فيشعرون بما يشعر به المستضعفون، سيكون نشدان العدل من أعلى نوعا من دكتاتورية طبقة من الطبقات، وهذه الطبقة تحمل شعارات العدل، لكنها تعيش في بحبوحة بينما يعيش المستضعفون في فقر، وبالفعل هذا ما حدث في روسيا التي كانت تنادي بدكتاتورية البروليتاريا.

لعلي خرجت عن الموضوع قليلا، فأرجع إلى الواردين علينا إلى جماعة «العدل والإحسان» من آفاق متنوعة، فألخص الموضوع في كلمتين: الذين كانوا في جماعة ودخلوا إلى جماعتنا برهة ثم انصرفوا، يبقى عددهم وأهميتهم هامشيين جدا، إخوان آخرون كانوا من البارزين في الجماعة، ثم لسبب من الأسباب، شخصي غالبا أو تنظيمي، لم يبق لهم ذلك الظهور الذي كان لهم من قبل، أظن أن هذه أمور عادية جدا، فلا شك أن في حلبة السباق يكون هنالك أفراس، هنالك أحصنة كثيرة، فيتشوف الناس إلى من يسبق وإلى من يتأخر، فمع الوقت، ومع الزمان، وبالانتظار يظهر آخر الأمر أن هنالك من يُعيي في نصف المطاف،

وآخرين في ربع المطاف، وآخر وهو على وشك أن يصل. هذا شيء طبيعي في الجماعات كلها إسلامية كانت أو غير إسلامية، ومن يظن أن هذه المثالية التي تتشخص جند الله ملائكة يسعون في الأرض، ولا يسقط منهم أحد، ولا يُعيي منهم أحد، ولا يتلوث منهم أحد، ولا يقف منهم أحد، ولا يرتد منهم أحد، هذا حالم. ولو قرأتم سنة رسول الله لوجدتم أنه كان من كتبة الوحي من ارتد -ونعوذ بالله- كان من كتبة الوحي بين يدي رسول الله ﷺ.

5. التجديد

سؤال: إذا كان لفظ الصوفية لم يرد ذكره في المنهاج، فإن لفظا آخر ورد بصيغ مختلفة، وأعني به التجديد، بعثة التجديد، فقه التجديد، داعي التجديد، كلمة التجديد، ما هو في نظركم سيدي مفهوم البعثة والتجديد المقصودين، وكيف السبيل إلى معرفة هذه «المن» الواردة، «من» التي تجدد؟

الإمام: أقول ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، فإن الحديث العظيم الذي بين أيدينا، في قول رسول الله «إن الله يبعث لهذه الأمة في كل مائة سنة من يجدد لها دينها» هذا الحديث العظيم إذا قرناه بحديث المنهاج «ثم تأتي الخلافة على منهاج النبوة»، نجد أن ما بلي وما انتقض من عرى الدين، تجديدهما لا يمكن أن يكون للواحد دون الآخر، فالحديث المنهاجي يخبرنا بأنه تأتي بعد الملكية العاضة والحكم الجبري الخلافة على منهاج النبوة فهذا تجديد للحكم.

وتجديد الحكم حصل في تاريخ المسلمين على مراتب متفاوتة، فكان الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان صلاح الدين في مرتبته، كانوا ملوكا صالحين، يوسف بن تاشفين مثلا وغيرهم، ومحمد الفاتح في تركيا في آل عثمان، كان كل واحد حاول أن يجدد، لكن تجديد الخلافة على منهاج النبوة هذا شيء جذري، هذا شيء لا يشبه تماما ما سبق، هذا شيء لا يقبل الإبقاء على أسس الظلم وأسس العض والجبر، هذا شيء جديد، فهذا الشيء الجديد لا يمكن أن يكون إلا إذا توفرت في القائمين عليه ما يشاء الله عز وجل من شروط الإحسان التي كان يتحلى بها الخلفاء الراشدون، ومن عاش مع الخلفاء الراشدين في زمانهم وهيهات. فالخلفاء الراشدون عاشوا مع الصحابة رضي الله عنهم، وأقاموا صرح

الخلافة على عهد الإمام أبي بكر رضي الله عنه، والإمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، والإمام عثمان بن عفان، والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، هؤلاء كانوا قمة.

ففي حديث صحيح ورد عن رسول الله ﷺ. قال: يا ليتني رأيت إخواني، قالوا يا رسول الله -أنا أروي الحديث بالمعنى وليس باللفظ، فلا يحضرني اللفظ الآن- قالوا يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال أنتم أصحابي وسيأتي قوم هم إخواني[1]. على كل حال الأحاديث في التبشير بالإخوان في آخر الزمان كثيرة، هؤلاء الإخوان في آخر الزمان كيف يتجددون لكي يرتفعوا في أنفسهم فرادى إلى مرتبة الإحسان، فيكونوا أولياء الله، ويرشحوا أنفسهم لولاية الله عز وجل؟ كيف يرتقون إلى استحقاق الخلافة على منهاج النبوة؟ والخلافة تكون باستخلاف الحق عز وجل لا بالادعاء، فالناس الآن يكتبون، وكثيرا ما يكتب الإسلاميون: الخلفاء في الأرض، واستخلفكم في الأرض، ونحن خلفاء الله في الأرض. خلفاء الله في الأرض هم آدم وداود وموسى وإبراهيم ونوح ومحمد صلى الله عليهم وسلم، هذا معنى الخلافة الكاملة.

فلكي يرتفع الإخوان في آخر الزمان إلى مرتبة الإحسان، كي يستحقوا أن ينزل الله عز وجل عليهم الخلافة كما كانت في عهد الخلفاء الراشدين وبالشكل الذي يريده الله عز وجل، سألتني كيف يمكن أن نعرف هذه الأمور، أقول إن الناس يسعون وإنما يبارك الله عز وجل، أو يفعل في ملكه ما يشاء، فتظهر نتيجة السعي البشري بعد حين، بعد عقد وعقدين، وبعد قرن وبعد قرنين، فتاريخ الأمة هو تاريخ حافل، وانتظرنا أربعة عشر قرنا إلا عشرين عاما، لكي نتنسم نسيم الخلافة الراشدة بعد هذه الصحوة الإسلامية المباركة العامة في بقاع الأرض، ولكي نتنسم بشائر نصر الله عز وجل لجنده في جهاد أفغانستان وكرامات أفغانستان.[2]

---

(1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِم أَلَا هَلُمَّ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا». رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه.

(2) قبل أن ينقض غزلهم بما كسبت أيدي القبلية الجاهلية وبما فعله بأفغانستان السفهاء من حكامنا المتآمرون مع القوى المتسلطة على العالم.

فما يفعله الله في مستقبل الدين هذا أمر يظهره الله عز وجل، هو وحده القادر، ويكفي إخواني أن تتأملوا في هذه الظواهر الكونية العجيبة الغريبة المتلاحقة التي جاءت في أول القرن الخامس عشر مذهلة: انتهاء الشيوعية التي كانت في أول القرن 20 قرن الحضارة، وقرن الاختراعات، وقرن الحروب العالمية وقرن وقرن وقرن... بدأت في أوله الاشتراكية الشيوعية والفكر الماركسي كأنه أمل للعالم، ففي نهاية القرن العشرين وبداية القرن الخامس عشر الهجري أعلن أصحاب الاشتراكية والشيوعية والماركسية والفلسفة الجدلية عن نهاية هذا الفكر، وعن موته ودفنه وتكفينه، وربما دفنوه بلا كفن، فهذه الظواهر العظيمة وخاصة ظهور الصحوة الإسلامية التي أشرقت على أفق هذه الأحداث الجليلة، ما يظهره الله عز وجل بعد هذا، نحن طلبنا وثقتنا أنها الخلافة على منهاج النبوة، لكن كيف؟ ومتى؟ ومن؟ هذا يظهره الله عز وجل، ليس بأيدينا.

6. الرؤيا الصالحة

سؤال: جعلتم الرؤيا الصالحة وتعبيرها شعبة من شعب الإيمان، وكنتم ولا تزالون تسألون عنها في مجالسكم الخاصة والعامة، وتولونها من العناية أوفر قسط، فهل يمكن اعتبار الرؤيا الصالحة من صوى الطريق، ومن الإشارات الواضحة والمضيئة في تاريخ الجماعة وسير أفرادها؟

الإمام: الرؤيا وقص الرؤى بعد صلاة الصبح، والحديث عن رأيت، كل واحد يتحدث رأيت ويستبشر أنه رأى رسول الله، ورأى نفسه يطوف بالكعبة، ويقرأ المصحف، أو يجاهد في سبيل الله أو يرى علامات النصر، هذه أشياء تلقينا من جرائها كثيرا من النقد، وكثيرا من التجريح، وكثيرا من الهجوم، نسأل الله عز وجل أن يصبرنا.

فلو أننا أتينا ببدع لكان في هذا الأمر موقف آخر وتريثنا وداخلنا الشك، أما ونحن نفتح كتاب الله عز وجل فنقرأ قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَٰإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: 104) فالرؤيا الصادقة هي من الإحسان لا شك في هذا بنص القرآن، أما ونحن نفتح صحيح الإمام البخاري فنقرأ «كتاب التعبير» وفيه بضع وأربعون بابا كلها في الرؤيا، كيف كان الصحابة رضوان الله عليهم يقصون على الرسول ﷺ.

رؤاهم بعد صلاة الفجر، رؤيا كذا، رؤيا كذا، بماذا تؤول رؤية اللبن وبماذا تؤول رؤية الجبل إلخ، أما ونحن نقرأ هذا في سنة رسول الله ﷺ. فلا مجال للشك، ولا يشك في هذا إلا قليل العلم قليل الخبرة، ولعلي بكثير من الذين يهجمون ويهاجمون لم يفتحوا يوما واحدا كتابا من كتب الحديث وإلا لصمتوا وخرسوا.

إذن نقرأ في كتب الحديث، في دواوين الحديث، في صحيح البخاري وغيره، المكانة المهمة جدا التي كانت للرؤيا الصادقة في حياة الصحابة رضي الله عنهم أفرادا، وفي حياتهم جماعة. في حياة الجماعة يقول الله عز وجل: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلأُمُورُ﴾ (الأنفال:43/ 44) هذا في غزوة بدر، فدخلت الرؤيا النبوية، وهي وحي من الوحي، في شؤون تصريف الأمن والحرب.

في حياة الصحابة فرادى نجد في صحيح البخاري أن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال لنفسه عندما كان يسمع صحابة رسول الله ﷺ، يقصون عليه من الرؤى يقول: يا نفس لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرون، حتى رأى الرؤيا المذكورة في صحيح البخاري وغيره التي قصها على أمنا حفصة أم المؤمنين أخته لتقصها على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: «نعم العبد عبد الله لو كان يقوم من الليل». قال الراوي: «فلم يترك قيام الليل بعد ذلك»، إذن كان للرؤيا في حياة الصحابة فرادى شأن عظيم، فكان فيها توجيه، كان فيها درس لهم، كان تأويل رسول الله أمرا يلتزمونه. كما كان للرؤيا الصادقة شأن وأي شأن في حياة المسلمين العامة. يكفي أن تشريع الأذان كان برؤيا رآها الصحابي رضي الله عنه، وسيدنا عمر رأى مثلها أيضا.

فإذن تسألني ما هي مكانة الرؤيا الصالحة في جماعتنا، فأجيب بأن الرؤيا الصادقة تعبر ومن يرى رؤيا فيها رموزا ثم يطبقها دون أن يعبرها فهذا عرضة للخطأ وعرضة للزلل، من يزعم أن الرؤيا التي رآها سابقة على الأمر الإلهي النبوي كما جاء في الشريعة، هذا خاطئ ومخطئ معا، من الخطأ ومن الخطيئة. ويبقى بعد هذا أن الرؤيا الصادقة من مبشرات الوحي، وهي جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة[1]، وهي جزء من الوحي، والوحي كما هو مدلول

(1) روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن النبي «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة».

اللفظ في اللغة العربية هو السرعة. فالعبد الذي لا يلتفت إلى هذا الوحي، إلى جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، ولا يعيره أي اهتمام، ولا يومن به، مع أن رسول الله ﷺ. علمنا ذلك هذا بعيد عن الله عز وجل، يبعد نفسه، وجعل حظه البعد ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة:82) كذب فكان رزقه التكذيب.

فإن القرب من الله سبحانه وتعالى، وطلب القرب من الله سبحانه وتعالى، يعطي للرؤيا الصالحة مكانتها المهمة جدا في حياة الفرد، فهو دائما يتسمع، لعله يأتيه من قبل الغيب بشارة تبشره أنه أصبح من المؤمنين، أنه أصبح من المحسنين، أنه جلس في رؤياه إلى رسول الله، أنه تمتع وتملى بوجهه الكريم، هذا شيء يتوق إليه كل مؤمن وكل مسلم، والحمد لله في جماعتنا رؤية الرسول ﷺ، ورؤية الصحابة ورؤية هذه المشاهد العظيمة، هذا شيء أصبح مألوفا متداولا عندنا بكثرة، فيقول الآخرون لماذا يرون هم ونحن لا نرى؟ فأجيبهم بكل سهولة: يا إخوتي هذا أمر لا يغني فيه ولا يفيد فيه التحاسد ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (الحديد:21) صلوا كما يصلون، قوموا الليل كما يقومون، اذكروا الله كما يذكرون، ابحثوا عن وسيلة لتطهير قلوبكم كما يبحثون، هذا أمر يعطيه الله عز وجل وليس من النباهة ولا من الذكاء ولا من الفطنة أن نقول لماذا يرون ولا أرى أنا.

7. الخلاف السني الشيعي

سؤال: خلال هذه التسجيلات المباركة، في هذه الشهور الأخيرة، فقد العالم الإسلامي رجلين من رجالاته وأقصد الشيخ سعيد حوى[1] والإمام الخميني[2]، وأظن أن السؤال ملح فيما يتعلق بهذين العلمين، خاصة وأن البعض يقول: إنكم شيعي، والبعض الآخر لا يجد فرقا بين كتاباتكم وكتابات سعيد حوى رحمه الله.

الإمام: نعم كنا من قبل ننظر في ما جاء عن الله وعن الرسول ﷺ. لكي ننظر أين نحن مما أمر الله عز وجل ورسوله، ومما خلفه فينا رسول الله ﷺ وأثره فينا وأورثنا إياه من أمور الدين، فإذا بنا ننظر إلى الرجال ولا بأس.

---

(1) توفي في 9 مارس 1989م/ غرة شعبان 1409هـ.

(2) توفي في 3 يونيو 1989م/ 28 شوال 1409هـ.

أما الذين يزعمون أنني شيعي فهؤلاء يهرفون بما لا يعرفون، ويفتاتون عليَّ افتياتا، وليست هذه أول كذبة على كل حال هذا خير من الذين يقولون فلان مشرك، هذه سمعتها منذ أسبوعين، قريب منا في هذا الحي، في هذا البلد، رجل قال فلان مشرك، هذا حكم حكما نهائيا. فالذي قال شيعي، فعلى كل حال إن كان لا يكفر الشيعة، أما إذا قال شيعي، والشيعة كفار، وركب القضية الكبرى والصغرى والنتيجة وجاء بالقياس المنطقي الأرسطي، هذا شيء آخر، فإذن إذا كان لا يكفر الشيعة، وقال شيعي، فهذا رجل حكم حكما خطأ.

أنا أحرص الناس على أن تسمعوا مني، وعلى أن تشهدوا علي، أنني أرفض الروافض وأكرههم، وأعتقد أن من ينتقص من صحابة رسول الله هذا عرضة للهلكة يوم القيامة والعياذ بالله، لست أحب أن أكفر وأقول كافر أو كذا، فأكل أمر ذلك إلى الله عز وجل، مادام هذا يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أكل أمره إلى الله، لكن الذي يكره أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسائر الصحابة رضي الله عنهم، هذا في تهلكة، هذا لا شك فيه إلا أن يشاء الله، فنحن لا نحكم على الله عز وجل بشيء. يفعل ما يريد.

الشيعة من أهل القبلة، من أهل لا إله إلا الله، الشيعة أصيبوا بمرض هو ناتج عن السرية التي عاشوها قرونا، عاشوا تحت الحكم الأموي والحكم العباسي ثم القلاقل الكثيرة في بقاع الأرض، فكانوا يتخفون بدينهم، والسرية هي دخول في أمكنة مظلمة في أمكنة رطبة فيها رطوبة، في أمكنة صالحة لكي تنشأ فيها كل أنواع الأوبئة، من أوبئة الشيعة الرفض، لا أقول إن الشيعة روافض كل الشيعة روافض، كما يقول بعض من يقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي حارب الروافض حربا شعواء، وحق له أن يحارب الروافض إذا كانوا روافض، أما أن نقرأ ابن تيمية فنعمم نقول كل الشيعة روافض فالعياذ بالله.

خلافاتنا مع الشيعة كثيرة وليست قليلة، الشيعة من أهل القبلة، ومن أهل لا إله إلا الله، فهم إخوتنا، المستقبل للإسلام، والإسلام ينبغي أن يسير بجناحين، أقول بجناحيه -على كل حال- اعتبارا لإخوتنا الشيعة، ورفعا من شأن إخوتنا الشيعة، وهم سبقوا في هذا الزمان لهذه الثورة العظيمة التي حيرت العالم والتي قادها الإمام الخميني رحمه الله، لا بد لمستقبل الإسلام أن يجتمع أهل السنة والجماعة مع أهل الشيعة بقلوب سليمة، وبنيات صالحة،

لكي يتعلموا بالتؤدة المطلوبة كيف تفرعت بهم الطريق، كيف بدأ الخلاف، كيف نشأ، وهذا يتطلب منا أولا وقبل كل شيء نحن -أهل السنة والجماعة- أن نقف عند مفترق الطريق، وهو عندما انتقل الأمر من الحكم الراشدي من الخلافة الراشدة فأصبح حكما عاضا.

ما دمنا نمر -ويفعل هذا كثير من علماء السنة والجماعة غفر الله لنا ولهم- على هذه العقدة التاريخية الحرجة، وهذا الموقف الحرج، فنبقى في استمرارية، خليفة رسول الله أبي بكر، أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، أمير المؤمنين عثمان، الإمام علي بن أبي طالب، ثم أئمة الخلافة الأموية والخلافة العباسية، ورسول الله سماها ملكا عاضا، فمعنا النصوص الكفيلة بأن تردنا من هذا الخطإ الفاحش الذي يزكي، يجيز الحكم العاض، والحكم الجبري، ويؤبده، مادام العلماء يقولون الخلافة العباسية والأموية، فهنالك خلافة، إمارة، خلافة في الخليج الفلاني، وفي البلد الفلاني، فالاستمرارية إلى يوم القيامة، وهذا خطأ فاحش، وهذه نقطة القوة في فكر الإمام الخميني، وفكر الإخوة الشيعة. فإذن ما دمنا لم نقل الكلمة السواء بيننا وبين إخواننا الشيعة، في الانحراف الأموي، وفي النزو الأموي، وفي الانقلاب الأموي، وفي خروج الحكم من الخلافة الراشدة إلى الحكم العاض ثم الجبري، فيعسر علينا مستقبلا أن نتفاهم.

مع إخوتنا الشيعة -بعد هذا- تراث مكتوب، ومفهومهم للحديث هو ما جاء عن رسول الله ﷺ وخاصة عن الإمام علي، وعن كل الأئمة الاثني عشر، مفهومهم للحديث ليس هو مفهوم أهل السنة والجماعة، وأنا لا أشك لحظة بأن أهل السنة والجماعة، ولو عاشوا وانحازوا إلى الحكم العاض، فهم حافظوا لنا على صفاء ديننا وحملوا إلينا حديث رسول الله ﷺ بعد أن نقلوه، وبعد أن طردوا عنه كل الأحاديث المكذوبة، وكل المفتريات، حتى أوصلوا إلينا الحديث سالما إلى الآن.

تقرأون في مستقبل الأيام إن شاء الله كتابا في هذا الموضوع -كتاب صغير الحجم، لكنه خصص لهذه النقطة بالذات- سميته «نظرات في الفقه والتاريخ»[1].

(1) صدر الكتاب بعد ذلك في نفس السنة 1989م.

8. عودة إلى الصوفية

أعود بعد هذه المقدمة إلى الشخصين الكريمين الذين ذكرتهما: الإمام الخميني رحمه الله تعالى والشيخ سعيد حوى رحمه الله أيضا، وقد مات قبل الخميني بثلاثة أشهر رحمهم الله جميعا، فالذي يجمعني مع سعيد حوى رحمه الله هو أنه كانت له تجربة مع السادة الصوفية، وكتب في كتاباته عن الصوفية أشياء، لقفها الناس المعارضون المهاجمون فيقولون هذا مخرف، وبما أن كتبه هي كتب «الإخوان المسلمين» فالإخوان المسلمون مخرفون، عقيدتهم فاسدة إلخ.. هذا كلام أصبحنا لا نلتفت إليه، لأنه كلام ممجوج ومملول، هذا رجل عاش مع الصوفية، نوع من الصوفية، استفاد منهم استفادة ما، فهو يشهد بما علم، وأخاف -مثل ما كان يخاف رحمه الله- أن نلجم يوم القيامة بلجام من نار إن سكتنا عن أمر أطلعنا الله عز وجل عليه، وعشناه وعرفناه، أنه الحق فإذا جئنا نخاف من الناس، ونخشى مما يقوله الناس، ونسكت ونكتم، فأصبحنا أمثال الشياطين.

لا أريد هنا أن أتعرض لتجربة الشيخ سعيد حوى رحمه الله، فهو قال -في بعض كتبه- إنه مأذون بتلقين الاسم المفرد، ومأذون بالطريقة -لست أذكر- النقشبندية، لا أدري على كل حال، هو لقي رجالا من أهل هذا الفن أمثال الشيخ محمد الحامد رحمه الله ورجالا آخرين، ولا يزال أهل العلم وأهل الفضل يبحثون عن رجال يلتمسون منهم الدعاء الصالح أو يلتمسون منهم الصحبة، وفي هذا مراتب ودرجات، وهذا الصباح كنت أقرأ تعليقا على كتاب لأبي الحسن الندوي، لا أذكر العنوان لأنه لما أقرأ الكتاب، قرأت تعليقا في صحيفة من الصحف، يقول إن كل ما أدركه من فضل هو بسبب دعوة أمه، وكانت امرأة صالحة تحفظ القرآن وتقرأ العلم وتؤلف الكتب، وكانت صحبته لأهل الله سبب نجاحه وفلاحه، هذا رجل يشهد وفي كتبه تقرأون إخوتي في كتاب «ربانية لا رهبانية» وفي كل كتبه، كتاب «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» تقرأون إعظامه لأهل الطريق وأهل السلوك.

هذا ما يجمعني بسعيد حوى رحمه الله، هو أننا جميعا كانت لنا تجربة، أما هذه التجربة، ليس الموضوع أن أتحدث لكم عن التبرك، عن السلوك، لأن هناك التبرك، التبرك هو صحبة الناس الصالحين، التماس الدعاء، أذكار، إذن هذا شيء، وهناك السلوك على يد عارف بالله عز وجل، هذا شيء آخر ليس هذا هو موضوع حديثنا، تقرأون هذا في كتاب «الإحسان» إن شاء الله من بعد.

ثم الشخص الآخر هو الإمام الخميني رحمه الله، الإمام الخميني هذا رجل من صغر سنه كان يكره الطغاة والمتجبرين، وعاش عمرا وهو يعارض الحكم، رجل هيأ له الله سبحانه وتعالى منبرا لكي يبلغ كلمته عالية وبعيدة، فيسمعها الخاص والعام، هو أنه أصبح آية من آيات الله، يعني أصبح فقيها إماما مفتيا في بلده، فكلمته التي بقي صابرا على الوقوف معها ولاقى في سبيلها العنت الذي تعرفون، هذا رجل صادق، عارض الحكم المتجبر الظالم، يجمعني معه هذا، وأظن به كل الخير، ففي كتاباته -قرأت منها بعض ما ترجم منها- هذا رجل يحب الله ورسوله، كان في بعض كتاباته الأولى بعض التحيز ضد الخلفاء الراشدين، ثم في آخر الأمر تراجع عن موقفه هذا وأصبح يفتي الشيعة بأن يصلوا وراء أهل السنة، ويدعو إلى جمع الشمل، ويكفي أنه قبل وفاته ببضعة أشهر، بشهرين أو ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر على الأكثر، أصدرت الدولة الإيرانية -على ما بلغني- قانونا بتعزير وتأديب وعقاب من يشم فيهم الرفض، ومن يتعرضون لأصحاب رسول الله باللوم أو الشتم أو التنقيص.

فقياس الرجال بالرجال، ينبغي أن نتعلم الحق فنعرف به الرجال، أما أن نعرف الحق بالرجال، على كل حال، هذا في حق الضعفاء أمثالنا، هذا شيء يجوز. لذلك عندما كتبت في الفصل الأول من كتاب «الإحسان» عنوانه «الرجال» قال بعضهم: لمَ كتبت الرجال؟ لو جاءنا بالنصوص، فأجيبهم هنا بأنه لو كان أمثالكم، ومن الذين يتكلمون في مواضيع ليس لهم عليها أي اطلاع، ولا إرادة أن يطلعوا، واكتفوا ببعض فتات الحكم على الصوفية، لو كان أمثالكم يكفيهم التذكير بما قاله الله عز وجل، وما قاله رسوله الكريم، لكنا في غنى عن كثير من اللغط، وعن كثير من الخصام، لكن سرد الرجال، والإدلاء بشهادات الرجال، هذا شيء فعله من كان قبلنا فنفعله، يكفيكم أن كتابا من كتب شيخ الإسلام ابن القيم يسمى «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية» هذا كتاب طبع في أكثر من مائتي صفحة، كله مخصص لما قاله الرجال في نقطة بعينها هو إثبات الصفات لله عز وجل، والرد على الجهمية، فإذن الاستدلال بكلام الرجال هذا شيء لا يصلح حجة للذين يقولون هؤلاء يتكلمون عن الرجال ويتركون النصوص، لأن كثيرا من هؤلاء متعاطون، وبضاعتهم من العلم -كبضاعتي- قليلة، يخضعون للعلماء ولأقوال العلماء -وإن كانوا لبعض العلماء خاصة- أكثر مما يخضعون لكلام الله عز وجل ويتأولون كلام الله عز وجل، ويردون على الأئمة، ويتشبث بعضهم بأذيال أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي نكن له كل احترام،

يتشبثون بأذياله كي يحاربوا المسلمين، ففي الوقت الحاضر المعارك التي كنا نظن أنها خمدت، هم يثيرونها ويشعلونها من جديد، التوسل برسول الله قالوا لا يجوز، قالها ابن تيمية، وابن تيمية إذا قال كلاما نحن نتبعه، وقال الإمام أحمد بن حنبل في أحد قوليه إنه يجوز أن نتوسل برسول الله، هذا شيء نحن لا نلتفت إليه! فيؤخذ من كلام الإمام أحمد ويترك! وكلام ابن تيمية لا يترك منه شيء، يؤخذ كله! فلأمثال هؤلاء أتيت بشهادات رجال أمثال العز بن عبد السلام، ولو كان لهم بصيص من الدراية، وبصيص من الوقار، لو اطلعوا على من هو عز الدين بن عبد السلام، الذي شهد في الصوفية تلك الشهادات التي قرأتموها، لخجلوا من أنفسهم لأنهم هم وأنا بالنسبة للعز بن عبد السلام لا شيء، عز الدين بن عبد السلام رجل كانت ترتعد منه الجبابرة، عارض المماليك، باع المماليك، غلب المماليك، قال قولة الحق في دمشق ثم هاجر منها إلى القاهرة، فقال فيها قولة الحق، هذا رجل علم من عظماء الأمة.

9. الحركة الإسلامية.. الواقع والبشرى

سؤال: قدرتم سيدي الرجلين حيين وميتين، الخميني وسعيد حوى، تجربة الأول في العدل، وتجربة الثاني في الإحسان، وتحدثتم سيدي في المنهاج عن تجربتين أخريين لنماذج أخرى تعيب عليهما شيئا، من ذلك قولكم في المنهاج: «ما خرج رسول الله ﷺ وصحبه من أجحار الثعالب وجمعيات المهادنة»، هل من توضيح واف للمصطلحين وأي خطر يشكله كل منهما على العمل الإسلامي الجاد في هذا القطر وفي أي من الأقطار الإسلامية الأخرى التي تعرف هذه الصحوة المباركة؟

الإمام: أولا أيها الأخ الكريم سكت من قبل ولكن لا أسكت بعد هذه، لا تُسَيِّدْنِي ولا تُخاطبني مخاطبة الجبابرة «بكم» و«فعلتم» و«أنتم».

جوابا عن سؤالك، في العبارة التي أتيت بها، هو نوع من تعظيم جهاد رسول الله ﷺ. استعملت فيه كلمة هكذا يقف عندها القارئ، لم يخرجوا من أجحار الثعالب المهادنة، أنا لم أقصد أحدا بعينه، وإنما قصدت أن أنزه جهاد رسول الله وجهاد أصحابه على أن يكون من مواقفهم ما يشبه مواقف بعض المتخاذلين المتنازلين عن حقوقهم، والسائرين في ركاب

الظلمة، ما قصدت أحدا بعينه، ومن شأني ومن عادتي، ألا أعين إلا إذا كان التعيين فيه مصلحة واضحة، فالذين يتخاذلون ويسقطون في أول الطريق لأسباب من الأسباب، هؤلاء نعذرهم أكثر مما نجرحهم، نعذر الكل، ونسأل الله عز وجل للكل التوفيق، وإن الذي يظن أن اجتهاده وحذقه وذكاءه ومهارته وتنظيره وتجاوبه مع الأحداث وحنكته في السياسة هي التي توصله إلى الهدف هذا خطأ، فنحن دائما نسأل الله عز وجل التوفيق، لا نألو جهدا في إعداد القوة الفكرية والتدبيرية والتنظيمية ونحسب حساب السياسة وحساب الحرارة، حرارة السياسة العالمية، والرياح السياسية من أين تهب وإلى أين، كل هذا نحسبه لكن اعتمادنا على الله عز وجل قبل كل شيء وعلى توفيقه.

سؤال: يمم اهتمام العدل والإحسان شطره نحو القطاع التعليمي في الآونة الأخيرة وأعني به قطاع الأساتذة والطلبة والتلاميذ على وجه الخصوص، هل يمكن اعتبار هذا الاهتمام نتاج قراءة واجبة ومستفيدة من التجارب السابقة، أم أنها تجربة رائدة في الحركة الإسلامية وما هي أبعادها؟

الإمام: لا أظن أنها عمل رائد، التوجه إلى المعلمين وإلى الأساتذة وإلى التلاميذ أظن أن هذا كان هو موضوع عمل كل من أراد أن يبلغ الدعوة، فالشباب هم كانوا ولا يزالون وسيبقون أول من يستجيب وأحسن من يستجيب للدعوة التجديدية، كما كانوا في عهد الأنبياء والرسل عليهم السلام، المستجيبين السابقين للإسلام. قال الله عز وجل عن سيدنا موسى: ﴿فَمَآ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ (يونس: 83). ومع رسول الله ﷺ. كان الشباب، والفتى إبراهيم عليه وعلى نبينا وعلى سائر الرسل والأنبياء الصلاة والسلام، كانوا السباقين لنبذ الكفر والشرك والدخول في الإسلام، ذلك أن كاهلهم لم تثقله العادات، لم تثقله الأوضاع الاجتماعية، لم تكبلهم سلاسل العلاقات التي تفتلها والتي تصوغها والتي تصنعها الحياة المديدة الطويلة، هؤلاء جديدون في العالم فهم يستجيبون للحق استجابة الحر الذي لا يثبطه عنه إلا ما يمكن أن يكون في نفسه هو، في داخل نفسه من قلة استعداد ومن خوف ومن جبن.

فإذن توجهنا إلى الأساتذة وإلى الطلبة وإلى التلامذة هذا شيء طبيعي وليس فيه من الريادة أي شيء، فنحن اتبعنا خطا قديما جدا من سيدنا نوح عليه السلام.

سؤال: ربما قد سبقت بعض الإشارات إلى هذا السؤال، ما هي وضعية الجماعة في الوقت الراهن وما هي المرحلة التي تمر منها؟

الإمام: المرحلة التي تمر منها جماعتنا في هذا الشهر المبارك شهر شوال من سنة 1409هـ [ماي 1989م] هي مرحلة الاستعداد من جانبنا، ومرحلة إعداد سياسة جديدة من قبل الدولة، فبعد محاولة الدولة الضغط علينا وإيقافنا وتوقيفنا وتشتيتنا منذ ثلاث سنوات، بعد فشل هذه السياسة هم الآن ينتظرون ما يخرج منا، فمن ناحية من مصلحتهم أن ينكشف أمرنا عن جماعة أصولية لا متطرفة، لأن سياسة الدولة أن تقول للرأي العام العالمي، ولمن يريد أن يصغي إنه لا يوجد في المغرب إسلام متطرف، ولا إسلام إرهابي، وإنما إسلام أصولي، وتبقى هذه المفاهيم -الأصولية والتطرفية وكل هذا- مفاهيم مطاطة واسعة يمكن أن ندخل كما نريد، أن نصنف هذا من الأصوليين، وهذا من المتطرفين، فهم يودون أن ينكشف الشوط عن جماعة أليفة نوعا ما، يمكن التعامل معها، أصولية تطالب مطالبات جزئية. هذا من جانب الدولة.

من جانبنا نحن كتبنا من قبل، خاصة في المنهاج النبوي، من نحن وماذا نريد، وتسمية الكتاب بالمنهاج النبوي هو رجوع من العنوان إلى قول رسول الله ﷺ. في حديث الإمام أحمد: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[1] فهذا كتبناه من قديم، ونكتبه ونكرره، ويعرفه الخاص والعام.

فهذه المرحلة هي التي نمر منها في الوقت الحاضر أما من ناحية التكتيك، كما يقول السياسيون فتعلمون أن ذلك التشديد في المراقبة الشرطية وتلك الملاحقات التي كان يتسم بها عهد سنة ثلاث وأربع وخمس وست وسبع إلى ثمان من الهجرة من هذا القرن، هذا شيء خف كثيرا، وأصبح الجو مناسبا كل المناسبة لنا لكي نعمل في صمت، ليس من المفيد لنا في الوقت الحاضر أن نفعل أكثر مما نفعل فليس من منهاجنا ولا من أسلوبنا أن نعتمد

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير، 18406.

التحريض والهتافات والأحداث والعنف، لأن البناء بناء القواعد وتربية الرجال، هذا يريد وقتا طويلا، ونفسا طويلا، وعملا بطيئا، كما قال سيد قطب -رحمه الله- في محاكمته في آخر عهده بالدنيا، أحكي قوله بالمعنى قال: كنت أظن أن بالإمكان أن أفعل شيئا، أما الآن فقد رجعت إلى اقتناعاتي الأولى، وهي أنه لابد من تربية طويلة النفس، أو كما قال، ولا بد من عمل بطيء، معنى بطيء نقيسه بالأيام، بالشهور، بالأعوام، بالعقود، بالقرون؟ يفعل الله عز وجل ما لم يكن في الحسبان، فتطوى العقود إلى سنوات، وتطوى السنوات إلى أيام، وسيفعل الله ما يشاء.

سؤال: يتجه الحكام العرب في المشرق والمغرب إلى التكتل والوحدة في اتحادات جهوية، كيف يمكن أن تتعامل الحركة الإسلامية مع هذه الوضعية الجديدة، وبعبارة أخرى ما موقع العمل القطري في هذا الوضع الحالي؟

الإمام: أما تقارب الأنظمة الحاكمة في بلاد العرب والمسلمين، وتأسيسهم لمؤسسات كمؤتمر الدول الإسلامية، والجامعة العربية، واتحاد المغرب العربي، والاتحاد العربي بين الأردن ومصر واليمن، واتحاد الإمارات والمملكات الخليجية، هذا التقارب أملته الظروف العالمية التي أصبح الاقتصاد فيها شيئا مهولا، أصبح غابة، وهي غابة الرأسمالية التي ظهرت الآن في نهاية هذا القرن العشرين وبداية القرن الخامس عشر الهجري، أصبح الكل مقتنعا بأنه لا بديل لها بعد انهيار الاشتراكية الشيوعية. غابة الرأسمالية تقتضي أن يتكتل الناس لكي يكون لهم صوت في السوق، ولكي يكون لبضاعتهم مشتر، ولكي تسام مبدئيا هذه البضاعة، فتقاربوا لهذه الأمور، ثم لأمور أخرى أمنية.

في المغرب العربي قام هذا التوحيد، واستبشرت به الشعوب وأراده المسلمون، ونحن نريده كما يريدونه، ذلك أن كل ما يقربنا من وحدة الإسلام، ومن محاربة اللات والعزى، واللات والعزى هي الدولة القطرية المشتتة المفرقة لشمل المسلمين، هذا شيء نريده ونحبذه، ولو كان في هذه المرحلة على يد غيرنا، فهذا يهيئ وحدة المسلمين، لا شك أننا نريده.

أما الشطر الثاني من سؤالك، كيف يمكن للحركة الإسلامية في قطر من الأقطار أن تؤثر على هذه التكتلات، فحجمنا والحيز الضيق الذي نعيش فيه، لا يسمح بأن يسمع لنا صوت،

ولا أن يكون له تأثير، فمن كان منا من الإسلاميين دخل في برلمانات، كما هو الحال في السودان ومصر، فوجودهم وعددهم في التصويت لا يعطيهم ثقلا ووزنا.

في تونس مثلا لا يزال الإخوان يطالبون بأن تعترف بهم الدولة، وقد رفضت منذ يومين أو ثلاثة أيام أن تعترف بهم كحزب مستقل. فبإجمال، بوجه عام، الحركة الإسلامية ليس لها من الوزن السياسي ما يسمح بأن تؤثر سلبا ولا إيجابا بما يجري في الساحة إلا من جانب واحد، وهو هذا الهول الذي ألقاه الله عز وجل، وهذا الرعب الذي نصر الله عز وجل به الحركة الإسلامية في جميع أقطار العالم، فأصبح العالم كله يحسب لها ألف حساب بفضل الله عز وجل.

إسلامي يعادل عندهم إرهابي، فهم يخافون من الإسلاميين من الشباب الملتحي أشد الخوف، وما يجري الآن في فلسطين المحتلة، وما يجري في جنوب لبنان، وما يجري في كل مكان، وخصوصا ما يجري ووقع، ونسأل الله عز وجل أن يتم فضله على إخوتنا في أفغانستان، هذا شيء كانت أمريكا أول الأمر تظن يمكن أن تشجعه، فتنال من ذلك مكاسب، فأصبحت في هذه الشهور الأخيرة، وبعد خروج الروس من أفغانستان، أصبح خيط المساعدات العسكرية لباكستان وللمجاهدين ينضب شيئا فشيئا، ذلك أنهم يتخوفون أشد الخوف من الحركة الإسلامية، وهذا الرعب الذي ألقاه الله عز وجل في قلوبهم، وصحب ظهور الصحوة الإسلامية، هذا شيء يبشر بفجر الإسلام، وبضحى الإسلام، وبظهر الإسلام، وبنصر الإسلام، نسأل الله عز وجل أن ينصرنا.

10. كلمة أخيرة

سؤال: في نهاية هذا اللقاء نسأل المرشد الحبيب أن يقدم كلمة إلى الشباب المقبل على الله، ونسأله دعاء حتى يبارك الله خطاه.

الإمام: إن الله سبحانه وتعالى عندما بعث الأنبياء والرسل، لم يقصد بالبعثة أن يدل المرسلون عليهم السلام الناس على خير الدنيا ثم لا شيء، إنما بعثهم الله عز وجل منادين لمأدبة عنده سبحانه وتعالى في الآخرة، في الآخرة الجنة يحشر الله عز وجل إليها المؤمنين، ويساق إليها المتقون، فترحب بهم الملائكة ويعيشون عيشة الرغد، وعيشة السعادة الأبدية،

دعاهم لمأدبة الإحسان في مقعد الصدق عنده سبحانه وتعالى، لمن هيأه بالسابقة في أزله لولايته سبحانه وتعالى، هذه درجة خاصة في الجنة، ودرجة خاصة في القرب من الله سبحانه وتعالى.

فالخطاب الطاغي الآن في الحقل الإسلامي هو أن يكون الإسلام إيديولوجية وفكرا وبديلا عن الحل الغربي، عن الاقتصاد الغربي، عن السياسات الغربية، وعن الفهم الغربي للمجتمع، وعن الفهم الغربي للحضارة، فأصبح الإسلام حضاريا ثقافيا لا يذكر فيه الله تعالى، لا تذكر فيه الآخرة. فنصيحتي إلى الشباب أن يعلموا أن كل خطاب، وكل عمل يحيد عن منهاج السنة، وعن شرعة القرآن، هو خطاب فيه ابتعاد عن الله عز وجل، فيه غفلة عن الله عز وجل. عندما نقرأ القرآن الكريم نجد في كل آية ذكرا مباشرا أو تلميحا أو تذكيرا أو التفاتا من الله عز وجل يتكلم فيه عن الخلق، وفعله في الدنيا، وفعله في الآخرة، وفعله بالناس، وفعله بالجن، وفعله بالملائكة، وطاعة الأكوان له، وبما عنده، وبفضله، وبأسمائه الحسنى. نجد في كل آية تلميحا أو تلويحا أو تذكيرا بالدار الآخرة، وبمصير الإنسان بعد الموت، وبما أعده الله عز وجل للمحسنين، وبما أعده للمجرمين، ونجد أوصافا للدار الآخرة.

فيا إخوتي غياب ذكر الآخرة من خطاب المسلمين -والإسلاميين خاصة- هذه فاجعة فظيعة نسأل الله أن يقينا وإياكم العثرات، فنصيحتي إليكم أن تطلبوا وجه الله تعالى سبحانه، أن يكون قصدكم -وليس القصد فقط- أن يكون قصدكم وعملكم وليلكم ونهاركم في عبادته سبحانه وتعالى، في ذكره، في التماس مرضاته.

يقول ذلك الذي انشطرت الفكرة في ذهنه، وتفرقت به الطرق، يقول: اتركنا، هنالك الامبريالية، وهنالك العدو وهنالك... فلا تحدثنا عن شيء غير جهاد هؤلاء الكفرة! فإذن عماذا تريد أن أحدثك أيها الأخ الكريم؟ ماذا تريد أن أشاركك فيه؟ يمكن لكل جماعة ناقمة على حكم في قطر من الأقطار أن تستعمل هذه الشعارات، الإمبريالية أو تسلّمها فتقول الشيطان الأكبر والطاغوت والظلم والمستضعفون والمستكبرون، ثم لا يكون ذلك الناطق ولا ذلك المخاطب من الله في شيء، يكون بعيدا عن الله عز وجل.

في كل ما نكتبه ونقوله نقول التربية ثم التربية ثم التربية، فيتوهم المتوهمون أننا نقصد بالتربية جلسات هكذا مريحة لكي نقول تَخَلَّق بأخلاق مسالمة وفاضلة وجميلة ولطيفة، هذا

فهم من لم يخالطنا، ولم يصاحبنا، نطلب الجنة ونحن نجاهد الظلم والكفر، نطلب الله عز وجل ونحن نهيئ القوة، وندخل المعارك السياسية، ونخطط لمستقبل الإسلام، وننظر من هم أعداء الإسلام، من هم أصدقاء الإسلام، ونزن ميزان القوة في العالم وفي قطرنا، ومن هو الصديق والعدو، لكن أن نفعل هذا -كما يقول بعضهم- ونرجئ التوبة إلى غد حتى تقوم الخلافة، لماذا تخاطبني في الصلاة، أنا أصلي وأقوم للفجر بعد أن تقوم الخلافة الراشدة... لكن إذا أقمتها وأنت تارك للصلاة فستكون خلافة للشيطان في الأرض، ستكون أنت شيطانا خلف شياطين آخرين لا أقل ولا أكثر.

في نهاية هذا الحديث -الإخوة الكرام- أشكركم على ما تعبتم في تسجيل هذه الكلمات، وأسأل الله عز وجل لي ولكم حسن الخاتمة، وأسأل الله عز وجل لي ولكم القبول في الدنيا والآخرة، وأسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من المقبولين عنده، من المرحومين عنده، من أهل السعادة في الدنيا وفي الآخرة، ومن أهل الجنة، ومن أهل الدرجات العليا في الجنة، ومن أهل مقعد الصدق عند مليك مقتدر.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثاني

حوار في برنامج «مراجعات»

بقناة الحوار بلندن سنة 2008م

نخصص هذا الفصل للحلقات الحوارية الأربع التي أجراها الدكتور عزام التميمي مع الإمام عبد السلام ياسين، ضمن برنامج **«مراجعات»** في قناة الحوار بلندن، وقد تم تسجيل الحوار يوم 14 يوليوز 2008م بمدينة الرباط، وتم بثه فيما بعد من لندن.

الحلقة الأولى: في نشأة الإمام وتعلُّمه

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين، أنا شاكر لك أن أكرمتنا بهذه المجموعة من المراجعات. وفي المراجعات عادة نبدأ من البداية، وبداية كل إنسان مولده، أنت وُلدت في عام 1928 بالترقيم الميلادي؟

الإمام: نعم

د. عزام: وعادة ما يقول الآباء والأمهات لأبنائهم شيئا عن السّنة التي ولدوا فيها، لأن وعي الإنسان بحياته يأتي متأخرا قليلا، سنوات بعد الولادة، ذلك العام الذي ولدت فيه، هل قيل لك شيء عما كان يجري في حينها؟ هل هناك مِن حدث مهم؟

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه.

لاشك أن كانت هنالك أحداث سبقت هذا العبد المسكين، وجاءت بعده، لكن نشأتي في أسرة أُمية، أبي رحمه الله كان رجلا أميا مئة في المئة، والأم كذلك أمية، فالأميون يومئذ، والآن ودائما، قليلا ما يكونون على اطلاع بما يجري في العالم، بل بما يجري حولهم، لاسيما إن كانوا يعيشون كما هو الحال يومئذ، منذ ثنتين وثمانين سنة بالتاريخ الهجري، كانوا يعيشون تحت حكم ضاغط، تحت حكم جبار، تحت حكم جبري، يخنق الأنفاس ولا يترك للناس متنفسا، ولا يترك لهم مُهلة لكي يتأملوا في حالهم وحال العالم من حولهم، فإذن، لم يخبرني الوالد، ولا أخبرتني أُمي عن شيء حدث تلك السَّنة، إلا أنه جاءهم وليدٌ فرحوا به كلّ الفرح، والحمد لله. لاسيما أن الوالد رحمه الله، يومئذ عند ميلادي، كان في الخمسين من عُمره، وتزوج... يطول هذا، أو أحكي؟

د. عزام: تحكي، تفضل، يعني أنت لم تكن بِكر أبيك؟

الإمام: بلى، بلى.

د. عزام: آه، تزوج متأخرا؟

الإمام: تزوج متأخرا، لماذا؟ لحدثٍ كان وقع قبل ميلادي، ونحن ننتمي إلى أسرة تسمى آيت بيهي بالشّلحة، بلغة الشُّلوح. هذه الأسرة كان لها ماضٍ مجيد، ونجد في أوراقنا، فيما بقي، لأن بعد النكبات أصبنا، أصيب أجدادنا بنكبات متتالية من جراء الاضطرابات التي كانت في المغرب، ما بقي لنا من أوراق تُخبرنا بأن آيت بيهي هؤلاء كان لهم رجلٌ فذٌّ، معنى «فذ» في سلسلتي، وإلا فإن هناك رجالا أفذاذا في تاريخ المسلمين، يسمى عبد الله أوبيهي بالشَّلحة، كانت له سطوة، وكان ينتمي إلى الدولة العلوية، كان أحد قُواد الدولة العلوية، وكان له صِيت، وكانت له مكانة، وكانت له فِراسة، وكان رجلا صالحا على ما حكوا لنا. والله أعلم.

هذا الرجل بقي في الحكم سنوات طويلة، وامتد حكمه في جنوب المغرب حتى شمل ثنتي عشرة قبيلة، فخاف الحُكام أن يقوم بقومته وبثورته، بثورة. فنصبوا له، وانتهى الأمر إلى أن بقي هذا الإكراه، وهذا الظلم، وهذا العتو، على هذه الأسرة، أسرة آيت بيهي، ممتدة حتى زمان والدي رحمه الله. في زمان والدي كان القائد يسمي كبير القبيلة، حاكما في القبيلة: قايد. كان القائد ينوي أن يقتُله. لماذا؟ للدحائن وللكراهية التي ورثت منذ أزمنة، وكان له صديقٌ قريب من الحاكم، فأوعز إليه أن يفرَّ، أن يخرج من البلد، فخرج. وكان من أسباب كراهية القوم له، أنه كان فارس القبيلة، كان فارسا، معنى فارس كان له فرس، ولا يكون الفرس إلا للفُتوة، للفتيان، ففرَّ هاربا من بلده، والتحق بالعسكر الفرنسي، وانتظم في الجيش الفرنسي، وكان في الخيالة، وشارك في الحرب العالمية الأولى مشاركة فعالة، لا أطيل في ذكرها، ثم عندما انتهت الحرب رجع إلى المغرب، وسكن في مراكش حيث وُلدت أنا.

تزوج من إحدى بنات عمومته، فوُلدتُ أنا في تلك السَّنة المباركة، سنة 1347 بالتاريخ القمري، و1928 بالتاريخ الآخر.

د. عزام: يعني أنتم أصلُكم من جنوب المغرب.

الإمام: من جنوب المغرب.

د. عزام: ولكن أنت ولدت في مراكش؟

الإمام: نعم

د. عزام: ونشأتَ فيها؟

الإمام: نشأت فيها، وفيها تعلمت، وفيها قرأت، غير أن الأمر الذي وقف عنده بعضُهم، يقولون أنتَ تكتب في رسالة الإسلام أو الطوفان -هي هذه في حلتها الجديدة وفي طبعتها الأنيقة الجميلة-[1] كتبتَ أنكَ إدريسي معنى إدريسي؟

د. عزام: نعم أنا قرأت أنك إدريسي

الإمام: إدريسي، قالوا أنت بربري إدريسي، تكتب للملك أنا بربري إدريسي شريف، فإنك تدعي الانتساب إلى إدريس.

هذا جدُّنا الأعلى إدريس الأكبر، ثم بعده إدريس الأصغر، هؤلاء، وخصوصا إدريس الأكبر، فرُّوا من وقعة تسمى وقعة فخ، وقعة فخ كانت نكبة لآل البيت، وفخ هذه قريةٌ قُرب مكة، مكة المكرمة، ففروا بعد وقعة فخ، كان منهم إدريس وكان أخوه يحيى، وكان أخوه إبراهيم، فكانوا يُسامون الدولة العباسية «العباسيين» في الزعامة، فكانت الحكومة القائمة تكرههم، ففر إدريس إلى المغرب وذهب يحيى وإبراهيم إلى المشرق وكانت لكل منهما سلالة وذرية. فإذن إدريس جاء إلى المغرب، المغرب يومئذ كانت فيه قبيلة تسمى أوربة.

د. عزام: هذه بربرية؟

الإمام: شلحة، كلمة بربر هذه يقف عندها بعضهم يقول: بربر هذه تشبه بربروس، بربر في اللغة الأجنبية يعني متوحش.

د. عزام: إيش الأفضل، شَلْح؟

الإمام: شلح أو أمازيغي أو... لأن بعض الناس يظنون أن البرابرة قوم متوحشون، البرابرة لهم ماض ولهم حاضر ولهم آداب ولهم ولهم.. إلى آخره.

د. عزام: فتزوج من امرأة أمازيغية؟

الإمام: نعم، من أبناء عمومته، فجئتُ على قدرٍ، والوالد في سن متقدمة، والأم في مراكش، وهي شلحة، وهي بربرية، فولدتُ في هذه الأسرة.

---

(1) يحمل الإمام في يده نسخة من الرسالة.

د. عزام: ظروف النشأة، ذكرتَ لي أن والديك رحمهما الله كانا أُمِّيين، إذا مَن الذي أثر فيك من الناحية العلمية الثقافية، كيف حصلت المؤثرات؟

الإمام: هذه آت إليها خطوة، خطوة...

كان الفضل لوالدي رحمه الله، عندما أرسلني إلى زاوية يعلمون فيها الأطفال، ويعلمون فيها الكبار، كانت مدرسة علمية متكاملة، الأطفال من أربع سنوات، أظن أنني ذهبت إلى الأحضار باللغة المغربية في الرابعة تقريبا أو الخامسة، فكان الفضل علي في تعلمي رجل يُسمى محمد المختار السوسي[1]، هذا محمد المختار السوسي واحد من رجالات المغرب، بل من رجالات الإسلام. كان علَّامة، كان مؤرخا، كان فقيها، كان أديبا شاعرا، وهيهات أن يفهم أمثالنا شعره أو يلحقوا بشعره. فهذا الرجل لا أطيل في أصله ووالده وكيف كانت هذه الزاوية وكيف تحولت، هذا يطول بنا.

د. عزام: نعم، عندما تقول زاوية تقصد صوفية؟

الإمام: نعم، نعم، كان والده الحاج علي، رحم الله الجميع، شيخا صوفيا، وكان هذا الولد محمد المختار السوسي رجلا متصوفا، يعني صوفيا، وهذه الكلمة الآن أُلحقت بها نعوت تنفر الناس منها، عند كثير من الناس معنى صوفي أنه بدعي أنه كذا وكذا وكذا، وهذا يرجع إلى جهل الناس بما هو التصوف في الإسلام، وهو الزهد في الدنيا والتوجه إلى الآخرة والاستعداد للقاء الله عز وجل، والإكثار من الذكر ومن تلاوة القرآن وحفظ القرآن إلى آخر ذلك.

د. عزام: طيب نرجع إلى السوسي،

(1) عالم ومؤرخ وأديب ومناضل سياسي، ولد في قرية دوكادير بإقليم تيزنيت سنة 1318هـ/ 1900م. وتوفي بالرباط ودفن بمقبرة الشهداء سنة 1383هـ/ 1963م. انتقل إلى مدينة مراكش أول سنة 1338ه، وسكن في كلية ابن يوسف، متفرغا للقراءة والتحصيل والأخذ عن كبار علمائها. وانتقل أيضا إلى فاس والبيضاء والرباط، شارك في تأسيس الحركة الوطنية المغربية، وتعرض للتضييق والاعتقال والحصار والنفي. وتولى منصب وزير الأوقاف في أول حكومة وطنية تأسست بعد الاستقلال(07/ 12/ 1955م)، ثم منصب وزير بمجلس التاج (1956-1963)، له مؤلفات غزيرة... انظر المنوني، محمد. حياة فقيد المغرب محمد المختار السوسي، ضمن كتاب «لبّ الفوائد فيما قيل في تأبين العلامة رضى الله محمد المختار السوسي من كلمات وقصائد»، لرضى الله عبد الوافي المختار السوسي، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 2013م، ص:90.

الإمام: المختار السوسي كان والده بنى زاوية في حي بمراكش يسمى حي الرميلة، وبالمناسبة هنالك ديوان شعري للمختار السوسي سماه «الرميليات»، نسبة إلى تلك الحومة التي نسكن فيها، إلى ذلك الحي الذي كنا نسكن فيه.

وأذكر أنني حضرتُ لبعض تلك الرميليات، صحبني الذين كانوا يعلمونني القرآن في رفقة المختار السوسي رحمه الله إلى حفلة كانت تُعقد في بعض منتزهات المدينة، في جنبات الكُتبية، قرب منار الكتبية، وكان يجتمع هو والحاذقون من تلامذته فيتناشدون الأشعار، نشر ذلك بعدئذ في ديوان يسمى «الرميليات»، أنا حضرت يومئذ، طفل صغير، أذكر ست سنوات، أو سبع سنوات، أقل، أكثر، لا أدري. حضرتُ لبعض هذه الرميليات.

د. عزام: هل هذا الديوان مطبوع الآن، موجود بأيدي الناس؟

الإمام: أظن أنه موجود، لأن تراث محمد المختار السوسي تراث كبير جدا، فكتب التاريخ، أرخ لجنوب المغرب تاريخا مستفاضا، خاصة في كتاب يسمى المعسول في أجزاء كثيرة، وسماه معسولا، وهو الخبير باللغة العربية، الذواقة الشاعر، المعسول لأنه معسول، ففي الأول الأسلوب الذي كتب به كُتبه أسلوبٌ أدبي راقٍ، في المعسول وغيره، فنرجع. فكانت لأبيه الحاج علي زاوية في الرميلة، حوَّلها هو إلى مدرسة يُعلم فيها الناس –من صغارهم إلى كبارهم– القرآن الكريم، يتعلم مثلي أنا حين التحقت، وسني الرابعة، لا أظن أنه أكثر أو الخامسة أو هكذا، فجلستُ إلى من علمني القرآن رحمهم الله، ولهؤلاء علي فضل عظيم، بما صبروا وبما أدبوا وبما علموا، فإن خير الزاد التقوى، والتقوى في كتاب الله عز وجل. خير ما يتزود به الإنسان كتاب الله عز وجل حفظا وحفاظا وتطبيقا واقتداء وتدبرا واعتبارا. فإذا نرجع.

د. عزام: أنا من بعض ما قرأته أنك في عام 1965م، طبعا لم أفهم ما قرأته، والآن سأفهمه منك، في عام 65 كأنه من كتب يعطي انطباعا أن ذلك كان بداية التوجه الصوفي، لكن أنت يبدو لي ارتباطك بالصوفية جاء في وقت مبكر؟

الإمام: لا، لم يكن ارتباطي بزاوية أستاذي سيدي محمد المختار السوسي الذي أُكنُّ له محبة عظيمة، وأشكر له فضله عليَّ، وأسأل الله له عز وجل، ودائما أستحضره في الدعاء رحمه الله. لم يكن هنالك انتماء صوفي...كان تعلم للقرآن.

د. عزام: مجرد تعلُّم في المدرسة.

الإمام: نعم، وكان النجباء من تلامذته الذين تعلموا عنه العلم الصحيح؛ علم اللغة، وعلم القرآن، والتفسير، والحديث، وما إلى ذلك، كان هؤلاء النجباء يعلموننا نحن الصغار مبادئ اللغة العربية والنحو والصرف، ولا يزال ذلك الزاد الذي تزودته منهم رحمهم الله، منه أمتح، وإليه أرجع، وإليه أفيض عندما تذهب بي حُب اللغات الأجنبية التي خُضت فيها. قد نصل إلى هذا إن شاء الله.

د. عزام: إن شاء الله. إذاً استمر هذا الأمر في تلقي التعليم الابتدائي فما بعده إلى أن درستَ في مدرسة المعلمين؟

الإمام: لا، قَبل ذلك... أمضيتُ أربع سنوات في مدرسة، في مسجد يسمى مسجد ابن يوسف، علي بن يوسف بن تاشفين. يوسف بن تاشفين هذا من عظماء الرجال، من عظماء المسلمين بإطلاق، كان فارسا شهما، وكان مجاهدا كبيرا، وكانت له صولات في الأندلس، وأغاث دويلات الطوائف، أغاثها وكانت له جولات، كان رجلا عظيما. وهذا علي بن يوسف ابنه كان رجلا فاضلا أيضا، هذا ملك، ملك، ملوك، ولكن كانوا فضلاء.

د. عزام: كان ملكا صالحا (يضحك)

الإمام: صالح...كان ملكا صالحا

د. عزام: وسمي المسجد على اسمه؟

الإمام: على اسمه ولا يزال هذا المسجد قائما، فهذا المسجد حول إلى فرع للقرويين.

د. عزام: آه، القرويين التي بفاس؟

الإمام: نعم، فرع لها، وكانت تنافس القرويين، بما كان لها من ماض، وكان فيها علماء، ومضى فيها جهابذة ومجتهدون رحمهم الله جميعا. فأنا التحقت بهذه المدرسة، وبعد أن أمضيت في الزاوية ما شاء الله، يكون سني يومئذ في التاسعة عشرة أظن، وكنت قد تزودت بما زودني به أساتذتنا من تلامذة المختار السوسي رحمهم الله جميعا، كان لي زاد، زاد من اللغة، ومن التعلم، ومن الاطلاع، زاد لا يستهان به، فكان لي عم، وهو الوحيد المتعلم من

بين إخوته، كان لي أربعة أعمام، هم كانوا أربعة إخوة، منهم والدي وكان أميا، وعمي عبد المالك وكان أميا، وعمي عبد الله، وهذا لم أدركه، وكان أميا، وعمي هذا سعيد كان متعلما، قرأ القرآن على الطريقة القديمة وتعلم العلم في مدارس، لا أطيل في المدارس التي مر منها، فكان هذا الرجل عندما يأتي إلى مراكش يزورنا في البيت، فوجد أني قد وصلتُ إلى سنٍّ مُعينة، التاسعة عشر أو أقل من ذلك، فقال لي لماذا لا تدخل إلى «ابن يوسف»؟

د. عزام: هو الذي شجَّعك؟

الإمام: هو الذي شجعني، قلتُ له أنا أرغب في ذلك ولكن كيف السبيل؟ قال: انتظر، وكانت له صلةٌ بالمسؤولين عن جامعة ابن يوسف، كما نقول جامعة القرويين، كانت ابن يوسف تنافسها، كانوا يتعلمون من الابتدائي إلى الثانوي إلى النهائي، يعني كانت سلسلة من التعليم متكاملة، فيتخرج الرجل منهم عالما بعد أن يمضي ثلاث سنوات في الابتدائي، وأربع سنوات في الثانوي الأول، وأربع سنوات في الثانوي الثاني، وأربع سنوات في النهائي، يعني تعليم طويل.

د. عزام: يعني الجامعة؟

الإمام: الجامعة، الجامعة نعم. فقال انتظر وسأنظر، وكان له أصدقاء في الجامعة في ابن يوسف، فذهب إلى واحد منهم، فقال: إن لي ابنا يريد أن يلتحق بالكلية، فذهب بي إلى كلية ابن يوسف، وكان يومئذ رئيسَها رجل من كبار العلماء يسمى ابن عُثمان رحمه الله، فأدناني ابن عثمان إليه في مجلسه يُسائلني، وكان إلى جانبه رجل مات شهيدا رحمه الله في الأحداث التي وقعت عند الاستقلال، قتلوه يسمى أبو رقبة.

د. عزام: ليس حاكم تونس بورقيبة؟ (يضحك)

الإمام: لا، لا، لا، أبو رقبة كان علامة، فكان الاثنان يسألانني عما أعلم من العربية، فوجدا أني لا بأس من محصولي من علوم اللغة، فقالا: هذا يلتحق مباشرة بالثانوي، فالتحقتُ بالثانوي، وبقيت هنالك أربع سنوات، ثم جاءت مدرسة المعلمين.

د. عزام: مدرسة المعلمين منفصلة في مكان آخر

الإمام: من بعد، مدرسة المعلمين في الرباط

د. عزام: وانتقلتَ إلى الرباط؟

الإمام: انتقلتُ إلى الرباط

د. عزام: هذه مدرسة المعلمين كانت مدرسة نظامية حكومية؟

الإمام: كانت حكومية، وكان رئيسها فرنسي يسمى تيبيي (**Tepee**)، وكان يشرف عليها روكس[1] وهذا مستشرق معروف، ومن كبار المستشرقين. التحقتُ بمدرسة المعلمين، يعني انتقلت من جوٍّ إلى جو، كانت مراكش مدينة مهمشة، الرباط عاصمة، والذي يوجد في الرباط لا يوجد في مراكش بالطبع، فلأول مرة أدخل إلى الداخلية، أسكنوني في الداخلية.

د. عزام: في كلية المعلمين؟

الإمام: مدرسة المعلمين، ولأول مرة ألتقي بطلبة جاءوا من شتى مُدن المغرب، بل ومن الجزائر أيضا يومئذ، كان هنالك شِقان في هذه المدرسة، شقٌّ لمعلمي اللغة العربية، يقولون مُدرس، ويكتبونها بالحروف اللاتينية **Modarriss، Lettré Marocain** يعني «مغربي متعلم»، وكان إلى جانب ذلك طائفة أخرى يُعلمون ويُعدون من المعلمين للغة الفرنسية وكان لهؤلاء الشرف يسمون **Instituteur** باللغة الفرنسية يعني مُعلم اللغة الفرنسية، فاحتككتُ بهؤلاء وهؤلاء.

د. عزام: وأنت كنتَ تتقنُ الفرنسية من قبل؟

الإمام: أنا آتي إليها، هذا سؤال آخر، نعم، نعم، التقيتُ بشتى أنواع الناس، بالذين يعلمون الفرنسية والذين يعلمون العربية. هنا آتي إلى سؤالك هذا، اللغة الفرنسية استيقظتُ لها وسِني تسع عشرة سنة، وكنت يومئذ في ابن يوسف أتعلم وأجلس على الحصير، والمعلم يقرأ لنا من كراسات ويشرح لنا، جزاهم الله عنا خيرا، فكنتُ أستقل ذلك، وكان يومئذ محمد حسن صاحب الرسالة، مجلة الرسالة، محمد حسن الزيات..

(1) **Arsène Roux** مستشرق وعالم لغويات فرنسي (1893-1971) تعلم بالجزائر وعمل بالمغرب. ودرس ب **l'Institut des hautes études marocaines (IHEM, Rabat)**.

د. عزام: هنا في المغرب؟

الإمام: لا، في مصر.

د. عزام: الزيات؟

الإمام: الزيات نعم، فكنتُ أقرأ هذه المجلة بشغف وبمحبة، فكان هذا يوسع من مداركي، فكنت أطلع من هذه المجلة وغيرها عن العالم الخارجي، فقلت إنني هنا في ابن يوسف أضيعُ عمري، أي لابد أن أتعلم اللغة الفرنسية، وكانت هي المتاحة يومئذ، ولا تزال، لأنه أنتم في الشرق اللغة الإنجليزية، استعمر الإنجليز الشرق، واستعمر الفرنسيون المغرب.

د. عزام: الفرنسية هنا كانت هي اللغة الأساسية تقريبا؟

الإمام: نعم نعم هي اللغة المعتبرة، ولا تزال وللأسف الكبير لا تزال هي المعتمدة في إداراتنا وفي مرافق الحكم، لا حول ولا قوة إلا بالله.

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين كنت تحدثني عن قراءتك للرسالة التي فتحتَ أمامك آفاقا..

الإمام: رسالة الزيات. يعني قلتُ إنني أضيع عمري فوق حُصر الكلية، كلية ابن يوسف، لابد أن أتعلم اللغة الفرنسية، وعوض أن أذهب إلى المدرسة، وحفظني الله من ذلك، لأني لو ذهبت إلى مدرسة أخرى في هذه السّن المبكرة نسبيا في التاسعة عشرة لكان مساري مسارا آخر.

د. عزام: سبحان الله!

الإمام: وكان لي في الحي، قريبا من الحي، كان لي أصدقاء يتعلمون اللغة الفرنسية، ويحضرون معنا يوم الأحد، يوم العطلة الأسبوعية، يحضرون معنا ليتعلمُّوا القرآن.

د. عزام: في ابن يوسف؟

الإمام: لا، في مكان آخر، فكان منهم أصدقاء، فعمدتُ إلى أحدهم وقلتُ: علِّمني اللغة الفرنسية، علمني. فبدأ معي رحمه الله رحمة واسعة، هو مِن أقراني في السّن، فبدأ يعلمني

الحروف A B C D، التاسعة عشرة، أتعلمُ الحروف، فما فتئتُ أن تعلمت الحروف وبدأتُ أقرأ، وكان يأتيني بما يقرؤونه هم في المدرسة الفرنسية، من نصوص وأشعار وكذا، فكنت أتعلق بذلك، وإن كان مستوى متواضعا في تعلم اللغة الفرنسية، فكنتُ أقرأ له، وأقرأ ما يأتي هو من فروض وينجزه من تمارين، وما يتعلمه من نصوص أدبية، ثم أتعلق بذلك تعلقا، فلبثتُ هكذا إلى أن دخلت إلى مدرسة المعلمين.

في مدرسة المعلمين كان هنالك الطائفة المبجلة المحبوبة عند الفرنسيين **les instituteurs**يعدون ليعلموا اللغة الفرنسية، ونحن مدرس **Lettré Marocain**، يعني مغربيٌّ يعرف القراءة والكتابة، فبدأتُ أنافس أولئك الذين يُعَدون ليعلموا اللغة الفرنسية، بدأت أحتك بهم وأتعلم منهم وأجتهد، وكنت في مدرسة المعلمين، كنا نحن حوالي عشرين، كنت رتبتي فيهم الثالث، لم أكن الأول، كان رتبتي فيهم الثالث، يعني كنت مشتغلا بشيء آخر، مشتغلا بتعلم اللغات، فكان من الذين يُعدونهم ليعلموا اللغة الفرنسية من كان لهم إلمام بالإنجليزية، (منهم عزيز)، أقول له علمني اللغة الإنجليزية، آخر له إلمام بالإسبانية أقول له علمني اللغة الإسبانية، الآخر... و أذهب في يوم الأحد، يوم العطلة الأسبوعية، أذهب إلى «الجُوطية» نقول الجوطية لمكان تباع فيه الكتب القديمة والأشياء، كيف تسمون هذا في المشرق؟

د. عزام: يعني هذا سوق الكتب المستعملة.

الإمام: لا، لا، كل الأشياء المستعملة، وفيها الكتب، فكنت اذهبُ..

د. عزام: سوق الجمعة، عندكم سوق الأحد؟

الإمام: أذهبُ وأشتري من الكتب ما تقع عليه عيني، فهذا قاموس فرنسي عربي، وهذا قاموس إنجليزي عربي، وأذكرُ أنني جئتُ مرة أحمل إلى داخلية مدرسة المعلمين «وِيبستر ديكسينري» (**Webster Dictionary**)، تعرف هذا؟

د. عزام: نعم، مشهور.

الإمام: وهو ثقيل خمس كيلو أو...

د. عزام: قاموس أمريكي مشهور.

الإمام: ثقيل جدا، فجئت به إلى الداخلية، على كل حال، كان بي نهم لتعلم اللغات، وكان هذا من الأخطاء التي ارتكبتها، عوض أن أتوجه إلى لغتين، أنا لما أتقن اللغة الفرنسية ما زلت مبتدأ في اللغة الفرنسية، وأريد أن أتعلم كذاو كذا، الفرنسية والألمانية والروسية وو..

د. عزام: فتوزع جهدك بين اللغات؟

الإمام: فتوزع جهدي بين اللغات، وهذا خطأ كبير، لم أجد من يوجهني، كان ينبغي أن أبدأ بلغةٍ لغةٍ حتى أتقنها ثمَّ ثمَّ.. وكان أمرُ الله قدَرا مقدورا. ثم بعد ذلك تخرجت من مدرسة المعلمين.

د. عزام: كنتَ مختصا في اللغة العربية؟

الإمام: نعم كانوا يُعدوننا ويسموننا باحتقار مُدرس **Lettré Marocain** يعني: مغربي يعرف القراءة والكتابة، لا سيما وأن المشرف الأكبر على مدرسة المعلمين، وكان مديرا أيضا لأكبر ثانوية في الرباط، كان مستشرقا يكره العرب ويكره المسلمين....

د. عزام: هذه الفترة التي دخلتَ فيها إلى معهد المعلمين تقريبا عام 1947م، كانت أحداث في المشرق كبيرة، أحداث إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين هل كانت تصلكم أخبارها؟

الإمام: كنتُ غائبا عن كل ذلك غيابا مطلقا..

د. عزام: سبحان الله!

الإمام: لا أقرأ الصحف، ولا أهتم بالسياسة، ولعن الله ساس ويسوس، كما قال أحدهم، يعني كان اهتمامي منصرفا إلى شيء آخر، تحصيل في اللغات وتحصيل في العربية. هذا جاء بعد ذلك، الوعي جاء بعد ذلك.

د. عزام: بعد أن تخرجتَ من كلية المعلمين عملتَ مُعلما؟

الإمام: نعم، وعُينت في مدينة الجديدة، أمضيت فيها عاما، سنة كاملة، ثم نُقلت من الجديدة إلى مراكش، ولبثتُ في مراكش، في مدرسة القصَبة سنة أو سنتين، ثم نقلوني إلى

مدرسة في الكوليج، كوليج سيدي محمد في مراكش، كانت ثانوية ويلحق بالثانوية[1] مدرسة ابتدائية أُعلم فيها، وكان مدير الثانوية فرنسيا يسمى دو ڤيردان **Deverdun**.

د. عزام: يعني كان الفرنسيون يسيطرون على التعليم؟

الإمام: على كل شيء، يسمى دو ڤيردان، وعند الفرنسيين «دو» يعني تدل على النُّبل، يعني كان من النبلاء، دو كول يعني من النبلاء، هذا دو ڤيردان من النبلاء، فكان شاطرا... يخفف عني من بعض الحصص ليستغلني في شيء آخر، كان يُعد أطروحته للدكتوراه عن مدينة مراكش وهذا بحث خرج وطُبع[2]، فكان يأتيني ببعض المخطوطات بالعربية ويقول لي ترجم لي هذه وقل لي هذه...

د. عزام: فيستخدمك في الترجمة عوضا عن التدريس؟

الإمام: فيخفف عني، وهذا غش منهم، وقبل ذلك عندما كنتُ في الابتدائي كان مديرها رجل يسمى «رومازي» كان يستغلني أيضا في هذا، يأتيني بقصاصات الجرائد ويقول صنِّف لي هذه ورتِّب لي هذه، كان شأنهم هذا الاستعمار الاستخراب كما يقول بعض العلماء، استخراب منظم ممنهج، وأنا كنتُ من الذين استُخربوا وحماني الله منهم.

د. عزام: ماذا حدث بعد ذلك إلى عام 1965م هل كانت في أشياء محطات مهمة قبل أن تتوجه نحو التصوف في عام 1965م؟

الإمام: الذي حدث هو أنني، وأنا في المدرسة الابتدائية اللاحقة بثانوية محمد الخامس، بدأت أتطلع إلى الترقي في سُلم الإدارة واكتساب شهادات، يعني ديبلومات، وكان هذا بدأ وأنا في مدرسة المعلمين، وأحمد الله على هذه الأفضال، كان معي أولئك الذين يُعِدُّونهم لكي يعلموا اللغة الفرنسية، كان أحدهم يستعدُّ لكي يتقدم في نهاية السّنة إلى ديبلوم يسمى **Certificat d'arabe classique**، شهادة العربية الفصحى، فكان يقول لي هناك كذا ويستشيرني في بعض الأشياء ويسألني، فقلتُ لم لا أتقدم؟ أنا أتقدم لـ **Certificat d'arabe classique**.

(1) ثانوية محمد الخامس حاليا - بـ«باب أغمات» بمراكش.

(2) غاستون دو ﵁يردان Gaston Deverdun مؤرخ ومستشرق فرنسي، من أهم أعماله «Marrakech des origines à 1912»، «تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية»، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المعزوزي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط 1، 2012م.

د. عزام: ما دام يسألك هو؟ (يضحك)...

الإمام: يسألني هو فتقدمتُ ونجحتُ، وسقط هو، سبحان الله! ثم بعد ذلك عندما كنتُ في الجديدة، تخرجت من مدرسة المعلمين، وكان مدير المدرسة رجلا وأظنه والله أعلم يهوديا اسمه «بولي»، هذا بولي كان هو من يعلم في قسم الشهادة الابتدائية، وكنتُ أنا أعلم في خمسة أقسام، أعلمُ العربية في خمسة أقسام من التحضيري، الابتدائي الأول، الابتدائي الثاني، المتوسط الأول، المتوسط الثاني، كنت أعلم في كل هذا، كانت لي حصتان في كل يوم أو في الأسبوع، فكان هذا «بولي» قلت له في نهاية السنة إنني أطلب إليك رخصة، لماذا؟ لأنني أريد أن أتقدم إلى امتحان في الرباط: «بروفي». كنت تقدمت لـ **Certificat d'arabe classique** هنالك الدرجة الثانية «بروفي» في **Certificat d'arabe classique** قال لي بروفي **Certificat d'arabe classique** متعجبا. قال لي: اذهب، فذهبت ونجحت، وكان ذلك ما أصبح الآن يسمى كلية الآداب، كان يومئذ يسمى **Institut des Hautes Études Marocaines**، يعني معهد الدراسات العليا. فتقدمت إلى «بروفي»، و«بروفي» هي الدرجة الثانية يعني من بعد الشهادة الابتدائية، فتقدمتُ إلى هذا الامتحان وأعطاني رخصة هذا بولي، فنجحتُ، وكنتُ يومئذ أتعلم مع هذا المعهد بالمراسلة، تقدمت إليه ونجحت في البروفي، رجعت عند بولي مديري فقال لي ماذا فعلت، قلتُ له: نجحت في الامتحان، قال: وما زلت أذكر كلمته بالفرنسية يقول لي **Moi, vingt-cinq ans, je rends de bons services** أنا خدمت الدولة خمسا وعشرين سنة وليس لي بروفي، سقط فيه، وأنت نجحت في البروفي، حقد وكراهية ووو. ثم بعد ذلك عندما انتقلت من الجديدة إلى مراكش، وكان احتكاك بالناس، هيأتُ الديبلوم، الدرجة الثالثة في معهد الدراسات العليا، تسمى **Diplôme d›arabe classique** يعني ديبلوم العربية الفصحى، فهيأتُ ذلك وسقطتُ في السنة الأولى، سقطتُ سقوطا مُزريا، سقوطا حفَزني وآلمني، لكن في السنة الثانية تقدمت ونجحت والحمد لله، وكان هنالك من زملائي الفرنسيين، زملاء فرنسيون الذين يعلمون اللغة الفرنسية، وكان إلى جانبي زملاء مغاربة يعلمون اللغة الفرنسية، فأخذ القوم دهشةٌ وذهولٌ، قالوا: كيف نجح هذا في ديبلوم العربية الفصحى؟ وكان لا أذكر اسمه ملاحظ الدروس فرنسيا مليئا بالحقد، هذا فات، نجحت في هذا ديبلوم العربية الفصحى **Diplôme d'arabe classique**، وهذا خولني أن أنتقل فجأة بخطوة واحدة فأُعيِّنَ **Professeur d'arabe classique** أستاذ في الثانوي في مراكش، في نفس المعهد، فأخذ القومَ الدهشة، وعملتُ

هنالك سنوات، وكان من تلامذتي من أصبحوا وزراء في الدولة، وأصبحوا كتابا، وأصبحوا إلى آخره.

د. عزام: طوال هذا الوقت لم تكن لديك اهتمامات سياسية بعد؟

الإمام: لا أبدا، أبدا، كنت خُبزيا... الخُبزي هو الذي يعمل من أجل الخبز.

د. عزام: من أجل العيش؟

الإمام: من أجل العيش.

د. عزام: متى بدأ الاهتمام بالقضايا السياسية؟

الإمام: جاء متأخرا.

د. عزام: سبقه التصوف؟

الإمام: نعم، نعم سبقه الالتحاق بما يمكن أن يسمى بـ«الأزمة الروحية» سنة 1965م.

د. عزام: يعني أنت صار عندك أزمة روحية؟

الإمام: يسمى هذا شوقا، نسميه شوقا إلى الله عز وجل، ورغبةً في القرب من الله عز وجل، ورغبةً في التزكي والتطهر، يسمونه «الأزمة الروحية»...

د. عزام: ليس أزمة هذا بالنسبة للمؤمن؟

الإمام: يعني هذا شوق إلى الله، يقظة قلبية، هذا حدث لي في عام 1965م، وكنتُ يومئذ قد ترقيتُ من أستاذ إلى مفتش في التعليم، ويعني بعدما عُينت أستاذا في الثانوي للغة العربية، كانت هنالك إعلانات أنه ستقع مباراة لانتخاب مفتشين للتعليم الابتدائي، فتقدمت للامتحان، وسقطت المرة الأولى، ثم في السنة الثانية نجحت وأصبحت مفتشا، وعُينت في الدار البيضاء، وكانت يومئذ -الدار البيضاء- تعج بالذين يناضلون من أجل استقلال المغرب، فانتقلت وكنت مسؤولا عن التعليم الابتدائي في الدار البيضاء، في هذه الفترة تألب ضدي طوائف من المعلمين وقاموا ضدي.

د. عزام: وما السبب؟

الإمام: سآتيك بالسبب، كانوا يسمونني «هذا عمر بن الخطاب»!

د. عزام: يقولون عنك؟

الإمام: يقولون عني «عمر بن الخطاب».

د. عزام: هذا شرف عظيم

الإمام: الحمد لله، لماذا؟ لأنهم كانوا أَلِفوا من قبل أن النقط التي يترقى بها الإنسان في سلم الإدارة، في سلم التعليم تُؤخذ بـ...

د. عزام: بالرشوة؟

الإمام: نعم. وكنت أنا أرفض هذا، والله تعالى حماني منه، نسيت جزئية تكون مفيدة، أخبروني أني نجحت في التفتيش، مفتش في التعليم، وأين عينتُ؟ في الدار البيضاء، وأنا في مراكش، وكنت قبلئذ خرجت من مراكش مرة واحدة في مدرسة المعلمين، لا أعرف عن الدار البيضاء شيئا، ولا عن المغرب، وكان يومئذ مدير عام هو بمثابة وزير التعليم، المشرف على التعليم، وكان تحته مشرف على التعليم العربي، فأرسلوا إليّ على أنني عُينت مفتشا في الدار البيضاء، فقلت أنا لا أذهب إلى الدار البيضاء إلا إذا أعطيتموني سكنا إداريا، أنا لا أعرف الدار البيضاء، رفضت ثم رفضت، فطلب إلي مدير التعليم العربي أن أتحدث إليه في التلفون في الساعة الفلانية في المكان الفلاني، ذهبت إلى مكتب مفتش التعليم في مراكش، لأكلم رئيس التعليم وكان يومئذ يخاف منه ويرهب كأنه أسد.

د. عزام: وكان فرنسيا؟

الإمام: فرنسيا نعم، لأول مرة آخذ التلفون في يدي.. وأذكر هذه جيدا، فذهبت إلى مكتب المفتش، وناولني التلفون، التلفون عنده شُغْل يومي، فأنا قلبتُ ال....

د. عزام: (يضحك) قلبتَ السماعة؟

الإمام: (يضحك) قلبتُ السماعة، يقول لي هكذا يكون، فقال لي إنك عينتَ في الدار البيضاء، قلت له: لن أذهب إلى الدار البيضاء إلا إذا أعطيتني مسكنا إداريا، أنا لن أذهب، رفضتُ رفضا كاملا، وكان يسكنُ في ذلك البيت الذي عين، كان منتظرا أن يسكن فيه المفتش، ويسكن فيه رجل له باع في الإدارة، فنقلوه وأسكنوني في الدار البيضاء، فسكنت

في الدار البيضاء مفتشا، فاصطدمت بالمعلمين اصطداما وجيها، لأني كنت لا أحابي أحدا، إلا يوما واحدا جاءني واحد منهم بدجاج في يده، قبضة من دجاج فطردته، جاءني إلى البيت، رشوة رشوة..

د. عزام: يريد أن يرشيك بدجاجة؟

الإمام: بدجاج! وكان اهتمامي بالتجديد للمعلمين أنني حاولت أن أعلمهم الأناشيد على حقها وطريقها، وكنت يومئذ من الغارقين لا في السياسة ولكن في الموسيقى، بيتهوفن وموزارت وكذا وكذا، وكان لي كمان.

د. عزام: كنت تعزف الموسيقى؟

الإمام: كنت أعزفُ الكمان وكنتُ مغرما...

د. عزام: متى بدأ الولع عندك بالموسيقى؟

الإمام: في هذه السن تقريبا...

د. عزام: نحن الآن نتكلم تقريبا عن أي سنة؟ عن الخمسينات تقريبا من القرن الماضي؟

الإمام: هكذا... هكذا

د. عزام: وكنت تستمع إلى موزارت؟

الإمام: كنت أستمع، وكنت أعزف، فكنت أجمع المعلمين في مدرسة تسمى مدرسة Ballande[1]، اسم فرنسي، فيجتمعون في يوم في الأسبوع فأعزف لهم الموسيقى والنشيد... وكانت لي مكتبة كبيرة من أسطوانات بيتهوفن ووو...

د. عزام: لكن في نفس الوقت كنت ملتزما، تصلي؟

الإمام: منذ سبع سنوات أو أقلّ من ذلك جزى الله عني والديَ خيرا، وجزى الله عني الذين علموني القرآن... ويرجع الفضل إلى سيدي محمد المختار السوسي.

(1) لعل التسمية عن الجينرال Charles Ballande.

د. عزام: كيف؟ من الذي علمك العزف؟ لوحدك؟

الإمام:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا

وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالإِقْدَامَا[1]

تعلمتُ وحدي...

د. عزام: ما شاء الله عندك نهم للتعلّم!

الإمام: كنت أريد أن أتعلم كل شيء وتعلمتُ الشطرنج وكنت فيه مُقدَّما، وكان في مراكش كلها شخص واحد يغلبني في الشطرنج شريف نسيت اسمه، كان يأتي إليَّ فنلعب الشطرنج، هذا هو الوحيد الذي كان يغلبني في الشطرنج، مضى هذا وانقضى.

(1) البيت للنابغة الذبياني صاحب المعلقة الشهيرة:

نَفْسُ عِصَام سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالإِقْدَامَا
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا حَتَّى عَلاَ وَجَاوَزَ الأَقْوَامَا

الحلقة الثانية: اليقظة القلبية والتجربة الصوفية

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين، في المراجعة السابقة وصلنا إلى الحديث عن شغفك بالموسيقى، وتذكرتُ أنا أيضا في الثانوية، وقبل ذلك وبعدها بقليل، كنتُ أيضا شغوفا بالموسيقى، كنتُ نشيطا في الجمعية الإسلامية، وفي الجمعية الموسيقية، وكنت أعزف البيانو، أنت كنت تعزف الكمان؟

الإمام: أعزف الكمان نعم، كنت أعزف الكمان، وكنت بين الحين والحين، لم يكن لي بيانو في البيت، ولكن في مدة ما كنتُ أخذت بيانو من أحد الأصدقاء بقي عندي في البيت وكنت أعزف.

د. عزام: هذه الفترة التي انتقلت فيها إلى الدار البيضاء، وكنت فيها مفتشا، وفهمت منك في المراجعة السابقة بأن بعض المدرسين الذين لم يألفوا أن يمتنع الإنسان عن الرِّشى سواء يأخذها أو يعطيها بدؤوا يؤلبون عليك..

الإمام: ويهدِّدون

د. عزام: يهددونك بالقتل؟

الإمام: يقولون «سنقتُلك»....

د. عزام: هل هذه هي نفس الفترة التي حصلت فيها الأحداث التي أدت إلى الاستقلال، استقلال المغرب أم كان ذلك قبلها؟

الإمام: قبلها، قبلها

د. عزام: هذه كانت عندما نفي الملك محمد الخامس؟

الإمام: نعم

د. عزام: ثم أعيد بعد ذلك وحصل الاستقلال عام 1956م، وكنت ما تزال تعمل في الدار البيضاء في حينها، وليس عندك اهتمام آنذاك بالسياسة بعد؟

الإمام: أنا حضرت إلى الاحتفال الشعبي الذي وقع يومئذ، كانت شوارع الدار البيضاء غاصةً بالناس، يرقُص الناس ويغنون وينشدون ويهتفون: «رجع الملك»، والملك محمد الخامس رحمه الله كان رجلا شعبيا، وكان كما يحكي عنه المطلعون على الدخائل رجلا يصلي، وهذا عنوان للصلاح والخير، كان رجلا مومنا، وأما الآخرون فالله أعلم.

د. عزام: (يضحك) علمُهم عند الله، وفي تلك الأثناء أنت لم تكن لديك اهتمامات سياسية بعد؟

الإمام: تماما، بالقطع، قطعا.

د. عزام: ثم بعد ذلك بفترة جاءت هذه الصحوة الروحية التي تكلمت عنها؟

الإمام: اليقظة القلبية

د. عزام: اليقظة القلبية، ما الذي أدى إليها، حصل حدث معين مثلا؟

الإمام: نعم، حصل حدث، وهو أنني كنتُ أطلع على كل ما يمتُّ إلى التزكية القلبية بصلة، فقرأتُ كثيرا من الكتب للمسلمين والصوفية والهنادكة والبوذيين وغيرها...كنت أذهب إلى مكتبة في الدار البيضاء غاصة بالكتب، بالفرنسية خاصة، كنت أطلع على ما يقول الناس من حُب الله والتقرب إلى الله و«الحياة الدنيا لا تساوي شيئا»، هذا يتفق عليه المسلمون وغيرهم، فكان هذا همي، همي أن أبحثَ فقرأتُ مِن كتب الصوفية ما شاء الله، حتى عثرت على كُتيب من كتب التصوف الكبار، قال: إنك تُضيع عمرك إن لم تلقَ رجلا يدلُّك على الله. تكون صالحا قانتا عابدا مصليا صائما، تكون من الذين يعملون للآخرة للثواب، للأجر، لكن إن أردت القرب من الله سبحانه وتعالى ابحث عن رجل يدلُّك على الله.

د. عزام: هذا الكلام كان مكتوبا في الكتاب؟

الإمام: مكتوب في الكتاب نعم، ابحث عن رجل يدلك على الله.

د. عزام: فبدأت في البحث؟

الإمام: لا، لم أبحث، بدأت في العزم يا أبا العزائم (يضحك). كنتُ يومئذ عولت وقررت وأيقنت أنني سأنتقل للبحث عن هذا الرجل أينما كان في العالم، في الهند أو أندونيسيا

أو المالايو أو أينما كان، أبحث عنه أينما كان، وكنت أعيش انقباضا شديدا، وتشوقا لله عز وجل، ويأسا من نفسي، الحياة لا تساوي شيئا، إذا لم أعرف الطريق إلى الله سبحانه وتعالى لا تساوي الحياة شيئا، وهذه النفحة الصوفية سميها «صوفية» هي للأسف ما يفتقر إليه كثير من الدعاة، بله الآخرين يفتقرون إلى هذا، لماذا؟ لأنه جاء قوم بلباس معين وهيأة معينة، ودولارات معينة، وكتب معينة، ومرجعيات تاريخية معينة، فقالوا: الصوفية بِدعيون في أحسن الأحوال، كفار أصلا، وأنا أذكر كنتُ في مراكش جاءني شاب حضر بعض المجالس التي يُسبُّ فيها الصوفية، التصوف، الفقراء، قال لي بكل صراحة أو بكل نذالة: «أنت كافر»، قلتُ: لماذا تكفرني؟

د. عزام: قال ذلك لك؟

الإمام: نعم، شاب أعرف اسمه وأظن أنه ما زال على قيد الحياة، «أنت كافر»، لأنه جلس لا شك في جلسات يُنعت فيها الصوفية أنهم كفار، قلتُ له ألا فاشهد، أنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، سمعتَ؟ قال: سمعتُ، قلتُ: اِشهد لي بأني مسلم، وانتهى الأمر.

فإذا، كان هنالك قوم من هذه الصوفية، فأنا كنت متحرقا، كنت أشتاق بشدة إلى معرفة الحقيقة، إلى معرفة الله عز وجل والقرب منه وتنقية قلبي...

د. عزام: ووجدتَ الرجل الذي بحثت عنه؟

الإمام: أنا آتيك إلى هذه، وكان لقاءً عجيبا جدا، فخرجتُ أبحث عن هذا الكتيب لما يحصل في بالي هذا الذي قال لا بد لك من... خرجت أبحث لآخذ منه نسخة، فأذن مؤذن لصلاة العصر، وأنا أمر قرب مسجد يسمونه مسجد السوق في الرباط، فأذن مؤذن العصر، قلت أصلي ثم أذهب لأبحث في المكتبة، دخلت وصلينا العصر جماعة والحمد لله، ثم سبحت، وكنت يومئذ لا أفتر عن التلاوة وعن الذكر بشوق وفيضان قلب، وكنتُ يومئذ قبل أن نبدأ في الصلاة وصلت إلى آية لم أذكر، قلت أنا أجلس مع الناس أقرأ معهم الحزب، وهذه عادة في المغرب جيدة، بعض الناس يقولون القراءة جماعة لا تجوز، وهذا خطأ، لا تجوز القراءة جماعة إذا اختلفت فيها أصوات الناس كما جاء في الحديث النبوي أما إذا كانت مؤتلفة، وهذا شيء يختص به المغاربة والجزائريون والتوانسة، لماذا؟ لأن هنالك

وقفـاً يسمى وقف الإمام الهبطي[1]، هذا كان من علماء المسلمين في قرونٍ مضت منذ ثلاث مئة سنة أو أكثر، الهبطي جاء إلى القرآن وقال نقف عند هذه الآية، ونقف عند الآية الأخرى، فكأن الناس يقرؤون... كان الوقف، يكتبون صه، كلمة صه، معنى صه يعني أسكت.

د. عزام: صه! (يضحك)

الإمام: صهٍ أسكت نهائيا، وصهْ يعني انتظر، اُسكُت ريثما، فإذن نقرأ القرآن جماعة وهذا يختص به المغاربة...

د. عزام: بعد كل صلاة؟

الإمام: مرتين، بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب، وأحيانا في رمضان وحين الصوم بعد صلاة العصر وكان يومئذ أظن كان صوم.

د. عزام: فقرأت مع الناس؟

الإمام: نعم أقرأُ مع الناس، وكانت تلك الآية التي وقفت عندها قلت أنا أبحث في المصحف لأصححها وأبحث عن الباقي، جلستُ أقرأ في المصحف فإذا بشابٍّ جميل الصورة، نقي، يلبس لباسا أوربيا، وله لحية صغيرة هكذا، جلس عند المنبر في المحراب، وأخذ يعظ الناس، فقلت، أنا أستمع لهذا الشاب ماذا يقول، تكلم ما شاء الله حتى انتهى إلى النقطة التي أثرتها فقال: أيها الناس إنه إذا كنتم تحبون، -سبحان الله! انظر ماذا يفعل الله عز وجل ببعض بعباده- إذا كنتم ترغبون في القرب من الله ومعرفة الطريق إلى الله، فلابد لكم من رجل، فقلت في نفسي: يا إنسان كنت تستعد لتذهب إلى أقصى الأرض لكي تبحث عن رجل، فلعل هذا هو الرجل الذي تبحث عنه، وعندما كنت في يأس من نفسي، كان لي صديق مدير بمدرسة بالجبل لا يزال في قيد الحياة -سيدي علي- أرسلتُ إليه رسالة قلت له إنني أريد أن أختلي في جبل ليس فيه أنيسٌ، إلا بئر ماء وقوت تأتيني به مرة، كنت مستعدا، فقلت في نفسي أنت تستعد لتذهب لماليزيا أو للهند أو... لعل هذا الشاب، ثم قام، انتهى من وعظه وقام، فتبعته أنا وشاب آخر، ذاك الشاب فقدته أو لست أدري، قلت له تعال لنتحدث، تقول إن هنالك رجلا عارفا بالله وفي المغرب، قال وفي المغرب، قلت له: تدلني عليه، قال

(1) أبو عبد الله الهبطي واضع وقف القرآن بالمغرب، دفين مدينة فاس (ت 930هـ).

مرحبا أدلك عليه، لكن في انتظار ذلك، وأظن أنه من المفيد أن أتحدث عن لقائي بالشيخ، هذا مفيد؟

د. عزام: مفيد طبعا،

الإمام: هذا مفيد لأن الحركة الإسلامية والدعاةُ محتاجون إلى هذا، لكن هل هم يشعرون بهذه الحاجة أو لا، إنهم إذا كانوا كما يقول العرب في مَثَلهم: ويلٌ للخليِّ من الشَّجيِّ، الشجى شوكة سمك أو ما يضايق الإنسان في البلعوم، قلت: العرب تقول: ويل للخلي من الشجي، يعني الخلي هو الذي ليس له في بلعومه شجن، ليس فيه شوكة ولا شيء يشتكي منه، فالخلي يقول ما بال هذا الذي يقول أنا أحتاج إلى شيخ يربيني وأحتاج إلى مزيد من ديني، أنا بخير قرأت البخاري ومسلما، وحفظت القرآن قبل ذلك، فأنا لست بحاجة، وهذا الموقف كان شيخنا رحمه الله محمد المختار السوسي في بعض كتبه قال: وهذا أمر تضيق عنه حويصلة بعضهم، هذا شيء لا يقبل، يعني شيخا ومربيا وأذكارا وسيرا، قال: هذا أمر تضيق عنه حويصلة بعضهم، ولم يسمِّها حوصلة، حويصلة بعضهم كأنهم طيور تلقف الحَبَّ، فإذا لم يكن عند الناس رغبة في القرب من الله عز وجل والتعلُّم فيكون من نافلة القول ومن الزائد ومن الكلام الفارغ أن تحدثهم عن... إذا كانت حويصلتهم لا تتسع فمن العبث... لكن أن أحكي ما حدث لي.

د. عزام: فذهبتَ معه؟

الإمام: فذهبتُ معه، قال لي ريثما تفتح الفرصة لزيارة الشيخ تعال معنا نحن جماعة من الفقراء -هكذا يسمون أنفسهم- نجتمع ونذكر الله ونتذاكر، ريثما تفتح الفرصة تعال معنا، فكنت أغشى مجلسهم في سلا، كنت أنا أسكن في الرباط، وأنتقل إلى سلا، وكانت لي يومئذ سيارة «ميرسيديس» (Mercedes) من طراز يليق بمفتش تعليم (يضحك).

وكنتُ أنتقل على رجليَّ، ولا أستعمل السيارة، لماذا؟ لأني أذهب إلى مجلس ذكر، والخطوات إلى مجلس الذكر وإلى المسجد خطوات مباركة، فكنتُ أذهب صيفا وشتاء وبردا وقرا، أمشي على رجلي، فكنا نجتمع ونذكر الله، حتى جاءت الفرصة، كيف كانت الفرصة؟

كان إخواننا في الجزائر استقلوا، بعد ذلك الجهاد الحميد العظيم الذي قام به الشعب الجزائري، استقلوا وأرادوا أن يؤسسوا مدرسة للمفتشين،

د. عزام: عندهم

الإمام: عندهم في الجزائر، وكنت يومها أنا مديرا لمدرسة المفتشين، ترقيتُ في سلم التعليم فأصبحت بعدها مديرا لمدرسة تكوين المفتشين، فطلبوا إلى المغرب أن يبعث إليهم خبيرا، ها أنا ذا أصبحتُ خبيرا (يضحك)، خبيرا في تعليم التفتيش، قالوا تذهب إلى الجزائر، فناداني رئيسي وكان مغربيا رحمه الله، وكان في آخر عمره في هذه السنوات الأخيرة، أظن أنه مات قبل سنوات قليلة، كان يثني عليَّ، مع أني كنت معه في خصام مستمر، منذ أن اشتكى معلمو الدار البيضاء، كان هو ينادي ويقول تعالَ يا فلان يا عبد السلام ماذا تفعل مع الناس؟ ولماذا أنت قاس مع الناس؟ فإذن قالوا ابعثوا لنا خبيرا في تكوين المفتشين، مَن؟ عبد السلام، آيا عبد السلام تذهب؟ نعم، وأظن أن هذه كانت فرصة لكي ألتقي بالحسن الثاني، كي يودعني...

د. عزام: الملك؟

الإمام: الملك نعم، لأنهم يعطون هذا أهمية كبيرة، أظن، لا أتذكر جيدا.

د. عزام: يعني هو طلب أن يودعك قبل أن تذهب؟

الإمام: وهل الأمراء يودعون السوقة! لعله كان يريد أن يعطيني تعليمات أو توصيات.

د. عزام: فقابلتَه؟

الإمام: علاقة ديبلوماسية بين المغرب والجزائر أظن، فذهبتُ أركب الطيارة لأول مرة، الطائرة، وأحلِّق في الطائرة، وأنزل في الجزائر، في مدينة وِهران، وهي أقرب نقطة إلى الحدود المغربية الجزائرية، ثم لا أذكر كيف كان حتى ذهبتُ إلى العاصمة، ذهبوا بي في السيارة، وأمضيت هنالك أسبوعين، وكانت هنالك نخبة من الخيرين، من المعلمين الجزائريين الذين يهيئونهم لكي يكونوا مفتشين، فأمضيت معهم أسبوعين كاملين، وحمدت الله على ذلك. وانتهى الأسبوعان. قيل: الرحيل، الرجوع.

طلبتُ إلى المسؤول عن الترحيل، قلتُ له: هل يمكنني أن أنزل في وجدة؟ وجدة قريبة من حيث مسكن شيخي رحمه الله سيدي الحاج العباس، ورجل أي رجل، الرجل الرجل الرجل الرجل، كان رجلا رجلا رجلاً، ليس بالمعنى الدارج، ولكن بمعنى القرب من الله تعالى، والإخبات والتزكية وتربية الناس. قالوا أقرب نقطة «وهران»، نزلتُ في وهران من الطيارة أو الطائرة كما تقولون، قلت: أريد أن أذهب إلى وجدة، خرجت من المطار، فوجدت طاكسيات (سيارات الأجرة) للنقل إلى وجدة، فركبتُ وذهبت إلى وجدة، وكنت أعرف اسما واحدا في وجدة، سيدٌ كان مدير مدرسة، لعله يكون مات الآن رحمه الله، أحاول أن أتذكر، نزلت في وجدة وقلت أريد مدرسة كذا، مديرها فلان، السيد هو من مريدي الشيخ العباس رحمه الله، قالوا اركب -كان هذا مُيسرا- ركبت فوصلت إلى مدير المدرسة، السلام عليكم، وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، قال: من أنت سيدي، قل لي من أنت يا أخي؟ قلت: أنا عبد السلام ياسين، وأنبأني بعد ذلك عندما أصبحت زميلا له، مريدا معه في حضن الشيخ رحمه الله، قال: أنا فزعتُ عندما قلتَ عبد السلام ياسين، فزعتُ لماذا يبعثون إليَّ رجلا في الوزارة؟ وكنتُ يومئذ في وزارة التعليم، وكنت أتنصل منها شيئا فشيئا، لماذا يبعثون إليَّ هذا المفتش؟ ماذا جنيت؟

د. عزام: كان يظنك مبعوثا رسميا؟

الإمام: قلت له هوِّن عليك، إنما جئت أسألك عن الشيخ العباس؟

د. عزام: وأنت لم تر الشيخ العباس قبل ذلك؟

الإمام: لا، قلتُ هذه فرصة، فرصة لكي أسأل، قال: سبحان الله! الشيخ العباس هذه الليلة يروح عندنا في وجدة، انظُر إلى هذا التيسير، فذهب بي رحمه الله إلى مجلس ذكر، جاء إليه الشيخ رحمه الله، فلقيته لأول مرة، ورأيت وجه رجلٍ فقير مسكين، لا تظهر عليه أبهة ولا استعلاء، مسكينٌ بين المساكين، متواضع غاية التواضعً، فجلست معه ثلاثة أيام، أو ثلاث ليال، كنت أبيت معه في بيت صهره على بنته، يسمى مصطفى يكون مات رحمه الله، وبت معه ثلاث ليال، فتعرفت إليه عن قريب، عن كثب، نبيت وفي المساء نذهب لمجلس الذكر، فكان هذا أول لقاء لي به، بعد لقائي بالشيخ رجعت شخصا آخر، مكهربا، في عالم آخر، في عالم آخر، أتذكر أسوق السيارة المرسيديس وأنا في...

د. عزام: محلق في الآفاق؟

الإمام: في الآفاق، وأحمد الله على ذلك، فكان هذا أول لقاء.

د. عزام: وأدركتَ حينها ما قيمة ما قرأته من قبل وما قيمة ما قاله الشاب أنك تحتاج إلى شيخ يوصلك إلى الله؟

الإمام: نعم، نعم، أدركت ذلك، وما قاله، وما يقوله الصوفية كلهم، الصادقون منهم السنيون منهم في كتبهم وفي مدارسهم، هذا شيء مفروغ منه.

د. عزام: الشيخ العباس كان على الطريقة التيجانية؟

الإمام: لا، هو قادري، من ذرية الإمام عبد القادر الجيلاني، وكان والده يسمونه المختار بودشيش[1].

د. عزام: وتنسب إليه الطريقة البوتشيشية؟

الإمام: معنى بودشيش، كان رجلا متواضعا، وكان رجلا زاهدا، وكان سيدي علي بودشيش جد سيدي العباس، والده كان رجلا مجاهدا، جاهد الفرنسيين عندما حاولوا أن يدخلوا إلى المغرب، جهادا مريرا، وسجنوه، وعذبوه...

د. عزام: وأصلا لم يجاهد ضد الاستعمار في القرن التاسع عشر إلا الصوفية. كانوا هم حملة لواء الجهاد في السودان وفي ليبيا وفي الجزائر وفي الهند وفي كل مكان...

الإمام: وناهيك بما فعلوا مع المختار السنوسي، وما فعلوه في إفريقيا، هذه صفحة أخرى، فإذا هذا سيدي الحاج العباس عرفته ورجعتُ في عالم آخر، رجعتُ لكي ألتحق بمجالس الذكر في سلا، لكن بعدما امتحت واستقيتُ من معين..

د. عزام: كم بقيت عنده؟

(1) كان رجلا صوفيا زاهدا ومجاهدا ضد الاحتلال الفرنسي إبان دخوله إلى وجدة عام 1907م، وقد اعتبرته فرنسا «المحرض الأساسي لحركة مقاومة بني يزناسن»، ولا يزال يجاهد رحمه الله في قيادة بني يزناسن حتى ألقوا عليه القبض بقيادة الجينرال ليوطي يوم 30 نونبر 1907م، وقاموا بتدمير مقر الزاوية البوتشيشية. توفي رحمه الله سنة 1914م.

الإمام: ثلاثة أيام بلياليها، أبيتُ معه في بيت صهره، وعند العصر نذهب عند رجل كان له دكان يبيع أواني النحاس يسمى ابن عاشور يكون مات رحمه الله، فأظل أنا وإياه في هذا الدكان في مكان ونتحدث، يعني كان لي لقاء كامل مع شيخي.

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين، من ضمن ما قرأته، أن بعد وفاة الشيخ العباس بدأت تلاحظ تغيرا، بدأت تلاحظ ممارسات لم تقرها، لم تعجبك، هذا صحيح ما قرأته؟

الإمام: هذا صحيح، هؤلاء القوم أنا مدين لهم بكل فضل وبكل خير، آووني عندما كنت شريدا في بيداء الغفلة عن الله عز وجل، فأنا أُحبهم وأحب الشيخ سيدي الحاج العباس وأحب ابنه سيدي حمزة، سيدي حمزة كانت لي به صلة وثيقة جدا، أطال الله في عمره، كانت لي به صلة وثيقة جدا، وكنت من المقربين إليه، وأذكر أنه كان له ابن في مدينة أخرى، لا أذكر اسمها، كنت أرحل أنا وإياه لكي نتعشى عند ابنه، يعني كانت صلة حميمة، وكنا نمضي الأوقات الطويلة، فأنا أحبُّ هذا الرجل.

د. عزام: لكن ما الذي لفت نظرك؟ ما الذي جعلك تلاحظ عليهم ملاحظات؟

الإمام: الذي لاحظت، لاحظت على الفقراء شيئا، وهو أنهم يندفعون مع الحال، الحال معناه، أو قل الجذبة، عندما يحمى الذكر، يعني الذكر، الذكر، الذكر، فيقومون للرقص، يسمون هذا رقصا صوفيا، هذا حال، فكانوا يتعبون في هذا الحال، فإذا أذن للصبح تجد القوم نياما.

د. عزام: لا يقومون للصلاة؟

الإمام: لا يقومون للصلاة، فأنا أقول، الصلاة الصلاة هي الأساس، فسموني عبد السلام الشريعة، لأنني أذكرهم بالشريعة، والحقيقة الصلاة الصلاة، وهذا اجتياح لأبناء الدنيا...

د. عزام: هذا بعض ما يؤاخذه الناس على الذين يُؤْثرون ما يسمونه الحقيقة على الشريعة، الشريعة أصل في الدين يعني كيف يمكن أن..؟

الإمام: لا، لا، هنالك باطل، الحق هو الشريعة، والأمور الأخرى، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، الله تعالى يفتح للناس في عالم الإدراكات الغيبية، فهذا شيء، ولكن

الشريعة، من فرَّط في الشريعة فقد زلقت قدماه وذهب وانقضى، فلهذا كانوا يكرهونني، وهذا واحد من الأسباب، والسبب الثاني هو أن هنالك القاضية التي قضت على الناس، وهو الميل إلى السلطان، ومن قبله السلطان، ومن له نفحة من سطوة السلطان

د. عزام: هم مالوا إلى السلطان؟

الإمام: لا، لا، فكانوا هم، أقول أناس ذووا نيات حسنة، وكانوا يستدعون لبعض المآدب التي كان ينتظر أن يكون فيها الفقراء والمحتاجون، ينادون عِلية القوم، معنى علية القوم ما كان.... فكنت أنا أشمئز من هذا ولا أحبه. فإذن هناك عاملان، هذا ثم الصلاة الصلاة.

د. عزام: فماذا فعلت بعد ذلك؟ أخذت طريقا مستقلا؟ انتهجت نهجا آخر؟

الإمام: (يضحك) هذا يأتي مع الإسلام أو الطوفان.

د. عزام: ما قصته؟

الإمام: قصته أنني كنتُ أخاف وأنا عزمت أن أقول كلمة حق عند سلطان جائر، لألتحق بمن وعدهم الله عز وجل بمكان أعلى، يعني هم مع السلطان الجائر أو مع بعض الناس أصحاب السلطان، فأنا قلت: أقول كلمة حق عند سلطان جائر، فأكون مع سيد الشهداء إن شاء الله.

د. عزام: إن شاء الله

الإمام: وأنا خشيت أن ينالهم سوءٌ بموقفي هذا، فكتبتُ رسالة إلى الشيخ سيدي حمزة، وأنا أعتبره صديقا وأخا ومحبا ووو، كتبتُ إليه رسالة نسيت كيف هذه الرسالة، ولعلها نُسيت أو ضاعت، لكنها لم تضع من ذاكرتي، قلت له يا أخي: إنني كنت في الزاوية، وأحسنتم -ما مضمونه- أحسن الله إليكم، لكنني أخشى أن تؤذوا من جانبي، فأنا أقول لكم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. عزام: آه آه آه... أنت لأنك كنت تريد أن تأخذ هذه الخطوة؟

الإمام: نعم وخشيت أن...

د. عزام: أردت أن تنأى بنفسك... أم؟

الإمام: فبدأت... كتبت هذا «الإسلام أو الطوفان»، وكان الفضل الأعظم فيه بل الفضل الوحيد بعد الله عز وجل لصاحبي سيدي محمد العلوي وسيدي أحمد الملاخ وهما مريضان أسأل الله لهما الشفاء والمكافأة الجزلى عند الله عز وجل، فكنت أكتب، كتبته على أيام، ما كتبته كما هو الشأن في كتبي الأخرى، كنت أتناول القلم وأكتبه من أوله لآخره، هذا كنت أكتبه، كل مرة أكتب كراسة.

د. عزام: على مراحل...

الإمام: على مراحل، وكنت أدفعه للملاخ ولسي محمد العلوي، فذهب الملاخ إلى الدار البيضاء واشترى مطبعة، آلة للطباعة بدائية..

د. عزام: الآلة الكاتبة؟

الإمام: لا، مطبعة، مطبعة، يعني تطبع... يعني تصفف فيها الحروف...

د. عزام: مطبعة عادية... مطبعة رسمية...

الإمام: لا، صغيرة جدا، يعني كان يصفف الحروف سيدي محمد الملاخ، يعني أنه إذا أردت أن تكتب قال، يجب أن تبحث عن القاف، أين هو القاف وضعناه بالرصاص، ثم أين الألف ثم أين اللام، هو يتعلم، لم يكن له عهد بهذا، فأمضى في ذلك وقتا كثيرا، جازاه الله عنا خيرا، وهو الآن مريض، نسأل الله له الشفاء، فكان هو يصفف الحروف، وكان محمد العلوي يطبعها، فكانت مائة صفحة في هذا الكتاب.

د. عزام: هذا رسالة موجهة إلى الملك، تقول له: إما الإسلام أو الطوفان، باختصار؟

الإمام: نعم رسالة موجهة إلى الملك، نعم هكذا، ولكن خاطبته خطابا جميلا، لأن الله تعالى قال: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولاَ لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه:43-44)، فما بالك برجلٍ مسلمٍ ويقول: من ذرية النبي الله ﷺ؟

د. عزام: أمير المؤمنين؟

الإمام: أمير المؤمنين... قلتُ: بدأتُ الرسالة: يا حبيبي يا حفيد رسول الله هلُم إلى كذا، إلى توبة عمرية، وافعل ما فعله عمر ابن عبد العزيز...

د. عزام: ولكنك سُجنت بعدها، لم تكافأ؟

الإمام: كان ما كان...

د. عزام: هل أُرسلَت أولا إلى الملك أم نشرت؟

الإمام: أكملناها، وطبعناها فيما شاء الله من النسخ، وكنا خططنا لذلك، فذهب العلوي والملاخ، ذهبا في سيارتهما بعدد من النسخ إلى الدار البيضاء وإلى سطات وإلى مدن أخرى، فأودعوا في البريد نسخا موجهة إلى فلان وفلان، ممن كنا قد أعددنا عناوينهم من دليل الهاتف، دليل الهاتف فيه فلان طبيب فلان معلم فلان أستاذ... يعني ننتقي المثقفين، فإذن هم يرسلون من سطات ومن الدار البيضاء ومن مدن أخرى، لكي لا يعرف الناس أن هذا أمر مبيت ومنظم...

عزام التميمي: وهو منظم؟

الإمام: وهو منظم، حتى إذا فرغا من شأنهما رجعا إلي، فأرسلت بنسخة إلى الملك على يد العامل الوالي...

عزام التميمي: سلمتها للوالي وقلت...؟

الإمام: لا، أرسلتها له بالبريد، قلت له هذه نسخة توصلها للملك... فيها هذا الكلام...

د. عزام: لماذا غضب الملك؟ ما الذي أغضبه فيها؟

الإمام: لأنه من يجرأ أن يقول للملك؟ من يجرأ أن يتحدث مع الملك؟ وهذا من المصائب العظمى التي استولت على المسلمين منذ نزوة -أو انتزاع- بني أمية على الحكم، منذ أن انتُهكت حرمة الإسلام، وانتقلت من خلافة على منهاج النبوة إلى مُلك عاض، فمُلك جبري، من يجرأ أن يقول هذا؟ لا يجرأ أحد، وانتظرت، وكان لي صديق يسكن بجواري في الداوديات في مراكش، حي يسمى الداوديات، قلت له: هذه بضعُ نسخٍ تساعدنا على نشرها،

فقرأ النسخة وردها إلي، وقال لي: جزاك الله بخير أعفني من هذا، أنا لا أقدر، لا طاقة لي بهذا الأمر.

د. عزام: خشي على رأسه أن يطير؟

الإمام: فإذن وصلت المسألة إلى الأخرى وانتظرت، وعلى ما يقول الناس كنت لبستُ كفني وكذا، أظن أن هذا فيه مبالغة. لكن التهييء أنني هيأت شَنْطَتي (حقيبتي)، وفيها ما يلزمني، وأستعد وأنتظر، في الساعة العاشرة صباحا من ذات يوم، جاءت سيارة مستشفى أو مشفى لتنقلني، وجاء معها قوم على هيئة ممرضين.

د. عزام: هم ليسوا ممرضين؟ هم رجال أمن؟

الإمام: هم أمن نعم. لكن جاؤوا بالسيارة الرسمية للمستشفى، فقالوا: انزلْ، نزلتُ إليهم، اركبْ، فركبتُ معهم، فذهبوا بي إلى مستشفى الأمراض الصدرية، ولعلّهم قالوا: هذا سنستريح منه، هنالك السُّل والمسلولون، وأسكنوني في غرفة مع المرضى بالأمراض الـمُعْدية.

د. عزام: أدخلوك المستشفى؟

الإمام: نعم، نعم.

د. عزام: وأنت لا تشكو من شيء؟

الإمام: نعم، أشكو من أنني كتبت، وفي مرحلة أخرى صرت أحمق.

د. عزام: أرادوا أن تنتقل الجراثيم إليك فتمرض؟

الإمام: قلتُ لعلهم، ولكن لا شك، لا شك.

د. عزام: عجيب... عجيب!

الإمام: لكنني انتفضت بعد ثلاثة أيام، سكنت في ذلك البيت، وكانت عفونات، وكان ذلك شيء قذر، لا يوصف ولا يذكر، فأنا انتفضت بعد ثلاثة أيام، وقلت للمسؤول: أنا

سأهرب من هذه النافذة، لا أطيق المكث هنا، فبلغوا المدير واتمروا، وقالوا: نحن نسكنه في بيت غير هذا، فنقلوني إلى مسكن محترم في نفس المستشفى.

د. عزام: في نفس المستشفى؟

الإمام: في نفس المستشفى، ولكن معزول، يعني بيت الأضياف، عندما يأتي أطباء من الخارج يسكنونهم في ذلك البيت، أسكنوني في ذلك البيت المريح نسبيا، أقول نسبيا.

د. عزام: دو لوكس؟

الإمام: دو لوكس... نعم...

د. عزام: وطال بك الوقت هناك؟

الإمام: لا، لا، جاءني كوميسير، يعني ضابط شرطة، أو رئيس الضباط، ما تقول في كوميسير؟

د. عزام: مُفوض؟

الإمام: مفوض الشرطة، أنا أذكر اسمه «المنجرة»، جاءني وجلست إليه، كنا ثلاثة في كراسٍ، وقال لي إن الملك يريد أن يلتقي بك وأن يحدثك، انظر كيف توالدت الأفكار عند الحاكمين؟! قلت له كلاما لم أفكر فيه ولم أعده، لكن نطقت به، قلت له: إذا أراد الملك أن يتحدث إليَّ فليبعث إليَّ برجل عاقل لأحدثه في الموضوع.

على كل حالٍ بقيت في هذا المسكن، فكان الجواب ما تسمع عن الرجل العاقل، بقيت في بيت الأضياف المريح، ما شاء الله، وكان يتناوب عليَّ من الحراس، الأبيض والأسود والبربري والعربي، وكان منهم ناس فضلاء على كل حال، وكان منهم السكير الذي تفوح منه رائحة الخمر، عفا الله عن المسلمين، بقيتُ هنالك ما شاء الله، وذات ليلة جاءني قال غدا ستنتقل، هذا هو الجواب، الرجل العاقل هو هذا، يعني لما تقول ابعث لي برجل عاقل أنت أحمق، أنا بعثتُ لك مفوضا وأنت تقول... قال غدا ستنتقل في الساعة الفلانية، فنقلوني إلى مستشفى المجانين رأسا...

د. عزام: هذا لأنك طلبت رجلا عاقلا؟

الإمام: يعني تسلسل منطقي، مستشفى المجانين، فذهبوا بي إلى مستشفى المجانين، وأسكنوني في «دخشوشة»، تعرف دخشوشة؟

د. عزام: زقاق أو غرفة؟

الإمام: لا، كانوا في الحرب العالمية العظمى الثانية، كان هناك جنود يسكنونهم في هذا ال...

د. عزام: العنبر...

الإمام: لا، لا، فضاء فسيح، وكان خربا، خرب ذلك منذ سنين منذ الحرب العالمية الثانية... فكانت هناك دخشوشة من هذه الدخاشيش أسكنوني فيها، أسكنوني فيها، كان فيها سرير حديدي بسيط جدا جدا وكان صنبور ماء، وكان الحراس يتناوبون، وكنت إذا أردت الاستحمام لا بد أن أطلب الإذن من مدير المستشفى، ومدير المستشفى كان مراقبا عاما، وكان رجلا فظا غفر الله لنا وله، وعاملني معاملة قاسية، فكنتُ أستحم في غرفة مجانين، كانوا يخلون لي ذلك المكان...

د. عزام: وكان معك في نفس المكان مجانين؟

الإمام: نعم، كان معي مجانين كثيرون، وكنتُ أراهم مرة في الأسبوع عندما أريد أن أستحم، لا بد أن أمر عليهم، فكنتُ أرى من المشاهد ما تقشعر له الجلود.

د. عزام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

الإمام: لباسٌ ووسخٌ وبردٌ وإهمالٌ، تلك أيام مضت، مضت تلك الأيام فمكثتُ هنالك ثلاث سنوات.

د. عزام: ثلاث سنوات وأنت في مستشفى المجانين؟

الإمام: ثلاث سنوات، وكنت أمضيت سنة ونصف من قبل في مستشفى الأمراض الصدرية.

د. عزام: يا سلام! سنة ونصف ثم ثلاث سنوات؟

الإمام: لا، المجموع ثلاث سنوات ونصف.

د. عزام: المجموع ثلاث سنوات ونصف، إذن سنة ونصف، وسنتان، هذا اعتبر سجنا لأنك سجنت، لأنه اعتقال؟

الإمام: سجن أو اعتقال.

د. عزام: لكن إذا كان الملك يريد أن يتكلم معك لماذا لم تذهب وتكلمه؟

الإمام: يعني لأنني أنا أعرف أن الحديث مع الملك، وإذا أردتَ أن تذهب إلى الملك ينبغي أن تُقبِّل اليد والرِّجل والكتف، بل وأن تسجد وتركع! وأنا غير مستعد لهذا. لعلك لم ترَ في التلفزيون المغربي كيف يُصلي الناس للملك! هنالك صلاة خاصة في الحفلات فيها ست ركعات، يركعون أمام الملك. وأنا لم أكن مستعدا لهذا. فيقولون: «الله يبارك في عمر سيدي»، ويركعون، والناس في لباس أبيض، وهم «علية القوم»: الحكام والمفوضون والجيش، كل الناس يلبسون ذلك اللباس المخزني الرسمي...

د. عزام: وكأنهم في محراب؟

الإمام: كأنهم في محراب.

د. عزام: ولكن هذه الرسالة انتشرت انتشارا واسعا وقرأها الناس بشغف؟

الإمام: بعض الناس وبعض الناس ردوها إليَّ، ردوها في البريد.

د. عزام: لم يريدوا أن يطلعوا عليها؟

الإمام: وكثير منها وقعت في أيدي البوليس، بعد أن مضى هذا العهد وخرجت من السجن، ومن مستشفى المجانين، ومن كذا، ذهبت عند القوم في الكوميسارية في مفوضية الشرطة، وقلت لهم أعطوني نسخا من رسالة الإسلام أو الطوفان، فذهب بي أحدهم إلى مكان ما في المفوضية، ورأيت هنالك نسخا كثيرة رجعت، ولكنه منعني من أخذها فذهبوا بها، هذه النسخ الأصلية لها قيمة تاريخية.

د. عزام: لا يوجد منها شيء الآن؟

الإمام: ممكن، من كانت له نسخة يحتفظ بها.

د. عزام: بالمناسبة هذه تذهب إلى المتحف الآن لها قيمة تاريخية.

الإمام: الإسلام أو الطوفان، وإن كانت صففت تصفيفا رديئا وطبعت طبعا رديئا.

د. عزام: هذه النسخة (نسخة جديدة) طُبعت حديثا؟

الإمام: نعم هذه النسخة طُبعت طبعة جديدة وكتب لها أحد من إخواننا مقدمة.

د. عزام: وطبعت بإذن أم بغير إذن؟ لا مشكله لها في طبعها؟

الإمام: لا، كُتبنا لا تطبع إلا في خفية ويغضون الطرف أحيانا، وأحيانا يتجرؤون وكذا، لعله لو قرأت هذا النداء الأخير، لأنني شفعتُ الرسالة بنداء إلى عامة الناس، تقرأها؟

د. عزام: أرني هذا النداء، سنقرأه في مطلع المراجعة القادمة لأن وقت هذه المراجعة انتهى. لكنني سأبدأ المراجعة القادمة بتلاوة هذا النداء إن شاء الله.

الإمام: إن شاء الله.

الحلقة الثالثة: رسالة الإسلام أو الطوفان وتبعاتها

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين توقفنا في المراجعة السابقة عند الإسلام أو الطوفان، أريد أن أرجع إليه ولكن قبل ذلك أريد أن أرجع بك قليلا إلى الوراء، قبل الإسلام أو الطوفان حينما كنت ما تزال في الزاوية، كتبت كتابا ضخما «الإسلام غدا»، الذي يُهيئ إليَّ أن ذلك كان بداية اهتمامك السياسي أو بداية اهتمامك بشؤون ما كان يجري، ولذلك كتبتَ هذا الكتاب؟

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، نعم كتب هذا الكتاب ولم يلق قبولا في أوساط الزاوية.

د. عزام: لم يلق قبولا؟

الإمام: لم يلق قبولا في أوساط الزاوية، لأنه هذا كلام فيه حديث عن السياسة، وعن الحاكمين والمحكومين، وكما قلنا في جلسة سابقة كان هنالك ميلٌ لمهادنة الحكام، وهذا شيء لم نكن نقاسمه إخواننا جزاهم الله عنا خيرا ورحمهم الله، من مات منهم، ورضي عن الباقي. فكان هذا الكتاب هذا وضخامته في نحو ألف صفحة؟

د. عزام: 1000 صفحة تقريبا.

الإمام: كان من قلة فقهي في النشر، من يقرأ كتابا بهذا الضخامة؟ من يقرأه؟ من يستطيع أن يجلس إلى كتاب مثل هذا؟ بعد ذلك أصبحت أكتب شيئا مثل هذا صغير يمكن أن يستوعبه الإنسان، لا سيما في الزمن الحاضر، قد ابتلي الناس بالأنترنيت وبالفضائيات وبالمصور والمقروء والصوت والصورة، فليس هنالك استعداد لنفتح كتابا بهذا الوزن أظن أن له وزن ثِقل في الميزان.

د. عزام: هل كان الكتاب سببا من أسباب الفراق بينك وبين الزاوية؟

الإمام: كنت في مرحلة التميز، في مرحلة التميز عن أصحاب الزوايا وعن المذهب الصوفي، لا أقول الصوفي بنبز الصوفية، لأنه كان فيهم مجاهدون عظام كرام، في ليبيا مثلا وغيرها كانوا مجاهدين في سبيل الله، لكن هنالك استكانة للحكام فأردت أن أتميز عن ذلك، كنت في مرحلة بين مرحلتين على القياس.

د. عزام: لكن حُسِم الأمر بالإسلام أو الطوفان، لأن هذا رسالة واضحة؟

الإمام: الإسلام أو الطوفان كان قطيعة نهائية، وأنا قلت في جلسة سبقت، أنا كتبتُ رسالة للشيخ حمزة قلت له: «هذا فراق بيني وبينك».

د. عزام: حتى لا تحملهم وزر ما سيحدث؟

الإمام: حتى لا يتحملوا ما لا يطيقونه.

د. عزام: المتعارف عليه عند كثير من الناس أن الصوفية انقطاع عن الدنيا وعن انشغالاتها، واهتمام بالآخرة وما يؤدي إليها، ويظن هؤلاء بأن الذي يهتم بأمور الناس وبالسياسة وبالحكم يكون قد خالف ما تُعورف عليه.

الإمام: نعم هكذا، بعضهم هكذا يظن، وهكذا يفكر، وهكذا يدرك الدين، لكن إذا ذهبنا صُعُدا إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فكانوا مجاهدين وكانوا قوامين وكانوا زاهدين، وتتمثل الأسوة الكاملة في الرسول ﷺ، فإذا كان من شيء بقي من هذا الكتاب فلأنه كنتُ أشرت إلى خصال عشرٍ، أولها الصحبة والجماعة مجتمعين، بينما عند السادة الصوفية، صوفية الزوايا، الصحبة منفصلة عن الجماعة، لا شأن لهم بالجماعة، لا في الجماعة الصغيرة (الدائرة الصغيرة) ولا في أمر المسلمين، بعضهم. ثم الذكر والبذل، والأخلاقية أنا متفق معهم. فكان هذا مفصلا هناك. رجعت إليه فيما تلا من كُتب، الإسلام أو الطوفان أشرتُ إلى هذا بإيجاز.

د. عزام: «الإسلام أو الطوفان» ذيلته برسالة واتفقنا في المراجعة السابقة أن نقرأها؟

الإمام: نعم

د. عزام: إنه نداء لمن أرسلت إليهم هذه الرسالة المفتوحة، وعنوان الكتاب «الإسلام أو الطوفان: رسالة مفتوحة إلى ملك المغرب»، وينتهي الكتاب بنداء تقول فيه: «أيها المؤمنون يا أمة رسول الله يا رجال الدعوة، أنتم الذين تفتت أكبادكم لما ترون من ضياع دين الله في

هذه الأرض، أنشدكم الله ورسوله، أن تُنهوا كل خلافاتكم المذهبية، وتهجروا من يزعم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتمثل في تكفير المسلمين والتسلط على عامة المؤمنين في المساجد، فإذا صعد أحدهم المنبر حيى أعياد الملك الوثنية وسبح بحمد الطاغوت».

الإمام: وهذه نقطة مهمة جدا لأن من استغباء الناس واستجهالهم، والضحك على عقولهم، أن هنالك مقدسات، وهذه وثنية «الله والوطن والملك» فنحن نعبد ثالوثا لا نعبد الله وحده، شرك. المقدسات، وكانت هنالك أحداث لمن سجن من عذب ومن.. لأنه مس بالمقدسات، حتى أن بعض الناس كانوا يسخرون من أصحاب الجرائد، كانوا يسخرون بهذا التقديس الذي لا نهاية له، فيقولون مثلا الأحجار المقدسة، لا تتحدثوا عن قصر من القصور لأن هذه الأحجار مقدسة، وكانت هنالك مِحَفة، محفة من عادات المغاربة يحملون العريس والعروس في المَحفة هكذا احتفالا، فهذه المحفة أصبحت مقدسة... الخرافات والخزعبلات، وهنالك مثقفون يسكتون عن هذا، وهنالك من يغْشَون المساجد ويكفِّرون بدون حدود، تكفير بدون حدود.

د. عزام: وتقول فيها «اجمعوا كلمتكم بعدي إن قضى الله أن يكرم عبدا من عباده قال قولة حق عند سلطان جائر، واجمعوا كلمة الأمة حتى تقدروا على أطر كل باغ على الحق أطرا، ثم هذه رسالتي بثُّوها رحمكم الله في الناس، من يد ليد، أو بالبريد من بلدٍ لبلد، لا تحبسوا النصيحة عن المسلمين، فإني ما دعوت إلى فتنة أو قطع رحم، بل هي كلمة الحق بالحق، واعلموا أن صاحبكم إن طرح النصيحة وماطل وراوغ ذاهبٌ أمره وصائر إلى ما يصير إليه من أخذته العزة بالإثم».

الإمام: (يضحك) وهكذا فُعِل به وبنظامه، لأن الخشية والخوف والهلع من كل ما يمس السلطان استولى على العقول، على عقول العامة والخاصة، والخاصة يسكتون عن هذا.

د. عزام: تقول «ذاهب أمره وصائر إلى ما يصير إليه من أخذته العزة بالإثم حين قيل له اتق الله، ليس لي منظمة ولا أعوان (طبعا هذا الكلام قبل أن تنشئ الجماعة)، إلا أنتم معشر المؤمنين، فإن قرأتم في رسالتي صوابا وحقا فكونوا أنصارا لله واعتصموا بالمساجد وادعوا إلى رفق الإسلام يوم تضطرب المدلهمات بقوم غافلين، وإن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب».

الإمام: وهنا أقف قليلا، كانت لنا جريدةٌ سميناها «الصبح» وفيها تذييل تحت العنوان الكبير «الصبح» فيه «أليس الصبح بقريب»، وفي هذا سُؤلت واضطُهِدت في كوميسارية البوليس، «مَن تعني بأن موعدهم، من هُم؟ موعدهم الصبح»؟

د. عزام: (يضحك) اعتبروها تهديدا؟

الإمام: نعم، «إن موعدهم الصبح» اعتبروها تهديدا وتلويحا، قلتُ: هذا واضح لا نحتاج إلى تبيين.

د. عزام: العصاة الذين يعصون الله ورسوله، موعدهم الصبح.

الإمام: فكنت أحيانا أقول هكذا، وأحيانا أشير إلى المارقين عن الدين، ومر هذا.

د. عزام: «أليس الصبح بقريب لا تسكتوا عن الحق بعد اليوم، واذكروا أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، ألا وإن الحق أمرُ السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر. فما قولكم يا علماء المسلمين؟ أئفكا آلهة دون الله تريدون؟ فما ظنكم برب العالمين؟ أخذ الله عليكم ميثاقه لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد كتمتم وسكتتم فما حُجتكم بين يدي ربكم يوم تعرضون، والموعد الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإن الإسلام غدا حق لا مرية فيه، بالحسن إن تاب وأصلح (وتقصد هنا الملك) وبادر أو بدون الحسن. صدقنا موعود الله ورسوله، وكذبنا أوهام الواهمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»

الإمام: ومنهم من اعتبر هذا الكلام إهانة للعلماء

د. عزام: (يضحك) وهو لا يُنصح العلماء؟

الإمام: اعتبروا هذا إهانة، ولم يفُتهم أن يؤلبوا علماء البلاط. هنالك دوائر ومنظمات، رابطة العلماء وهكذا، عندما كتبتُ بعد ذلك لهذا الملك الحالي رسالة باللغة الفرنسية، قاموا وكتبوا وتجنوا وتجنبوا، يعني على كل حال كانوا صوتا واحدا ضدي، بينما أنا لا أحمل في قلبي لهم ولا لعامة المسلمين إلا الرحمة والشفقة، ولا أريد لهم إلا أن يكونوا على الطريق المستقيم السوي، طريق سنة الله الذي له ما في السماوات والأرض، لكن كثيرا من الناس لا يفقهون ولا يريدون أن يسمعوا.

د. عزام: ثلاثة أعوام قضيتها معتقلا كما ذكرنا، أو ذكرتنا في المراجعات السابقة، في مستشفى الأمراض الصدرية ثم في مستشفى الأمراض العقلية؟

الإمام: نعم

د. عزام: يعني وصلنا تقريبا لعام 1977م يعني من 1974 إلى 1977م أو هكذا، ثم منعت من الخطابة، مُنعت من الوعظ؟

الإمام: سُحبت من المسجد سحبا، بعد أن خرجت من مستشفى المجانين ذهبت إلى مسجد الحي، فاستخرت الله تعالى ودخلت إلى المسجد، بعد صلاة الصبح اجتمع الناس وقمت إلى المنبر وقلت أيها الناس إن لي كلمات أقولها بالدارجة كما ينبغي وكان أمامي سيدي أحمد الملاخ أحد الأخوين الأولين في مساعدتي على هذا العمل، كان يسرد علي بعض الأحاديث وكنت أشرحها بما يناسب، في الجلسة الأولى قام الناس وأعجبهم هذا وحبذوا هذا العمل، في الغد استُدعيت إلى المفوضية إلى مفوضية البوليس، وأمرت ألا أذهب إلى المسجد مرة أخرى، مُنعت منعا كليا، ففي اليوم الذي منعت فيه، أصبح المسجد صفرا لا أحد، خوفُ الناس من السلطان، لا أحد حضر معنا، انتهت هذه الفاصلة، انتهت لكن الحكم نظام الحكم، حقود حسود، وأقولها عن دراية وعن معاناة. انتظر سنة 1984م هكذا، فلفقوا لي تهمة، فما هي التهمة؟ أنني أصدرت جريدتين إحداهما اسمها الخطاب، والأولى اسمها الصبح، كنا نتكلم عنها قبل قليل

د. عزام: ذكرتها نعم « أليس الصبح بقريب».

الإمام: فمنعوها، فأصدرنا أخرى اسمها «الخطاب»، منعوا الخطاب وزُج بي في السّجن، سجن حقيقي ليس اعتقالا.

د. عزام: للمساجين السياسيين أم للجناة؟

الإمام: للجناة، فيه سياسيون وفيه جناة، هذا كان يسمى سجن العلو، كان مشهورا بأنه سجنٌ قاسٍ من السُّجون القاسية، حُكمت بسنتين سجنا نافذا، دخلت إلى ذلك السجن سنة 1984م، كانت هنالك اضطرابات شارك فيها اليساريون، وشارك فيها عامة الناس، وكان هنالك اضطراب كبير في المغرب، فأنا التقيت هنالك في السجن بأصناف هؤلاء الشباب

الماركسيين، ولأول مرة، قبل أن أمُر، وكان جاري في الزنزانة أحدُ أقطاب ذلك المذهب، لا أسميه، كان جاري بجنبي. ولكي أُرفعَ إلى زنزانة منفردة كان عليَّ أن أناضل على ذلك نضالا مريرا، نضالا مريرا. أنا أكون في «العنبر» مع عامة المجرمين، وأمضيت الليلة الأولى، وكانت ليلة ليلاء في وسط المجرمين، والإنسان لا يجد إلا عشرين سنتيمترا كي ينام على جنبه. دون أن يتحرك ولا ولا ولا.

د. عزام: المساجين كلهم مع بعض في نفس الزنزانة؟

الإمام: في نفس الزنزانة. ورأيت هنالك عجبا، عجبا، رأيت رجلا وهاته من الأشياء التي بقيت في مخيلتي لا أنساها. في الصباح كان هنالك أحد المجرمين حقا، نهب الأموال وجمع الأموال، ليس هذا هو المهم، فكان من يُعطي الرشوة لصاحب «العنبر» المُشرف يعطيه مكانا واسعا يتوسع فيه، ولأمِّ المسكين الهبَل، يعطونك عشرين سنتيمترا فقط، عشرين تضع جنبك، هذا الرجل الثري الذي أسكنوه نفس العنبر، لكنه -هذا هو العجب- هنالك مرحاض واحد، لا تسأل عن أوصافه، وتوضأت وصليت، كيف صليت كيف توضأت في ذلك الحال، هذا الرجل قام صباحا أول ما فكر فيه أن يحلق لحيته. يا مسكين ارجعْ إلى الله عز وجل، فكِّر في مَن أنت وأين تمشي، أن يحلق لحيته وسط السجن، أنتَ سجين وأنتَ مظلوم ولكن، يعني هذا كما يسميه ابن خلدون رحمه الله «دين الغالب»، يعني شرفُ الإنسان وفضلُ الإنسان وشخصيةُ الإنسان وحُرمةُ الإنسان أن يتشبَّه بالغالب، أن يحلق لحيته في السجن وفي السّراح وفي كل الأحوال، فأنت سجين، جاءوه بالمواد لأنه كانوا يحترمونه، لأنه كان ذا مالٍ..

د. عزام: كان يدفع لهم؟

الإمام: كان يدفع. جاءوه بالآلات الضرورية لكي يحلق، هذه من الصور التي بقيت راسخة في ذهني في ذلك السجن الرهيب الذي اسمه سجن العلو. بتُّ تلك الليلة، الليلة الليلاء صعبة جدا. في الصباح أطللتُ هكذا من.. فإذا بأحد الشباب اليساريين وكانوا مُتمرسين بأحوال السجون، ولم يكن لي أهلٌ بها ولا درايةٌ لما فيها، وأذكر كان يلبس سلهاما -كما نقول نحن- سلهاما أسود، فجاءني قال: أنت ياسين أنت كذا، أنت كتبت إلى الملك؟ قلت له: نعم، قال لي ولماذا تبقى مع المجرمين؟ ناضل، فكان هو الذي فهَّمني وحرَّضني.

د. عزام: كيف تطالب؟

الإمام: فقمتُ بالنضال، بالنضال مع المدير ومع الحراس، وكان معنا حارس يكون قد مات، (يضحك) دخلتُ معه في صراع ذات مرة، وما زالت إصبعي هذه تحمل آثار ذلك الصراع، ضربته على وجهه، وكان رجلا ضخما طويلا، ويلبس لبسة رسمية لحراس السجن، قال: ناضل، فذهبتُ إلى المدير، ناضلتُ، حتى رفعوني إلى مكان يسمونه **Le Quartier moderne** الحي العصري، كيف هذا الحي العصري؟ عندك نصفُ متر في مترٍ وعشرين، لكن لك زنزانة واحدة ومرحاض واحد والسلام.

د. عزام: فيلا هذا؟

الإمام: نعم، أي مقام لما كنت فيه تنامُ في عشرين سنتيمترا، كان هذا شيئا فخما!

كان إلى جانبي أحد المشهود لهم في الدفاع عن حقوق الإنسان، كان محاميا وهو رجل مُسن الآن، وله تنظيم للدفاع عن حقوق الناس، كان جاري ولأول مرة أحضر لمجلس من مجالسهم، من مجالس اليسار.

د. عزام: في السّجن؟

الإمام: في السجن نعم، كان لهم عَنبر طويل كبير لكل واحد، لبعضهم، لبعضهم زنزانة فريدة، وكان هنالك جماعة منهم أعطوهم بيتا واسعا، فهم يجتمعون في هذا البيت، فأردت أن أستمع إلى ما يقولون في مجالسهم، فجلستُ متسللا كأنهم لم ينتبهوا إليَّ فإذا القوم يتحدثون عن كل شيء، ما عدا الله عزَّ وجل والدين والقرآن والآخرة، هذا شيء لا يذكر.

د. عزام: لا وجود لهذا؟

الإمام: لا وجود لهذا في أذهانهم ولا في نقاشاهم، قال ماركس، ولينين فعل كذا، وستالين فعل كذا، ويسردون تواريخ عن تشي جيفارا وغير هذا، فتعجبت من هذا واتخذت درسا، هذا من الدروس لكني بقيت هنالك. درس آخر مهم جدا، كانوا يبعثون إلي ببعض الزاد من المأكولات، وكانوا يسربون إلي تحت الطعام بعض الوريقات، رسائل صغيرة، يخبرونني بما حدث في البيت، وكانت قفة تجيئني وتبلغني، بينما القوم اليساريون كانت تأتيهم خاصة

من جنوب المغرب من أكادير، لهم هنالك أنصار وأنظام وأنظمة، تأتيهم برافعة كيف أشبه ذلك كيف يسمون الآن الحاملات التي تجيء في البواخر؟

د. عزام: الحاوية (يضحك).

الإمام: الحاوية، بما يشبه الحاويات، يعني ليست في هذا الحجم، ولكن حاويات فيها مما لذَّ وطاب من المآكل والفواكه، وهذا من أعجب ما يكون، فيُسخِّرون أولئك المتاعيس المتعوسين، مساجين الحق العام يعني المجرمين، وكانوا يُلبسون بعضهم لباسا خاصا، لباس المساجين مخطط هكذا، فكانوا يسخروهم لكي يحملوا ذاك الطعام إلى السادة في **Quartier moderne** يعني في الحي الراقي العصري، يحملون ذلك إليهم، فيأكلون منه ثم يرمون ما بقي رميا، لا يسمحون لأحد أن يمس ذلك الطعام المتروك، أنانية و.. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

د. عزام: تجربة عجيبة!

الإمام: فكان هذا تحدي، فأرسلتُ إلى الإخوان فقلت لهم: ابعثوا لي بكثير من الخبز ومن الزاد، فكانت تأتيني ما شاء الله من أقل مما يأتيهم هم، وكنت أوزعُ ذلك بمساعدة أحد المساجين لقيته، وكان نِقابيا وكان شلحا، فإذا تفهم، وهذا يعني أمازيغيا، فكنت أوزع على الناس ذاك القليل، على كل حال هو كثير إذا قارناه بزاد واحد كثير، فتلقيت هنالك دروسا في سجن العلو، وهو سجن حقيقي لم يكن اعتقالا كما كان في مستشفى المجانين ولا في مستشفى الأمراض الصدرية، كان سجنا كاملا مكتملا.

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين كنت تحدثني عن تجربتك في داخل هذا السجن، قبل السجن بدأت تأسيس جماعة أليس كذلك؟ مكان يسمى بأسرة الجماعة؟

الإمام: نعم، نعم، لم تكن تسمى آنذاك العدل والإحسان، كانت تسمى أسرة الجماعة. كانت هنالك مجلة اسمها «الجماعة»، قلنا هذه أسرة الجماعة، الناس الذين يكتبون في الجماعة.

د. عزام: وهذه الجماعة ماذا كانت طبيعتها؟ هل كانت صوفية، أم كانت جماعة سياسية، ما هو نمط اجتماعها؟

الإمام: نمط اجتماعها شيءٌ نسميه «يوم المؤمن وليلته» كيف يقضي المؤمن يومه وليلته؟ ما هي الفرائض؟ ما هي المستحبات والسنن؟ متى يستيقظ؟ ماذا يفعل؟ وينتظر طلوع الشمس، صلاة الضحى وأشياء كهذا. يوم المؤمن وليلته يشتمل على أفعال العبد الصالح العابد في يومه وليلته هذا كان البرنامج، كنا بدأنا قبل أن أدخل السجن، وأشير لا يفوتني أن أذكر به، أن الإخوان كانوا يزورونني في السجن إخوانا وأخوات، كُنا قلة يومئذ، لا مقارنة بين ما نحن عليه الآن والحمد لله، الآن أصبحنا دولا... وهذا يثير حنق القوم، في كل بلد في أوروبا وفي أمريكا وكندا يعني انتشار. الله تعالى بارك في هذه الجماعة انتشارا واسعا جدا، الآن يَنفسون علينا هذا النجاح، وبعضهم حسدنا حتى على الاسم، قال هؤلاء من أين أتوا باسم العدل والإحسان، هذا اسم غريب وهذا اسم يلفت النظر.

د. عزام: هذا عندما خرجت من السجن غيرت اسم الجماعة إلى العدل والإحسان، من أين جاء الاسم صحيح كيف؟

الإمام: جاء هذا من القرآن، الناس وينفسون علينا ذلك يقولون من أين من أين أتوا بهذا؟ لأن الله يأمر بالعدل والإحسان.

د. عزام: لأنك ألفت كتابين واحد اسمه الإحسان وواحد اسمه العدل

الإمام: نعم

د. عزام: يعني هذا العدل الشق الأول من اسم الجماعة، وهذا الإحسان الشق الثاني من اسم الجماعة، أيهما أول الإحسان أم العدل؟

الإمام: هذا جاء فيما بعد، الذي لا يفوتني أن أقول بأنه يجيئ الإخوان والأخوات ليزورونني في السجن، وكانت زيارة السجن بمثابة سوق مكتظة بالصراخ والصياح والهزيز والرجيج، يأتي الناس يزورون المساجين، الزائرون المزورون هنا، من جهة أخرى المسجونون، فيقوم هنالك هرج، فأنا ناضلتُ، واحتججت وصرخت، حتى خصصوا لي يوما للزيارة وحدي، كنت أنا وحدي من جانب المساجين ويجيء الإخوان وكانوا 20 شخصا 30، 40، 50، لم نكن بهذه الكثرة، ألقي عليهم دروسا ووعظا، وأقول في الحكم ما لم يقله مالك في الخمر، يعني أتحدث معهم بصراحة.

د. عزام: والسجانون يسمعون؟

الإمام: والسجانون يسمعون، وكان قصدي أن يسمع الجميع. لأنه من مبادئنا ألا نتستر، عندما بدأنا العمل المنظم، كانت الحركة الإسلامية في المغرب يخيم عليها أمور؛ منها السرية، فنحن بدأنا برفض السرية بوضوح، ولعله لو قرأت ما كتبته في المنهاج النبوي.

د. عزام: في هذا الكتاب؟

الإمام: في مقدمته، أقول: ينبغي أن نخرج من هذه البوتقة، فنحن ضد السرية، ضد العنف، وضد الاتصال بالخارج (الاستعانة بالخارج)، فكان هذا مبدأ طبقناه فعلا، فكنتُ في هذه اللقاءات في السجن أصرح بما أصرح به دائما.

د. عزام: وأنت في السجن الأول هذا، حصلت تطورات هنا في المغرب، قضية الشبيبة الإسلامية، ومقتل عمر بنجلون، وزُجَّ ببعض الناس في ذلك الوقت في السجن، والبعض هرب، كنت مطلعا على هذه التطورات؟

الإمام: نعم، نعم، هذا من جراء العنف والسرية، وأنا أعرف جيدا هؤلاء الذين بدأوا في الشبيبة، لا حاجة للإطالة في هذا الموضوع، يقولون الحركة الإسلامية في المغرب هُم الذين أسسوها، وهم الذين، وهم الذين، فأنا تركتهم يتكلمون، لكنهم قلة أيضا في ليبيا أو في ألمانيا أو ...

د. عزام: والعمل للإسلام ليس حكرا على أحد هذا دين الله،

الإمام: نعم

د. عزام: وما يعلم جنود ربك إلا هو.

الإمام: وكل واحد يعمل حسب طاقته وفهمه.

د. عزام: إذن جاء تغيير اسم الجماعة إلى «العدل والإحسان» بعد أن خرجت من السجن؟

الإمام: نعم

د. عزام: كل مشاريع الجماعة حاولتم أن ترخصوها لم يوافق على ترخيصها؟

الإمام: ممنوعة.

د. عزام: ممنوعة! هم أيضا لا يرخصون لأي جماعة إسلامية حتى الجماعة الأخرى غير مرخصة، لا يوجد جماعة مرخصة؟

الإمام: نعم، ثم جاء وقت آخر، خرجت من السجن، سكنت في سلا، توسعت الجماعة، وكانت هنالك مظاهرات لإخوان في باب المنزل، فكانت هذه نقلة أخرى حين سكنت في سلا.

د. عزام: يعني بعد خروجك من السجن؟

الإمام: بعد خروجي من السجن

د. عزام: استقبلك الناس

الإمام: نعم

د. عزام: لما عدت إلى البيت في سلا؟

الإمام: نعم، كانت هنالك لقاءات مستمرة، وكان هنالك مجلسٌ يوم الأحد، على غرار ما كان الأستاذ حسن البنا رحمه الله، وما أدراك ما حسن البنا، ولا أقارن نفسي به، بطودٍ عظيمٍ مثل هذا الرجل، أحترمه وأحبه محبة كبيرة، كانت مجالس الأحد يحضرها بعض الإخوان، وكنا نصورها بأدوات بدائية إذا قورنت بهذه...

د. عزام: بهذه الأجهزة ما شاء الله؟

الإمام: وسائل بدائية هكذا لكن هذا في أرشيفاتنا، لايزال نحتفظ به.

د. عزام: في تلك الفترة، هل كان هناك تضييق عليك في دروس الأحد؟

الإمام: التضييق دائم

د. عزام: مستمر؟

الإمام: نعم، لم ينقطع التضييق أبدا، كان التضييق مستمرا، وكنا جماعة ممنوعة محظورة، «لا حق لكم لا كذا»، كانوا جمعوا قالوا –أظن تفكيرهم هكذا يكون– قالوا: هذا الرجل الذي صدَّعنا بكلامه وباحتجاجه سنقطع له الجناح، جناحه من؟ الإخوان في مجلس

الإرشاد، فزجوا بهم في السجون بتهمة أنهم كذا... لا تُعوزهم الأسباب والتلفيقات. أمضَوا هنالك سنتين. عندئذ فكروا أن يسلكوا معنا سبيل المهادنة والمساومة والمصالحة، فقالوا هؤلاء في السجن، وهذا لا يزال في اجتماعاته، فنحاول معهم تفاوضا وصلحا، فجاؤوا إليَّ، وأتذكر يوما جاء أحد «الكميسارات» المفوضين جاء إليَّ ومعه مخلوق من أغرب ما يكون، ضخم الجثة، طويلٌ -متران- وضخمٌ يعني تراه وتفزع منه، ولعله كان يريد أن يفزعني، قال نريد أن نحدثكم، وأن نحدث الإخوان هل تقبل أن تذهب إليهم؟

د. عزام: في السجن؟

الإمام: في السجن، قلت له نعم، كان مقصودي بأن ألتقي بهم، ذهبنا إلى السجن، ذهبوا بي ليلا إلى السجن وجلسنا نتحدث، أنا كان قصدي أن ألتقي الأخوة بعد طول فراق، فكأنهم يريدون من ذلك الجلسة أن نكتب جماعةً رسالةَ استعطافٍ، وجلسنا نتحدث، تركونا وحدنا في بناية، جلسنا نتحدث، ماذا حدث؟ كيف حالكم؟ كيف حال كذا وكذا؟

والحارس ينتظر، صاحب العصا ينتظر: هل فرغتم؟ لا، لـمَّا نفرغ. هل كتبتم؟ لما نكتب، في آخر الأمر اتفقنا على أن نكتب رسالة نسيت كيف كانت، أن نكتب رسالة لا تسمن ولا تغني من جوع، لم نستعطف، ولم نسترحم، ولم نتنازل، ولم نقل عفا الله عما سلف، أبدا، وانتهى الأمر، وأمضى الإخوان سنتين في السجن، وذاقوا مرارته وحلاوته، وخيره وشره أيضا.

د. عزام: (يضحك) أنت كنت قد سجنت بسبب رسالة أخرى كتبتها للملك؟

الإمام: نعم

د. عزام: غير الإسلام أو الطوفان؟

الإمام: نعم، رسالة كتبتها باللغة الفرنسية[1]، وكتبت رسالة أخرى لمحمد السادس بالفرنسية، لأن القوم مفرنجون كما قلت في جلسة سابقة، لا يقيمون وزنا للمُعرب، ولا للعربي، ولا للغة العربية، ولا ما يجيء منها.

(1) يقصد رسالة (Mémoire à Sa Majesté le Roi) في أبريل 1977م.

د. عزام: مع أن الملك الحسن كان فقيها؟

الإمام: يُقال، يُقال، يُقال.

د. عزام: (يضحك)... يُقال.

الإمام: كان له جلساء، أنا أعرف بعضهم، يعني يحفظ نكتا و... رحمه الله، اتركه اتركه.

د. عزام تميمي: نعم ذهب إلى ربه.

الإمام: أنا أترحم عليه من قلبي، فإذن كتبت بالفرنسية رسالة لا تسمن ولا تغني من جوع، لكنها بالفرنسية، وكتبتها بلباقة، يعني كما فعلت في رسالة «الاسلام أو الطوفان» أنا لم أسبَّه ولم ألعنه، قلت له يا حفيد رسول الله ارجع، فما فهم ما قلت، كتبت له بالفرنسية ما يشبه هذا وانتهى الأمر.

د. عزام: لكن لماذا هذا الموقف المخاصم من السلطة هنا في المغرب لجماعة العدل والإحسان؟

الإمام: لأنها تقول لا، والقوم لا يقبلون من يقول لا، لا يقبلون من يقولون لا، في المغرب كلمة فرنسية عربية يقولون «بَنِي وِي وِي»، «وي وي» هي نعم، تقول نعم نعم، فهم لا يقبلون الذي يقول لا لا، فلهذا كانت ولا تزال المطاحنة، إن صحَّ الأمر، ولكن يطحنوننا لأن في يدهم القوة ونحن...

د. عزام: هل يمكن أن يكون السبب أنكم أو هذا ما يقال، وأريد أن أسمع منك، أنكم لا تعترفون بشرعية هذا النظام؟

الإمام: فعلا

د. عزام: لا تعترفون؟

الإمام: لا نعترف بشرعية الحكم العاض والجبري، لأن النبي ﷺ أخبرنا، ونحن نتبع النبي ﷺ، ديننا وآخرتنا أحبُّ إلينا من كل شيء، ولا نحب شيئا غيرهما محبتهما، النبي ﷺ قال: «لتُنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها،

فأولهن نقضا: الحكم وآخرهن الصلاة»[1]. والنبي ﷺ أخبر بهذا في حديث صحيح رواه الإمام أحمد: «تكون فيكم الخلافة»، واتخذنا هذا الحديث إماما لنا، إماما لنا نتبعه. يقول النبي ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها (هذا في حياة النبي ﷺ)، ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة (أو تكون خلافةٌ على لغة كان التامة) فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[2]، وهذا يعني: أخبرنا النبي ﷺ بما يحدث بعده في أُمته، جاء الحكم العاض مع بني أمية، وإذا كان المسلمون لا ينظرون إلى تاريخهم، ولا يتفقهون بما وقع لتاريخهم، ولا يتبعون سنة نبيهم ﷺ الذي رسم لهم خط السير، فإنهم لن يفهموا إلى أين يسيرون، إذا كانوا يبنون على غير أساس، يعني هكذا الناس في الدنيا يتخابطون ويختصمون ويقتتلون إلى غير وجهة، ومن أين جاءوا، هذا... نحن نبدأ من النبي ﷺ، قال، نتبعه، قال: لتنقضن عرى الإسلام، نُقضت، تكون فيكم النبوة ثم الخلافة ثم الحكم العاض ثم الجبري، هذا شيء نعيشه، ويعطينا النبي ﷺ المفتاح لفهم تاريخنا، نزَا بنو أُمية على منبر حُكم المسلمين، نستثني منهم ذلك الرجل الفذ عمر بن عبد العزيز رضي عنه، نزوا على منبر الحكم فخضع الناس، خضع الناس لماذا؟ لأسباب يفهمها من يريد أن يفهمَها، نحن نقول: خضعوا للأمر الواقع حفظا لما يمكن أن يُحفظ، خافوا على وحدة المسلمين أن تتشتت فخضعوا، يعني فضلوا هذا على الفتنة، وفي هذا كلام طويل، طويل. فإذن الملك العاض والجبري نحن ضدّه، لسنا فقط ضد الحكم المغربي (العلويين)، العلويون وقبلهم المرينيون، والمرابطون وكانوا رجالا وأي رجال، كانوا رجالا عظماء، والموحدون أسسوا أعظم دولة في تاريخ المغرب. كانوا يحكمون من هنا إلى ليبيا إلى الأندلس إلى شمال الأندلس إلى الصحراء إلى بلاد السودان، على كل حال، نحن لسنا ضد النظام المغربي فقط، نحن ضد الحكم الجبري، من يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزل الله عز وجل هو الشورى «وأمرهم شورى بينهم»، وقد كتبتُ لست أدري هل هذا الكتاب جاءوا به، كتاب «الشورى والديموقراطية».

(1) أخرجه الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، رقم: 22160.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير، رقم 18406.

د. عزام: ليس هنا

الإمام: على كل حال، تكلمت عن الديمقراطية وعن الشورى، وما الذي يجمع بينهما، فالناس الذين يقولون أنتم ظلاميون لا تستفيدون من علوم القوم، وقد تقدم القوم، وأنتم تريدون أن ترجعوا بنا إلى حضارة الجمل، وما يُقال هنا يقال في بلدان أخرى، الحركة الإسلامية توصف أنها تريد أن ترجع الأمة إلى حضارة الجمل، نحن نقول هنالك شيء يسمى الديموقراطية، ما هي هذه الديمقراطية، ومن أين جاءت؟ كنتُ كتبت أنها جاءت جاءت من السوق. في آتينا كان هنالك تجمُّع في مكان يسمى آكورا، آكورا تجمع في السوق، فمن هنالك بدأت الديمقراطية. والديمقراطية نظامٌ لاستعباد الناس منذ اليونان، بينما الشورى جاءت من المسجد، جاءت من القرآن: «وأمرهم شورى بينهم»، وشروط الشورى هي كذا وكذا وكذا وكذا، فهذا من الأمور التي لا يوليها المسلمون انتباها، والذي لا ينظر إلى أصوله لن تكون له النظرة الفاحصة الواضحة النيرة إلى مستقبله شخصيا وإلى مستقبل الأمة، إلى أين نحن ذاهبون، إما أن يخيم علينا التشاؤم ونقول الأمة مشتتة، لكن قل لي من شتتها؟ لماذا هي مشتتة؟ من كان سببا لتشتتها؟ الحُكم. لتُنقضنَّ عرى الإسلام عروة عروة، نُقض الحكم عندما نزا ووثب بنو أمية، ثم توالى ذلك التطاحن جيلا بعد جيل، وتفتت القوم، وتفتت أمر الأمة فتاتا.

د. عزام: آه يفتت تفتيتا

الإمام: كلمة فتة أظنها كلمة مصرية، وفتتت الأمر حتى أصبحنا شتاتا، وأصبحنا ركاما، وأصبحنا لا نرى، لا نعرف ما نريد، وبعض الناس يتهموننا بالسذاجة وبالبله الفكري عندما نقول نحن نريد الخلافة على منهاج النبوة. وكأننا قوم أغرار نسير بالعقلية الخرافية، نريد الخلافة على منهاج النبوة، نريد عمر بن عبد العزيز، نريد صلاح الدين الأيوبي، لكن صلاح الدين الأيوبي هل نزل من السماء؟ هل كان أمره بين عشية وضحاها؟ كان هنالك نور الدين زنكي رحمه الله الذي وحد المسلمين في الشام، وكانت دويلات، ثم كان نجم الدين ثم صلاح الدين، كان تهييء، فبعضنا يظن: أنتم تريدون الخلافة على منهاج النبوة كأننا نحلم بشيء ينزل من السماء. الله عز وجل جعل لنا أسبابا لابد من احترامها، فهي سنته في الكون،

ولي كتاب عنوانه «سنة الله»، وفي «سنة الله» كتبت عن اليهود وعن الصهاينة ما شاء الله، صفحات طويلة.

د. عزام: كل المسلمين يتمنون أن تعود الخلافة الراشدة. الإشكال بين العاملين للإسلام هو ماهي الوسيلة؟ ماهي الطريقة الأفضل؟ يعني هذا الحكم الذي ورثناه، وفيه كثير من العَور، وكثير من النقص والفساد، ما هو السبيل إلى إصلاحه؟ هنا تختلف الاجتهادات. لكن في ظني أن كل الذين يعملون للإسلام وجهتهم في نهاية المطاف أن يُحكم شرع الله.

الإمام: نعم

د. عزام: وأن تحل الشورى محل هذا الحكم الجبري العاض، ألا ترى ذلك؟

الإمام: هكذا نعم، ولكن كيف؟ كيف يقوم نظامٌ مومن بالله وبرسوله يحكم قوما أشتاتا؟

د. عزام: آه لابد أن يتوحدوا أولا.

الإمام: لابد من تربية أولا، لابد أن ننظر إلى الشخص الفرد، نقول: يا عبد الله إنك لم تخلق لهذه الدنيا، بل خُلقت لأمر عظيم، خلقت للآخرة وجزائها ودرجاتها، إذا كنت تريد الآخرة ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ (الشورى:20)، فإذا من يقول: نريد الحكم الإسلامي، ولكن هذا حرث من حرث الدنيا إذا كنا لا نُدخل في ذلك هم الآخرة، وهمُّ الآخرة غائب عن المسلمين إلا من رحم ربك. فالتربية تقتضي أساسا اليقظة، أن نوقظ النائمين من سُبات غفلتهم، نقول يا عبد الله إنك ستُحشر غدا إلى الله عز وجل، فبماذا تزودت من دنياك؟ لا بد لك من عمل صالح، يقول الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (الرعد:29) فما هي الصالحات؟ فمن الناس من هِمته لا تعدوا شُخيصَه، يقول أنا أصلي وأصوم، ولا أظلم أحدا، وأزكي وحدي فردا، هذا جيد، هذا نجا بنفسه، هنالك حديث عثرت عليه أخيرا منذ شهر أو... عند الإمام الدارمي، يقول فيه النبي ﷺ: «من طلب العلم ليحيِيَّ الإسلام كان بينه وبين النبيئين درجة». والفرق هنا لأن هنالك أحاديث كثيرة تقول: «من طلب العلم» «والملائكة تبسط أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» كثير من الأحاديث تحثنا على طلب العلم، «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، لكن حديث

الدارمي الذي رواه يتميز بهذا «من طلب العلم ليحيي الإسلام» يفكر في الأمة، إذا كانت همتك لا تعدوا شُخيصك وتقوم بما أمرك الله به خير، وهذا نسميه خلاصا فرديا، نسميه عملا فرديا، ولكن فضَّل الله المجاهدين، وأيُّ جهاد أفضل من أن تريدَ لأُمتك الخير وأن تجتهد وأن تبذل جهدك لكي تحيي الأمة من موات.

د. عزام: وقت هذه المراجعة انتهى، نوقف الحديث الآن، ونكمل الحديث بتوسع حول منهج جماعة العدل والإحسان وتصوراتها ومواقفها في المراجعة القادمة إن شاء الله.

الإمام: إن شاء الله.

الحلقة الرابعة: اعتقال مجلس الإرشاد وفرض الإقامة الجبرية على الإمام

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين، كنت قد حدثتني في المراجعة السابقة عن اعتقال بعض إخوانكم من أعضاء الإرشاد، ذلك كان في عام 1989م وكان ذلك العام هو بداية الحصار الذي فُرض عليكم، واستمر ما يزيد عن 10 سنوات تقريبا، كيف كانت ظروف هذا الحصار؟ حوصرت في بيتك، إقامة جبرية؟

الإمام: لا أخرج منه، وكانت منةَ من الله عز وجل أن يتفرغ المرءُ للعبادة والذكر والقرآن والكتابة، والكتابة، فجُلُّ ما كتبت كان من بركة ذلك الحصار.

د. عزام: هذان الكتابان العدل والإحسان كتبا في تلك الفترة؟

الإمام: أظن بعد[1]

د. عزام: بعد؟

الإمام: أظن!

لكن جل ما كتبته فكان من بركة ذلك الحصار، خاصة ما كان من تبتل، الحمد لله بفضل الله عز وجل وقيام وصيام، صمتها كلها والحمد لله

د. عزام: ما شاء الله

الإمام: صمتُ عشر سنوات متتالية بدون انقطاع

د. عزام: كل يوم؟

الإمام: نعم، نعم، كل يوم، صيام متواصل، وهذا من فضل الله عز وجل، وهذا لا يتاح للمرء إذا لم يكن هنالك نوع الإكراه، لا شأن لي، أنا في الدار محبوس مع أهل البيت، والسلام.

(1) تم تأليف كتاب الإحسان سنة 1988م وطبع في طبعته الأولى سنة 1998م، وتم تأليف كتاب العدل سنة 1990م وطبع في طبعته الأولى سنة 2000م.

د. عزام: وكيف كنت تتواصل مع إخوانك في الجماعة؟

الإمام: كانت هنالك رسائل، رسائل تُسرب.

د. عزام: وكانت دائما البيت محاصر؟

الإمام: محاصر

د. عزام: سبحان الله

الإمام: حراسة مشددة.

د. عزام: في شخص واحد قال لي إنه كان يُسمح له بزيارتك.

الإمام: من هو؟

د. عزام: وهو يحبك ويعزك

الإمام: أحبَّه الله

د. عزام: المقرئ الإدريسي

الإمام: المقرئ الإدريسي، ذلك الرجل الشَّهم، أولا إدريسي وأنا إدريسي فالنسب قريب.

د. عزام: (يضحك) والأقربون أولى بالمعروف.

الإمام: نعم، لأن المولى إدريس الأكبر هو الذي جاء فارا من موقعة فخ.

د. عزام: أي نعم ذكرت لي ذلك.

الإمام: التي وقعها العباسيون لبني عمهم الحسنيين، ففر من موقعة فخ وجاء إلى المغرب وأسس دولة الأدارسة، فمن الناس من يقول إن فلانا ضد العلويين لأنه إدريسي ويريد أن ينازعهم الملك!

د. عزام: ينازعهم الملك (يضحك)

الإمام: يريد أن...

د. عزام: طيب، هذه الجماعة، جماعة العدل والإحسان، نقرأ عنها أنها من أكثر الجماعات انضباطا، أنها واسعة الانتشار، يعني حتى الخصوم يقولون ويُقرون بأنها واسعة الانتشار، كيف تعمل هذه الجماعة؟ هل لها بناء معين؟ هل لها جسم؟ أم هي ملتمة حولك فأنت الشيخ وهم المريدون؟

الإمام: هذا لا يمكن، هكذا يظن الناس، أن هنالك رجلا هو يأمر وينهى، هُراء هذا هراء، هنالك تنظيم يعني هرميا بشكل من الأشكال، هنالك أولا في القاعدة هنالك أسر تربوية، الأسرة التربوية تتكون من خمسة أشخاص إلى عشرة، وهنالك نقيب أسرة يسمى نقيبا...

د. عزام: هذا نظام الإخوان المسلمين تقريبا؟

الإمام: تقريبا، الأسماء هي.. النقباء ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ (الأعراف:155) سماهم نقباء، فيعني نحن نعترف بفضل الإخوان المسلمين اعترافا مطلقا، ونحبُ ذلك الرجل العظيم الذي أسس جماعة الإخوان المسلمين محبةً من القلب، فإذا هنالك تنظيم هرمي، هنالك الأسرة القاعدية، هنالك الشُّعبة، هنالك الجهة، وهنالك الإقليم وهكذا...

د. عزام: ومنتشرة الجماعة في كل القطر المغربي؟

الإمام: في كل قطر المغربي نعم.

د. عزام: هل لكم وجود خارج المغرب؟

الإمام: مكثف، وهذا ما يذهل القوم، وما يؤلبهم علينا، لأن كانوا يظنون أننا عفريتٌ أسكنوه في قوم وأغلقوا، فإذا بهم جماعة منتشرة في الشرق والغرب، وأخيرا أخيرا منذ يومين جاءتني رسالة من أخٍ لنا من سوريا، وكنت أظن أنه لا يوجد لنا إخوان في سوريا، هنالك إخوان في السعودية، وهنالك إخوان في الإمارات، وهنالك إخوان في إسبانيا كثير، وفي إيطاليا و...

د. عزام: كلهم مغاربة؟

الإمام: لا أقول كلهم ولكن جلهم، وفي فرنسا، وفي هولندا وفي...الحمد لله كان هنالك انتشار واسع، وهذا مما يقضُّ مضاجع القوم، هؤلاء خرجوا من أيدينا[1].

د. عزام: أثيرت في الفترة الأخيرة شيخ عبد السلام قضايا أنا الحقيقة ما قرأت عنها ما يكفي كي استوعبها، ولعلها مناسبة كي أسألك عنها مباشرة حول الرؤى، وأنك رأيت رؤيا، وأن فلان رأى رؤيا، وأن الرؤيا عندكم لها منزلة مهمة ودور مركزي ما حقيقة هذا الأمر؟

الإمام: أولا اسمح لي تسميني شيخا، قلْ أستاذا، أنا كنت أستاذا، وعلَّمتُ في الابتدائي والثانوي وال...

د. عزام: تفضل أن أقول لك أستاذ أم شيخ؟

الإمام: لا لا، شيخ لا.

د. عزام: الأستاذ الشيخ

الإمام: هذا مقام عظيم، إذا قلت أستاذ فهذه مهنة مارستها ولا أزال، فإذا السؤال هل...

د. عزام: هذه الرؤى

الإمام: نعم الرؤى، أولا: الرؤى هي من صُلب الدين، والقرآن الكريم لأمر ما قص الله عز وجل علينا قصة يوسف عليه السلام، وقص الله علينا قصة إبراهيم الخليل الذي رأى رؤيا، ورؤيا الأنبياء لا تقارن برؤيا الآخرين، ولكن قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَٰإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات:104-105) فقام إلى ولده ليذبحه... القصة في القرآن الكريم.

د. عزام: الرؤيا بالنسبة للنبي وحي؟

الإمام: نعم وحي، الوحي لاشك فيه، وأول ما بدأ به النبي ﷺ الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيا إلا كانت مثل فلق الصبح، فنحن في مسألة الرؤيا كنا أغرارا إلى حدٍّ ما، في وقت معين كنا ننظم لقاءات يوم الأحد، وكنا نبتها حية في الأنترنت في الشبكة العنكبوتية، نبثها

(1) يقصد أنهم خطوا طريقا دعويا لهم.

مباشره، فيأتي الإخوان يقصون علينا، رأيت كذا، ورأيت كذا، ورأيت كذا، وهذا والحمد لله عندنا رؤيا النبي ﷺ شيء متواتر ويكاد يكون خبز يومنا، فلان رأى النبي ﷺ، بينما المؤمنون يعظمون هذه الرؤيا ويقولون من رأى النبي صلى عليه وسلم هذه بشارة عظيمة، فنحن تأتينا من هذه البشارات ما شاء الله من جملة البشارات التي جاءت من عدد لا يكاد يحصى من الإخوان والأخوات، بشرهم النبي ﷺ بأنه ستكون في 2006م سيكون أمر عظيم في المغرب، فنحن بثثنا هذا في الشبكة، هكذا مباشرة، وكان من الناس من يتنصتون ويتصنتون ويُحصون الأنفاس فقالوا ما هذا؟ ونحن لم نخترع شيئا، أنا ما رأيت رؤيا 2006م، أنا شخصيا.

د. عزام: آه، لم تكن

الإمام: لكن من رأى هذه الرؤى كثير جدا كثير

د. عزام: وهل حدث ما يؤكدها في 2006؟

الإمام: هنالك أمر هو التربية الإلهية، الله عز وجل يمحص المسلمين وفي القرآن الكريم ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران:141)، فوقع للصحابة تمحيص أيضا، الله تعالى قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ﴾ (الفتح:27) فلما تأخر الفتح (فتح مكة) سيدنا عمر قال لأبي بكر ما هذا؟ ما كان ما كنا ننتظره، قال شد بغرزي، إنه رسول الله ﷺ، أمسك بغرزه، والغرز هو الذي يضع فيه راكب الناقة رجليه، قال تماسك إنه رسول الله، وإن الله لا يخلف الميعاد، كان تأخر فتح مكة، كان فتح الحديبية يسمى صلحا، وهو صلح عظيم، وتساءل الصحابة أهو فتح هو؟ قال نعم هو فتح، وبعد صلح الحديبية انتشر الإسلام انتشارا كبيرا، كانوا ينتظرون غير ذلك، كانوا يظنون أنهم يدخلون مكة فاتحين، جاء هذا بعد ذلك في عام أو عامين، كذلك نحن جاءتنا هذه البشائر قلنا الحمد لله تأخرت لكي يمحص الله

د. عزام: لكن أليس الأولى في مثل هذه الحالات أن يسارع الناس ويتعجلون في تأويل الرؤى، لأن الرؤيا قد تكون لها معانٍ؟

الإمام: نعم إن كنتم للرؤيا تعبرون.

د. عزام: يعني الأفضل أن يكون الدرس من هذه للناس أنه من رأى رؤيا فليستبشر بها خيرا لكن لا يبنى عليها حتى لا يتسبب في حرج.

الإمام: نعم، ما كان هنالك حرج، والحمد لله رب العالمين، كان الأعداء ينتظرون منا أن هذه الجماعة ستتزلزل ستندثر وستتفرق شذر مذر عندما جاء 2006 ولم يقع شيء، كان العكس بقي الإخوان ثابتين «ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين».

فنحن لم نخترع شيئا ولم نقل شيئا، كنا أغرارا حقيقة، عندما كنا نبث مباشرة على الشبكة، كنا نبث رؤانا، هذا لا نفعله الآن، تعلمنا الدرس.

د. عزام: جيد، الحمد لله، طيب، حدثني قليلا عن المنظومة الوعظية

الإمام: نعم

د. عزام: لاحظت أن لك أكثر من منشور أو كتيب فيه نظم

الإمام: نعم

د. عزام: المنظومة الوعظية قلت لي لها قصه

الإمام: قصة، نعم

د. عزام: نعم ما قصتها

الإمام: المنظومة الوعظية، عثرت على بيتين من الشعر للإمام البخاري لم ينظُم غيرهما، فأعجبني جرسهما، وأعجبتني قافيتها ورويهما، فنظمت على غراره، هذه طرافة الأمر، بقي هنالك منظومات أخرى في «قطوف».

د. عزام: نعم هنا واحدة «قطوف».

الإمام: هنالك سلسلة إلى رقم 6

د. عزام: هذه الثالثة

الإمام: الثالثة نعم هنالك فيه من الشعر، قل من النظم، أنا لا أسمي ذلك شعرا، لأن روح الشعر...

د. عزام: (يضحك) هو نوع من الشعر أليس كذلك؟

الإمام: هو نظم على كل حال، له وزن وله قافية وله نكهة...

د. عزام: قطوفي دانيه الحكم

الإمام: قطوفي دانيه الحكم، مفاعلة، لا، فعل فعل أظن متدارك

د. عزام: وما أنا بالشاعر الهائم

الإمام: فاعلن فاعلن فاعلن، نسيتُ حتى الأوزان

د. عزام: من الشعر حكم رواه البخاري، عن المصطفى السيد القائم

الإمام: ﷺ

د. عزام: عليه الصلاة والسلام. ألا كل شيء خلا الله زور

الإمام: أي باطل

د. عزام: كلام وهو لبيد الذكي الفاهم (يضحك)

الإمام: يقول النبي ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر

ألا كل شـــيء مـــا خـــلا الله باطـــل وكل نعيـــــم لا محالـــــة زائـــــل

وكل أناس سوف تدخل بينهم... دويهية (دويهية هي الموت صغرها لتعظيمها) تصفر منها الأنامل عندما يموت.

د. عزام: يا سلام!

الإمام: فإذا أنا عثرت على بيتين للشعر من الإمام البخاري فأعجبني فنظمت عليه على قافيته وإن شئتَ أن تقرأ لنا بعضه جزاك الله خيرا

د. عزام: لعلي لا أخطئ

الإمام: لا حاشاك أن تخطئه، وكتبتُ لها مقدمة انتقدتُ فيها الشعر الذي ليس له من هدفٍ إلا الدنيا ومتعتها ولا يتحدث عن الآخرة، فقلتُ الشعراء ينبغي أن يُذكِّروا الناس على كل حال، أسميتها المنظومة الوعظية.

د. عزام: نعم البيتان اللذان أشرت إليهما يقولان: قال الإمام البخاري:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح قد مات قبل سقيم ذهبت نفسه النفيسة فلته

يعني يأتي العسكر ويقول: قفوا الإمام: جميل

د. عزام: جميل! والله

الإمام: فأنا نسجتُ على منواله

د. عزام: تقول:

وعزيز في سربه مطمئن سلتته منه المنية سلته

كم خطيبٍ فوق المنابر يشدو أسكتته للآجال أية سكته

كم رئيس على العباد تمطى مدَّدته المَنون جيفة ميته

د. عزام: يعني يكون في الدنيا عامل!

الإمام: رئيسا

د. عزام: فرعون، سبحان الله!

فاغتنم فضل ليلة ونهار وكأنْ مضجع الفراق رأيته

الإمام: الموت

د. عزام:

وكأن قد سمعت نَوْحَ البواكي وكأن علقم الفجيعة ذُقته

الإمام: هكذا

د. عزام: يا سلام!

وكان الأكفان قد أحضروها وكأن الغسال يخفت صوته

وكأن الفـــؤوس لـــلأرض تهـــوي شــقت القــبر عــرض شــبر قدرتــه
حملـــوا النعـــش مســـرعين خفافـــا هـــو ذا موعـــد التوســـد جثتـــه
طرحـــوا أنزلـــوا ووارو شُـــخيصا ذهبـــت نفســـه النفيســـة فلتـــة

د. عزام: الله!

الإمام: فإذا هكذا، أعجبني هذا الكلام الإمام البخاري رحمه الله فذهبت معه، ثم إنني في ما أكتب في هذه الأنظام، هذه المنظومات، أرتبها حسب ما سميناه الخصال العشر، لا أطيل، ولكن انظر مثلا كيف تحدث هنالك عن الاقتصاد.

د. عزام: الخصال العاشر هنا مكتوبه؟

الإمام: مكتوبة، يعني واحدة تلو الأخرى

د. عزام: اسمح لي أذكرها؟

الإمام: نعم

د. عزام: الأولى الصحبة والجماعة

الإمام: نعم

د. عزام: والثانية الذكر

الإمام: فإذا هذا نظم، وعظ، ولكنه مرتب هذا الترتيب

د. عزام: ثم الصدق

الإمام: الصدق

د. عزام: ثم البذل

الإمام: البذل

د. عزام: ثم العلم

الإمام: ثم العلم

د. عزام: ثم العمل

الإمام: ثم العمل

د. عزام: ثم السمت الحسن

الإمام: السمت الحسن

د. عزام: ثم التؤدة. فالاقتصاد فالجهاد

الإمام: التُّؤدة إن سمحت، ثم الاقتصاد ثم الجهاد

د. عزام: ثم الجهاد.

الإمام: متى يقترن ما هنالك من الاقتصاد..... كيف يجتمع الحديث عن الاقتصاد مع الوعظ؟ مع التذكير بالآخرة؟

د. عزام: هو إذا كان فيه صدق وفيه...؟

الإمام: نعم هذا ما قلته لكنه مكتوب هنالك

د. عزام: هذا في الاقتصاد تقول:

راحل أنت تائها أو بقصدٍ ... عن مصير الأخرى سهوت وذكرته

راحل أنت مرغما أو رضيا ... بلقاء المولى الكريم اعتقدته

راحل أنت يا أخي فتجهز ... رحلة أين زادها هل حمدته

عملا صالحا ونية صدق ... واتكالا على الإله ارتجيته

خير زاد اتخذته هو تقوى الله ... إن باجتهاد عُمر عبدته

ثم لم تتكل على جهدك القاصر ... بل فضله عليك اعتمدته

د. عزام: تقصد الاقتصاد؟

الإمام: هو القصد من الدنيا إلى الآخرة

د. عزام: من الدنيا إلى الآخرة أي؟

الإمام: اقتصد قصد.

د. عزام: وليس الاقتصاد **l'économie** نعم

الإمام: ولكن هنالك حديث عن الزاد، تزود فهذا رابط...

د. عزام: وآخرها تقول:

واغتنم عمرك النفيس لتقوى أمة بالجهاد فيما سعيته

ثم تدخل على الجهاد

الإمام: نعم

د. عزام: (يضحك) هذا متى بدأته في أثناء فترة الحصار أم قبل؟

الإمام: لا أدرى، نسيت ذلك

د. عزام: هذا مطبوع سنة 1996م

الإمام: 1996م، هذا كتب قَبل ذلك.

د. عزام: تكلمنا أيضا عن المنهاج النبوي، لم نتكلم عنه، ذكرنا المؤلف، هذا في وقت سابق قبل ذلك. حتى أن الطبعة الثانية في عام 1989م؟

الإمام: نعم

د. عزام: هذا المنهج النبوي هل يعتبر هو منهاج جماعة العدل والإحسان؟ هل هذا ما تقصده؟

الإمام: سآتيك منه بذكر.

د. عزام: تفضل

الإمام: عندما بدأنا العمل هنا سكنت في سلا، كنت أسكن في مراكش، أنا ولدت في مراكش، وكبرت في مراكش، وجئت إلى سلا، لماذا جئت إلى سلا؟ مراكش مدينة في الجنوب يسكنها من عباقرة هذه الأمة شخصان، أشخاص كثيرون، لكن منهم يوسف بن تاشفين، الرجل العظيم الذي زاد في عمر مكث المسلمين في الأندلس ما شاء الله، وكان فارسا مغوارا، وكان وكان وكان له من الفضل ما لا يحصى، هنالك أبو العباس السبتي هذا يسمونه «رجل الصدقات» رجل سبق إلى هذا الميدان سبقا، ولا يزالون، فكان ينفق ويعطي ويجمع الأموال من الأغنياء ويعطيها للفقراء، هنالك كثير من الرجال العظام. انتقلت إلى سلا لأن مراكش هامشية في الجنوب. وأريد أن أكون في مكان في وسط البلد، فانتقلت إلى سلا، جئت إلى ميدان مسكون، الحركات الإسلامية كثيرة...

د. عزام: موجودة.

الإمام: موجودة، فلان هنا وفلان هنا، الشبيبة هناك، فكنت أنوي وأفكر أن نجمع كلمة الإسلاميين في المغرب، فكنا نعقد اجتماعات يحضرها رؤوس الحركات المتعددة، منهم الطلائع، ما يسمى الطلائع، الأستاذ...

د. عزام: عصام العطار؟

الإمام: عصام العطار نعم، كان هنالك من الطلائع، ومن الخيار، كلهم كانوا خيرين، فكنا نجتمع لعلنا نوحد الكلمة، فمن قائل نبدأ الآن نفعل كذا، نؤسس مجلسا يجمع الكلمة، نعطي لهؤلاء مقعدا، ولأولئك مقعدين، ولغيرهم. كنا نتحدث. فأنا من أول الأمر كنت أقول لهم يا إخواني إنه لا يمكن أن نمشي أو أن نسير وأن نخطو خطوات دون أن تكون لنا نظرة مُسَبَّقة عما نريد.

ما نريد أن نفعل؟ ما موقفنا من الحكم؟ ماهي التربية التي نريد؟ الخطوات الأخرى، فكان مِن بعض الإخوان رحمهم الله، لا يزالون أحياء.

د. عزام: رحم الله من بقي ومن توفي، (يضحك).

الإمام: كان يقول لي أنا اعطوني ربع ساعة أدخل إلى تلك الحجرة وآتيكم بمنهاج، أنا عندي منهاج كنتُ أفكر فيه منذ سنوات، لكي أرتب الصحبة والجماعة أولا ثم الذكر

ثانيا ثم...، كان هذا هاجسي منذ سنوات، فكان هذا المنهاج شيئا متكاملا شاملا، ينظر إلى الجانب التربوي، وإلى الجانب التنظيمي، والجانب السياسي، فلذلك سميناه المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، فالإخوان يقولون أنا آتيكم بمنهاج!

فإذا كان سوء تفاهم في المصطلح، وكانوا في الحقيقة كلهم كانوا رجالا أخيارا، ومن هم الآن من أصبح كذا، ومن أصبح كذا، ومن تزعم كذا ومن خاض تجارب، وفق اللهُ الجميع.

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين، كنت تقول لي إن هذا الكتاب «المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا» كان وليد حوار بينكم وبين جماعات إسلامية أخرى عاملة في الساحة المغربية على أمل توحيد العاملين على منهج واحد، فأنت اجتهدت في هذا الكتاب كمنهج لجماعة يتفق عليها الناس؟

الإمام: ليس هذا بالضرورة، هذا يحتوي على أفكار كنت نبذتها هنالك نبذاً في كتاب الإسلام غدا، وفي كتاب الإسلام بين الدعوة والدولة، وهذا كان في السبعينات في 1972 أو 1973م، كنت رتبت ذلك، ثم جمعته في المنهاج النبوي، فأنا لم أكن أنتظر أن يتبنى غيرنا هذا المنهاج، لكن كنت مقتنعا بأنه إن لم نبدأ برسم الخطوط الرئيسية للسير فلا يمكن أن نسير بعيدا، هذا كان أمري، وإلا فلم يكن هذا وليد جلسة أو جلسات مع الآخرين، لا، كان هذا فكرا تمخض في مدة.

د. عزام: في تجربتك أنت؟

الإمام: هكذا.

د. عزام: طيب الآن في ما تبقى لنا من وقت أودُّ أن تحدثني لو سمحت عن هذين الكتابين. أنا عندما زارني الإخوة في لندن قبل عامين أو نحو ربما أكثر نسيت والله الوقت متى، يعني علمت بصدور الكتابين وما كان يخطر لي في ذلك الوقت أن ألتقيك وأسمع منك مباشرة.

الإمام: و«تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»

د. عزام: (يضحك)

الإمام: كما يقولون.

د. عزام: أنا يعني تشرفتُ باللقاء بكم والاستماع منكم فإذا تكرمت تقص علينا قصة هذين الكتابين الذين يحملان اسم الجماعة، جماعة العدل والإحسان.

الإمام: نعم طيب، هنالك كتاب ثالث كتاب يكون في هذا المقدار من الأهمية عنوانه «تنوير المؤمنات»

د. عزام: صدر؟

الإمام: صدر، ولا أراه هنا، لم يحضروه.

د. عزام: «تنوير المؤمنات»؟

الإمام: تنوير المؤمنات

د. عزام: موجه للأخوات يعني؟

الإمام: للأخوات والإخوان أيضا

فيه من الأمور الاجتماعية، والآداب الاجتماعية والتربوية، وكان هذا إنصافا للنساء.

د. عزام: والإخوة في حاجة إلى توجيه فيما يتعلق بالتعامل مع النساء؟

الإمام: كان الأخوات والإخوان أيضا في حاجة إلى توجيه في هذا الميدان، كيف ينصفون المرأة؟ وكيف لها حظا من الله عز وجل؟

د. عزام: نعم

الإمام: فإذا المرأة، فهنالك نساء صابرات، ولكن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِظَاتِ وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: 35)، فإذا المرأة هي أختُ الرجل في كل شيء، فيما أعد الله لها.

د. عزام: النساء شقائق الرجال

الإمام: هن شقائق للرجال، فكان هنالك فراغ في هذا الميدان، كان أبو شقة رحمه الله كتب في هذا الموضوع كتابا نفيسا ولكن بأسلوب غير الأسلوب الذي كتبت به، أنا كتبت بأسلوب أقول حركي أو...، وهذا هو الكتاب الثالث الغائب هنا.

د. عزام: نعم

الإمام: أما كتاب «الإحسان» الذي صدر في مجلدين، وهو كبير، وتحدثت فيه عن التربية الروحية، من هم الصوفية؟ ولماذا؟ وكيف التقرب إلى الله عز وجل؟ فيه خلاصة وعصارة تجربتي مع الشيخ العباس رحمه الله. وفيه توجيه وفيه وفيه وفيه، في كثير في هذا الميدان.

د. عزام: هذا المجلد الأول، وفيه مجلد آخر؟

الإمام: هذا فيما يتعلق بالتربية، كنت عقدت ندوة صحفية -هذا اسمها- وحضرني ناسٌ كثيرون منهم المغاربة ومنهم الفرنسيون ومنهم... قالوا ها أنت خرجت من السجن، فما العمل؟ قلت لهم النقطة الأولى التربية، قالوا: النقطة الثانية؟ قلت لهم: التربية، والنقطة الثالثة: التربية، والنقطة الرابعة: دائما تربية تربية تربية، وهذا ما تحتاج إليه الأُمة من يوقظها من غفلة النائمين تحت سياط الحاكمين والنائمين في غفلة اللاهين عن الآخرة وعن الله عز وجل، كان هذا همي دائما، فكتبت كتاب الإحسان هذا موضوعه، أما كتاب العدل جاء بعد ذلك، كتاب العدل والعنوان الصغير الإسلاميون والحكم..

د. عزام: الإسلاميون والحكم

الإمام: ماذا عساهم يفعلون هؤلاء؟ ماذا عساهم؟ ذلك أنه في أوهام الناس -كما قلت في الجلسة السابقة- أن الإسلاميين يريدون بالأمة الرجوع إلى الوراء، والوراء عندهم الوراء التاريخي إلى حضرة الجهل، فأنا حاولتُ أن أقول هكذا ينبغي أن يكون الإسلام، إذا حكم الإسلاميون، هذا العنوان الثاني العنوان الصغير «الإسلاميون والحكم»، وفصلت فيه كيف ينبغي أن تنظم الدولة ومضى هذا، وانتهى الأمر.

د. عزام: يعني هذا، هو في التزكية، وهذا في الإدارة؟

الإمام: قلْ في الحكم

د. عزام: إدارة الحكم

الإمام: نعم الحكم، ذاك في التزكية، وهذا في الحكم، وثالثهما وهو كتاب تنوير المؤمنات وهذا مهم جدا بشهادة الآخرين، ولنا أخ[1] من أنبل ما يكون الإخوان عكف على ترجمته للإنجليزية وقد أنجزه الآن.

د. عزام: هذا العلم الذي ينتفع به

الإمام: هكذا نعم

د. عزام: وددت أن أسألك فيما يتعلق بقضية الحكم، أنت تعلم أن كثيرا من الجماعات الإسلامية والحركات الإسلامية ترى أنه إذا لم يمكن تحقيق النموذج المثالي فلا أقل من محاولة إصلاح بعض الخراب الموجود في النظام السياسي، ومن هذا الباب هم يشاركون في الانتخابات، يشاركون في العملية السياسية لدرء بعض المفاسد لجلب بعض المصالح.

الإمام: نعم، أنا الاحظ في موقعكم الفضائي، أرى هنالك الشخصيات من الناس الذين يتزعمون العمل الإسلامي في بلد كذا أو بلاد كذا، ويروجون هذا الكلام، عندنا هنا في المغرب جماعة التوحيد والإصلاح، وأصبحت الآن انضوت تحت جناح...

د. عزام: أنشأت حزبا

الإمام: أنشأت حزب العدالة والتنمية

د. عزام: نعم

الإمام: يعني، انظر، انظر إلى الاسم «العدل والإحسان» «العدالة والتنمية» كأن الناس يظنون أننا عندما نتحدث عن الإحسان هو أن نحسن إلى مسكين يسأل خبز ليلته أو عشاءه.

د. عزام: ليس هذا المقصود من الإحسان

الإمام: ليس هذا هو المقصود

(1) إشارة إلى الأستاذ فاروق بواس رحمه الله الذي ترجم الكتاب.

د. عزام: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

الإمام: على كل حال، على كل حال، فهذا فكرٌ رائج، نقنع بما هنالك، خذ وأطلب، ولكن أقول لك يا أخي إذا أخذت، ما أدراني أن ذلك الأخطبوط -أخطبوط الدولة- سيلمني إليه لـمًّا، وسيأخذ بتلابيبي إليه وسأصبح لعبة في مدرجه، سَمِّ هذا المدرج برلمانا أو إدارة أو أو أو، فنحن لا نقول بهذا، لا نقول به، فلذلك يسموننا متطرفين، يقولون بالفرنسية «متطرفون» **extrémistes**، ونطلب ما لا يطلب، يعني وكان الخضوع للحاكم القائم واجبا، سياسيا ودينيا وفكريا، من العلماء رحمهم الله، غفر الله لنا ولهم، ولكن نسمي الأشياء كما هي «علماء البلاط» من علماء البلاط هنا في المغرب وخارج المغرب.

د. عزام: لكن جماعة التوحيد والإصلاح، هم لا يقولون ذلك، هم يقولون إنّ إصلاح المفاسد يكون من الداخل نعم إصلاح المفاسد أولى من عدم عمل شيء.

الإمام: نعم، على كل حال، نحن نحترمهم ونحبهم ونحب سيدي أحمد الريسوني تعرفه الدكتور؟

د. عزام: نعم

الإمام: الذي أصبح فقيها الآن

د. عزام: فقيه وعالم

الإمام: فقيه الآن، ومفتي وكذا، أحبه محبة كبيرة وكان هو من الناس الذين نجلس إليهم قبل المنهاج، في حديثنا عن المنهاج، كان هو هذا السيد وهو رجل محبوب من آل البيت، فيعني لا غبار على هذا الأمر، ثم أن تلعب مع الأفعى تأكُلك الأفعى.

د. عزام: (يضحك).

الإمام: تأكلك، تلدغك لدغه قاتلة أو تسممك...

د. عزام: لكن ألا يمكن أن نعتبر أن كل هذا في دائرة الاجتهاد

الإمام: نعم، نعم

د. عزام: فمن اجتهد فأصاب فله أجران

الإمام: نعم، نعم

د. عزام: ومن اجتهد فأخطأ فله أجر

الإمام: يا أخي هذا وعظ، نعم، نعم، وهذا حق من اجتهد فأخطأ، ولكن عندما كان المسلمون في حاجة إلى الاحتفاظ بوحدة الأمة نزى بنو أمية على الحكم، وسكت العلماء، نحن نعذرهم، معذورون، لأنهم كانوا يتلافون، يخشون أن تكون الطامة أكبر.

د. عزام: هم رأوا الاقتتال والفتنة وسفك الدماء.

الإمام: نعم، أرادوا الاحتفاظ على وحدة الأمة، على بيضة الأمة كما يقولون، يعني يقصدون ببيضة الأمة تلك التي يضعها المقاتل على رأسه لكي تحميه من الغير، فكانوا يريدون أن يحافظوا على وحدة الأمة وبيضتها.

د. عزام: بنو أمية عطلوا الشورى، لكن لم يعطلوا الشريعة، ظلوا يحكمون بالإسلام، هذا يختلف عن العصر الحديث، العصر الحديث تعطلت كل القضايا؟

الإمام: لكن يا أخي، لو نظرت بتأنٍّ وتؤدة وتفكير واستجلاء لما وراء الأحداث لرأيت أن الشيء الذي كان يحدث في قصور بني أمية يتقاطر دمـًا وصديداً معنويا على الأمة معنويـًا وفعليـًا، من جملة الأشياء التي كنت عنها في غفلة واستفدتها أخيرا، منذ أسابيع، كنت أنظر في كتاب التاريخ، لمؤرخ مغربي، يتحدث عن القصور ومَن في القصور، والحكم العاض، يتحدث هكذا، فنبهني جزاه الله خيرا إلى شيء كنت عنه غافلا، ذلك أن هؤلاء الحكام كانوا يتزوجون بالجواري والنساء ويخلفون بناتٍ ورجالا، ويتوالد هذا النشء، ثم يؤول الأمر إلى قتال بين الإخوة، ومن قتل أباه، وواحد قتل ابنه، والآخر قتل ابن عمه، وتقوم دويلات...

د. عزام: مآسٍ!

الإمام: مآسٍ، سبب هذا كله يرجع إلى الحكم الوراثي، لأنه بأي حق أن تأخذ الحكم وعصا السيادة وتحرمني من هذا لأنك ابن فلان الأَمة وأنا ابن الحُرة مثلا...

فتقوم كما وقع للأمير المامون في العهد العباسي، وقع هذا كثيرا، فكانوا يلدون كثيرا، وتُربى هذه الأجيال في القصور، التربية في أحضان الجواري ومن اهتم بـ.. وتحدَّث أنت أيها الواعظ المسكين، تحدث عما ينبغي أن تكون عليه تربية الأطفال، والعناية بالأطفال، وتعليم القرآن للأطفال، الناس في غفلة، يوما قرأت كتابا كُتب باللغة الفرنسية لامرأة عاشت في القصر الملكي[1].

د. عزام: هنا في المغرب؟

الإمام: نعم في المغرب، عاشت في القصر، تعرف دواخل القصر، فهذا في زمن الحسن رحمه الله، وأقولها من قلبي خالصا رحمه الله، فتصف ما كان هنالك من هدايا، ومن أموال، ومن أشياء، أشياء، فكنت أتأسف لهذا المسكين، الملك، مسكين، الملك غارق من أخمص قدميه إلى قنة رأسه غارق في الأشياء، أشياء: هدايا وأمور وذهبية وسيارات، وله سيارة كذا وكذا، سيارة كذا، وفولفو **volvo** كذا وكذا، وسيارة السباق كذا وكذا. فرثيت لحاله واتعظت والحمد لله.

فهؤلاء الناس هم الضحية فأنا أعتبر هؤلاء الوارثين، الملوك الوارثين... ضحية تربية.

د. عزام: هو ما ينبغي، وهذا الخطأ الذي وقع في مطلع تاريخنا، ما ينبغي أن يؤول أمر الأمة إرثا يتقاتل عليه الورثة؟

الإمام: نعم

د. عزام: هذا أمر الأمة جميعا

الإمام: هذا مخالف للقرآن الكريم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38)، ولعلي تحدثت عن كتاب كتبته في الشورى وسياق الشورى

د. عزام: نعم هذا هو؟

(1) لعله يقصد مليكة أوفقير (Malika Oufkir) بنت الجنرال محمد أوفقير، ولدت بمدينة مراكش سنة 1953 وهي كاتبة مغربية تعرضت للاختفاء سابقًا بسبب أحداث الانقلابات سنة 1971 و1972م، من كتبها «السجينة» (la prisonnière).

الإمام: حاضر معنا؟

د. عزام: نعم الشورى والديمقراطية هذا هو.

الإمام: الشورى والديمقراطية نعم، لذلك بعض الناس يقولون ديمقراطيتنا هي الشورى، فوجب أن نبين ما الفرق بين هذه وتلك.

الإمام: لأن الناس عندهم أن الديمقراطية هي غاية ما يرمي إليه الناس في تنظيم مجتمعاتهم، لكن الديمقراطية لا تحدثك عن الله، فهي مرفوضة أصلا، هنالك آليات، فكما نستعمل هذا الكأس، وكما نستعمل ما اخترعه المخترعون من الغرب نستعمل هذه الآلات، فإذا كانت الديمقراطية آليات لتنظيم الحكم حبذا، ولكن نحافظ على اللب.

د. عزام: نعم اللُّب الفلسفي لأن الديمقراطية نشأت في مجتمعات تريد أن تنأى بنفسها عن الله. فلبها الفلسفي

الإمام: وثني

د. عزام: معادٍ للدين بشكل عام

الإمام: وهذا ما قُلناه في جلسة سابقة، هنالك السوق في أثينا تسمى الأكورا، هو مكان اجتماع العامة، عامة الناس، بينما الشورى ولدت في المسجد، ومعها معاني المسجد، وتلك الأخرى ولدت في السوق، ومعها السوق، وفيها معاني السوق فالانتخابات...

د. عزام: ومع ذلك فلا غضاضة في أن نستفيد فيما يمكن الاستفادة منه

الإمام: نعم

د. عزام: لن يؤثر على اللب

الإمام: اللب إذا كان هذا ممكن جيد ولكن،

د. عزام: هي الديمقراطية الآن بصورتها الغربية فيها عور وفيها نقص، غير متاحة للمسلمين، لا يسمح بها، وعندما يفوز الإسلاميون كما حصل في الجزائر، وكما حصل في فلسطين ترفض وينقض عليها

الإمام: وكارثة جبهة الإنقاذ في الجزائر درس كاف لهذا الأمر

د. عزام: نعم

الإمام: يعني يأتي العسكر ويقول: قفوا، الذي يحكم هو القوة والسيف، فمنذ قام على رأس سيدنا الحسين بن علي، ومعه بعض من أبناء الصحابة رضي الله عنهم، وقال واحد من بني أمية، لا نذكرهم، رحمهم الله جميعا وغفر لنا ولهم، قال أحدهم أوقف الحرسية على رأس كل واحد من هؤلاء الذين رفضوا أن يبايعوا يزيد بن معاوية، قال «من قال برأسه هكذا قلنا له بسيفنا هكذا»[1]، ولا يزال هذا السيف المسلط على رقاب الصحابة مُسلطا على رؤوسنا حسيا ومعنويا.

د. عزام: أين المخرج؟

الإمام: المخرج هو الصبر والتربية، التربية ثم التربية ثم إيقاظ الأمة، نسأل الله اللُّطف، لا ينبغي للمسلم أن يكون مستيئسا ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:53)، لا نيأس، الأمة بخير والحمد لله، وفي يقظة، كل هذه الكوارث التي برزت من حضرة القضاء والقدر، الله تعالى قدر هذا، فلما يكون الإنسان غافلا عن الله عز وجل يرى بعين الأعور، يرى بعين واحدة ما يحدث في الكون، فيقول لماذا يُقتل المسلمون؟ لماذا يضطهد وتقتل المسلمات في غزة؟ ولماذا يقع هذا في العراق؟ ولماذا؟ يا سيدي، هذا مُلك الله. ولكن هذا كلام الحقيقة، حق، وهناك الشريعة، الشريعة تأمرك بأن تُغير المنكر.

فإذن تغيير المنكر، كيف تفعل؟ فمن الشباب من يقول: أنا أريد أن أقاتل، أقتل وأفجّر نفسي غضبا وحنقا، هذا خروج عن الجادة، يعني أنا أجُود بنفسي لكي أقتل 10 من الصهاينة ومن غيرهم، ولا أتحدث عن الصهاينة لأن مسألة أهل غزة هم أدرى بشعابها. أنا أتحدث عن الآخرين، يُفجرون أنفسهم لكي يغيروا المنكر.

(1) «من قال برأسه هكذا، قلنا بسيفنا هكذا»، تلخص حكم بني أموية عموما، وهي جزء من خطبة لعبد الملك بن مروان جاء فيها «ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف... [من] قال برأسه هكذا قلنا بأسيافنا هكذا»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1952م، ص 190.

د. عزام: والناس يلجؤون إلى هذه الأساليب من شدة ما فيهم من ألم ومن كرب ومنة حصار؟

الإمام: نعم

د. عزام: العالم الظالم هذا الذي...

الإمام: نعم هذه طاقة مكبوتة، لكن هذه الطاقة المكبوتة يجب أن ترشد لكي تصب في مجرى البناء، لا في مجرى الهدم. ها أنت قتلت 10 أو 20، أنا لا أتحدث عن غزة، هم أدرى بشعابها.

د. عزام: وضع فلسطين يختلف

الإمام: وضع آخر

د. عزام: لكن أظن أنت تقصد الذين قاموا بأعمال هنا في المغرب، وفي غيرها

الإمام: المغرب وخارج المغرب

د. عزام: هذه أعمال مؤذية وفيها ظلم، فيها اعتداء على الأبرياء

الإمام: المسلمون لا تنقصهم الغيرة على الدين، لا تنقصهم الحماسة لنصرة الدين، ولعل الله عز وجل يبعث لنا من يوقظنا، أولئك الذين كتبوا عن الرسول ﷺ، وتحدثوا عنه بكلام، كاريكاتير، والاستهزاء والسخرية في الجرائد، فقام المسلمون، واستيقظ المسلمون، لكي يدبُّوا عن دينهم، لكي تنبثق فيهم محبة الرسول ﷺ، لكي تشتعل فيهم الحرقة على دين رسول الله ﷺ، لكن في قلوبنا نكون مطمئنين. الله يفعل ما يشاء وما من شيء أبرزه الله تعالى لهذه الوجود إلا وله حكمة، عرفها من عرفها وغاب عنها من غاب عنها، ورحم الله ابن عطاء الله السكندري، هذا من تلامذة سيدي أبي الحسن الشاذلي، ابن عطاء الله السكندري وله حكم، تعرف الحكم العطائية؟ الحكم العطائية شيء نفيس جدا، قال: «ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر في الكون غير ما أظهره الله».

د. عزام: يا سلام!

الإمام: هذا حق، هذه الحقيقة، ولكن الشريعة تقول لك قم، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، وألا تكون ملعونا ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: 78-79)، فإذا الشريعة تقول لك قُمْ وامُر بالمعروف وانهَ عن المنكر وأمر الله يجري.

د. عزام: الشيخ عبد السلام ياسين أنا شاكر جدا لاستضافتك

الإمام: أنا أيضا

د. عزام: لاستضافتك لنا في بيتك العامر، نسأل الله تعالى أن يمد في عُمرك

الإمام: مع الصّحة والعافية إن شاء الله

د. عزام: وأن يجعل لكم نصيبا في تمكين الإسلام والمسلمين.

الإمام: وأنتم بارك الله فيكم، فإنكم تساهمون مساهمة فعالة في موقعكم هذا الحر، الذي يقولها كلمة صريحة في وجه الظلمة شهادة لله تشهدونها.

د. عزام: نسأل الله أن نظل على ذلك.

الإمام: أنتم تشهدون شهادة الحق، فأنتم على ثغرة من ثغور المسلمين، أيَّدكم الله بنصره وزادكم تألقا وفضلا في الدنيا وجزاء في الآخرة.

د. عزام: آمين، إن شاء الله

الإمام: لأننا لا نعمل لدنيانا، عندما نقول زادكم الله تألقا، يعني هنا في الدنيا لكن تألقا لكي تفيدوا الناس.

د. عزام: آمين، إن شاء الله

الإمام: فأنتم تساهمون في إيقاظ الأمة، جزاكم الله عنا خيرا.

د. عزام: جزاك الله خيرا. شكرا جزيلا.

الفصل الثالث

حوارات في المنهاج النبوي سنة 2009م

نخصص هذا الفصل لسلسلة حوارات أنجزها مكتب إعلام جماعة العدل والإحسان مع الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله رفقة أعضاء من مجلس الإرشاد شهر دجنبر 2009م، وتتضمن هذه السلسلة ست حلقات، تتطرق إلى موضوعات: الصحبة في الجماعة، التوازن التربوي، والبناء التنظيمي، والانكسار التاريخي، والدعوة إلى الله، والخلافة على منهاج النبوة.

أولا: حوار مع الإمام في موضوع: الصُّحبة في الجماعة

أجرى الحوار الدكتور محمد منار

د. منار: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه وحزبه.

مشاهدينا الكرام، على بركة الله نفتتح سلسلة حوارات حول مشروع المنهاج النبوي -مشروع جماعة العدل والإحسان- ضيفنا في هذه الحوارات ومضيفنا هو الأستاذ المجاهد المربي الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين، مؤسس جماعة العدل والإحسان ومؤسس مشروعها، في هذه الحوارات سنركب سفينة هذا الرجل، لنبحر بأمن وأمان -إن شاء الله- في العديد من القضايا التربوية والفكرية التي بسطها الأستاذ في العشرات من كتبه، حوارات للعرض الهادئ والطرح القاصد، لحظات للصفاء الروحي والوضوح الفكري قد لا تكفي للإحاطة بكل معالم المشروع، لكن وكما يقال: ما لا يدرك كله لا يترك جله، والله عز وجل ولي التوفيق والسداد.

الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإمام المرشد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

د. منار: في البداية نشكرك على قبول دعوتنا لإجراء هذا الحوار، كما نشكرك على استضافتك لنا. أستاذي الجليل، نخصص هذه الحلقة الأولى من سلسلة هذه الحوارات -حول المنهاج النبوي- لموضوع تولونه أهمية خاصة ألا وهو موضوع الصحبة والجماعة. وقبل التطرق لهذا الموضوع بالتفصيل، أبدأ لأسألك عن عبارة ترددت كثيرا في كتاب «الإحسان» ألا وهي: السلوك الجهادي، ماذا تقصدون أستاذ بهذه العبارة؟ عبارة السلوك الجهادي؟

الإمام المرشد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه وحزبه. أقصد أولا أن يتميز في الأذهان وفي سلوك الناس، وفي سلوك هذا الشباب المقبل على ربه، الراغب في القرب منه سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيله، نريد أن يتبين لنا المطلبان الأساسيان اللذان يحملهما عنوان العدل والإحسان، هما خصلتان أمر الله عز وجل بهما في كتابه العزيز في قوله تعالى من سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، كيف نجمع بين مطلبين دون أن يكون بينهما تنافر، ودون أن يكون أحدهما عائقا للآخر، فإن من الناس من يكون طلب وجه الله في نظره وفي تخيله هو الانزواء في ركن ركين، وطرح ما سوى ذلك، بما فيه شأن الأمة وحاضرها ومستقبلها، ومن الناس من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويشتغل بإصلاح الأمة وإصلاح الناس دون أن يلتفت إلى نفسه ليشير إليها بأصبع الاتهام، ويقول لها: وأنت التي تريدين أن تصلحي الناس هل أصلحت شأنك مع الله عز وجل؟ هل طلبت وجه الله عز وجل؟ هل أحسنت ما يجب أن تحسنيه من عبادتك الشخصية؟

د. منار: أستاذ عبد السلام ياسين، هذا السلوك الجهادي ماذا يميزه عن غيره، ما هي خصائصه؟ ماذا يميزه عن أنواع السلوك التي نعرفها عند الصوفية وعند غيرهم؟

الإمام المرشد: هذا ما كنت آتيا إليه قاصدا. السلوك عند بعض الناس هو أن ينزوي الإنسان عن المجتمع، ويطرح من حسابه كل ما يعني الناس فيشتغل بخويصة نفسه، فهؤلاء يريدون أن يسلكوا إلى الله عز وجل عن طريق التزهد، عن طريق نبذ الدنيا، فإذا نبذنا الدنيا ولم نُقبل على الله عز وجل من خلال إصلاح ذواتنا أولا، لنصلح بعد ذلك ما في قلوب الناس، لأن الانزواء يؤدي إلى الدروشة، ويؤدي إلى الخمول، ويؤدي إلى ترك ما يشتغل فيه الآخرون بفاعلية وبتأثير في المجتمع. يأتي الآخرون الذين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر فيزعمون أنهم يريدون الخير للأمة، أن يقودوها لصلاحها وفلاحها ونجاحها ونصرها على اليهود الغاصبين في غزة وفي بقاع الأرض، فينضوي بعض الناس تحت هذا اللواء المشبوه، لواء الدعاة إلى السياسة أو إلى الإسلام الفكري، فيتلخص عندهم الإسلام والإيمان في فكر

نقدمه ونهضمه، ونعاود الكرة عليه، ونقرأ كتب ما كتب الناس عن الإسلام، فيخيل إلينا بعد ذلك أننا مؤمنون ومجاهدون وسالكون، وهذا كله خطأ.

د. منار: إذن هناك شروط للسائر في طريق السلوك الجهادي أستاذ عبد السلام ياسين؟ ما هي هذه الشروط لكي يعرف الإنسان أنه يسلك في طريق السلوك الجهادي؟

الإمام المرشد: لكي يعرف أنه يسلك في طريق السلوك الجهادي ينبغي أن يكون القرآن الكريم وأمر الله عز وجل حاضرا في ذهنه، ماثلا بين عينيه، لا يفرق في أمر الله عز وجل الذي يبتدئ بتوبة العبد المؤمن فردا، وينتهي بالجهاد جماعة. لذلك تجدنا عندما نعدد خصال الإيمان نبدأ نقول: الصحبة والجماعة، وهما مطلبان لا يفترقان، فلو قلنا الصحبة فقد بعثنا الناس، وأرسلنا الناس، وطيشنا الناس إلى الزهادة الفردية.

د. منار: إذن هي صحبة وجماعة؟ الصحبة والجماعة كما قلت في البداية تولونها أهمية قصوى جدا. وتجعلونها أول شرط من شروط التربية. لكن أستاذ نسمع من حين لآخر حديثك عن الصحبة في الجماعة والصحبة للجماعة والصحبة مع الجماعة. هل من توضيح؟

الإمام المرشد: التوضيح في هذه المسألة، الصحبة والجماعة يمكن أن نمددها أفقيا وعموديا إلى أعلى. الصحبة في الجماعة ذلك لكي لا ينفرد أحدهم ويقول أنا أحب هذا الرجل، أي رجل من الصادقين، أحب هذا الرجل ولا أريد غيره، فهذا لا يصلح للجهاد، لا يصلح لِلْجماعة، إذا كان لا يصلح للجماعة إذن لا يصلح للسلوك الجماعي، للسلوك الجهادي. السلوك الجهادي ينبغي أن يقبل فيه الإنسان من أول خطوة يضعها في الميدان أنه سائر بعد المراحل التربوية، الصحبة والجماعة ثم الذكر ثم البذل ثم ثم ثم لكي ننتهي إلى الجهاد.

د. منار: كلام دقيق هذا أستاذ، كلام دقيق جدا. هذا الكلام له أهميته في المستقبل، في الأجيال المتلاحقة في هذه الدعوة، دعوة العدل والإحسان. بمعنى تقول الآن إذا ظهر أحد وقال: أحب صحبة فلان دون صحبة فلان، فهذا لا يصلح للسلوك الجهادي؟

الإمام المرشد: لا يصلح تماما لأن في ذلك نقضا لمبدإ الجماعة، إذا كان يحب هذا ولا يحب ذاك، كنت أحب فلانا فقضى ومضى، والآن لا أحب الآخر، أحب هذا دون هذا.

د.منار: لكن كيف يجمع هذا بين حرصه على الجماعة والجهاد في جماعة المؤمنين، وحرصه في نفس الآن على الصحبة، الصحبة التي تعني أن يكون هناك مصحوب يصحبه؟

الإمام المرشد: أن تصحب فردا هذا مبدئيا، وفي أول الخطوات يضعها المرء في هذا المجال، لابد منه، لابد أن نحب، لأن المرء مع من أحب، ولا يكون المؤمن مؤمنا إلا إذا أحب المرء لا يحبه إلا لله. لكن أن يبقى مع شخص فإذا مات ذلك الشخص بقي بدعوى الإخلاص للمبدإ، والإخلاص للبادئ، والإخلاص للبادئين والجيل الأول، إذا بقي يتعلق بالماضين، فهذا ما يسمى بالتبرك، يكون التبرك بالأموات، لا يكون التبرك بالأحياء. الأحياء يساعدونك على التقدم خطوة خطوة في طريقك إلى الله عز وجل، أما أن تتبرك بالأموات أو ببعض الأحياء دون بعض، فمعنى هذا أنك لا تريد أن تشتمل عليك الجماعة وأن تدخل أنت في الجماعة، وأن تنخرط في الجماعة، وأن تنخرط في مشروعها. تريد أن تنتحي ناحية، وأن تؤسس لنفسك شيئا آخر، غير جماعة العدل والإحسان.

د. منار: هذا تحدثت عنه كثيرا وبوضوح في كتاب «الإحسان»، أن جماعة العدل والإحسان لا تنهج صحبة التبرك، وإنما تنهج صحبة سلوك. سؤالي في الأجيال المتلاحقة، لا شك أن هذه الدعوة ممتدة في الزمان، في الأجيال المتلاحقة، مسألة المصحوب، هذا الرجل وهاته المرأة اللذان يجاهدان في جماعة العدل والإحسان، والحاضرون معها، مسألة المصحوب كيف يحسمونها؟ كيف يحققون هذا الأمر الأساسي في التربية؟

الإمام المرشد: من طبيعة البشر، ومن طبيعة الناس، أن تميل قلوبهم إلى بعض المؤمنين دون بعض، هذا شيء طبيعي، لكن أن يكون ميلك إلى فلان عنوانه وشرطه أن تعادي فلانا، كان هذا شقا في الجماعة، أنا أحب فلانا ولكن لا أريد أن أسمع عن فلان ولا أن أراه.

د.منار: هل نفهم من هذا الكلام سيدي أنه في المستقبل -إن شاء الله- في الأجيال المتلاحقة، أن الصحبة ستكون صحبات في الجماعة؟

الإمام المرشد: هذا لا بأس به، إذا كانت لا تتنافى ولا تتعارض ولا تتقاتل. لا بأس بذلك، هذا طبيعي.

د. منار: يعني ممكن أن تكون صحبة لفلان، وصحبة لفلان، وصحبة لفلان، لكن الشرط الضروري والأساسي، هو أن يكون كل ذلك في إطار الحب في الله عز وجل؟

الإمام المرشد: في إطار جماعة مجاهدة، في إطار جماعة تتقدم بك خطوة خطوة لتكون من المجاهدين، ولأمر ما ترى في أول خصلة من الخصال العشر الصحبة والجماعة وينتهي الأمر بالجهاد، هو تهييء، هي تربية هي تهيئة للنفوس لكي أولا تبذل وتحتقر كل ما سوى الله عز وجل، وكل ما يقربك إلى الله عز وجل، ثم تسوق في ذلك وتصبر عليه، وتسير في دربه دون أن تلتفت يمنة أو يسرة. هذا شرط.

د. منار: أنت تؤكد أن السلوك إلى الله عز وجل يحتاج ضروري إلى مرب، كيف هذا الأمر في ظل الجماعة؟

الإمام المرشد: إذا قبلنا الشرط الأول، وهو أنه إذا مات فلان، فقد ذهب إلى ربه، وبقي سر الجماعة في الجماعة، فإذا كنت أنا نحلة، فإنني أطلب الرحيق حيث الرحيق، آخذ الرحيق من هذه الوردة ومن هذه النوارة إذا كنت نحلة، أما إذا كنت ذبابة تتقذر الصالحين، الذباب لا يقبل الشيء الطيب، إذا كنت ذبابة فإني أستقذر هذا وأعرض عن هذا، ولا أحب ذاك. أكون نحلا يطلب الرحيق حيث الرحيق، والرحيق أين؟ في قلوب المؤمنين جميعا، إذا كانوا قد سلكوا هم الطريق، إذا كانت قلوبهم قد صفت من غبش التعلق بغير الله عز وجل، وأصبح لكل واحد منهم مطلب عند الله عز وجل. هل تريد شيئا؟ أريد وجه الله. هل تتبع ما أوحى الله عز وجل؟ هل تتبع سنة رسوله ﷺ ؟ إذا كان الجواب إيجابيا عن هذين السؤالين، فالقلب مستعد لكي يعطي، لكي تأخذ منه النحلة رحيقها.

د. منار: سيدي هذا أمر هام جدا، لكن المسألة في نظري لا تتعلق فقط بمن يَصْحَبون، هذه نفوس سيدي، نحن نعلم أنه حتى صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ اختلفوا فيما بعد، المسألة تتطلب نضجا تربويا عاليا حتى في صفوف أولئك المربين أولئك المصحوبين،

كيف لا تحدث خلافات أو اختلافات بين أولئك المصحوبين أنفسهم، وكما قلت هو أمر مستقبلي، وأمر نفوس؟

الإمام المرشد: أمر المستقبل نكله إلى الله عز وجل. فإن النفوس البشرية لا تموت، دائما تأتي تلك النفس الخبيثة قرينة الشيطان فتزعم لنفسها أنها هي هي، وتتصدر الأنانية الفردية لكي تقضي على الجماعة على الروح الجماعية. فإذا كنت أنا قد امتلأ بطني من الطيبات، إذا امتلأ قلبي يعني باطني من حب الله وحب رسول الله ﷺ وحب المؤمنين، وكنت على يقين من قول الرسول ﷺ الذي يقول: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا»[1] فكنت أحب المؤمنين جميعا، فأنا إلى صلاح وإلى رشد. وأما إذا كنت ذبابة تستقذر هذا، وتحط هنالك، فهذه لا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، بل يخرج من بطونها - أي من قلوبها- الضرر، يخرج من بطونها المرض، يخرج من بطونها الانشقاق، وشق عصا الصالحين.

د. منار: أسأل عن الشر، كما كان الصحابي رضي الله عنه يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه. فمشروع العدل والإحسان مشروع واسع، مشروع أتى بجديد في الحركة الإسلامية وفي الفكر الإسلامي، قد يكون هناك مصحوبون في جماعة العدل والإحسان، قد تظهر اختلافات في قراءة هذا المشروع، في تنزيل هذا المشروع، في تأويل هذا المشروع، كيف يمكن أن نتفادى مثل هذه الاختلافات؟

الإمام المرشد: إذا وقعت اختلافات لا يمكن أن نلم شعثها، فإذن نرجع إلى الخانة الأولى، إلى المنطلق الأول، هؤلاء المتخاصمون، هل يطلبون وجه الله عز وجل حقا وحقيقة؟ أم أنهم يطلبون الشفوف على الأقران، والظهور، والمسّ الخفيف اللطيف على أنانيتهم؟ إذا كان هناك خلاف لا يمكن أن يُلَمَّ شعثُه، فنرجع إلى الخانة الأولى، نقول: هؤلاء الناس لم يتلقوا تربية، وليسوا أهلا جميعا، يكون مجموعهم غير مؤهل لكي يكون النوارة التي تعطي رحيقا، تكون مرضا يعطي المرض.

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، رقم: (54).

د. منار: تؤكد كثيرا أستاذ في سلوكك والسلوك العام لجماعة العدل والإحسان على الهوية الإحسانية علما وعملا، أي باعتبارها العمود الفقري لأي خلاص فردي أو جماعي، أستاذي كيف يمكن الحفاظ على هذه الهوية الإحسانية؟ كيف يمكن الحفاظ عليها قائمة فاعلة؟ وما المطلوب من أبناء وبنات الجماعة حتى تترسخ هذه الهوية الإحسانية عند أجيال الصحوة الإسلامية عموما؟

الإمام المرشد: المطلوب هو أن نتريث، أن يتريث كل واحد منا حتى يسأل نفسه، وحتى يحث الآخرين على طرح هذا السؤال على أنفسهم: هل لك عند الله حاجة؟ فإذا كان الجواب إيجابيا، نعم، لي عند الله حاجة، عندئذ أقول: إذا كان لك عند الله حاجة، فانظر إلى قلوب إخوانك، وانظر إلى إخوانك بالتعظيم والتوقير لكي تستمد منهم، فتكون كالنحلة التي اتخذت لنفسها مجالا لمصّ الرحيق. أما إذا كنت تعرض عن إخوانك، فبئس ما تفعل، فإنما تبتعد عن الله عز وجلّ. إن الحديث عن المحبة، وهي شأن قلبي، قلّما يتسع اللفظ له، [قلّما] تتسع الألفاظ والكلمات له، فهو أمر قلبي، وفي الأمور القلبية يكمن الشيطان. شيطان الهوى يقول: إنما أريد الإصلاح، إنما أريد الإصلاح، وهو لا يريد إلا صلاح أنانيته، وصلاح حاله مع الناس، فيكون منافقا. فإذا كنا بلغنا عشر ما بلغه صحابة رسول الله ﷺ، الذين كانوا يتهمون أنفسهم، فيسأل سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق، الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل، يسأل حذيفة رضي الله عنه: هل أنا منافق؟ يتهم نفسه، إذا كنا نحن نتهم أنفسنا بالتقصير، وننظر إلى الآخرين، إلى إخواننا بالتعظيم والتوقير، فأَخلقْ بنا أن نستمد منهم كل طيب، وأن نستمد من قلوبهم كل خير وكل نور! وإذا كنا لا نتصف بهذه الصفات، فالسلام على الدنيا.

د. منار: المطلوب الجمع بين حقوق الصحبة وحقوق الجماعة، تحقيق هذا الأمر، ماذا يتطلب؟

الإمام المرشد: يتطلب قلوبا طاهرة من حب الدنيا، واعلم أن أصل هذه الآفات حب العاجلة وترك الآتي[1]، وترك الآخرة، إذا كنا لا نعمل لآخرتنا، لا نعمل لإرضاء ربنا، فكل

---

(1) يستشهد الإمام هنا ببيتين لابن عاشر في المرشد المعين وهما:

وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ أَصْـلَ ذِي الْآفَـاتِ ... حُـبُّ الرِّئَاسَـةِ وَطَـرْحُ الْآتِـي

رَأْسُ الْخَطَايَـا هُـوَ حُـبُّ الْعَاجِلَـهْ ... لَيْـسَ الـدَّوَا إِلَّا فِـي الِاضْطِـرَارِ لَـه

المصائب تترصد بنا وتنتظرنا في كل منعرج طريق، هنالك شيطان في هذه الزاوية وشيطان آخر في الزاوية الأخرى. هو سلوك، هو اقتحام عقبة، بدأنا بهذا في أول ما كنا نكتب. اقتحام العقبة، يوطد الإنسان نفسه على اقتحام، وكلمة اقتحام تؤدي معنى الجهد، ومعنى الصبر، ومعنى المصابرة، ومعنى المواصلة، اقتحام عقبة النفس أولا، وهنالك عقبات أخرى، عقبة الشيطان، وعقبة الهوى، وعقبة الآخرين... كثير وكثير جدا، كل ما نهانا الله عز وجل عنه عقبة تقف في طريقي. فإن لم يَكن من قوة الإيمان وقوة طلب وجه الله عز وجل ما يدفعني، ما يعينني على الاقتحام، فأنا حابط لا محالة اليوم أو غدا.

د. منار: علاقة الصاحب بالمصحوب يصورها بعض الناس بأنها مثل علاقة المريد بالشيخ؟

الإمام المرشد: المريد بالشيخ. الحديث عن المريد وعن الشيخ، استعمال المصطلحات الصوفية هذا لا يصلح لنا بتاتا، نرجع إلى القرآن الكريم وما جاء في التربية النبوية. فالمريد مع الشيخ، إذا جئنا إلى كتب القوم رضي الله عنهم، نحن لا نتهم أحدا، ولا نتعالى على أحد، وإنما نطلب الله عز وجل أن يحشرنا في زمرة الصالحين، إذا كنا نقول نبدأ باستعمال مصطلحات الصوفية فإننا لن نخرج من هذا المأزق أبدا. لأن هنالك مشايخ لهم كرامات، والكرامات تجلب بسرعة الأنظار، فيقولون: هذا له كرامات والآخر لا كرامات له، فأنا أريد هذا الذي له كرامات. قد يكون ما يظهر لك أنت كرامات تلاعبا للشيطان ومصيدة للشيطان، فتنطرح بين يدي مشعوذ[1]. هذا من الأخطار في الطريق، فإنما الكرامة الكبرى الاستقامة على سنة رسول الله ﷺ. من الناس من يزعم أنه يستطيع أن يسلك إلى الله عز وجل الطريق القويم دون أن يلتفت إلى السنة، لذلك كلما كتبت عن أهل الحديث أقول – وأنا أقول الآن –جزاهم الله عنا كل خير، فهم مَحّصوا لنا الأحاديث النبوية وأتونا بزبدتها، أتونا بزبدة الدين، فكل ما صح عن رسول الله ﷺ نفعله، وكل ما لم يصح عن رسول الله ﷺ لا نفعله. ثم إن الحديث عن الصوفية وعن التصوف، هذا يطلب جلسات ويطلب أعمارا، ويتنافس الناس في تفسيره، يقول: أنا أعرف، وأنا كان لي ذوق، وأعرف هذا ولا يعرف الآخرون، لا ندخل في هذه.

(1) انظر كتاب الإحسان، 1/ 235.

د. منار: أستاذ بعيدا عن هذا الأمر أمر المصطلحات، أدقق شيئا ما، مضمون العلاقة التي ينبغي أن تكون في إطار الصحبة داخل الجماعة، هل هي مثل علاقة الشيخ بالمريد أم تختلف عنها؟

الإمام المرشد: من شروطهم، من شروط القوم رضي الله عنهم إذا وجد الإنسان ذلك الكبريت الأحمر، كما يقولون، هذا تعبيرهم، إذا وجد الناس ذلك الكبريت الأحمر فيُطلب إليه أن يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله، معناه أن يستسلم لما يقوله شخص، وكل ما يقوله أشخاص ما دون رسول الله ﷺ فهو لغو ومطروح ومكروه وغير مقبول. نحن نتبع سنة رسول الله ﷺ. من الناس من يستعملون مصطلحا مزدوجا مركبا يقولون «التصوف السني»، هذا اصطلاح هجين، «التصوف السني»، كلمة تصوف لا نقرأها في القرآن ولا في السنة، هي كلمة طارئة، واصطلاح طارئ نطرحه مع ما نطرح. التزكية، يرحم الله أبا الحسن الندوي -رحمه الله- الذي بذل مجهودا لكي يطرح جانبا كل المصطلحات. يقول: التزكية (قد أفلح من زكاها) فكلمة التزكية كلمة زكية، فاللفظ يدل على الزكاة، على الريح الطيب. والجليس الصالح كما جاء عن رسول الله ﷺ الجليس الصالح تأخذ منه ريحا طيبا أو يحذوك وتشم منه الروائح الطيبة. وإذا صحبت نافخ الكير يحرق ثيابك..

د. منار: أتحدث عن سلوك الجماعة في حركتها الجهادية التغييرية عندنا الصحبة من جهة وعندنا المؤسسات من جهة أخرى، الموازنة بين هاتين الاثنتين؟

الإمام المرشد: أجيبك من القرآن الكريم عند قول الله عز وجل يخاطب رسوله ﷺ، وما خاطب الله عز وجل به رسوله يصلح خطابا للصالحين في كل زمان ومكان، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾. لأنه مادامت الأصوات المتنافرة تغزو سمعيه فإنه لن يسمع كلام الله، بل يسمع كلام فلان، وكلام فلان يبطله اعتراض فلان، وهذا مجال السياسة، السياسة من شأنها هذا، الدخول في معمعان الحزبية والتناطح وما يسمونه الآن التدافع. فإذا لم يكن الإنسان يطلب وجه الله عز وجل، وإذا لم يكن قد طرح جانبا، قد طرح وراءه ظهريا أنانيته وحبه لذاته، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ معنى أجره: اجعله في جوارك، وفي حمايتك، وفي أمانك،

تحت أمانك، حتى يطمئن، حتى تطمئن نفسه المضطربة، لأن اضطراب النفس هذا لا يصلح معه السلوك. إذا كنت لم أصمم، نسأل الله عز وجل العافية، إذا لم أكن قد حظيت -بفضل من الله عز وجل- بهذا الطلب القاصد الصامد لوجه الله عز وجل، فإنني كالفراشة التي تحترق، تذهب إلى نور هنا، وشُمَيْعة هناك، ومصباح هنالك فتحترق.

د. منار: الأستاذ عبد السلام ياسين نشكرك جزيل الشكر على إتاحتك لنا لهذه الفرصة. مشاهدينا الكرام نضرب لكم موعدا في لقاء قريب -إن شاء الله- مع حلقة أخرى من سلسلة حوارات حول مشروع المنهاج النبوي. إلى اللقاء. والسلام عليكم..

ثانيا: حوار مع الإمام في موضوع: التوازن التربوي

أجرى الحوار الدكتور عبد الرحمن حرور

د. حرور: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن سار على هديهم وسلك مسلكهم إلى يوم الدين، أحبتي المشاهدين، نلتقي اليوم في حلقة جديدة من سلسلة حوارات حول مشروع جماعة العدل والإحسان المتمثل في: «المنهاج النبوي: تربية وتنظيما وزحفا».

في هذه الحلقة المنعقدة في 8 ربيع الثاني 1430ه، الموافق 14 أبريل 2009م، نخصص حوارنا حول التصور التربوي لجماعة العدل والإحسان بصفة عامة، وتحديدا حول مسألة التوازن التربوي عند جماعة العدل والإحسان. كيف يتحقق هذا التوازن؟ كيف يُعمم؟ كيف يستمر؟ وأسئلة أخرى تأتي أثناء الحوار.

في هذا الإطار، وباسمكم أحبتي المشاهدين أرحب بالضيوف الكرام، الأستاذ الفاضل المجاهد الأستاذ عبد السلام ياسين حفظه الله مؤسس جماعة العدل والإحسان ومرشدها العام، وفي الحقيقة نحن ضيوف عنده، فهو صاحب هذه المأدبة. ونرحب كذلك بأستاذنا الفاضل محمد عبادي وهو كذلك عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان، من علماء هذه الأمة، أمضى عمره مؤازرا لأستاذنا عبد السلام في الدعوة إلى الله وتربية أبناء الأمة، وأرحب كذلك بأخينا وأستاذنا عبد الكريم العلمي، عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان، أستاذ اللغة العربية، وأستاذ في الدعوة إلى الله عز وجل.

إذن، أحبتي الكرام المشاهدين، أحبتي الضيوف نستهل حوارنا هذا مع أستاذنا الأستاذ عبد السلام ياسين حفظه الله بملاحظة إخالها جوهرية، ذلك أن مسألة التربية نلاحظ أنها تتكرر في كل ما كتبه الأستاذ المرشد حفظه الله، بل حتى في مرئياته، بل حتى في الندوة الصحفية التي خرج فيها إلى الرأي العام بعد الحصار عندما سئل عن برنامج الجماعة ومشروعها قلتم حفظكم الله: «التربية ثم التربية ثم التربية».

ما المقصود بالتربية إذن؟ ثم لماذا هذا الإلحاح على مسألة التربية؟ (متوجها بالسؤال إلى الإمام)

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المخلوقين وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. سيدي عبد الرحمن حرور، أظن أن تَكرار كلمة التربية، كان المقصودَ منه أن يستقرَّ في أذهان الناس، أن الناس، ولا أستثني من الناس جماعة العدل والإحسان، يحتاجون إلى من يُربي فيهم النزَعات والنوازع الخيرية. وربى الشيء معناه إذا كَبَّره، إذا نماه وتعهده حتى ينموَ، فإذا كنا نريد أن نعمل عملا يبقى أثرُه مِن بَعدنا لكي يلحقنا في الآخرة، لقول النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:...(منها) ولد صالح يدعو له».

فنحن نعمل لآخرتنا، وكل واحد من هذه الجماعة ومن المسلمين أجمعين ينبغي أن يستحضر أن عمله في إرشاد الناس وفي دلالة الناس على طريق الخير، هذا عملٌ مبرور يحبه الله عز وجل. ويكفي قوله ﷺ لسيدنا عليٍّ «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا -أو امرأة- خير لك من حُمْرِ النعم»، وحمْر النعم كان أفضل المال عند العرب، النعم الحُمْر وهي الجمال الحمراء، هنالك الجمال البيضاء والجمال السوداء، والجمال الحمراء وهي المفضلة عند العرب.

«لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرٌ لك من حُمْر النَّعم». ومن الناس من يقول من حُمُر النعم، وهذا خطأ فادح كثيرا ما تسمعونه في الفضائيات وغيرها. حُمُر جمع حمار، وهذا لا يستقيم، أحمر حُمْر، أفعل فُعل، هذا القياس أصفر صُفر أبيض بُيض، ثم استثقلت الضمة قبل الياء فنُقلت الضمة إلى كسرة فقيل بِيض. الأيام البيض، ونحن نتحدث عن التربية، ينبغي أن نترصد دائما في وسط كل شهر عندما يصل اليوم العاشر من الشهر نترصد ونترقب ونتهيأ لصيام الأيام البيض. وصيام الأيام البيض لها فضلٌ كبير لا ننساها، وهذا يدخل في منهاج تربيتنا في يوم المؤمن وليلته، وسائر الأعمال الصالحة التي يتعهد كل واحد من جماعة العدل والإحسان، يتعهَّد بينه وبين الله عز وجله أن يحترمها وأن يأتِيَها وأن يمارسها.

د. حرور: أقطف قطفا من المنهاج النبوي، قلتم فيه: «إسلام الزهادة والهروب من المجتمع، والإسلام الفكري، والحركية على حساب التقوى والعلم: ثلاثة مزالق»، لاحظت

من هذه الفقرة وغيرها إلحاحا على مسألة التوازن في التربية عند رجال الجماعة ونسائها. السؤال هو كيف يمكن تحقيق هذا الأمر، مسألة التوازن، توازن التربية؟

الإمام: لكي لا نفقد توازننا ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ (الرحمن:7). والميزان في الأرض، في النبات، في الحيوان وفي الإنسان. في عمل الإنسان ينبغي أن يكون متوازنا.

ذ. محمد عبادي: الله سبحانه وتعالى الله عز وجل خلق المخلوقات بمقدار، والمقدار هو الوزن ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ (الرحمن: 10-11) كل شيء خلقه الله تعالى بميزان، إذا اختل التوازن كان ذلك علامة على الخراب. فلو فرضنا مثلا أن الشمس اقتربت من الأرض، أو القمر اقترب من الأرض لكان هناك انفجار كوني، وكذلك على ظهر هذه البسيطة كل شيء فيه بميزان، والتربية كذلك لا بد فيها من توازن، الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان جسما وروحا وعقلا، فلابد من أن يُعطي كل ذي حق حقه، امتثالا لأمر رسول الله ﷺ، ولقولة سلمان الفارسي رضي الله عنه لما حاور أخاه أبا الدرداء: «إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»، نفهم من هذا الحديث أن هذه الأمور التي أقرها الرسول ﷺ وضعت لنقيس عليها، بدليل «فأعط كل ذي حق حقه»، وكلمة «كل» تدل على الشمولية، فلا بد من مراعاة التوازن التربوي، فردا وجماعة وأمة، فلا يطغى جانب على جانب.

ولكن المنطلق والبداية لأجل حفظ هذا التوازن هو أن تنال الروح حقها، لأن التربية هي إيصال كل شيء إلى كماله، نتحدث عن الكمال البشري، وإلا فالكمال المطلق هو من صفات الله تعالى عز وجل. التربية هي إيصال الشيء إلى كماله، فكيف نصل بهذه الروح إلى أصلها إلى فطرتها إلى ما كانت عليه؟ إذا تحقق هذا النور الإيماني الذي تكتسبه هذه الروح، إذا طَهرت وصَفت هي التي ستدفعنا لمراعاة هذا التوازن، كما يقول الإمام البوصيري رحمه الله:

وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الأَعْضَاءُ

ودفعت الأعضاء إلى الحركة لمراعاة التوازن، وأيضا كما يقول الأخ الحبيب المرشد إنّ الرحمة القلبية هي التي تعطي الحكمة العقلية، وتدفع العقل ليكون تصوره سليما صحيحا

فيعطي الله سبحانه وتعالى للعبد الحكمة، والحكمة هي وضع الشيء في محله، هي موافقة الصواب في القول والفعل والعمل.

د. حرور: سبحان الله، إذا حدث لا قدر الله، نؤكد على التوازن يعني يمكن أن يحدث خلل في التربية فإذا حدث هذا الخلل كيف يمكن أن نتجاوزه سيدي محمد؟

ذ. محمد عبادي: لابد من إعادة صياغة الإنسان من جديد، عندما نرى خللا في جانب من جوانب حياة الإنسان نعمل على سد ذلك الخلل بإعادة التربية، إذا كان هناك نقص في الجانب الفكري لا بد من التركيز على التكوين وعلى العلم، إذا كان هناك خلل في الجانب الحركي لابد من الدفع بالمرَبَّى إلى العمل وإلى الحركة، إذا كان هناك قصور وضمور في الجانب التربوي لا بد من التركيز على اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى وعلى ذكر الله سبحانه وتعالى عز وجل لتبقى حياة الإنسان فيها توازن حتى لا يطغى جانب على جانب.

د. حرور: سيدي عبد الكريم، المنهاج النبوي يلح على التطبيق، على أمور عملية، سؤالي هو ما هي الضمانات التي من خلالها يمكن لهذه الجماعة أن تحافظ على استمرار التوازن التربوي عبر الأجيال القابلة؟

ذ. عبد الكريم العلمي: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين. كما قال أئمتنا رحمة الله عليهم: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، فلا أبعُد إن قلت إن التوازن المتحدث عنه والمتشوف إليه والمتطلع إليه إن شاء الله، الآن وعبر الأجيال، هو الالتصاق الكامل بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ». ورسول الله عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحاديث حظنا وحثنا على هذا الأمر، بل حرص عليه الصلاة والسلام على أن يعلم الصحابة الكرام وأن يوجههم إلى هذا التوازن.

الإمام: الآن، إن سمحت آسيدي عبد الرحمن، أظن أن هذا هو الاتجاه الأول فيما كتبت في المنهاج، وأن الشعار الذي تحمله جماعتنا العدل والإحسان جناحان لطائر قد تميل به الريح أو رياح التأثير، تأثير بيئة اجتماعية أو سياسية أو مآل سياسي، قد تهب عليه هذه الرياح العاصفة فيميل ذات اليمين وذات الشمال فيفقد توازنه، العدل والإحسان ينبغي أن يكون كالطائر الذي ينشر جناحيه وهو في اطمئنان وفي سلاسة. تفضل.

ذ. عبد الكريم العلمي: هذه السلاسة هي التي نبحث عنها. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إليها. وأشرت قبل قليل إلى هذا الأمر الذي حرص عليه رسول الله ﷺ وحض عليه وحث عليه الصحابة الكرام في شأنهم الخاص وفي شأنهم العام. وما أورده سيدي عبادي أثرٌ معتبر في الباب عندما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لسيدنا سلمان رضي الله عنه، أثنى على سيدنا سلمان وقال لسيدنا أبي الدرداء في القصة المشهورة التي تحدث عنها سيدي عبادي «عُويمرُ سَلمانُ أفقهُ منك»[1]، عويمر هو اسم سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه.

وما هو هذا الفقه؟ هو هذا التوازن: إن لربك عليك حقا. ما هو حق الله علينا؟ هذا ما تربينا عليه في هذه الجماعة وما سمعناه مرارا وقرأناه عند سيدي عبد السلام، أن نعرف الله تعالى، أن نسعى إلى معرفة الله عز وجل، أن يجتهد الواحد منا إلى هذه المعرفة.

«إن لأهلك عليك حقا، إن لنفسك عليك حقا»، حقُّ النفس أن نُعَبِّدَها لله عز وجل أن نُعَرِّفها الله سبحانه وتعالى. فلا يمكن أن يسير الإنسان وخاصة خاصة داخل الحركة الإسلامية بفكرٍ فقط، بعقلٍ فقط. إن كان مجردا عن معاني الانتساب إلى الله سبحانه وتعالى، عن معاني الانتساب إلى رسول الله ﷺ، إلى سنة الحبيب المصطفى، إلى كتاب الله عز وجل فسيبقى في تجمع سياسي، في ارتباط أرضي، فهذا هو الأساس من هذا...

د. حرور: نعم، لو سمحت أعود بك إلى السؤال السابق، أمور عملية تطبيقية إجرائية من أجل ضمان استمرارية التوازن التربوي؟

ذ. عبد الكريم العلمي: نحمد الله عز وجل على هذا الأمر، هذا ما سعت إليه الجماعة وتسعى إليه، ونسأل الله عز وجل أن يستمر كما قلت عبر الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أن نعطي لكل أمر حقه ولكل جانب ما ينبغي له، ونحمد الله عز وجل كثيرا فهذا أمر نجده في هذه الجماعة المباركة: فهناك الرباطات، وهو أمر حاسم في هذه العملية عملية التوازن، هي ملاذنا ومرجعنا. رباطات دورية، رباطات سنوية، مدة قصيرة أو مدة طويلة، ثلاث أيام أو أربعون يوما، وهي رباطات تربوية بامتياز لذكر الله عز وجل، وللصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولتدبر كتاب الله عز وجل استماعا وقراءة وحفظا، لقيام

(1) القصة أوردها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1379هـ، 4/ 211.

الليل، للدعاء والإكثار من الدعاء، للتحاب بين المؤمنين حتى يحق لنا قول الله عز وجل في الحديث القدسي: «حقَّت محبتي للمتحابين في، حقَّت محبتي للمتجالسين في...»[1].

هذا جانب وهو أساسي جدا، وهو الأساس الذي بدونه لا يمكن أن نبني شيئا، ولكن سنعيش الزهادة التي تحدثت عنها إن اقتصرنا على هذا الجانب، فكيف لقلوب تتشوف إلى حب الله وحب رسول الله أن تجمع في ثناياها هذا الأمر والسكوت عن أعداء الله! وألطف العبارة فأقول كيف تجمع بين حب أولياء الله وحب أولياء الشيطان؟ فهنا يأتي الجانب الآخر، لا بد من الحديث عن الأمر السياسي، وإذا أردنا الحديث على الجانب السياسي لا بد أن نتحدث عن الأمر التنظيمي، لأنه كما قال سيدنا عمر: «إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة»[2].

فهنا يأتي الشق الآخر، ما يسمى الآن بتدبير الذات. فهناك مجالس لهذا الأمر: المجالس التعليمية والمجالس التدبيرية.. إلى آخره.

الإمام: قبل أن ننصرف إلى موضوع آخر يسمع الناس أن لدينا رباطات كما ذكرت، رباط ثلاثة أيام، رباط أربعين يوما فيه صيام وقيام وكذا. رباط كلمة نبوية قرآنية أيضا. من الناس من يستعمل «دورة تكوينية». عند غيرنا دورة تكوينية، والدورة تدور، الحركة مستمرة. يعني دورة: حضرت يوما ثلاث محاضرات أو أربع محاضرات هذه دورة تكوينية، والفرق بين التكوين والتربية بونٌ شاسع. والتربية تعطينا وتخرج لنا نماذج والحمد لله تسرُّ الناظرين.

د. حرور: سؤالي في هذا السياق، دائما في إطار التوازن، نلاحظ داخل هذه الجماعة المباركة والحمد لله رجالا ونساء من حاملي الشهادات حاليا دكاترة، علماء، أطر، ما علاقة هذا الأمر بالتوازن التربوي؟

ذ. عبد الكريم العلمي: أدخُل إلى هذا الأمر من حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام سمعناه في مجالس متتالية من سيدي عبد السلام واهتبل به سيدي عبد السلام وفرح به فرحا

(1) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، رقم 22030 واللفظ له، ورواه الإمام مالك في الموطأ، 2/ 953 بإسنادِهِ الصَّحيح.

(2) سنن الإمام عبد الله الدارمي، باب في ذهاب العلم، رقم 251.

شديدا، حتى أضع هذه التخصصات وهذه العلوم وهذه الأمور في محلها. الحديث أخرجه الإمام الدارمي رحمه الله قال فيه سيدنا الحسن عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ، فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ». الأحاديث التي وردت في طلب العلم والحض على طلب العلم كثيرة، ولكن خصوصية هذا الحديث هي «من جاءه الموتُ وهو يطلب العلم ليُحيي به الإسلام». فإذن الغاية العظمى أو المقصد الأسمى من هذه العلوم ومن هذه التخصصات هو إحياء أمة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وإحياء الإسلام.

وهذا نحمد الله عز وجل عليه كثيرا أن فينا من المؤمنين والمؤمنات علماء، اقتصاديين، من جميع التخصصات، ولكن ينبغي لا يأخذنا التخصص إلى نسيان المبدإ والمعاد، إلى نسيان الأمر التربوي، والتأسيس على هذا الشأن التربوي.

د. حرور: لو سمحتم، ربما سيدي عبادي له إضافة وهو من علماء هذه الأمة. التحصيل العلمي وعلاقته بالتربية وبطلب وجه الله؟

ذ. محمد العبادي: من أهداف التربية تفجير الطاقات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان الروحية والبدنية والعقلية، وتنميتها، والزيادة فيها. فرسول الله عليه الصلاة وسلم وهو أعلم الناس، ومع ذلك الله سبحانه وتعالى يقول له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه:114)، فما دام الإنسان على قيد الحياة فهو مطالب بأن يتعلم، ولكن الإشكالية المطروحة الآن هو أن الناس انصرفوا إلى ما سماه الله سبحانه وتعالى علم الظاهر، ظاهر الحياة الدنيا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الروم:7)، ونسوا وتناسوا العلم الحق وهو العلم بالله أولا، الذي هو أول علم أوجبه الله تعالى علينا ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾ (محمد:19). يقول ابن عاشر رحمه الله:

أول واجب على من كُلِّفا ... مُمكَّنا من نظرٍ أن يعرفا

الله والرسل بِالصِّفَاتِ ... مما عليها نصب الآيات

إذن أول علم ينبغي أن يتقنه الإنسان هو معرفة الله سبحانه وتعالى عز وجل وهذا لا يتأتى إلا بصحبة العارفين بالله لأن كل فن يُرجع فيه إلى أربابه، ثم يأتي العلم بشرع الله، على

الأقل، ما يتوقف الإنسان عليه في حياته كما يقول العلماء: لا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه.

ثم يأتي في الدرجة الثالثة، العلم بسنن الله تعالى في الكون، في ناموس الله تعالى في الكون، وهو الذي تتعاطاه الإنسانية الآن، وينبغي أن نبُزها وأن نتفوق عليها وأن نسترد هذه البضاعة التي أسسها المسلمون خصوصا في العلوم التجريبية، ونحن أهل لها لنتفوق على الغرب مما يتبجح علينا حتى يُصغي لكلمة الحق إن دعوناه إلى الله سبحانه وتعالى عزَّ وجل.

الإمام: إنَّ طلب الجمع بين العدل والإحسان مطلبٌ ليس بالهين، لأن من همم الناس ما يفتر عن طلب المعالي، الجمعُ بين مطلبين، إما أن أذهبَ إلى هذه الزهادة الفردية إلى الإسلام الفردي والخلاص الفردي كما يعبر بعضُهم، أو أذهبَ إلى الإسلام أريدُ أن أغير المجتمع.

غيِّر نفسك أولا، ماذا تريد أن تبث في المجتمع؟ لن تبَّث فيه إلا ما استقر عندك أنتَ، إلا ما هو في شغاف قلبك أنتَ، فإذا كان في شغاف قلبك حبُّ الدنيا والظهور والأنانية والعلو وأن أصبح وزيرا اليوم ورئيسا بعد غد.. فبئس القوم.

ذ. عبد الكريم العلمي: هما سلوكان كما هو في المنهاج النبوي، سلوك الفرد إلى الله سبحانه تعالى وسلوك الأمة، وهما لا ينفصلان، لا ينفصل سلوك العبد السائر إلى الله عز وجل عن همِّ الأمة، وهذا في حديث رسوله عليه الصلاة والسلام: «من أصبح وهمُّه غير الله فليس من الله، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن أعطى الدَّنية من نفسه طائعا غير مكره فليس منا».

«فلا اهتمام بدون همٍّ» كلمة حفظناها مع سيدي عبد السلام أرجو من الله عز وجل أن تترسخ في القلوب وفي السلوك. هل لكَ؟ هل لكِ؟ خطابنا لهذه الأنفس، هل لكِ حاجة عند الله عز وجل؟ هذا الهم الأساس، ثم الاهتمام بأمر أمة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو ليس تتبعا للأخبار، ليس بحثا عن كذا، ولكنه همٌّ مقيم ومقعد، بل هو مقيم أكثر منه مقعد للبحث عن مخرج، إن شاء الله، وهي هنا التربية المستقبلية، البحث عن غد هذه الأمة.

الإمام: لو سمحت، إن الحديث عن طلب وجه الله عز وجل في حديث شفوي هكذا مرتجل يمضي وينسى، ومن الناس من يستقر هذا في ذهنه وفي قلبه وفي شغاف قلبه، ومنهم

من يتفرج، تفرج في محاضرة متلفزة وانتهى الأمر. لكن من يريد أن يُعمق صلته بالله عز وجل لهذا مكان آخر غير التلفزيون وغير المحاضرات، ينبغي أن يبحث عن رجلٍ، عن إنسان يدله على الله عز وجل، فصحبة المفلحين شرطٌ ضروري.

وفي انتظار هذا لا بد أن يُعمق اطلاعه على ضرورة الصحبة في الله، فعليه بالنظر فيما كتبناه في كتاب الإحسان مثلا. وهو كتاب موجود عنوانه «الإحسان» في موقع الجماعة بجزأين كبيرين، من أراد أن يطلع على هذا يبحث فيه، لكن البحث الفكري شيء، الفضول الفكري شيء، والحاجة الملحة والتحرق والتأسف شيء آخر يعطيه الله لمن يشاء، ومن الناس من يعيش سنوات، خمسين سنة، سبعين سنة... لا يخطر هذا بباله أبدا أنه يمكن أن يُحب الله وأن يُحبه الله، ولا يهتدي إلى ذلك سبيلا إلا أن يدلَّه غيره ويكون هو مستعدا ليسمع.

وأكرر كثيرا قوله عز وجل في كتابه العزيز، يوصي نبيه ﷺ يوصينا معه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة: 6)، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ شرط أول أن يأتي إليك خاضعا يطلبُ حمايتك، يطلب جوارك، استجارك فأجره، «حتى يسمع كلام الله»، لأنه ما دامت نفسُه في هيجان وفي خمول الخوف والتنكر للناس والتوجس خيفة من الناس فهذا لا يسمع شيئا، «فأجره»، وأجره هذه تطبيقيا هي الرباطات. والحمد لله من حضر في رباطاتنا خاصة الذي وصل إلى درجة أن يبقى مع الإخوان –الأخوات أيضا لهن رباطهن– أن يبقى معهم أربعين يوما في صلاة وصيام وقيام لا يشبع من هذا، يريد أن يستزيد، فهذه مدرسة لكي يذهب في هذا المهيَع، هذا هو طلب وجه الله عز وجل.

د. حرور: على المستوى الجماعي وعلى مستوى تغيير ما بالأمة وعلى مستوى تغيير ما بالفرد كذلك، ذكرتم مسألة الرباطات ولكن في المنهاج النبوي كذلك هناك إلحاح على «يومُ المؤمن وليلتُه» كمسألة دائمة مستمرة، في كتاب المنهاج النبوي دائما هناك مصطلح أراه مفتاحا في مسألة التوازن التربوي هو مسألة «المجموع»، «المجموع» هاته ذُكرت في المنهاج النبوي حبذا من توضيح ما المقصود منه؟ كيف يتحقق؟

ذ. عبد الكريم العلمي: أصلا أمر «المجموع» هو مصطلح عند سادتنا العلماء، ولكن نأخذ المصطلح من حيزه التاريخي إلى التطبيق العملي، وإلى الأهداف والمقاصد والغاية العظمى.

د. حرور: يعني أن يوظفها تربويا؟

ذ. عبد الكريم العلمي: ليس تربويا وإنما بصفة عامة. اللهم إلا إذا اعتبرنا التربية هي أساس العملية كلها، تربية الروح، تربية الفكر، تربية الجسم، التربية بمعنييها: التقويم والتنمية كما سمعنا قبل في بداية هذا المجلس المبارك.

إذن فهذا المجموع الذي ينبغي أن يحصل عليه الفرد قد أسميه تجاوزا بلغة العصر «معدل»، لست أدري هل أقرب من الصواب أو أبتعد في معنى هذه. لا يعقل مثلا على سبيل المثال حتى أكون عمليا أن يحصل مؤمن أو مؤمنة على معدل عالٍ جدا في أمر ما وأن يحصل على نقطة موجبة للرسوب في مجال آخر، فهذا ليس معدلا. المجموع أن يكون له حد أدنى وأن يكون لها حد أدنى من كل شُعب الإيمان. فالتربية على شُعب الإيمان وعلى كل شعب الإيمان السبع والسبعين، هذا هو الأصل المجموع، بمعنى أن يكون لكل واحد منا، نسأل الله ذلك، أن يكون له حظ وافر من الخصال العشر، من الصحبة والجماعة والذكر والصدق.. إلى الجهاد. فإذا قصُر وإذا قصُرت همة الفرد والعضو والعضوة على أمر ما في هذه الخصال فالمجموع غير مستقيم.

الإمام: من جذر جمع يجمع «الانجماع» على وزن انفعال، الانجماع على الله، كيف الانجماع على الله؟ الإنسان مُشتت في هذه الدنيا، مشتت في أهوائه، في مشاكله، في هموم الدنيا، وفي هموم الآخرة أيضا، من الناس من لا يفكر في التقرب إلى الله. يفكر في الجنة، وأنا أتعجب سبحان الله، ولكن مستوى الناس هكذا، الله خلق الجنة للصالحين من عباده وهي دار المأوى ودار المثوى، ولكن أنا أريد صاحب البيت الله عز وجل، أريد القرب من الله عز وجل.

ذ. عبد الكريم العلمي: نعم كلمة انجماع كلمة أصيلة عند علمائنا ونجدها كثيرا في كتاب الإحسان ويستعملها سيدي ابن قيم الجوزية رحمه الله يستعمل «انجماع»، ويستعمل «جمعية» جمعية القلب على الله عز وجل، هذه الجمعية يقول عنها: «وإذا لم تجد، وإذا لم تعلم معنى الانجماع على الله عز وجل ومعنى أن تجد ربك، فابك على نفسك واحث على رأسك التراب».

د. حرور: ذكر سيدي عبد الكريم قبل قليل بأن على كل عضو داخل الجماعة أن يكون له مجموع وحد أدنى ذَكرا كان أو أنثى، سؤال يرتبط بخصوصية المؤمنة، وسيدي عبد السلام خصص حيزا كبيرا للحديث عن المرأة حفظه الله.

ذ. محمد العبادي: ما يعم المؤمنين يعم المؤمنات، الله تعالى عندما يخاطب في القرآن الكريم الإنسان يخاطب الرجل والمرأة، «يا أيها الإنسان»، لأن النساء شقائقُ الرجال في الأحكام. نعم، هناك أحكامٌ خاصة بالرجال، هناك أحكام خاصة بالنساء، ولكنها استثنائية، القاعدة هو أن الرجال والنساء مشتركون جميعا في أحكام الله سبحانه وتعالى عز وجل.

في السير إلى الله تعالى عز وجل لا يمكن أن نطالب المرأة بأن تخضع لنفس البرامج التي يطبقها الإخوان، لأن أبواب السير إلى الله تعالى بالنسبة للمرأة قد تختلف عن أبواب الرجل، فطاعة المرأة لزوجها، وحُسن تبعلها، والاعتناء بأولادها، والمحافظة على شرفها، والاهتمام بأولادها... هذا من أعظم ما يقرب المرأة إلى ربها سبحانه وتعالى عز وجل.

نعم، في الوضع الراهن بحكم أن الجهاد أصبح فرضا عينيا لأن الاستعمار استحوذ ليس فقط على خيراتنا وأرضنا ولكن على عقولنا وعلى قلوبنا، فالأخت المؤمنة مطالبة في الظرف الراهن أن تنزل إلى الواقع لتشارك أخاها الرجل في تغيير الوضع، في توفير البيئة السليمة لأجل أن يسمع الإنسان كلام الله سبحانه وتعالى عز وجل.

الإمام: سألتَ عن المرأة وما حظُّها من طلب وجه الله عز وجل؟ أذكر أنه في مقدمة كتاب: «تنوير المؤمنات» كتبت جملة استعرتها من أسلوب الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني. قلت «نامي ولا تستيقظي» هذا المعنى -لا أذكر الألفاظ- لستِ من الذين يطلبون المعالي ويطلبون وجه الله عز وجل، وهذا استحثاثٌ واستنهاضٌ لهمة مَن لها همة، ومن لا همة لها تنام ولا تُعطي..

د. حرور: هل من ذواق نفترق عليه؟ كان صحابة رسول الله لا يفترقون إلا على ذواق.

الإمام: ما نفترق عليه هو أننا سائرون كالذي تسير به عربة القطار أو الطائرة، لكنه لا يحسب حساب أنها ستنتهي إلى نهايتها، فغاية ما هنالك أن يقول الحافلة ستصل للموعد الذي في الدار البيضاء أو مراكش أو ستتأخر بي، لا يحسب حساب هل ستنقله هذه القاطرة وهذه الطائرة وهي حياة كل واحد منا وهي عمره هل ستنتهي به إلى رضوان الله عز وجل أو لا؟

نسأل الله عز وجل أن يجعل لقاءنا مع الله عز وجل خير لقاء: لقاء المحبوبين، لقاء الذين أنعم الله عليهم وأحبهم وجعلهم من الذين أراد لهم الحسنى وهيأهم للحسنى، وليس هنالك

أحسن من أن تقول الكلمة الطيبة، يقبلها الله عز وجل، وهي كلمة «لا إله إلا الله» تكثر منها ثم تدل الناس عليها وعلى أنها أول المطاف. في أول الأمر كنا نقول أكثِروا من قول لا إله إلا الله، ولهذا كنا نقولها آلاف المرات، والكثير جرَّب وأكثر من ذكر الله. ما معنى هذا؟

أُذكِّر بأن رسول الله ﷺ ما أمرنا بالإكثار من شيء إلا في أمرين: الإكثار من «لا إله إلا الله»، والإكثار من ذِكر هادم اللذات. لأن «لا إله إلا الله» تجدها أمامك، لا إله إلا الله هو الله الذي ستلقاه غدا ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6)، فإذن ألقاه بلا إله إلا الله، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

ثالثا: حوار مع الإمام في موضوع: الشأن التنظيمي في الجماعة

أجرى الحوار الدكتور عبد الصمد الرضى

د. الرضى: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، وإخوانه وحزبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. مشاهدينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ومرحبا بكم مرة أخرى، في حلقة من حلقات هذه السلسلة الحوارية التي تتحدث عن مشروع جماعة العدل والإحسان في التغيير والبناء. مشروعٍ يروم بناءً تربويا تنظيميا دعويا سياسيا. وفي هذه الحلقة سنتحدث عن بعض القضايا الأساسية في ما يتعلق بالشأن التنظيمي. ولهذا الغرض نستضيف العالم الجليل الأستاذ عبد السلام ياسين مرشد جماعة العدل والإحسان، والأستاذ الفاضل الداعية المعروف الأستاذ محمد برشي، عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان، والأستاذ فتح الله أرسلان الناطق الرسمي لجماعة العدل والإحسان وعضو مجلس إرشادها وأحدِ مؤسِّسيها.

مرحبا بكم ضيوفنا الكرام جميعا في هذه الجلسة.

نفتتح أستاذي الفاضل هذا الحوار بما يلاحظه كثير من الناس عن جماعة العدل والإحسان أنها ابتدأت بأعداد قليلة سُرعان ما تطورت وتوسَّعت، ودخل في كنفها المهندس والطبيب والفلاح والعامل وشرائح اجتماعية كثيرة. ما هو السرُّ في هذا التنوع؟ وكيف يتم جمع هؤلاء كلهم في شأنٍ واحد؟

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه. لا شك أن هنالك توفيقا من الله سبحانه وتعالى الذي هيأ الأسباب لكي تبدأ هذه الجماعة ولكي تصمد رغم الرياح العاتية التي تهُبُّ عليها من ذات اليمين وذات الشمال، رغم العداوة التي يُكِنُّها بعضهم ويُضمرها بعضهم ويُظْهِرها بعضهم كالحةً خشنةً قبيحةً. لا شك أن هنالك توفيقا من الله سبحانه وتعالى.

ثم إنه إذا كان الناس -المثقفون منهم وغير المثقفين وسائر شرائح المجتمع- يلبُّون هذه الدعوة فلا شك أنهم يجدون فيها ما يرغبون فيه مِن صدعٍ بالحق. فكلُّ الناس ينتظرون مَن يصدع بالحق، من يرفع راية الجهر بالحق لكي يتبعوه ويكونوا له مَددا. هذا هو السّبب في انتشار هذه الجماعة التي تُغطي الآن قارات، والحمد لله تغطي المغرب مُدُنه وبعضَ قُراه، وتنتشر في القارات الأربع أو قريبا في القارات الخمس إن شاء الله.

د. الرضى: يحلو للبعض أستاذ فتح الله أن يقول عن جماعة العدل والإحسان إنها جماعة رجل واحد، هو الذي يُنَظِّر، هو الذي يُفَكِّر، هو الذي يُصْدِر القرارات، والباقي ما هو إلا تبع يُنفذ. هل هذا صحيح؟ وإذا لم يكن صحيحا فما هي تشكيلة هذه الجماعة ومؤسساتها؟

ذ. فتح الله أرسلان: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة على مولانا رسول الله وآله وصحابته أجمعين. إذا كان المقصود بما ذكرت أن الأستاذ عبد السلام ياسين هو مؤسس الجماعة وهو الـمُنَظِّر لهذا المشروع أي نعم، أما إذا كان على مستوى تدبير الجماعة وتسييرها وتنظيمها، فأنا أربأ بالعقول أن تقتنع بأن رجلا واحدا يمكن أن يفعل كل شيء في تنظيم من نوع التنظيم الذي تحدثت عنه وتحدث عنه الأستاذ المرشد قُبيل قليل، الذي يعرف هذا الاتساع وهذا الانتشار ويضم مختلِف الشرائح الاجتماعية، من أطر عليا وأطر متوسطة وطبقة عاملة وفلاحين، ويُعرف عليه كذلك هذا الانضباط المنقطع النظير الذي أثار انتباه كل المتتبعين السياسيين وغير السياسيين في الساحة السياسية، فكيف يمكن لرجل واحد أن يفعل كل شيء؟ وأن ينظم؟ وأن يؤطر؟ وأن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة في اجتماع أو في تجمع مثل هذا؟

إذا كان رجل ما يستطيع أن يقوم بمثل هذا فهذا يستحق كل تقدير ولن يكون من طينة البشر. فنحن نقول بأن الأستاذ عبد السلام ياسين هو مؤسس الجماعة، هو مُنَظِّرُها، هو الرجل الأول نعم، ليس كما يُطلق على بعضهم أنه الأول في كل شيء لكن الأول من حيث المبادرة، من حيث التأسيس، من حيث التفكير، من حيث الوزن، من حيث التجربة، نعم. لكن، الجماعة لها مؤسسات، وهذه المؤسسات لها قوانين تنضبط بها، ولها أُطر تُسيرها، ولها برامج تُنظمها، وهناك هيكلة داخل الجماعة، على المستوى المركزي، على مستوى الأقاليم، على المستوى المحلي، فلا بد لهاته الهياكل من أن تكون لها اجتماعات ولقاءات

وقوانين تضبطها وبرامج تُسيرها. فنحن لا يمكن أن تكون جماعتنا منضبطة بهذه الكيفية وبهذا القدر إن لم تكن لها مؤسسات فاعلة، وتكون فيها المبادرة موجودة ومُشَجَّعة ومفتوحٌ لها المجال، ويشارك الجميع، جميع الأطر في تسيير هذه الجماعة المباركة، وهذا هو السر في نجاحها.

د. الرضى: الأستاذ برشي ذكر الأستاذ فتح الله أرسلان بأن هذه الجماعة لها مؤسساتها، لها هياكلها، تُحترم المبادرة فيها بشكل واضح، لكن هذه المبادرات وهذه الآراء قد تنشب بواسطتها وبسببها رياح الخلاف ونزعات إعجابُ كل ذي رأي برأيه، كيف تدبرون الاختلاف داخل الجماعة المباركة من خلال تجربتكم في الميدان؟ وما الضوابط التي يُدَبَّر بها هذا الخلاف؟

ذ. محمد برشي: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمين. أود في البداية أن أشير إلى نقطة مهمة جدا هو أن هذه الجماعة المباركة سبق التنظيرُ والتصورُ فيها العمل، وهذا قلَّما يحصل. فمن فضل الله عز وجل أن بُسط بفضل الله عز وجل على يد الأستاذ المرشد التنظير والتصور العام لعمل هذه الجماعة ولمن يسير في ركبها إن شاء الله عز وجل.

وأول ما بُسِطَ هذا في المنهاج النبوي على شُعب الإيمان وعلى هدي رسول الله ﷺ، ومن بين ما تم التطرق إليه في هذا البناء التصوري تطرق الكلام على الروابط وسماها المنهاج وسماها المرشد حفظه الله «النواظم» لقرب كلمة نواظم أو كلمة ناظمة من بناء أو كلمة التنظيم، فهذه الروابط التي جعلها الله عز وجل أُسسا في بناء هذه الجماعة يُذهب الله عز وجل بها ما يخالط النفس البشرية، فأول ناظمة في بناء هذه الجماعة المباركة هي ناظمة المحبة، المحبة بين المؤمنين، نحن جماعة في أولها ووسطها وآخرها تدعو إلى التوبة إلى الله عز وجل وتتوب إلى الله عز وجل.

التنظيم وآلياته ووسائله إنما هي وسائل، الأصل هو دعوة إلى الله، طلبُ مقام عند الله عز وجل، طلب درجات عند الله عز وجل. لكن ليحصل هذا الطلب وليحصل هذا الكمال لا بد من تنظيم، لا بد من تدبير، لابد من تسيير. ولذلك فأول ناظمة وأول رابط هو أن تسود المحبة فيما بينهم. وإن لم تكن هذه المحبة كان الشقاق، وكان الاحتكاك وانتصر كل

ذي رأي لرأيه. لكن هذا لا يمنع أن تكون بين المؤمنين آصرة أخرى لا تقلُّ عن الأولى في أهميتها وهي النصيحة والشورى بين المؤمنين.

لا بد أن يكون التناصح، فقد يخطئ الإنسان، وقد يجتهد ويخطئ في اجتهاده، لكن إذا كان يتقبل النصيحة من إخوانه، وإذا كانت تتقبل النصيحة من أخواتها، فالله عز وجل يُقوي ويُقوم سبحانه وتعالى ما يقع من خطأ إن كان صاحبُ الخطأ يقبل النصيحة والتوجيه. ثم الأمر لا يسير بأفراد كما أشار أخونا سيدي فتح الله بل يسير بمؤسسات. والمؤسسات لن يكون عملها في أتمه إن لم يكن التشاور الذي أمر الله عز وجل به وسنَّه رسول الله ﷺ. وهذا لا يمنع في بعض الأمور أن يكون العزم وتكون الطاعة لازمة لأن الله عز وجل أمر بذلك ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ (النساء:58)، فهذه النواظم وهذه الروابط جعلها الله عز وجل أُسسا يُذْهِب بها الله سبحانه وتعالى ما قد يقع من خلافٍ أو اختلاف في الرأي، ونسأل الله تعالى الحفظ منه والسداد منه.

د. الرضي: إذا تحدثت عن ناظمة الحب في الله عز وجل وناظمة النصيحة والشورى ثم ناظمة الطاعة، أستاذ فتح الله حينما ينشُب الخلاف كيف تدبرون هذا الأمر بين الأفراد أو بين المؤسسات؟ هل هناك من يفصل في مثل هذه النزاعات؟ أم أن الأمر يؤخذ عن طريق الانتخابات والاقتراع وما يعرف في الأدبيات الديموقراطية بين قوسين؟

ذ. فتح الله أرسلان: كما يقول المثل «الوقاية أفضل من العلاج» فنحن في جماعة العدل والإحسان لا ننتظر أن يقع الخلاف وأن يحتدَّ الصراع لكي نتدخل لفضِّ هذا النزاع وإن كان هذا من طبيعة البشر يقع. لكن حتى لا يصبح الأمر ظاهرة ويصبح غالبا على الاجتماعات فنحن ما نقوم به من برامج تربوية، من مجالس تربوية، من رباطات، هذه المحاضن التي نحاول أن نربيها على الانفتاح، على قبول الرأي الآخر، على الذلة على المؤمنين.

لا يعني ذلك أن لا نطرح آراءنا وأن لا نبدي آراءنا بكل قوة وأن ندافع عنها، لكن في جو من الأخوة، في جو من المحبة وفي جو من الصفاء. فبالرغم مما يمكن أن يُثار من نقاش حاد في كثير من الأحيان لكن نخرج والحمد لله بقلوب صافية لأن الغاية هي الله سبحانه وتعالى، ولأننا متفقون جميعا على أننا نسعى جميعا إلى خير هذه الأمة، ولا يمكن أن يَعتبر أحد منا

نفسه هو أكثر غيرة على الإسلام أو أكثر غيرة على هذه الجماعة من غيره، هذه الأمور التي نجعلها ونتمسك بها ونُرَبي عليها أنفسنا تكون وقاية لما يمكن أن يقع.

أما إذا وقع ما يقع فالجماعة لها قوانين ولها مساطر إجرائية يتحاكم إليها المختلفون والمتخالفون، وتنظر في هذه القضايا وتكون لها الكلمة الفصل بعد الترجيح بين هذه المسألة وتلك إن كان الأمر يحتاج إلى ترجيح رأي، أو تغليب رأي على رأي، أما إن كان الخلاف يتطلب تقريب وجهات النظر ومحاولة رأب الصدع فهذه المؤسسات تضطلع بهذه الوظيفة وتقوم بهذا الأمر، والحمد لله الأمور تسير على أحسن ما يرام.

د. الرضى: الملاحظ الأستاذ الفاضل عبد السلام ياسين أن جماعة العدل والإحسان استطاعت أن تشرك المرأة في بنائها التنظيمي، لكن باقي التنظيمات غالبا ما تكون المرأة تابعة لما عليه تنظيم الرجال، هل ينطبق هذا على جماعة العدل والإحسان؟ وما هو نظركم للبناء التنظيمي للمرأة؟

الإمام: سؤالكم في محله ذلك أن المرأة إنسان، والله عز وجل في كتابه العزيز يخاطب الإنسان ذكراً كان أو أنثى. ويُبشر الإنسان ذكرا كان أو أنثى، وينذر الإنسان ويهيئ الإنسان لميعاد أعدَّه الله عز وجل للصالح والطالح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق:6). من هو هذا الإنسان؟ رجل أو امرأة. ذلك أن الله عز وجل «يبعث الله يوم القيامة الناس عراة غرلا» الرجال والنساء. فكل إنسان يُلزمه الله عز وجل يوم القيامة طائره في عُنقه ويُخرج له كتابا يلقاه منشورا ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ (الإسراء:14).

فالكلمة الفصل في هذا الموضوع هي أن دعوة العدل والإحسان تدور حول النقطة المحورية وهي علاقة العبد بربه، واستعداد العبد للقاء ربه. وحديث العبد عن ربه وعن لقاء ربه وعن الآخرة، وهذا ما يكاد تكون خالية منه برامج الأحزاب والجماعات والتجمعات. لا يتحدث عن الآخرة إلا القليل من الناس، ونحن نلح على هذه النقطة لأن من هنا يبتدئ كل شيء، يبتدئ صلاح الفرد وصلاح الجماعة.

... وأذكر يوما رأيت في التلفاز زعيم حزب يتألف (في مجمع من الناس). قال: أرأيتم هؤلاء الناس إنه لا يعرف أحد أحدا، ويجهل كل واحد منهم صاحبه، لا يتعارفون مطلقا.

وكأن هذا الأمر مزية، ونحن نقول إن التعارف بين المسلمين والتحاب بين المؤمنين والمؤمنات شيء ضروري، «والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا».

إذن ذلك الإنسان نُذكره إن كان غافلا، نُعْلِمه إن كان لم يُعْلِمه أحد بأنه سيعرض على الله عز وجل ولن ينفعه هنالك إلا ما يكون في عنقه، ما يُعلق في عنقه من كتاب حسنات سبق أن أدَّى حق الله فيها في الدنيا. أما غير هذا من التنظيمات فهذا شيء ثانوي يأتي من بعد. نتعارف أولا ونتفق على أننا عبادٌ لله نعملُ لآخرتنا، وهذا يضمن لنا صفاء النيات وصفاء العمل. إذا صفت القلوب صفت الأعمال.

ربما يقول البعض: هؤلاء صوفية يتحدثون عن القلوب وعن الرؤيا الصادقة وعن لقاء الله.. وهؤلاء بعيدون عن الساحة وما يجري فيها من تصارع الطبقات وتصارع الأحزاب والدخول في المعارك مع العدو ومع الصديق ومع الغريم. نقول إننا من هنا نبدأ دائما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق:6)، فماذا أعددت؟ فإذا لم يكن في باله أن يستعد، نُعلمه كيف يستعد. فكيف نعده؟ نُحضره في جلساتنا في مجالس النصيحة، في رباطاتنا، وهذه التربية مستمرة.

لذلك نقول ونكرر عملُنا تربية ثم تربية ثم تربية، لأنه إذا لم يُربَّ الإنسان على التقوى ولم يبدأ عمله على نية لقاء الله عز وجل بصفحة بيضاء نقية غفر الله بها ذنوبه بعد أن استغفر في الدنيا وبعد أن عمل صالحا نكون كمن يحرث في البحر.

د. الرضى: إذن الغاية الأساس هي النية التي ينطلق منها العبد سواء كان ذكرا أو أنثى. أستاذ فتح الله ما هي الإضافة التي أضافتها جماعة العدل والإحسان في عمل المرأة فيما يتعلق بالحركة الإسلامية؟

ذ. فتح الله أرسلان: المرأة في جماعة العدل والإحسان كما أشار الأستاذ المرشد هي صنو الرجل كما هي صنوه في شرع الله سبحانه وتعالى في الأحكام إلا بعض الخصوصيات التي تعني المرأة، فلذلك نحن في جماعة العدل والإحسان المرأة عندنا موجودة في جميع مستويات التنظيم، تتحمل كل المسؤوليات: من المستويات الأولى إلى مستويات تدبير الشأن العام.

والفرق بين العدل والإحسان وبين التنظيمات الأخرى وخصوصا بعض الأحزاب هي أنهم حينما يتحدثون عن المرأة يملؤون الدنيا بالشعارات، وكون المرأة يجب أن تحتل المكانة التي تستحق وأنها يجب أن تحظى بالمساواة التي من المفروض أن تتمتع بها، لكن تبقى هذه شعارات لا تقوى حينما نرجع إلى مؤسسات هذه الأحزاب ونرى المكانة التي تحتلها المرأة بالفعل، وخصوصا في مستوى أماكن القرارات داخل هاته الأحزاب، فلا نكاد نجد لها وجودا معتبرا يذكر بخلافنا نحن في العدل والإحسان، وأعتقد وجوده في الحركات الإسلامية عموما لكن نتحدث الآن عن جماعة العدل والإحسان، كون المرأة يجب أن تحتل مكانتها في المجتمع ويجب أن تتحمل مسؤوليتها في المجتمع وهي ليست أقل من الرجل لا في كفاءتها ولا في ما يمكن أن تقدمه لأمتها. هذه ليست شعارات فقط عندنا في العدل والإحسان بل نجد في كل المسؤوليات التي يمكن أن يأخذها ويتحملها الرجل كذلك تتحملها المرأة.

الإضافة التي يمكن أن أقول هو أن جماعة العدل والإحسان ترفع شعار العدل وشعار الإحسان، فالآن قد يُفتح وتثار الكثير من النداءات لفسح المجال للمرأة لكي تأخذ مكانها في الشق العدلي لكن في جانب الإحسان فالمرأة تقريبا ظلت مغيبة طيلة قرون العض والجبر التي عاشتها الأمة. ظلت مغيبة وغير مُلتفت إليها خصوصا في هذا الجانب الإحساني، لكن عندنا في العدل والإحسان المرأة صنو الرجل في كل شيء: في المجال العدلي وكذلك في مجال طلب وجه الله سبحانه وتعالى في الرقي في مدارج الإيمان ثم مدارج الإحسان، فكما أن الرجل يمكن أن يترقى في مدارج الإيمان ومدارج الإحسان حتى يصبح من المحسنين فالمرأة صنو الرجل في العدل والإحسان يمكن أن تترقى في هذه النقطة بالذات. ولعل محور «المنهاج النبوي» ومحور كتاب «تنوير المؤمنات» هو هذا. يحاول أن يرفع من همة المرأة لتطلب وجه الله سبحانه وتعالى ولتطلب مقام الإحسان كما يطلبه الرجل وأن لا تتراجع في هذه الجبهة كما في الجبهة الأخرى جبهة العدل.

د. الرضى: الأستاذ محمد برشي، ذكرتم في مداخلة سابقة بأن التصور سبق العمل في تنظيم جماعة العدل والإحسان، وفي المنهاج النبوي وردت تشكيلة للهياكل التي تسير هذه الجماعة. هل تحافظون على هذه التشكيلة كما هي؟ أم أن الأمر تطور بفعل الواقع؟ ما هو تصوركم لهذه القضية الهيكلية في تنظيم جماعة العدل والإحسان؟

ذ. محمد برشي: في المنهاج النبوي هناك كليات تهمُّ الشأن التربوي والغاية الإحسان التي يندبها العبد ويطلبها، وما يهم الدعوة إلى الله عز وجل. وهناك جزئيات تهم التفصيلات في بعض المجالس وتدبيرها وتسيير العمل. فالكليات تظل كليات، لكن آليات التدبير والتسيير بطبيعة الحال تتماشى مع ظروف الواقع، فمن المؤسسات مثلا من عرفت تطورا، مثلا أذكر بمثال في المنهاج النبوي يتمثل في المجلس التنفيذي. فهذا المجلس أدى وظيفته والحمد لله، لكن تطور وأصبح مجلس الشورى. في المنهاج مثلا نجد اللجنة السياسية، هذه اللجنة أدت وظيفتها في وقت من الأوقات ثم تطور العمل مع نمو الجماعة واتساع رقعتها وعددها وآفاقها فأصبحت الدائرة السياسية. وهذا التطور هو عنوان بارز على أن الجماعة تتسع والحمد لله عَددا وعُدة ورُقعة. نسأل الله تعالى أن يزيد في المدد والعدد.

د. الرضى: إذن البناء التنظيمي يخضع للتجديد والتطوير كلما دعت الضرورة إلى ذلك. الأستاذ الفاضل عبد السلام ياسين، عادة في التنظيمات حينما تقع هذه الأمراض ويظهر حب الرئاسات تكون الجماعة في خطر، لكن جماعة العدل والإحسان يُلاحظ أن العاصمة من هذا هو وجود قيادة ربانية تُمسك الجماعة أن تعصف بها الرياح. في حين أننا نرى في كثير من التنظيمات سرعان ما ينقلبون على أميرهم في حياته أو تتشتت هذه الجماعة بعد وفاته لأتفه الأسباب. ماهي الضمانات التي تحافظ على تنظيم الجماعة وعلى روحها الرباني الإيماني الذي سعت منذ البداية إلى بنائه وتأسيسه؟

الإمام: أخي العزيز إن الإنسان إذا لم يكن قد قضى على تلك النفس التي تقول أنا أنا أنا، يكون قنبلة موقوتة -حسب التعبير الدارج- وسط الجماعة. فما فالمقصود من الرباطات ومن التربية ثم التربية، أن نقطع رأس هذه الأفعى التي تكون في نفس كل بشر وكل جني لا شك وكل امرأة ورجل أن نقطع دابر هذه الأنانية. كيف نفعل ذلك؟ لا شيء إلا التوكل على الله عز وجل، ثم إن الإنسان إذا كان وحيدا في دربه أو جماعته، أو كان يشعر أنه هو رأس الجماعة وأنه أولى بالمكان الأول من الآخرين، إذا كانت الأنانية حيةً فقل إن الأفعى حيةٌ. وإذا كانت الأفعى حيةً في داره أو في بيت أو في مؤسسة فأخلق بتلك المؤسسة أن تؤول إلى خراب وإلى تسمم تدريجي أو تسمم مباغت.

فإذن لكي لا يكون لنا مع الأنانية مع الأنا شأن دنيوي، ينبغي أن نوجهها إلى الآخرة. نرجع دائما إلى تذكير الناس بأنهم سيموتون غداً وسيلقون ربهم، وينبغي أن يستعدوا للقاء

الله عز وجلَّ بالعمل الصالح، وأولُ عمل صالح في الجماعة أن نقول «نحن» بدل أن أقول «أنا». تلك لأنا البغيضة ينبغي أن نبعدها، وأن نرفعها إلى طموح أعلى.

ينبغي أن أكون أنانيا بالمطلق فيما يتعلق بآخرتي، أريد أن أكون من المقربين عند الله عز وجل، من السابقين بالخيرات دون أن أحسد أحدا. لكن لا أريد أن يكون فوقي إلا الأنبياء والرسل المعصومون. أما الأولياء فأن أكون واحدا منهم، ما يمنعني من ذلك؟ أسعى لذلك، فإذا لم يكن لي طموح إحساني وعمل يناسب هذا الطموح فأخلق بي أن أكون من المعرقلين الذين يعرقلون عمل الجماعة والذين يكونون عددا زائفا وسط عُملة حرة.

د. الرضى: سيدي فتح الله أرسلان من الناس من يصف تنظيم جماعة العدل والإحسان بأنه تنظيم منغلق على نفسه ولا يتمكن من احتواء كثير من الآراء المختلفة والاقتراحات الجديدة؟ كيف تنفتحون على الناس؟ أم أنكم تختارون هذ الطريق؟

ذ. فتح الله أرسلان: الغريب أن الناس يحكمون على جماعة العدل والإحسان وحُكمهم هذا قد يبدو في كثير من الأحيان متناقضا، أي يَحَارون في أحكامهم عن الجماعة. فمنهم من يعتبرنا طريقة صوفية، زاوية من الزوايا. ومنهم من يعتبرنا حركة سياسية متمردة ومندفعة. ومنهم من يعتبرنا منغلقين على أنفسنا. ومنهم من يعتقد بأننا ننزل في الشوارع لكي نستعرض عضلاتنا. ومنهم ومنهم ومنهم. والحقيقة أن طبيعة هذه الجماعة، ومشروع هذه الجماعة، جعل الناس يحارون في تصنيفها. فهل هي جماعة سياسية؟ هل هي جماعة تربوية؟ هل هي جماعة تسعى إلى الحكم؟ هل هي جماعة مكونة من دراويش فقط أم أنها تحتوي على مختلف الشرائح الاجتماعية؟

أقول بأن جماعة العدل والإحسان تضم كل ذلك، فهي جماعة لا أقول صوفية لأن هذا الاسم يحمل كثيرا من الخلفيات، ولكن أقول جماعة تسعى إلى التربية وإلى تزكية النفس وإلى جعل الإحسان أمرا شخصيا وجماعيا، نسعى إليه كما كان رسول الله ﷺ وأصحابه وكما تربوا على ذلك، ونحن جماعة لسنا غير مهتمين بأمور المسلمين، بل نعتبر أن أمر المسلمين من خصوصية اهتمامنا ومن أسس اهتمامنا. والاهتمام بأمور المسلمين والسعي في تحقيق العدل للمسلمين بل في العالم هو وسيلة من عملنا لتحقيق الغاية الكبرى هي رضى الله سبحانه وتعالى.

فلذلك في جماعة العدل والإحسان هناك أطر مختلفة كما سبق وأن ذكرنا من كل الشرائح، وطبيعة هذه الجماعة وطبيعة عملها وطبيعة مشروعها لا يمكن أن يقبل الانغلاق، ولا يمكن أن يكون منغلقا لأنها ليست جماعة حزب سياسي منغلق له أهداف محدودة أرضية بل هي جماعة مفتوحة وأهدافها مفتوحة على الجميع، تسعى لكي تُحيي الأمة وتَحيى هي مع الأمة. ولكي تتحمل الأمة مسؤوليتها وأن تخرج من الركود ومن السكون ومن اللامبالاة التي عاشت عليها قرونا، إما اختيارا في بعض الأحيان أو إكراها تحت سيف الحكام الظلمة، فإذن مشروعنا لا يمكن أن يتناغم ولا يمكن أن يتلاءم مع الانغلاق بأي شكل من الأشكال، فنحن منفتحون، ونسعى بكل ما نملك من قوة للتواصل مع الناس بكل الوسائل الممكنة والمتاحة.

صحيح أنه ربما يلاحظ البعض في كثير من الأحيان نوعا من عدم الظهور البارز في بعض المجالات، وهذا ليس راجعا لطبيعة الجماعة، ولا لبرامج الجماعة، ولا لمشروع الجماعة، لكن هو راجع للتضييق الممارس علينا. راجع إلى الظلم الواقع علينا من طرف النظام ومن طرف المسؤولين الذين يغيظهم أن يخرج مشروعنا إلى الناس، وأن يطلع الناس على أهدافنا وعلى ما نطرحه من أفكار، وهم يعلمون أنه بالرغم من هذا التضييق فإن الأعداد التي تُقبل على الجماعة لا يمكن أن تُعد وتحصى، فبالأحرى إذا فُسح لنا المجال وفُتحت لنا أبواب التواصل مع الناس فإنهم يعلمون أن الأمر لن يكون في صالحهم، ولعل تجربة الأبواب المفتوحة التي عاشتها الجماعة في 2006م، وما نعاني منه وما نؤدي من ثمن بسبب ذلك الانفتاح يعرفه الجميع.

د. الرضى: إذن إذا فهمتك جيدا أن جماعة العدل والإحسان بتنظيمها نجد فيها نوعا من التميز المنفتح على الآخرين، وتسعى فيما تسعى إليه إلى أن تأخذ الحكم الإسلامي بناء على حديث الخلافة على منهاج النبوة الذي جعلتموه الأستاذ المرشد حاذيا لمشروع الجماعة، ألا يُخشى على التنظيم بعد تحوله من الدعوة إلى الحكم أن تذهب ريحه ويندثر؟

الإمام: لعل عند علماء الاجتماع اصطلاحا يقولون «حركة اجتماعية»، هذا حزب سياسي، وهذه جمعية محلية، وهذه جمعية تتكلف بكذا وكذا... وهذه حركة اجتماعية، فكلمة حركة تحمل معها معنى التحرك ومعنى الانفتاح ومعنى التعدد ومعنى الاتصال

بالناس، ومعنى أنها تحمل معها جوابا لكل طوائف البشر. ذلك أن القاسم المشترك بين الناس هو أنهم يُخاطبون بالقرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق:6).

نرجع إلى ذكر الآخرة، ولعل كثيرا من الناس أحزابا سياسية وتجمعات إسلامية وغير إسلامية وجمعيات يتحاشون ذكر الموت، ويتشاءمون مِن الذي يخبرهم بأنهم سيموتون، وهذا كذب على الناس، وهذا حَجب للحقيقة الصارخة التي يعرفها كل واحد من نفسه ومما رأى من أبيه وجده وأعمامه وأخواله والناس أجمعين. نحن سائرون إلى الموت، وبعد الموت حياة. يتحاشون ذكر الموت لأن عندهم الموت هي الحفرة ونهاية الأمر، بينما عند المؤمنين الحفرةُ كما في حديث يقول فيه النبي ﷺ: «أرحم ما يكون الرب بعبده عندما يكون في حفرته»[1] لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة عندما يدلى إلى حفرته تكون رحمة الله إليه أقرب وأوسع ويكون الله عز وجل محتفيا به، إذا كان من المؤمنين الذين عملوا الصالحات، أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد ما دام في الحياة، ولكن إذا مات أرحم ما يكون الرب به إذا كان في حفرته.

فهذا الفرق بيننا وبين الناس، يتحاشون الحديث عن الموت، الموتى في عرفهم وفي نظرهم عبارة عن حفرة وجسد يندثر وتأكله الدود وانتهى كل شيء. أنا لست جسدا، أنا روح في جسد، هذا الجسد إن بلي وإن ذهب إلى حفرته وفُعل به ما فُعل تبقى الروح، والروح هي التي تُنشر غدا أمام الله عز وجل. وتلقى وتقرأ ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ (الإسراء:14). تقرأ ما قمت به من عمل. فالفرق في المصطلحات والمفاهيم أساسي.

ما هو الموت عندهم؟ الموت عندهم نهاية كئيبة وقبيحة وجثة نتنة وتعفن ودود ونهاية، وهي العدم المطلق وهي المكروه المطلق، يكرهون الموت، وفي حديث النبي ﷺ إذا كان

(1) رواه الديلمي في مسند الفردوس، رقم 823، وروي عن ابن عباس مرفوعا، انظر: محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1425هـ، ص 345، وشمس الدين السفيري الشافعي، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، تحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1425هـ/ 2004م، 2/ 78.

العبد يكره الموت فهو بعيد، وإذا كان يحب لقاء الله أحب الله لقاءه، فشتان ما بين النظرتين وبين الفهمين لمعنى الحياة ومعنى الموت.

د. الرضى: نشكرك شكرا جزيلا الأستاذ المرشد الأستاذ عبد السلام ياسين مرشد جماعة العدل والإحسان، كما نشكر الأستاذ فتح الله أرسلان عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان والناطق الرسمي باسمها، والأستاذ محمد بارشي عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رابعا: حوار مع الإمام في موضوع: الانكسار التاريخي

أجرى الحوار الدكتور مصطفى الريق

د. المصطفى الريق: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. مشاهدينا الكرام، ضيوفنا الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. نرحب بكم في هذه الحلقة، التي هي امتداد لسلسلة حوارية متواصلة، هدفها إماطة اللثام ولو على جزء يسير من مشروع تغييري كبير تحمل لواءه الحركة الإسلامية، حركة سرت في الأمة مسرى أنوار الفجر في ظلام الليل، فكانت بحقٍّ ملاذا لكل أواه منيب، وقد كان أملها ولا يزال بعد طلب العون والتوفيق والتأييد من الله عز وجل أن تُسهم في تغيير واقع الغثائية التي تعيشها الأمة الإسلامية، علّها تحقق لهذه الإنسانية المعذبة المكبلة بأغلال الجهل بالله، المتنكبة عن صراطه المستقيم.

ولجماعة العدل والإحسان تصورٌ لهذا الأفق الموعود والتغيير المنشود، نحاول بسط معالمه الكبرى في هذه الجلسة الحوارية مع ضيوف أجلاء يتقدمهم فضيلة العلامة المجاهد الأستاذ عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والإحسان. ومعه الأستاذ الفاضل عمر أمكاسو عضو مجلس الإرشاد وعضو الأمانة العامة للدائرة السياسية ونائب أمينها العام ومسئول الإعلام داخل الجماعة، والأستاذ الجليل محمد حمداوي عضو مجلس الإرشاد وعضو الأمانة العامة ومسئول العلاقات الخارجية للجماعة.

أهلا بكم أساتذتي الأفاضل جميعا، لو بدأتُ معك أستاذي الكريم الأستاذ عبد السلام ياسين. ركزتَ كثيرا في مجمل كتاباتك على ضرورة الوعي التاريخي خاصة في حقِّ العاملين للإسلام الحاملين لهمِّ إعادة البناء على الأساس الأول، واعتبرتَ أن أصل البلاء في الأمة هو ما وقع من انكسار تاريخي حَوَّل مجرى حياتها ففقدت بالتدريج مقوماتها. ما المقصود سيدي بهذا الانكسار؟ وما علاقته بحاضر الأمة ومستقبلها؟

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه. لعلّ في العبارة: انكسر على وزن «انفعل»،

انكسار انفعال فيه تراجعٌ عن حقيقة ما وقع في تاريخ المسلمين من فظائع من كَسرٍ إرادي، من كسرٍ مقصود لشوكة الإسلام.

ذلك ما يسكت عنه كثير من المسلمين، وذلك يبوح به ويشكو منه إخواننا من المسلمين الشيعة عندما يقولون: إنه وقع شيءٌ يسمى فظيعة كربلاء، فضيعة كربلاء، هذه من الانكسارات التاريخية، وما كربلاء إلا نتيجة لرفض رجل حُر هو الإمام الحسين رضي الله عنه وأرضاه، عندما أبى أن يبايع من أتوا إلى الحكم على أَطراف الأسِنةِ في الرِّماح، لا أُسمي أشخاصا ولكنَّ الأمر معلوم بالضرورة في تاريخ المسلمين، فإذن إن قُلنا «انكسار» بدل أن نقول «كسر» فإنما تعفَّفنا لكي لا نتعرض ولكي لا ننظر وجها لوجه إلى تاريخنا كما هو.

د. المصطفى الريق: سيدي الفاضل ألا يعتبر النّبش في ذلك التاريخ نكئا للجرح، وجرأة على جيل فاضل اختاره الله عز وجل لصحبة رسوله ﷺ؟ ألا يسعنا أن نطوي تلك الصفحات ونقول: تلك فتنة عصم الله منها سيوفنا فلنعصم منها ألسنتنا وأقلامنا؟

الإمام: هكذا كان يقول المتخوفون على بيضة الإسلام في كل العصور، تلك أحداث عصم الله عز وجل منها سيوفنا أفلا نكفّ ألسنتنا ولا نتحدث. إننا إذا لم نتحدث نكون كالطبيب الذي يرى في مريضه جرحا وعضوا يوشك أن يعم الجسم كله ويهلك بذلك المريض، فيترُك المريض تعففا من أن يأخذ تلك اللحمة الميتة فيبترها وينبذها ويستغني عنها.

د. المصطفى الريق: سيدي عمر ماذا تقول في هذا الانحسار في صيغة الانكسار؟

د. عمر أمكاسو: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، الحديث عن الانكسار التاريخي الذي أصاب المسلمين في وقت مبكر منذ وفاة الرسول ﷺ ثم ما تلا ذلك من فتن أدت في الأخير إلى أن يتدحرج أمر المسلمين من خلافة راشدة إلى مُلك عضوض ثم إلى مُلك جبري.

هذا الحديث هو أمر تقتضيه النظرة السديدة إلى تاريخ المسلمين حيث لا يمكننا أن نعالج واقعنا إلا إذا عُدنا إلى ذلك التاريخ، وتسلحنا بهذه العين الناقدة التي تنظر من أعالي التاريخ لنضع أصابعنا على مكمن الداء. فالرسول ﷺ أخبرنا في حديث من أحاديثه بأن عُرى الإسلام ستنقض «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث

الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة»[1]. وهذا الخبر الذي أخبر به الرسول ﷺ وقَع حيث انتقضت عروة الإسلام في وقت مبكر وانقلب أمر المسلمين إلى مُلك يتلاعب به أُغيلمة قريش كما سُموا، وبذلك وقع الانحدار...

الإمام: بل كما سماهم رسول الله ﷺ وحذر منهم، وحذر من لعب الغلمان من الفتية.

د. عمر أمكاسو: إذن فوقع ذلك الانكسار ولا يمكننا أن نعيد بناء أمر هذه الأمة إلا إذا فهمنا كيف وقع هذا الانكسار؟ وما ملابساته؟ وكيف نعيد جمع أطراف الأمة وعرى الإسلام حتى تجتمع وتلتئم من جديد؟

الإمام: إذا نحن نظرنا إلى قوم في عصرنا هذا مِن غِلمة قريش يتخذون من انتسابهم إلى الدوحة النبوية الشريفة كرسيا يجلسون عليه لكي يمارسوا ماذا؟ لكي يمارسوا العض والجبر، ماذا نقول لهؤلاء؟

ذ. محمد حمداوي: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله. تاريخ أمة سيدنا رسول الله صلى وسلم تاريخ عمَّه هذا الانكسار التاريخي الذي تحدث عنه فضيلة الأستاذ المرشد، وهذا التاريخ حقيقة قد أوصل الأمة الآن إلى حالة من الضعف ومن الوَهَن ومن التخلف لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذه الأمة، والله سبحانه جل وعلا عندما تحدث عن تحميل المسئولية في ما حدث في القرآن الكريم، وكما تحدث أيضا حديث رسول الله محمد ﷺ، فقد كان الحديث واضحا في آية من كتاب الله عز وجل عندما تحدث عن طغيان فرعون وعن ما فعله في قومه، فالله سبحانه قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَاطِئِينَ﴾ (القصص:8)، يعني أن الله عز وجل قد حمَّل مسؤولية الفساد والإفساد في قوم موسى عليه السلام إلى فرعون وإلى هامان وإلى جنودهما.

وهنا ملاحظة دقيقة جدا أن الله عز وجل لم يخصَّ فرعون وحده بهذا العمل الدنيء ولكن أشرك معه هامان وجنودهما، بالمعنى المعاصر هناك جهاز وهناك نظام سياسي هو الذي تصدى لعملية الاستبداد وعملية الإفساد في وسط الأمة، لهذا فالانتساب لرسول الله ﷺ، وللدوحة النبوية لا يُعفي إطلاقا من هذه المسئولية العظمى، فخير نسب لرسول ﷺ

(1) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، رقم: 22160.

هو التأسي به عليه الصلاة والسلام واتباع سنته عليه الصلاة والسلام والاقتداء به، أما الظلم والجور فهذا لا علاقة له إطلاقا بمنهج سيدنا رسول الله ﷺ. أما الوراثة الحقيقية لرسول الله ﷺ فهي وراثة الرُّشد ووراثة العدل والقسط على منهاج الله ومنهاج سيدنا رسول الله ﷺ.

د. المصطفى الريق: هل يمكن أن نفهم انطلاقا مما تفضلتم به أن المدخل الأساس للتغيير بالنسبة لجماعة العدل والإحسان هو المدخل السياسي؟

ذ. محمد حمداوي: العدل والإحسان هذا الاسم الذي تحمله الجماعة، يشير إلى أن مجال العمل في الجماعة يرتكز على أساسين اثنين: الأساس الأول هو أساسُ العدل والأساس الثاني هو أساسُ الإحسان. بمعنى أن مطلب العدل هو مطلب أساسي في الجماعة، مطلب إقامة القسط في الأمة وإقامة مجتمع القيم النبيلة، مجتمع الإيمان، مجتمع الحريات العامة، هذا مطلب أساس في أمة رسول الله ﷺ. وهناك المطلب الثاني، مطلب الإحسان، وهو مطلب تزكية النفس باللغة القرآنية، وهذا المطلب أيضا مطلب أساس.

هناك تكامل ما بين المطلبين، والأخ المرشد حفظه الله في كتاباته قد عبر عن هذين المطلبين بلفظ «الخَلاص»، فذَكر بأن الجماعة تحمل مشروعين: مشروع الخلاص الفردي، ومشروع الخلاص الجماعي. فمشروع الخلاص الفردي مرتبط بغاية الإحسان، وبإصرار وحرص الإنسان على أن يعتق نفسه من النار، كما قال رسول الله ﷺ في حديث رواه الإمام مسلم «كلُّ الناس يغذو فبائعٌ نفسه فمُعتقها أو مُوبقها»، فمشروع العمر على المستوى الفردي هو أن الإنسان سيبيعُ نفسه فليرَ كل إنسان لمن يبيع نفسه؟ إما أن يبيع نفسه لله عز وجل ولرسول الله ﷺ ولطاعة الله فيُعتق هذه النفس من نار جهنم، وإما أن يبيع هذه النفس للهوى وللشيطان فيوبقها والعياذ بالله في نار جهنم، هذا هو مشروع الخلاص الفردي. أما الخلاص الجماعي فهو انعتاق الأمة من الفساد ومن الاستبداد ومن الظلم ومن الجور.

د. المصطفى الريق: في هذا السياق سيدي أمكاسو كثيرا ما تتحدث الحركات الإسلامية عموما عن النضج الحركي، وعن ضبط التنظيم وعن تطعيمه بالوعي السياسي، وتركز على فقه الواقع قصد إدراك طبيعة المرحلة ومتطلباتها. في غمرة هذه الاهتمامات المتباينة يحضر السؤال الـمُلح أي دور للعامل الذاتي في هذا التغيير؟

د. عمر أمكاسو: العامل الذاتي هو عامل حاسم وأساسي وأولي في كل تغيير ننشده، فعملية التغير في الواقع هي عملية جد معقدة، والإنسان باعتباره الفاعل الأساس في عملية التغيير، والمشارك في عملية التغيير، وباعتباره أيضا المستقبِل لهذه العملية والمستجيب لها هو ضروري جدا، ولذلك ننطلق في جماعتنا من قوله سبحانه وتعالى في سورة الرعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:12)، ما بالقوم هو هذا الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري والتربوي بكل ما يلابسه من انحراف، من منكر، من تسلط، من ظلم، من استبداد، هذا الواقع لا يمكن أن يتغير ولا يمكن أن يصل هذا التغيير إلى الهدف الذي ننشده إلا إذا تغير ما بالإنسان.

والإنسان الذي نقصده هنا ليست تلك الدابة الأرضية أو ذلك الكائن الأرضي الذي يعيش حياته منقطعا عن آخرته ولا يفكر في مآله ما بعد الموت، إنما الإنسان الذي نريد أن نغير به وأن يتغير حاله وأن يتغير من تلقاء نفسه هو الإنسان المخلوق من الله عز وجل الذي يتوخى تحقيق العبودية الكاملة لله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (ق:56).

العبودية بمعناها الشامل بمعنى الخضوع الكامل لله سبحانه وتعالى والدينونة له وعمارة الأرض وفق ما يتطلبه شرع الله عز وجل. إذن فهذا الإنسان الذي هو المغيِّر وهو الذي سيقع عليه التغيير نتوجه إليه في جماعة العدل والإحسان بكل برامجنا التربوية والتعليمية والاجتماعية والسياسية من أجل أن يتأهل ليقوم بدوره ليحمل هذا المشروع. وحمل هذا المشروع لا يكون عن طريق استيعابه فكريا إنما حمله في قلبه يعيش به في يومه تقربا إلى الله عز وجل، يعيش في ظل هذا التقرب ويتسلق ويرتقي في مراتب الدين من إسلام إلى إيمان ثم نحو الغاية الإحسانية كما تفضل الأخ الأستاذ حمداوي. ويعيش لذلك المشروع وبه ومن أجله.

إن هذا لا يتأتى إلا إذا أهَّلنا هذا الإنسان وتكوَّن في محاضن الإيمان كما كان الرعيل الأول في عهد الرسول ﷺ، حيث إذا تتبعنا مسيرة الرسول ﷺ وكيف ربى صحابته رضوان الله عليهم، ذلك الجيل الفريد كما سماه سيد قطب رحمه الله، فقد قضى الرسول ﷺ مدة طويلة وهو يؤهل هذا الإنسان في جانبه التربوي بالمعنى الشامل للتربية، بل حتى في المدينة

لما هاجر الرسول ﷺ وبدأ تنزيل المشروع الإسلامي كان القرآن المدني دائما يحوم حول الجانب الإيماني وحول ما يسميه البعض بالعقيدة حتى يكون أساس التغيير أساسا متينا.

الإمام: بدأنا في بحثنا عن الزجر الإلهي الشديد بالحديث عن مآل المجرمين الكافرين المشركين الظالمين الذين يُحجبون عن رؤية الله عز وجل في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المطففين:15-17)، إن التكذيب بالآخرة والاستخفاف بالآخرة وبالنصيب الأخروي والغياب عن هذه الحقيقة حقيقة الحقائق هو أننا جميعا ذات يوم سنلقى الله، سنموت، ماذا بعد الموت؟

هذا ما لا يتحدث عنه فيلسوف ولا كاتب ولا إسلامي إلا من رحم ربك، يا حسرة على العباد! حتى الإسلاميون قَلَّ ما تجدهم يتحدثون عن الآخرة. مع أن رسول الله ﷺ ترك فينا تراثا لا يتحدث إلا عن الآخرة، فإنه ﷺ اشتاق إلى رؤية هذا الجيل ويعلم الله الجيل الذي بعده، قال: «ودِدْتُ أنَّا قدْ رَأَيْنا إخْوانَنا قالوا: أوَلَسْنا إخْوانَكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: أنتُمْ أصْحابِي وإخْوانُنا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»[1]. الإخوان هؤلاء الذين يسلم عليهم النبي ﷺ، ويعلمنا أن نسلم عليهم أمواتا وأحياء، لذلك علمنا عندما ندخل إلى مقبرة أن نقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[2].

(1) نص الحديث هو: عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أتَى المَقْبُرَةَ، فقالَ: السَّلامُ علَيْكُم دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكُمْ لاحِقُونَ، ودِدْتُ أنَّا قدْ رَأَيْنا إخْوانَنا قالوا: أوَلَسْنا إخْوانَكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: أنتُمْ أصْحابِي وإخْوانُنا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ فقالوا: كيفَ تَعْرِفُ مَن لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِن أُمَّتِكَ؟ يا رَسولَ اللهِ، فقالَ: أرَأَيْتَ لو أنَّ رَجُلًا له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قالوا: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وأنا فَرَطُهُمْ علَى الحَوْضِ ألا لَيُذادَنَّ رِجالٌ عن حَوْضِي كما يُذادُ البَعِيرُ الضَّالُّ أُنادِيهِمْ ألا هَلُمَّ فيُقالُ: إنَّهُمْ قدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فأقُولُ سُحْقًا سُحْقًا. وفي رواية: فَلَيُذادَنَّ رِجالٌ عن حَوْضِي». أخرجه الإمام مسلم، الجامع الصحيح،كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء برقم 249.

(2) نص الحديث هو: عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى المَقابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العافِيَةَ». أخرجه الإمام مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها، رقم 974.

إنه إذا اختل التوازن بين مطلبي العدل والإحسان يوشك أن نكون من النائمين الغافلين، فتستمر الأمة في غفلاتها وفي غفوتها وفي نعاسها بسبب فعلتنا وغفلتنا، فنحن ينظر إلينا الناس لكي يأتموا بنا فيكون ذلك في أعناقنا، ويكون إثم ذلك على من سكت عن نبش أصل هذا البلاء كلِّه وهو فساد الحكم. وعندما فسد الحكم فسد معه جزء ٌكبير من الدِّين.

ذهب بعض الناس إلى زوايا وإلى أكناف المساجد يذكرون الله وقد نفضوا أيديهم عن شأن الأمة الآن، فيقولون إن من الصحابة من فعل ذلك ومن التابعين من فعل ذلك. نقول نحن: إنهم فعلوا ذلك اجتهادا منهم لأنهم رأوا فتنة عارمة لا دواء لها في زمانهم إلا أن ينكفوا وإلا أن يتركوا الميدان لغيرهم. نحن نقول: لا نترك الميدان لغيرنا بل نتصدى لإصلاح أنفس الناس ابتداء بأنفسنا، ثم بإصلاح الأمة فردا فردا لكي يكون مطلب التربية أولا، ثم التربية ثانيا، ثم التربية ثالثا.

والتربية تكون موجهة للأفراد داخل الجماعة، لذلك نريد أن تكون جماعة تُربي، فلا يمكن أن نربي أطفالا إذا كانت البيئة التي ينشأ فيها لا تصلح. تجيء أنت أيها الواعظ واعظ الجمعة، ويرحم الله وعاظ الجمعة يبذلون جهدا كبيرا في تذكير الناس بربهم وبالقبر وبالآخرة، ثم يخرج الناس من المسجد وينفضون ذلك كله ويذهب كل ذلك هباء منثورا. ذلك لأن البيئة خارج المسجد بيئةٌ لا تصلح، ولا تستطيع، وليست مؤهلة لكي تحافظ على ذلك الوعظ الجميل الذي سمعه الناس في المسجد، فينفضُّ الناس ويذهب كلٌّ إلى حال سبيله.

ومن الناس من يقول نحن نطلب الإحسان بعيدا عن التعرض للسياسة «لعن الله ساس ويسوس» كما يقول بعضهم، نحن نقول: لا، لا خلاص للأمة ولا لأنفسنا نفسا نفساً إن لم نحمل همَّ الأمة، وإن لم نفقه لماذا فسد أمر الأمة، وإن لم نعرف، وإن لم نتفطن إلى أن الذي أفسد الأمة هو فساد الحكم، فلذلك نتصدى مباشرة للحكام نقول: إنكم ظلمة غاشمون، وإنكم غِلمة قاتلون، وإنكم أصلُ الوباء والداء.

د. المصطفى الريق: أستاذي الجليل عبد السلام ياسين، كيف يمكن الجمع بين توزين العامل الذاتي الذي تفضل به الأستاذ أمكاسو وهو يرتكز أساسا على الفرد، والعمل المنظم الذي يفترض ضرورة العمل الجماعي؟

الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم إن الله عز وجل ذكر لنا في كتابه العزيز دروسا ينبغي أن نقف عندها وأن نفكر فيها وأن نستعملها في فتحنا لهذا الصندوق العجيب الذي هو قلوبنا وعقولنا.

في غزوة أحد عصى نفرٌ من الصحابة اجتهادا منهم وصية رسول الله ﷺ أن لا يبرحوا وأن لا يتركوا أماكنهم، فجاء التوبيخ الإلهي في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران:165)، وفي كتاب الله عز وجل خطابٌ عامٌّ لقوم غفلوا عن الله عز وجل وران الرَّان على قلوبهم، وأظلمت قلوبهم فإذا لم نعمِد إلى الكشف على ما في هذه القلوب من الران فإننا لا نستفيد من قول الله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:14)، أولئك الذين قرأنا أول الجلسة مصيرهم عندما يحجبون عن الله عز وجل، ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ﴾ (المطففين:15-16) نعوذ بالله. ونرجع إلى ما كنا فيه إلى سؤال أخينا.

ذ. الريق: كيف نجمع بين الهم الفردي وبين ما يتطلبه العمل الجماعي من جهود؟

الإمام: إنه خيارٌ في أول ما ننطلق، إما أن نستعذب ونستحسنَ ونفضلَ القعود فاجلِس فإنك لا تصلح للجهاد، لأقول أنا أذكر ربي وأتوجه إلى ربي وأقرأ القرآن وأعمل الصالحات ولا شأن لي بالجماعة، الرين على هذه القلوب ينبغي أن يزال بالتربية فردا فردا، وبالتربية في جماعة، لأنه لا يمكن أن نربي -كما قلت آنفا- وأن نعظ الناس ثم نتركهم سبَهللا في قومٍ غافلين، لاسيما إذا كنا نعيش في بلدٍ عَمَّ فيه الفساد وغُمَّ فيه على عقول الناس كما هو شأنُ كثير من بلدان المسلمين، وكما هو شأن إخواننا وأخواتنا الذين يعيشون في بلاد الغربة، في أوربا وفي أمريكا وفي غير ذلك.

إذن لا بد أن نأخذ الناس شخصـاً شخصـاً، فرداً فرداً، هذا المخلوق الذي فَضَّله الله عز وجل وخلقه في أحسن تقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:4)، نأخذ بيده بلطفٍ ومحبة، ونقول هيا يا أخانا، هيا يا أختنا، أفيقوا من غفلتكم، إنكم ستلاقون ربكم غدا، هل لكم خبرٌ بالآخرة أم لا؟ اجلسوا معنا حتى تسمعوا شيئا عن الآخرة وعن خبر الآخرة. وأكرر في كل مجلسٍ، وهذا شيء مهم جدا، الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ، وهو خطاب موجه إلى كل مربٍّ بعده قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (التوبة:6). ذلك

المشرك الذي يَخْفُقُ قلبه ويَتَّعِظ ويرتعش خوفا أَجِره حتى يستأمن وحتى يشعر بالطمأنينة وبالأمان، بعد ذلك أخبره عن الآخرة ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: 6)، لأنه بدون ذلك إنه يسمع كلام محمد، شخص اسمه محمد، أو اسمه بعد ذلك فلان وأحمد وعبد القادر... لا يلتفت إليه، لكن إذا اطمأن، هذا أسلوب في التربية ضروري أن ننتبه إليه، اجلس معنا حتى تطمئن، حتى يُفَرِّغ الله عن قلبك ما كان فيه.

د. المصطفى الريق: أستاذ حمداوي، هذا التحول الفردي والجماعي الذي تحدث عنه الأستاذ المرشد، هل يمكن أن نقول بأن جماعة العدل والإحسان وحدها قادرة على إنجاز هذا التغيير؟

ذ. محمد حمداوي: التغيير هو مسؤولية في أمة رسول الله ﷺ بصفة عامة وليس مقتصرا هذا التغيير على عمل الجماعة فقط. مشكلة الأمة الآن هي كيف نعمل حتى نتجاوز إسلام الزهادة الذي يدعو إلى الانسحاب من الميدان والانزواء والتقوقع على الذات، وبين الحد الآخر وهو إسلام أفكار ذات قلوب جافة، وإسلام السياسة العقيمة المشحونة بالضغينة، بالأنانية، بالكبر بالاستعلاء بالعجب؟ إذن كيف نتجاوز هذين الحدين؟ وهنا يأتي قول الله تعالى لينير لنا الطريق، يقول الله سبحانه جل وعلا: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: 123) فإذن هذا هو المؤمن يريده ربه سبحانه وتعالى أن يمشي في الناس لا أن يتقوقع على نفسه. ولكن أن يكون له نور يمشي به في الناس، فهذا هو المنهج الذي ينبغي أن نعمل من أجل أن نخرج به الأمة، إخراج بلغة القرآن...

د. المصطفى الريق: سيدي الفاضل عفوا، من الذي يمكنه أن يقوم بهذه المهمة؟ هل هو أمر مرتبط بالعلماء أم بالحركة الإسلامية أم بالأحزاب السياسية أم بغير ذلك ممن يتصدون لعملية التغيير؟

ذ. محمد حمداوي: التغيير في أمة رسول الله ﷺ هو مسؤولية الأمة جميعا. الله سبحانه جل وعلا عندما ذم فرعون كما ذكرت في الآية السابقة وقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَاطِئِينَ﴾ (القصص: 8)، لم يُعْفِ الأمة من المسؤولية، بل حملها لها. فقال سبحانه جل

وعلا: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف:54)، فإذا انحرف الحاكم لا تُعفى الأمة من المسؤولية.

يجب على الأمةُ أن تتحمل مسؤولية التغيير وأن تقوم، وأن لا تذعن لمسلسل الاستخفاف، والاستخفاف يدلُّ على الاستدراج وعلى أن هناك برنامجا ومخططا باللغة المعاصرة من أجل استدراج الأمة إلى الفساد وإلى الإفساد إبعادا لها عن دينها. فعلى الأمة أن تتحمل مسؤوليتها وأن تبصر طريق ربها وأن تلتف حول الدعاة الصادقين. فهناك الحركة الإسلامية –وجماعة العدل والإحسان منهم– تدعو إلى التغيير وتعمل على التغيير، وهناك أيضا فئات أخرى من الحركة الإسلامية وهناك العلماء وهناك الفضلاء وكل من له غيرة صادقة على الدين وعلى هذه الأمة. فإذن التغيير مسؤولية الجميع بدون استثناء ولا تدعي جماعة العدل والإحسان أنها لوحدها تستطيع أن تحدث هذا التغيير الذي ننشده جميعا، وإنما هي تعمل على أن تعبئ وتستنهض أمة رسول الله ﷺ لهذا التغيير المنشود بإذن الله.

الإمام: أخي الكريم عندما نقول إننا ندعو إلى التغيير نكون قد حدنا عن سواء السبيل. الله عز وجل أخبر رسوله ﷺ وأمره قال: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِيَ أَدْعُو إِلَىٰ ٱللَّهِ﴾ (يوسف:108)، فنحن ندعو إلى الله، ندعو إلى الإحسان، يعني ندعو إلى الله أساسا. فإذا كنا نريد التغيير، التغيير من ماذا إلى ماذا؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:12)، الذي بنا هو ما ران على قلوبنا، هو الغفلة عن الله وعن المصير إلى الله عز وجل، لأننا لا نذهب إلى المقابر فنقول كما علَّمنا رسول الله ﷺ: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون». إذا لم يكن هذا حاضرا معي مِن صباحي إلى مسائي وفي يومي وفي غدي فأكون غافلا عن الله، لأن زيارة القبور التي أمر بها رسول الله ﷺ أبا ذرٍّ «زُرِ القُبُورَ تَذْكُر بهَا الآخرَة، وَاغْسل الْمَوْتَى، فَإِنَّ مُعَالَجَة جَسَد خَاوٍ مَوْعظَةٌ بَليغَةٌ»[1]، في حديث تعرفونه، ذلك لكي يكون حاضرا مع الله، القبور لا تعنيني في شيء، الذي يعنيني هو مصيري أنا، وبما أنني سأمر في مرحلة ما

(1) نص الحديث: «زُرِ القُبُورَ تَذْكُر بهَا الآخرَة، وَاغْسل الْمَوْتَى، فَإِنَّ مُعَالَجَة جَسَد خَاوٍ مَوْعظَةٌ بَليغَةٌ، وَصَلِّ عَلَى الْجَنَائز لَعَلَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ، فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَتَعَرَّضُ لِكُلِّ خَيْرٍ»، رواه الحاكم، المستدرك، كتاب الجنائز، رقم 533، وقال: هذا حديث رُواته عن آخرهم ثقات. وفي صحيح مسلم «زوروا القبور فإنها تذكر الموت»، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ في زيارة قبر أمه، رقم 976.

بالقبر فإنني أنظر إلى المقبورين بعين الرحمة وأدعو الله لهم وأعدهم وأقو:ل إنا إن شاء الله بكم لاحقون، أحدث بذلك نفسي.

فإذا لم يكن هذا الهمّ، هَمُّ الآخرة حاضرا معي فأنا ظلام في ظلام، على أن الربانيين يتعففون من قول «أنتم في ظلام» لا يقولون للناس «أنتم في ظلام» كما جاء في القرآن الكريم ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:122)، ينبغي أن نَحْذَرَ أن نقول للناس نحن في نور أو أن نشير إلى ذلك ولو من بعيد. لأنه إذا قلت نحن في نور فإذاً أنتم في ظلام، هلمُّوا نقودكم إلى النور! هذا لا يصح لا دينا ولا سنة ولا قرآنا.

د. المصطفى الريق: عفوا أستاذي الكريم، ألا يُفهم من كلامك هذا الاهتمام بالآخرة والزهد في التغيير دروشةٌ وزهد في الدنيا، وهذا أمر كثيرا ما حذرت منه في كتاباتك؟

الإمام: إذا لم يكن المطلبان حاضرين معي، نعم هذا خطر. أما وأنا تحت لواءٍ يسمى العدل والإحسان فإذن مطلب الإحسان لا يغيب عني، استحضاري للآخرة وللرين الذي ران على قلوب بعضهم إنما هو تهممٌ للمصير العام لي أنا ثم مَن أمرني الله أن أهتم بهم وهم المسلمون وهم الناس كافة، لأن الله تعالى بعث رسوله كافة للناس بشيرا ونذيرا، فنحن نبشر أولا بشارة: يا أيها الغافلون، يا أيها الذين يجهلون أن الله بعث محمدا رحمة، هل تعلمون ما وراء الموت؟ لا يعرفون عن ذلك شيئا. فأمام كل واحد منهم لوحةٌ بعبارة العصر، لوحةٌ مشوهة سوداء مخيفة: قبرٌ ودودٌ ونهاية ولا شيء. سنكون كالمشركين الذين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ﴾ (الجاثية:24)، فإذن إيقاظ الناس لهذا المعنى وبِشارتهم بما بشّر به رسول الله ﷺ بأننا سنُقبر ثم سنُبعث ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر:31)

إذا لم أخبر بكل هذا أكون مسؤولا أمام الله عز وجل، إذا لم أعمل جهدي لكي أُحسن نفسي، لكي أتطهر أنا مما يشوب إسلامي وإيماني، ثم لكي أُحبَّ الخير لغيري لأنه لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. هو أخي أولا في الإسلام، ثم أخي في الإنسانية كيف ما كان يهوديا أو نصرانيا أو غير ذلك أو مشركا..

د. المصطفى الريق: الأستاذ الفاضل أمكاسو إذا كانت الحركة الإسلامية في طليعة من يناط بها هذه المهمة التجديدية التي تحدث عنها السيد المرشد، كيف يمكن أن تقوم بهذه المهمة الجليلة وهي في نظر بعض المراقبين والباحثين تفتقد إلى مشروع تغييري واضح المعالم؟

د. عمر أمكاسو: دعني قبل ذلك أعود إلى ما تفضل به الأستاذ المرشد حينما تحدث عن التغيير، وعن الدعوة إلى الله عز وجل، والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى، فالجماعة تحاول أن تُنزل هذا المفهوم أو هذا التصور من خلال تعريفها نفسها بأنها دعوة تتوب إلى الله تعالى، وتدعو الناس ليتوبوا إلى الله عز وجل، فهذا هو الأساس المتين لهذه الدعوة.

نتوب إلى الله عز وجل وندعو الناس ليتوبوا معنا إلى الله سبحانه وتعالى فهذا هو الأساس الأول، وهذا يذكرنا بفقرتين نفيستين، الأولى في كتاب «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين» حيث تحدث فيه الأستاذ المرشد حفظه الله عز وجل عن ما سماه بـ«توزين العامل الذاتي» في عملية الدعوة والتوبة. ثم أيضا فقرة مهمة في كتاب «العدل: الإسلاميون والحكم» تحت عنوان «تحديات المستقبل» حينما نقرأ هذا العنوان نعتقد بأن الأمر يتعلق بتحديات خارجية، صهيونية، تَخَلُّف، استبداد، غياب حقوق الإنسان... ولكن الأستاذ المرشد يذكر بأن التحدي الأكبر أمام الإسلاميين في مستقبل أخذهم لزمام الأمر وإمامتهم للأمة هي النفوس التي يحملونها بين ظهرانيهم، هذه النفوس التي ينبغي أن تُزكى وأن تستقيم على شرع الله عز وجل لكي تصلح لتغيير ما بالأمة حتى يتزكى وحتى يقوم على شرع الله عز وجل.

أما ما تفضلت به عن افتقاد الحركة الإسلامية لمشروع تغييري، فهذا أظن بأنه يدخل ضمن التُّهم الموجهة للحركة الإسلامية، وإلا فنحن بفضل الله عز وجل في جماعة العدل والإحسان ومن خلال كتب الأستاذ المرشد حفظه الله نمتلك أصولا عامة لهذا المشروع، جاءت أساسا في مشروع عام سماه الأستاذ المرشد بـ«المنهاج النبوي: تربية وتنظيما وزحفا»، ثم جاءت كتب أخرى تعرضت لمفردات هذا المشروع من كل جانب.

ففي مثال كتاب «تنوير المؤمنات» عالج قضية المرأة، مسئولية المرأة، مهمة المرأة، ووظيفة المرأة في هذا المشروع الكبير، وكيف ينبغي للمرأة أن تتحول من كائن مهمل مهمش مقصي إلى كائن يتحمل مسئوليته في إنهاض.. في إصلاح ما بالأمة بعد إصلاح ما بها.

ثم أيضا هناك كتاب «العدل» الذي عالج مسألة الإسلاميين والحكم، وتعرض لهذا الأمر بشكل مفصل، ثم هناك كتاب «نظرات في الفقه والتاريخ» الذي انطلق من نظرة من الأعالي إلى تاريخ المسلمين وكيف يمكن أن نعالج هذا التاريخ. ثم في كتب أخرى وردت هذه الأصول، ونحاول أن نفصل هذه الأصول وأن ننزلها ونجسدها على أرض الواقع على شكل برامج وعلى شكل مشاريع تفصيلية من خلال المجهودات التي يتصدى لها مركز الدراسات والأبحاث التابع للدائرة السياسية لجماعة العدل والإحسان، هذا المركز الذي يضم مجموعة من المكاتب التخصصية: مكتب الفلاحة والتنمية القروية، مكتب الصناعة والتقانة، مكتب الشؤون الاجتماعية، مكتب التعليم وغيرها من المكاتب، كل واحد منها حسب تخصصه يحاول أن يفصل هذا المشروع.

إذن فأن نقول بأن الحركة الإسلامية لا تمتلك مشروعا فهذا أمر مناف للصحة. ثم إن الأساس دائما ما ينبغي أن نلح عليه وأن نكرره، الأساس الكبير لهذا المشروع هو الإنسان. الإنسان يتمحور حوله هذا المشروع كله، فإذا لم نعالج هذا الإنسان ونحن منه، بالتزكية وبالرفق حتى ينتقل من حالة الغفلة إلى حالة الذكر والصحو بالله عز وجل فإن هذه المشاريع كلها تصبح بدون فائدة ولا طائل وراءها.

الإمام: إذا سمحت سيدي عمر أشير هنا إلى أن مشروع العدل والإحسان هو مسطر في الكتب ومحفوظ في عقول الإخوان والأخوات، ومن الناس من يجهل ذلك، لكن النور الذي أمدَّ الله عز وجل به من شاء يسري في القلوب وفي العقول، على أيدي أقوامٍ، رجال ونساء يتكاثرون بسرعة في المغرب وخارج المغرب.

إن لهذا المشروع العدلي الإحساني حملةً، إن له حملةً من الرجال الصادقين والنساء الصادقات من المؤمنين والمؤمنات يمشون على رجلين، يسعون في الأرض إصلاحــًا كما يسعى غيرهم إفسادا، يبلغون رسالات الله الرسالة المحمدية كما هي كاملة غير منقوصة.

رسالةُ الرسول ﷺ جمعناها في مطلبين أساسيين: العدل والإحسان، ومنحنا الأسبقية للعدل لما قلناه وكتبناه مرارا بأنه لا يمكن أن تخاطب الناس، أن تدعو الناس إلى الإحسان إذا كانت حياتهم الدنيوية فاسدة، إذا كانوا يعانون من الظلم والفقر والجوع والأمراض وما

إلى ذلك مما يُنغص عليهم حياتهم المادية، لذلك كانت الأولوية للعدل، وهذا ترتيب الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ﴾ (النحل:90).

يقول آخرون بالتغيير لعدلٍ يتصورونه فيما مضى على أساس أفكارٍ شيوعية أو يسارية أو مُعارِضة يصلحون بها أحوال الناس، النقابات تريد أن تصلح أحوال الناس، لكن ماذا بعد أن تُصلح دنيايَ! أَخْبِرني من أنا وإلى أين أصير؟ أخبرني عن مصيري عن حقيقتي؟ أخبرني عن ما بعد قبري؟ القبر فاغر فاه والظلمة تهددني، ظلمةُ العقل وظلمة الحفرة، وأشير إلى حديث وقفت عليه أخيرا «إِن أَرْحم مَا يكون الله بِالْعَبدِ إِذا وضع فِي حفرته»[1]، إذا ذهب إلى الحفرة لأنها هي باب الآخرة، يكون الله عز وجل به رحيما.

د. المصطفى الريق: بهذه الكلمات المشرقة نختم هذه الحلقة الحوارية.

(1) رواه الديلمي في مسند الفردوس، رقم:823 عن أنس بهذا اللفظ.

خامسا: حوار مع الإمام في موضوع: الدعوة إلى الله

أجرى الحوار الأستاذ عبد الخالق الأنباري

ذ. الأنباري: بسم الله الرحمن الرحيم، وﷺ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه. مشاهدينا الأفاضل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مرحبا بكم في حلقة جديدة من سلسلة حوارات في المنهاج النبوي التي نحاول فيها التعرف على جماعة العدل والإحسان في المغرب الأقصى، ونسعى لتسليط الضوء على جوانب من مشروعها في التغيير على منهاج النبوة.

نتطرق في هذه الحلقة لموضوع «الدعوة إلى الله عز وجل في منهاج جماعة العدل والإحسان تصورا وسلوكا». ماهية هذه الدعوة؟ شروطها؟ كيفيتها؟ بمن تناط؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المرتبطة بهذا الموضوع.

ومعنا للإجابة عن هذه الأسئلة: العالم الجليل الأستاذ عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والإحسان نفع الله به وبعلمه، الأستاذ عبد السلام ياسين مرحبا بك. ومعنا أيضا ضيفان كريمان الأستاذ الشاعر الأديب منير ركراكي عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان، والداعية المجاهد الأستاذ عبد الهادي بلخيلية عضو مجلس إرشاد جماعة العدل والإحسان أيضا. السادة الكرام مرحبا بكم.

أبدأ معك أستاذي الفاضل، بدأت دعوة العدل والإحسان أول ما بدأت بالكتابة عن مستقبل الإسلام وعن غد الإسلام، ثم بالرسالة النصيحة الشهيرة «الإسلام أو الطوفان»، فإصدار مجلة «الجماعة»، ثم تأسيس الجماعة سنة 1981م. أستاذي الكريم ما هو الخيط الرابط الناظم لكل هذه المحطات في تاريخ دعوة العدل والإحسان؟

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه. إن الرابط بين هذه المحطات جلي واضح لا يحتاج

إلى تعليق ولا إلى تلفيق ولا إلى تفكير. فرسالة الإسلام أو الطوفان هي تنبيه الغافلين في غيابات الجب. الغفلة عن الله عز وجل، والظلمِ المصلت على رقاب المسلمين، فكانت هذه بداية واضحة. إننا لا نريد إسلاما ودعوة مائتة هينة لينة تُربِّت على أكتاف الحاكمين وتقول لهم نِعْمَ ما تفعلون، أتموا عملكم وأتموا ذبح هذه الأمة.

«الإسلام أو الطوفان» هو دعوة إلى كل حاكم وإلى كل ذي سلطة تقول له: إما أن ترجع إلى دين الله عز وجل، وإما فإنك ستُجرف كما يجرف خشاش الأرض وكما تُجرف الأمور التي لا قيمة لها عند الله ولا وزن، هذا واضح. ثم إنه عند إصدار الجريدة الأولى التي تسمى «الصبح»، كانت تبشيرا لقرب عون الله عز وجل ونصره ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة:212)، ثم تلتها جريدة أخرى لقيت من الحاكمين نفس المصير أُقبرت وقتلت وقُضِيَ عليها، كانت تسمى «الخطاب»، والخطاب كما يدل على ذلك عنوانها كلامٌ تخاطب به الآخرين.

نحن من أول الأمر كنا نخاطب الناس أجمعين لا نريد أن تبقى الدعوةُ منكمشة في جحر حيادها، إنّا مسلمون وندعو الناس للإسلام، والإسلام واضح تصلي وتصوم وتنشغل في إسلامك الفردي، نحن نريد أن تنهض الأمة وأن نخاطب الناس بما يحييهم، والذي نخاطب به إجمالا هو الحديث النبوي الشريف الذي اتخذناه إماماً لنا، ذلك أن النبي ﷺ أخبرنا خبرا واضحا جليا عن مراحل في تاريخ ما يأتي بعده ﷺ بعد انتقاله للرفيق الأعلى.

قال: «تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها» وهذا كان، وكان محمد ﷺ خاتم الأنبياء وهو النبوة الخاتمة الكاملة المكملة، قال ﷺ. «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» وكانت تامة تحتاج إلى فاعل ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة، ثم يكون ملكٌ عاض، ثم تكون ملكا جبرية ثم يرفع الله ذلك بعدما ينتهي أجله. ونحن ننتظر أن يرفع الله عنا الجور الذي يعم هذه الأمة من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، في الشرق وفي الهند وفي باكستان لا حاجة لنا إلى الإكثار من هذا الإخبار، فالأخبارُ التي تجيئنا تخبرنا أن المسلمين لا يزالون يئنون تحت وطأة الحاكمين العاضين.

ذ. الأنباري: في نفس السياق الأستاذ المرشد، هل يمكن الحديث عن هذه العلاقة بين الدعوة والدولة في حاضر الفتنة وفي غد الإسلام؟

هذا السؤال نطرحه جميعا على أستاذنا وأديبنا وشاعرنا وفيلسوف الدعوة سيدي منير ركراكي.

ذ. منير الركراكي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله. الأخ الكريم، الدعوة في حاضر الفتنة أمامها عقبات، عقبات الجاهلية وعقبات الفتنة.

الجاهلية ظنا بمعنى كفرا، والجاهلية تبرجا بمعنى عهرا، والجاهلية حكما بمعنى استبدادا وقهرا، والجاهلية حمية بمعنى تعصبا وتحزبا. فهذه عقبات تواجه الدعوة، كيف نُعِدُّ البدائل لهذه الجاهلية بأركانها الأربعة؟

ثم الفتنة بأبعادها الثلاثة: فتنة العادة الجارفة، والأنانية المستعلية المتمتعة، والذهنية القطيعية الرعوية.

الدعوة ينبغي أن تواجه هذه العقبات وتقتحمها ثم في غد الدولة بإذن الله، يوم أن يُمكن الله للمؤمنين، تكون الدعوة لا الذائبة في الدولة ولا المنصهرة فيها، بل تبقى الدعوة شاهدة مراقبة للدولة وبرجال يمسكون العصا من وسطها، وهم رجال دعوة ودولة، هم الشاهدون بالقسط الذين يُشِعُّون بنورانية إيمانهم، وبلطف معشرهم، ولين جانبهم، وبضبطهم وإنجازهم الثقة، هم رجال الدعوة والدولة حجر الزاوية في البناء عليهم تتألف الجماعة وتتوحد. هؤلاء...

الإمام: بصبرهم على الأذى، ولو كانت معنا صور لأخينا سيدي عبد الهادي عندما تضرجت بالدماء ثيابه لكان ذلك مساهمة حية، فهكذا يكون صبرهم. أكمل...

ذ. منير الركراكي: الدعوة في حاضر الفتنة اقتحام، والدعوة في غد الإسلام التزام بقيم هذا الدين السمحة التي قوامها الأمران الإلهيان العدل والإحسان. الإحسان بما هو عبادة بإيقان، ومعاملة بإحسان، وعمل بإتقان، يُتيحه العدل الذي سيلقي بِجِرانِه على الأمة ليكون الحكم عدلا في الحكم، وعدلا في القضاء، وعدلا في القسمة. يؤطر هذا الثلاثية، ثلاثية ربعي بن عامر الشهيرة: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

ذ. الأنباري: الأستاذ عبد الهادي بلخيلية، في سردنا التاريخي لبدايات الجماعة، تحدثنا على أن الأمر انتهى بتأسيس الجماعة. هل تبليغ الدعوة إلى الله عز وجل بحاجة إلى جماعة منظمة؟ أم أن الأمر يترك لأريحية الأفراد؟

ذ. عبد الهادي بلخيلية: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أخي الكريم إن الدعوة إلى الله عز وجل مهمة الأنبياء والمرسلين، ثم هي مهمة المصطَفين الأخيار لعباد الله، وهي مهمة أناطها الله عز وجل بكل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر، والأدلة من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسول الله ﷺ على العمل المنظم كثيرة جدا، وقد أرشدنا الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:104).

فالأمر الإلهي أن تكون وسط أمة رسول الله أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. وهذه إشارة إلى أنه لا بد للمسلمين أن يتكتلوا في فئة أو طائفة من جماعة المؤمنين التي عليها أن تكون متكتلة على أمر الدعوة إلى الله عز وجل. والله سبحانه وتعالى أمرنا في كتابه العزيز كذلك ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:2)، وأعظم البر وأعظم التقوى هو الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وفي أحاديث كثيرة لرسول الله ﷺ يأمرنا بالجماعة «يد الله مع الجماعة»، «عليكم بالجماعة».

إن الدعوة إلى العمل المنظم هي دعوة لحمل هذه الرسالة، وهو أمر طبيعي جدا بأدلة كثيرة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، ثم فعل رسول الله ﷺ الذي ربى الصحابة في مكة في دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث كان يجتمع الصحابة برسول الله يتحدثون عن أمر الدعوة وعن هذا النور الذي جاء به رسول الله ﷺ كيف يبلغونه وكيف يحملونه إلى الأمة؟ ثم بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى المدينة أول ما بدأ به أنه آخى بين المهاجرين وبين الأنصار لكي يتعاونوا على أمر هذه الدعوة، ثم رسول الله ﷺ بعث النقباء وربى النقباء الذين حملهم هذه الأمانة لتبليغ مشروع دعوة رسول الله ﷺ، ثم بعث ﷺ كذلك مبعوثين إلى الملوك وإلى من كان معه في ذلك، لكي يبلغوا رسالته ﷺ. والشاهد الآخر الذي سرده سيدي منير هو ربعي بن عامر رضي الله عنه الذي قال القولة المشهورة: «الله ابتعثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد»، هؤلاء الناس الذين تربوا كانوا هم الحاملون لهذه الرسالة.

ثم إن دعوة الإسلام والدعوة إلى الله عز وجل لا بد لها أن تَعْرِض نفسها على الأمة، إذا كان الباطل متكتلا منظما يهيئ الظروف لكي ينشر الباطل فأهل الحق أولى بذلك، إذن فلا بد من الرجوع إلى تنظيم، لأن الدعوة ليست كلمة تقال بل هي تربية الرجال على المبادئ، وتربيتهم على الإيمان، الثبات على الإيمان، الثبات على المبادئ، والثبات على الأمر العظيم أمر الله وأمر رسول الله ﷺ، فلا بد من تربية يكون نتاجها هؤلاء المؤمنون الشاهدون بالقسط الثابتون على مبادئهم.

الإمام: سيدي منير، لو تذكرنا بمجلس رُستم ورِبعي رضي الله عنه يدخل إلى ذلك المجلس فيطأُ بساط رستم، ورستم قائد عظيم من عظماء الفرس، كيف يطأه وهو قد جاء على فرس هزيلة وبرمح..؟

ذ. منير الركراكي: هذا مشهد عظيم من مشاهد الإسلام، مشهد يدل على العزة على الكافرين أن جاء على دابة وهو يحمل قُوتا بسيطا جدا من خبز وملح ويَشُكُّ بِساط رستم برمح. طلبوا منه أن ينزل فرفض أن ينزل وقال: «إنما دعوتموني ولم آتكم». بالفعل استجاب رستم على كل حال لطلبه فبقي على الحال التي هو عليها، عزةً وممانعةً، ثم لما رأى منه تلك الحالة من الذّل والهوان أمام رستم قال: اليوم علمت أنكم مهزومون وأن مُلكا لا يستقيم على مثل هذه العقول، «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

وكان قد قدم بين يدي هذه الكلمة العظيمة التي يمكن أن تكون خلاصة لمشروعنا الإسلامي التربوي التغييري قال: «جئناكم بقوم يحبون الموت مثلما تحبون الحياة»، وهذا هو داء الأمم الذي يمنع دون أن تكون لدعوة الله عز وجل سلطتُها وصولتُها، الوهْن «حب الدنيا وكراهية الموت» كما جاء على لسان الصادق المصدوق ﷺ.

الإمام: هنالك شخصيات حول رسول الله ﷺ يجب أن ننتبه إليها، ربعي بن عامر جاء من بعده من التابعين، وفي زمن النبي ﷺ كان هنالك شخصٌ شجاعٌ جدا وهو الأرقم بن أبي الأرقم، كيف كان هذا الرجل؟ متع الله عز وجل هذا الرجل بشجاعة ونباهة وأريحية، حيث فتح بيته للدعوة في وقت كانت الدعوة فيه مضطهدةٌ، وكانت قريش تنوي الشر بكل من يأوي الرسول ﷺ في مكة في أوائل الدعوة. سيدنا الأرقم بن أبي الأرقم كيف فتح بيته؟

كيف كان هذا البيت محضنا لأبي بكر ولعمر ولعثمان ولعلي ولطلحة وللزبير ولسائر كبار الصحابة ولمصعب بن عمير؟ ذلك البطل الآخر وكلهم أبطال، نسأل الله تعالى أن يلحقنا بهم مسلمين.

ذ. الأنباري: لا شك أن من أهم الأسئلة التي تُطرح ما هي المعالم الكبرى للمنهاج الدعوي لجماعة العدل والإحسان؟ نطرح هذا السؤال على الأستاذ منير الركراكي؟

ذ. منير الركراكي: جميل أن نستحضر كتاب سيد قطب: «معالم في الطريق» لنتبين أن الطريق معالم، ورسول الله ﷺ جعل لهذا الدين طريقا لها معالم وصُوى هي شعب الإيمان، لهذا المنهاجُ النبوي يكتنف شعب الإيمان ويجزئها عبر خصال عشر هي: الصحبة والجماعة والذكر والصدق والبذل والعلم والعمل والسمت الحسن والتؤدة والاقتصاد والجهاد.

هذه هي المعالم الكبرى لمنهاجنا الدعوي، على أن هذا المنهاج هو شِرعة ربَّانية فضلا عن كونه منهاجا نبويا، قبل أن يكون تنظيرا يؤدي إلى تأطير فتغيير ما بالأنفس وما بالأمة، لا بد من استحضار أنه منهاج يقوم على الحق وعلى الصواب، على الشريعة وعلى المنهاج. الشرعة ربانية. والربانية تكتنف ثلاثة معاني أساسية وثلاثة أبعاد أساسية هي:

التربية، فالربانية من ربَّ يربُّ وُيْرِبي ويُرَبِّي، والله سبحانه وتعالى هو من يربي عباده سبحانه وتعالى، والتربية تنمية وتقويم وإعادة صياغة الشخصية الإنسانية وَفق النموذج الرباني عَوْدا بها إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي وقع لها انتكاس وارتكاس بفعل فاعل، هما الوالدان ثم الواقع وما إلى ذلك. فإذن لابد من حضور التربية ثم الربانية.

ثم بعد ذلك هناك العلم وفق دراسة: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ (آل عمران:78)، فهو علمٌ بالكتاب وعلم بالآيات الكونية والآيات الآفاقية والآيات الأنفسية وفق دراسة عميقة.

ثم هناك الجهاد في سبيل الله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران: 146).

فإذا هذه هي الربانية بما هي تربية تنمية وتقويم وإعادة بناء الشخصية وفق النموذج الرباني، وبما هي علم وفق دراسة، وبما هي أيضا جهاد في سبيل الله، ثم منهاج نبوي أصيل

لأن الجماعة المؤمنة تستند إلى صحبة موصولة برسول الله لا ينقطع لها خبر ولا ينمحي لها أثر، فهي موصولة برسول الله ﷺ صحبة من صحب إلى رسول الله ﷺ، وهذا ما يجعل هذه الدعوة لا المنبت الذي لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، ولكن الأصيل ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم: 24-25)..

لا بد من أن تكون هذه الدعوة أصيلة، ثم لا بد من أن تكون هذه الدعوة واضحة بمعنى لها منهاج لاحب واضح وهذا شيء مهم جدا، ولهذا كان المرشد الحبيب قد قَدَّم بين يدي العمل، عمل هذه الجماعة، بمنهاج حتى يكون العلم مؤطرا للعمل وإماما له، وحتى لا نتخبط العشماء ولا نتورط الظلماء، والطريق المجهولة تكون الخطوات فيها بطيئة كما يقول الصينيون.

ثم بعد ذلك لا بد من التدرج، فسيدنا رسول الله ﷺ من طريق جبريل رسول الله إلى رسول الله ﷺ جاء يُعلم الصحابة دينهم. لم يأت ليقول لهم ها هو الإسلام، ثم آتيكم مرة ثانية لأعلمكم الإيمان، ثم آتي ثالثة لأعلمكم الإحسان، ثم آتي وأكلمكم عن انتظار الساعة ولقاء الله والإعداد للآخرة، بل أتاهم فذكر الدّين كلّه «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»، فإذا هو تعليم للدين، ولكن كل بحسب موقعه ومستطاعه، لا بد من التدرج في الأخذ بهذا الدين، والدعوة له عبر مراحل.

ثم بعد ذلك هي دعوة مستقبلية، دعوة لا فقط لحاضر الإسلام بل لغد الإسلام المشرق، وللآخرة، للقاء الله عز وجل، ولما بعد الموت وما أعد الله تعالى للمحسن إن أحسن. نسأل الله تعالى أن نكون من المحسنين. هذه هي المعالم الكبرى لدعوتنا: ربانية ونبوية.

الإمام: جزاك الله خيرا. سيدي عبد الهادي، نريد أن نطرح سؤلا جانبيا: ذكر أخونا سيدي منير الركراكي منذ حين كتاب «معالم في الطريق»، وذكر سيد قطب رحمه الله وهو من كبار علماء المسلمين ومجاهديهم في هذا العصر رحمه الله، لكن بعض الناس اتخذوا كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب إماما لهم وأساؤوا فهمَه، ولم ينظروا إلى تاريخ الرجل وما قاسى من تعب على يد الحاكمين في مصر -لا نذكر أسماءهم- فاتبعوا طريق العنف، تولد عن معالم في الطريق الذي كان يُدرس في مجالس بعض إخواننا عنفٌ، ومن ذلك العنف تولد عنفٌ فعنفٌ.. والآن يشكو المسلمون من عنف الدعوة الإسلامية.

ذ. عبد الهادي بلخيلية: جزى الله أخانا سيدي منير على هذه المعالم التي ذكَّرنا بها وأضيف هنا بعض المعالم الأخرى في المنهاج النبوي لجماعة العدل والإحسان أو تصور جماعة العدل والإحسان.

منها المسألة الأولى وهو الرفق، النبي ﷺ يقول: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1]. ودعوتنا دعوة رفق، أن نرفق بأمة رسول الله ﷺ، نرفق بأنفسنا حتى تستقيم على أمر الله سبحانه وتعالى، والرفق من أهم المعالم الكبرى في دعوة العدل والإحسان. الرفق الذي أوصانا به رسول الله ﷺ وأوصى به الأمة خصوصا في مجتمع الفتنة، الرفق والرحمة.

الرحمة أيضا من المعالم الكبرى، ودعوة رسول الله ﷺ هي دعوة رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)، والرحماء يرحمهم الله، فحاملُ الدعوة يجب أن يتصف بهذه الصفة العظيمة صفة الرحمة. أن يرحم الناس من واقعهم ليسمو بهم إلى النموذج الذي ننشده ليكونوا على سنة رسول الله ﷺ.

ثم كذلك من المعالم في المنهاج الدعوي للجماعة سُنة الصبر، ذلك أن الذي يخالط الناس لابد أن يصبر على أذى الناس، لا بد أن يتحمل جميع ما يلاقي لأجل تبليغ سنة رسول الله، وإسوتنا رسول الله ﷺ الذي صبر وصابر وأوذي وتحمل من أجل تبليغ الدعوة.

كذلك من المعالم في دعوة العدل والإحسان التّجديد، أن نجدّد في أسلوب الخطاب، نخاطب الناس على قدر عقولهم، ونخاطبهم في واقعهم، لكي نرفعهم إلى الذي نريد، وكذلك التجديد في أساليب الدعوة، وأن ندخل على الناس من أبوابٍ متفرقة لكي نسمعهم كلام الله عز وجل، ذلك أن الناس يعيشون في مجتمع تكالبت فيه قوى الشر من كل حدبٍ وصوب لكيلا يسمع الناس هذا النداء الإلهي، فالتجديد في الأسلوب، التجديد في الخطاب، أن ننوع الخطاب للناس حتى يسمعوا كلام الله تعالى، والله تعالى يأمرنا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة:6)، ذلك أن مأمن الناس هو أن يسمعوا سماع الفطرة، أن يسمعوا النداء الإلهي لكي يتحفزوا ولكي يقبلوا على الله، وليستعدوا للقاء الله، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعا مفاتيح للخير.

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم: 2594.

الإمام: هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ (التوبة:6) تصلُح أن تكون في حد ذاتها موضوعا لبحثٍ يُكتب وينشر وتصلح أن تكون منهاجا للعمل، لأن الناس ما داموا في هذا العالم تتجاذبهم ذات اليمين وذات الشمال هموم المعاش، وهموم الفضائيات، وهموم الإعلاميات، وهموم العدو، وهموم الرقيب، وهموم الدولة، وهموم كثيرة... فهم ليسوا في أمن. فهم يشركون خوفا، لا أقول يشركون كما يفعل المشركون عبادة، يشركون بالآخرين خوفا من المتسلطين. يخافون لأنهم ليسوا في أمن، فما داموا ليسوا في أمن فهم يحتاجون إلى راحة بال وإلى اطمئنان لكي يسمعوا كلامك، وهذا يُرجعنا إلى بدايات الدعوة عندما تحدثتُ منذ قليل عن أخينا سيدي عبد الهادي بلخيلية الذي أنشأ محضنا للدعوة في سوس بعد أن لم يكن لنا فيها أخٌ ولا أخت، ذهب إليها هو وأنشأ محضنا، شيء مهم. إذا كان الإنسان بين إخوانه بين جماعة كلهم يذكرون الله عز وجل، كلهم يُصلون، كلهم يرجون لقاء الله عز وجل فيكون من السهل أن ينسجم معهم، فإذا لم يكن تم محضن فلا شك أن الذئب ينتشل ذلك الشخص الجديد ويذهب به.

ذ. الأنباري: الأستاذ المرشد، كثيرا ما يتردد على لسان دعاة جماعة العدل والإحسان عن كوننا جماعة تتوب إلى الله وتدعو الناس إلى التوبة، هل من توضيح حول هذه المقولة؟

الإمام: الناس ابتعدوا عن المفاهيم الإسلامية، عن المعاني المؤسسة لهذا الدين، التوبة هي البداية والتوبة هي النهاية ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (التحريم:8)، ويتكلم القرآن عن التوبة والإنابة والرجوع ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ (العلق:8).

وبهذه المناسبة أذكر كيف يتخطى الناس من كلام الله عز وجل ما هو أليقُ أن يكون هو المقدمة، مثلا: يقولون أنه أول ما أنزل من الوحي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:1)، ويبقون مع القراءة، نحن أمة قراءة نكتب ونقرأ ونؤلف وهذا هو الإسلام الفكري، لكن لو قرأنا ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ في غار حراء حتى نهايته لوجدنا أن الله تعالى يقول، بسم الله الرحمن الرحمن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ (العلق:1-8)، هذا مسار الإنسان، ويخبره بأن إلى ربك الرجعى لا يخبره بأن يقرأ، وذلك تجده غائبا عما يكتبه الإسلاميون وعما يكتبه علماء المسلمين إلا من رحم ربك.

الحديث عن الآخرة لا يوجد في ثقافة الغرب لأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا بالرسل ولا بالرجعى. ونحن نؤكد على أن من كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر فذلك في ضلال بعيد، الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذن يبدأون باقرأ ويبقون في اقرأ، ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ﴾ (العلق:8) تركتَها لم تقرأها، فلذلك يكون في جلساتنا -في مجالس جماعة العدل والإحسان- الحديث عن الآخرة، وتذكير الناس بالرجعى وتهييئهم للرجعى، وحثُّهم على أن يستعدوا للقاء الله عز وجل، وأول الاستعداد التوبة بشروطها.

ذ. الأنباري: لعل من الأسئلة التي تُطرح أيضا: الدعوة الى الله عز وجل مسؤولية من في المجتمع؟ نتوجه بهذا السؤال إلى الأستاذ الفاضل عبد الهادي بلخيلية فليتفضل مشكورا.

ذ. عبد الهادي بلخيلية: الدعوة الى الله عز وجل مسؤولية الأنبياء والمرسلين ومسؤولية الجميع، حيث أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ﴾ (يوسف:108)، فكل من تبع رسول الله ﷺ يجب أن يدعو إلى الله عز وجل، ثم الرسول ﷺ يحثنا: «بلغوا عني ولو آية»، فالدعوة مسؤولية الجميع، أن نبلغ عن الله وأن نبلغ عن رسول الله صلى الله عليه سلم جهد المستطاع، فالمسؤولية على الجميع.

لكن هذه المسؤولية ليست بالتساوي، فالعلماء الذين أخذ الله منهم الميثاق: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران:187)، هم يتحملون قسطا كبيرا من هذه المسؤولية، ثم الغاية من الدولة الإسلامية، من الحاكم المسلم هو أن يهيئ للناس أن يعيشوا في ظل دعوة الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلاَةَ وَآتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلأُمُورِ﴾ (الحج:41)، ثم مسؤولية المربي الذي تحت إمرته مجموعة من المؤمنين، ومن الناس من له تأثير على الناس فتكون المسؤولية عليه مسؤولية الدعوة، يدعو هؤلاء الناس إلى الله عز وجل، مسؤولية الآباء أن يدعوا أبناءهم وأُسرهم إلى الله عز وجل، فالمسؤولية متعددة.

كذلك مسؤولية الجماعات الإسلامية التي أخذت على عاتقها أن تحيي سنة رسول الله ﷺ وأن تعيد المجتمع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله، فالدعوة إلى الله عز وجل مسؤولية عظيمة على عاتقهم، فهم يجتهدون لتبليغ دعوة الله عز وجل، ونحن في جماعة العدل والإحسان -كما ذكرنا الأخ المرشد- بأن المطلبين الأساسيين مطلب العدل ومطلب

الإحسان، يبقى هذان المطلبان أساسيان في تصورنا، ندعو الناس ليعرفوا الله: لماذا خلقوا؟ يستعدون للقاء الله عز وجل، ثم نوفر لهم الجو ليعيشوا هذه الرحمة ومعاني القرب من الله تعالى، معاني التهمم بلقاء الله سبحانه وتعالى.

الإمام: إننا عندما نُحمِّل مسؤولية الدعوة للمؤمنين لكل المؤمنين ولكل المسلمين وللعلماء ننسى أن هنالك عصا الظالم خلف وفوق الرؤوس، فإذن كيف يدعو كل مؤمن وفوق رأسه عصا الظالم؟ لذلك أمر الله عز وجل بالعدل والإحسان، بالعدل قبل الإحسان.

ذ. الأنباري: الأستاذ منبر الركراكي، في نفس السياق من يتحمل مسؤولية الدعوة في جماعة العدل والإحسان؟ وبأي مواصفات؟

ذ. منير الركراكي: الدعوة كما سبق أن أشار الأخ الكريم سيدي عبد الهادي بلخيلية مسؤولية الجميع، جميل أن في دعوة هذه الجماعة المباركة كان للدعوة لجنة خاصة هي «كتائب الدعوة»، لكن لما رأت الجماعة أن أفرادها يلقُون تبعات وأعباء الدعوة على البعض دون البعض، حُلَّت هذه اللجنة لكي تبقى الدعوة مسؤولية الجميع، ورفع هذا الشعار: «الدعوة مسؤولية الجميع»، كلٌّ منا مسؤول على هذه الدعوة بحسب موقعه ومُستطاعه.

وجميلٌ أن سمعت من الأخ المرشد جزاه الله خيرا في إحدى اللقاءات الحميمية يتحدث لنا عن «الدعوة الصامتة» و«الدعوة الناطقة» كما ترك لنا رسول الله ﷺ واعظا صامتا هو الموت، وواعظا ناطقا هو القرآن، وكذلك الدعوة فيها ناطق وصامت، الدعوة الصامتة أرحب وأوسع،كلٌّ يدعو بخُلُقه، يدعو بمواقفه، يدعو بسلوكه، فالناس يرونك أكثر مما يسمعون عنك، يُقبلون عليك بآذانهم، لذلك يقول رسول الله ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن بطلاقة الوجه وبحسن الخلق»[1]، وهذه هي الدعوة الواسعة الرحبة.

وجميل أيضا أن سمعت المرشد يتحدث عن مواصفات الداعية الذي نريد من خلال سورة الكهف ومن خلال قصة أهل الكهف، قال: وهُم فتية، والفتوة تعني القوة والطراوة، كما تعني الكرم والخدمة، كما تعني الشجاعة واليقظة والفطنة. وآمنوا: الإيمان يُحصَّل

(1) رواه الإمام البزار (البحر الزخار)، مسند البزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، رقم 9319 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بالمحبة، وإفشاء السلام، ويجدَّد بلا إله إلا الله، وبالدعاء المجدِّد والفكر المجدِّد، ويزداد أيضا بتلاوة القرآن، ويبلغ غايته ومداه بالتوكل على الله إلى اليقين، واليقين هو الإيمان كلُّه.

هم ﴿فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ (الكهف:13)، نعم وفروا من الفتنة إلى كهف العناية الربانية في رباط هو خُلوة في جُلوة أو جُلوةٌ في خُلوة، بمعنى هم ثلاثة ركْب، لا يهم بهم الشيطان، فهم في العناية الربانية في عناية هذا الكهف -وهذا الرباط تجعل منه جماعة العدل والإحسان محضنا ليتلقى في دفئه أعضاء الجماعة، ليتربوا، ليتهيؤوا، ليتأهلوا- فبعد ذلك أيقظهم الله سبحانه وتعالى فأقامهم، فإذن هي قومة، فهي يقظة قلبية وقيام بالواجب، قومة راعية ساعية مسؤولة واعية لتحقيق المنشود.

ثم بعد ذلك بعثوا أحدَهم، لم يبعثوا أحداَ، أحداً يعني عامة الناس، بعثوا أحدَهم أي بعثوا أفضلهم، وهذه البعثة لا يمكن أن تتأتى إلا وفق شورى وحسن الاختيار لمن يمثلهم، بِوَرِقِكُمْ: بدُرركم بإحسانكم بمنهاجكم بمعانيكم بأخلاقياتكم بقيمكم، إلى المدينة: إلى الناس كافة، لأن المدنية هي للناس كافة، كما هي دعوة الله تعالى هي دعوة للناس كافة وليست دعوةً لقبيل دون قبيل أو جيل دون جيل، ﴿فَلْيأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ (الكهف:19)، أن نختار من عند الأغيار الأزكى طعاما ولا نأتي به كلّه حتى لا يغلب الدخيل الأصيل، بل نأتي بجزء منه، ببعضٍ منه، وَلْيَتَلَطَّفْ: الرفق والرحمة والمصانعة والمداراة «دارهم ما دمت في دارهم»، و«ليست الحكمة أن تقول الحق ضربة لازب، ولا أن تؤاكل وتشارب، ولكن تسدد وتقارب، تحافظ على المكاسب، وتصانع ظرفك بما يناسب».

وقد سمعت أيضا الأخ المرشد يحدثنا «أن الدعوة إلى الله عز وجل هي تحيينُ السيرة النبوية التي هي جماع السّنة النبوية قولا وفعلا وتقريرا وحالا في سياقها التاريخي، في ظرفها التاريخي»، ﴿وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ (الكهف:19)، هذا الحس الأمني ينبغي أن يكون حاضرا حتى لا يكون الإنسان ساذجا وحتى لا يكون إنسانا قابلا للاختراق والمساومة والتفاوض على المبادئ والقيم.

ذ. الأنباري: أتوجه بالسؤال الأخير إلى الأستاذ المرشد، سيدي الكريم ما سرُّ تأخير شعبة الدعوة الى الله عز وجل في المنهاج النبوي من بين شعب الإيمان السبعة والسبعين يعني إلى آخر شعبة؟

الإمام: في خصلة الجهاد هنالك «جهاد بالدعوة»، ذلك أن الانسان المؤمن إذا لم يكتمل تكوينه وتربيته فلا يعرف كيف يدعو الناس، إما أن ينحرف ذات اليمين أو ذات الشمال، وهذا واقع فعلا.

ذ. الأنباري: ضيوفنا الكرام لا شك أن هذا الموضوع، موضوع الدعوة الى الله عز وجل في منهاج جماعة العدل والإحسان يحتاج إلى المزيد من التفصيل وإلى حديث أكثر، نشكركم جزيل الشكر على هذه الإفادات القيمة التي أفدتمونا في هذا الشأن. مشاهدينا الكرام باسمكم نشكر ضيوفنا الكرام: الأستاذ عبد السلام ياسين والأستاذ عبد الهادي بلخيلية والأستاذ سيدي منير الركراكي، وإلى حلقة قابلة إن شاء الله عز وجل، وإلى ذلكم الحين نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سادسا: حوار مع الإمام في موضوع: الخلافة على منهاج النبوة

أجرى الحوار الدكتور المصطفى الريق

د. المصطفى الريق: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وإخوانه وحزبه. مشاهدينا الكرام، ضيوفنا الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نلتقي وإياكم من جديد لنواصل الحوار في قضايا محورية في مشروع جماعة العدل والإحسان. ومن أبرز هذه القضايا البشارة النبوية بإشراق شمس الخلافة الثانية بعد ظلام العضِّ والجبر، «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»، تعبيرٌ نبوي ورد في عدة أحاديث، وهو عنوانٌ لنظام الحكم الإسلامي تمثل أول الأمر في خلافة الراشدين، ثم وقع الانقلاب على تلك التجربة الفريدة، ليصبح الحكم شأنا عائليا يُتوارث كما يتوارث المتاع. واستمر هذا التردي إلا فترات قليلة كانت الأمة تنتفض ضد الحكم الفردي والطغيان السياسي فتعيش انفراجا سرعان ما ينتهي ويطل الاستبداد برأسه من جديد، مع ما يترتب على ذلك من مِحن وفتن وأعطاب لا تزال آثارها مستمرة إلى يوم الناس هذا. ومع ظهور صحوة الإسلام عاد الأمل ليساور الأمة من جديد علَّها تخرج من هذا الوهْن والغثائية فتسترجع مجدها وعزها وتضطلع بتبليغ رسالة الله للعالمين، لاسيما وقد بشَّر الصادق المصدوق ﷺ بعودة الخلافة على منهاج النبوة ومعها النصر والتمكين لعباد الله الصالحين.

مشاهدينا الكرام اركبوا معنا سفينة هذا الحوار لنُبحر إلى عمق الموضوع، صُحبة الداعية المجاهد الأستاذ عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والإحسان، والأستاذ الكريم عبد الواحد متوكل عضو مجلس الإرشاد والأمين العام للدائرة السياسية، والأستاذ الفاضل حسن اقبيبش عضو مجلس الإرشاد.

مرحبا بكم سادتي الأفاضل.

الأستاذ المرشد، لماذا هذا الاحتفاء الملحوظ لدى جماعة العدل والإحسان بحديث الخلافة على منهاج النبوة؟ والتركيز عليه في مكتوباتكم وأحاديثكم؟

الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. إننا عندما ننظر إلى ما يحدث في تاريخنا المعاصر، علينا أن ننظر إليه من أعلى، يعني من حيث كان رسول الله يبشر وينذر ويخبر بأنها ستكون خلافة على منهاج النبوة ثم تتدهور الأمور حتى تصبح في يد غِلمة من قريش، لأننا إن لم ننظر من أعالي التاريخ يوشِك أن ننسى الوجهةَ التي ننحدر فيها، والذي ننحدر إليه وصلنا فيه إلى مستوى منخفض هو ما يحدثنا عنه أخونا عبد الواحد متوكل.

د. عبد الواحد متوكل: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ربما تتمة لهذا الموضوع، يعني أن كوننا في جماعة العدل والإحسان نحتفي بهذا الموضوع وبهذا الحديث، لسبب بسيط وهو أننا مسلمون، ونحن نؤمن بما جاء به رسولنا ﷺ، وقد بشر رسولنا ﷺ بهذه البشارة العظيمة.

وأنا أتساءل ماذا سيبقى من الدين والإيمان إذا كنا سنسكت عن هذه البشارة العظيمة بحجة أو بأخرى مخافة أن يتهمنا البعض بالخرافية أو بالغيبيات، أو مخافة أن نثير حفيظة بعض الناس أو شيء من هذا القبيل، بل إنني أعتقد بأن السكوت عن هذا الوعد الشريف إنما هو خدمة مجانية –من حيث نشعر أو لا نشعر– للأنظمة الفاسدة، وخدمة لمروجي ثقافة الهزيمة الذين يريدون أن يقتلوا الأمل في هذه الأمة، وأن يجردوها من كل ما يؤهلها لاسترجاع عزتها وكرامتها لكي تنطلق من جديد لتؤدي رسالتها المنوطة بها.

إن هذا الحديث يعطي الأمل للأمة بأنه يمكن أن نصنع شيئا، قد كانت الأمة ويمكن أن تكون إذا اصطلحت مع الله عز وجل، وتمسكت بكتاب الله عز وجل، فإنما الضامن الله عز وجل. ذلك أن الله ضمن النتيجة إن تعاطت الأمة الأسباب، واستعدت وبذلت الجهد واستفرغت الوسع، وبذلك يمكنها إن شاء الله أن تستعيد مكانتها من جديد، وأن تكون لها الريادة والسيادة بإذن الله عز وجل.

د. المصطفى الريق: أستاذي الفاضل عبد السلام ياسين، في نفس الحديث الذي موضوعه الخلافة نجد الحديث عن الملك العاض والملك الجبري، وهناك من يعتبر أن الحديث هو إقرار ضمني بالملك العاض والملك الجبري في حين تعتبرونه إخبارا بكارثة وقعت للأمة.

الإمام: إن الرسول ﷺ حين أخبرنا بما سيقع لم يحدثنا عنه، بل حذرنا منه. في كلام أخينا سيدي عبد الواحد متوكل أن هذا الحديث الشريف فيه بشارة، وأنا أعتقد أن فيه نذارة أولا

لأن النبي ﷺ بُعث بشيرا ونذيرا، فهو يُنذرنا ويخوفنا مما سيقع. فإذا هو إخبارٌ وليس قَبولا بما سيقع. فهو يستنكر وينكر على الأمة أن تنحدر إلى هذا المستوى المنخفض، سي حسن ماذا تقول في هذا؟ أهي بشارة أم نذارة؟

ذ. حسن اقبيبش: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين، حديث رسول الله ﷺ وهو المبشِّر وهو الذي كان يخبر عن الغيب أخبرنا بأحاديث كثيرة تخبر عن مستقبل المسلمين والإسلام بصفة عامة، وكثير من الأحاديث أخبر فيها رسول الله ﷺ بأشياء ولم يكن الغرض من هذا الإخبار هو القبول كما قال الأستاذ المرشد حفظه الله، بل كان التحذير.

وكان يحذر الناس من الأمور التي ستأتيهم ويحثهم على أن يتبعوا كما قال الرسول الله ﷺ: «إن القرآن والسلطان سيفترقان فدوروا مع القرآن حيث دار». أخبر رسول الله ﷺ أنه سيكون هناك ظلم، وستكون هناك أثرة، وستكون هناك الكثير من الأمور التي لم يأت بها القرآن الكريم، ولذلك حثنا وأعطانا الإطار العام الذي ينبغي أن نتبعه وهو أن نتبع القرآن الكريم بما هو أمر وجهاد في سبيل الله، وعدم القبول بالمنكر أو الظلم أيا كان شكله وأيا كان مصدره، والأحاديث في ذلك كثيرة ومتنوعة.

د. عبد الواحد متوكل: لو سمحت هناك إضافة، نحن لا ننفرد بهذا الرأي. فهناك علماء آخرون ومفكرون أيضا ذهبوا هذا المذهب، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي قال في كلام له: «فإخباره ﷺ بانقضاء الخلافة على منهاج النبوة فيه العيب للمُلك والذم له». وكذلك ابن خلدون رحمه الله قال كلاما في هذا المعنى وقال إن الشرع لا يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به ولكنه ذم المفاسد المترتبة عنه بالقهر والظلم، وقال كلاما في هذا السياق: «وهذه من توابعه» ومن لوازمه. يعني لا يمكن أن تفصل بين هذه الأشياء وهذه، قد تقول هناك استثناءات في التاريخ ولكن هذه الاستثناءات تؤكد القاعدة ولا تلغيها، والقاعدة هي أن هذه لوازم للملك العاض.

الإمام: إذا سمحت، إذا كان الذي يتولى الحكم المطلقَ يرثه أبا عن جد، إذا كان هذا نشأ في القصور وربَّته الجواري أو رباه أو لم يربَّ على الإطلاق فكيف ينتظر منه أن يصلح إذا كان هو فاسدا؟ ومن طبيعة الوارث للمُلك الذي نشأ في أحضان الجواري وفي أحضان من

يُهدهده في فراش نعاسه ونومه واتكاله على أبيه. هذا مُلكٌ تركه لي أبي، وأبوه تركه له جدُّه، ونحن ملوك وأنتم سوقة.

هو لا يفكر وأنى له أن يفكر فيما يقاسيه الناس وفيما تقاسيه الأمة! أنى له أن يتوسع حتى يفكر في مستقبل الأمة، وهو إنما ينظر إلى ما يتمتع به في أحضان الوراثة العاضة الجبرية من نعيمٍ ومن مالٍ ومن كلمةٍ لا تطرح، كلمته مقبولة، وكلمته أمر. ورحم الله مَلكا قريبا منا كان يكتب في الدستور المغربي أن كلمة الملك قانون، إذا تَفَوَّه بكلمة فهي قانون يُطبق. تُرى لو نطق بكلمة أخطأ فيها؟ لا، لا.. الملك لا يخطئ، مقدس؟! وهذا يتكلم في المقدسات، زُجوا به في السجون! هذا اقتلوه لأنه تكلم في المقدسات، لأن كلام الملك وكلام الوارث أيا كان في المغرب وخارجه مقدس! معنى مقدس طاهر مطهر لا ينتمي إليه الشك وإلى صوابه شك، لا يقرب الشك منه.

د. المصطفى الريق: في نفس السياق سيدي الفاضل عبد الواحد متوكل، هناك من يقول بأن الحديث عن الخلافة الثانية على منهاج النبوة في ظل الواقع المستضعف الذي تعيشه الأمة هو ضرب من الأحلام، كيف ترد؟

د. عبد الواحد متوكل: أنا أعرف أنه ربما هناك بعض الناس يتناولون الموضوع وربما قد يبالغون أو يتناولونه بنوع معين من التفصيل، لكننا نحن في العدل والإحسان عندما نتحدث عن هذا الموضوع فإننا نتحدث عن الخلافة لا نتحدث عنها باعتبارها شيئا آنيا يعني الآن أو شيئا راهنا أو يمكن أن يتحقق بجرة قلم أو ضربة لازب أي بين عشية وضحاها.

نحن نتحدث عن الخلافة أفقا استراتيجيا، باعتبارها مشروعا مستقبليا. ودون هذا المشروع المستقبلي جهود لا بد من بذلها، ودونه مراحل لا يمكن القفز عليها، ودونه شروط وظروف لا بد من تهيئتها لتأتي الخلافة بإذن الله عز وجل تتويجا لهذا الجهد المبارك. فلا بد ابتداء من نشر الوعي الإسلامي الصحيح في الأمة، وهذا شرط أساسي سواء قبل التمكين أو بعده، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (الحج:41).

د. المصطفى الريق: سيدي الفاضل إذا كانت الخلافة الثانية على منهاج النبوة أفقا استراتيجيا كما تفضلت، لماذا تفضلون الهروب إلى الإمام وتتحدثون عن أفق استراتيجي ولا تتحدثون على الأفق المنظور؟

د. عبد الواحد متوكل: لا، حديثنا لا يقتصر فقط على الأفق نحن نتحدث عن الأفق ونتحدث عن الآن ونُعد العدة. عندما يكون لديك مشروع معين فأنت تشتغل وتعيد السعي لأن هذا المشروع كبير، وكما قلت دونه مراحل لا بد من إعدادها، أنا قلت لا بد من نشر الوعي. لا بد أيضا من الوعي أن يتشكل من امتداد هذه الحركة الإسلامية المنبعثة، لا بد أن يتشكل تنظيم وازن يمكن أن يضطلع بما يعنيه إرجاع الإسلام إلى واقع الحياة، لا بد أيضا من إقامة حكم إسلامي في هذه الأقطار الموروثة عن التجزئة الاستعمارية، لا بد من توحيد... إذن هناك عمل، هناك مسار، لا بد من السير في هذا المسار وهذا الذي ينبغي أن نتنبه إليه.

الخلافة ليست قرارا يفرض من فوق على الناس وهم له كارهون، أبدا. ولكن ستأتي تتويجا لجهود، تتويجا لمسار، تعبيرا عن إرادة أمة قد استفاقت وأرادت أن تقوم بدورها وبمهمتها التي كلفها الله عز وجل بها من جديد.

الإمام: قل لنا سيدي حسن، لماذا عندما أطلب من سيدي عبد الواحد أن يخبرنا بما حدث له منذ أسابيع قليلة، إنما أطلب إليه أن يحدثنا عما حدث له، لماذا منعوه من المحاضرة؟

ذ. حسن اقبيبش: هذا الحدث هو ليس حدثا معزولا فهذه سلسلة من المضايقات ومن التضييق المخزني الظالم الذي ألفته الجماعة منذ نشأتها، وإذا كان المخزن أو الناس يقولون بأننا نهرب إلى الأمام، ولدينا أفكار ليست واقعية إلى آخره، فأنا أتساءل إذا كان هذا الأمر بهذا الشكل فلم يحاربون هذه الأفكار؟ لم يحاربون هذه الجماعة بهذه الشراسة؟ فهم لم يمنعوا فقط سيدي عبد الواحد من المحاضرة وإنما غُلِّقَت مقراتنا وشُمِّعَت. وإخواننا متابعون ليس لهم الحق في الإعلام، ليس لهم الحق في التجمعات، ليس لهم الحق حتى في بعض أبواب الرزق. إذا كان عنصر من العدل والإحسان تثور ثائرة المخزن..

د. المصطفى الريق: سيدي الكريم دونكم وهذا المطلب العظيم موضوع الخلافة خطوات ومعاناة فكيف السبيل لتحقيق هذا المطلب الكبير مطلب الخلافة في خضم الواقع المعاصر الذي يعادي الإسلام في أكثر من موقع وفي أكثر من مجال؟

ذ. حسن اقبيبش: أعتبر بأن معاداة الإسلام أو الظروف الصعبة التي يعيشها المسلمون بصفة عامة والدعوة بصفة خاصة هذا أمر طبيعي بالنسبة إلينا، فليس من دعوةٍ لها قيمة ولها أفق استراتيجي كما تحدَّث الإخوة قبل قليل إلا وتُعادى، فلا ينبغي أن نفهم أو نعتقد لحظة

واحدة أننا سنجد الأمور ميسرة، وهذا لم يكن من طبيعة الأشياء لأن الله عز وجل جعل التدافع سُنة في الكون.

إن الإسلام عندما ظهر لم يظهر ورسول الله ﷺ قد يسرت له كل الأمور، بل نحن على علم بجهاد رسول الله ﷺ، فإذن نحن نعلم أن هذا الأمر أمر طبيعي وهنا ينبغي أن نفهم بأن هذا اختبار لأهل هذه الدعوة وامتحان، هل يثبتون في الصف؟ هل يصدُقون؟ وهل هم في مستوى هذا التحدِّي؟ فهذا أمر بالنسبة إلينا طبيعي.

ثم ينبغي أن نؤكد على أمر واحد وهو أن الإعلام صنع صورة في أذهان الناس حول الخلافة على منهاج النبوة وحول هذا المطلب العظيم، فالناس أسرى للإعلام الذي يعتمد على التكنولوجيات المتقدمة، ونحن نريد أن نؤكد أن هذا المشروع ليس مشروعا إلغائيا، لا يريد إلغاء الآخر، بل هذا مشروع للإنسان بكل جوانبه، سواء على المستوى الروحي أو المادي أو الأخلاقي.

الإمام: سيدي عبد الواحد، ألا تذكرنا بذلك الحديث حيث قام رسول الله ﷺ مستغربا ومتعجبا «أوَ مُخرجي هُم؟»[1] عندما نزل عليه الوحي وحملته أمنا خديجة إلى ابن عمها،

---

(1) جزء من حديث في صحيح الإمام البخاري، ونصه كما روته أمنا عائشة رضي الله عنها: «أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ؛ فَكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكانَ يَأْتي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وهو التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ- وَيَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقالَ: اقْرَأْ، فَقالَ له النَّبيُّ ﷺ: فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتَّى بَلَغَ ﴿عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:1–5). فَرَجَعَ بهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حتَّى دَخَلَ علَى خَدِيجَةَ، فَقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فَقالَ: يا خَدِيجَةُ، ما لي؟ وأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وقالَ: قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي، فَقالَتْ له: كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ، وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ؛ أخُو أبِيهَا، وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ ما شَاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شَيْخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فَقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فَقالَ ورَقَةُ: ابْنَ أخِي، مَاذَا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ النَّبيُّ ﷺ ما رَأَى، فَقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ»، رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم 6982.

تعرفون هذه القصة؟ «ليتني أكون جذعا عندما يخرجك قومك»، فتعجب رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» لماذا يخرجونني؟

د. عبد الواحد متوكل: «لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ»، يعني من الطبيعي أن دعوة الحق لا بد وأن تجد من يعاديها ويواجهها ويمنعها، وهنا تظهر قيمة المؤمن، ثقته بالله عز وجل، يقينه بالله عز وجل، الله عز وجل أخبره بأنه سينصُره، فهنا اختبار. فهل سيلتفت إلى الأشياء وسيلتفت إلى تلك العقبات التي تقف دونه وستثبطه وستقعده عن قول كلمة الحق أم أنه سيمضي وسيقتحم. ونحن نجد في القرآن الكريم: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ (البلد:11) فهو أمر اقتحام، فحياته ليست بنزهة، فهي اقتحام وجهاد واستفراغ للجهد وعمل موصول وتصديق بموعود الله عز وجل. ولا يمكن أن نقول بأن الطريق معبدة ومفروشة بالورود.

د. المصطفى الريق: الأستاذ الفاضل عبد السلام ياسين، عند الحديث عن الخلافة على منهاج النبوة تحيلون على الخلافة الراشدة، والبعض يقول إن هذه عودة إلى الوراء وهي مستحيلة، وآخرون يقدرون أن استنساخ تجربة بيننا وبينها أربعة عشر قرنا من الزمان أمر غير عملي ولا واقعي. هل من توضيح؟

الإمام: هؤلاء ينظرون إلى الأمور على أنها حركات لا أساس لها ولا علاقة لها بالبشر وأخلاق البشر، فنحن عندما نرجع إلى السيرة النبوية وإلى سيرة الخلفاء الراشدين إنما نريد أن نتمثل بأشخاص رُبُّوا تربية إيمانية إحسانية، لذلك نبحث في أصول الأمور وفي معاني ومواقف المؤمنين منذ ذلك، والإنسان هو الإنسان دائما، لهذا نتمثل بأولئك الفضلاء الأكارم من الصحابة والتابعين، ونتوقف عند قول ورقة بن نوفل للنبي ﷺ منذ انطلاق البعثة قال له: «يا ليتني أكون جذعا» عندما يخرجك قومك وتعجب رسول الله ﷺ «أوَمُخرجي هم؟» فأرجع إلى أخينا سيدي حسن ليحدثنا عن هذا.

ذ. حسن اقبيبش: هي دروس كثيرة يمكن أن نستخلصها من هذا الحديث الشريف ومن هذه الواقعة، ومن أولها بأن ما جاء به رسول الله ﷺ حق، فورقة بن نوفل قال: «هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى» عليه وعلى نبيا أزكى الصلاة والتسليم. فورقة عرف أن رسول الله ﷺ جاء بالحق هذه أول الأمور لأن الأمر فيه حق.

ثم ثانيا هو نية الجهاد، وهذا ما أثارني في ورقة بن نوفل وهو رجل ضرير، متقدم في السن يتمنى لو كان فيها جذعا، أي شابا أو رجلا في مقتبل العمر، لينصر رسول الله ﷺ. وأخبره بأنه ما من أحد جاء بمثل ما جئت به إلا عودي. وهذا درس آخر لأن من عادة الناس أن يُعادوا الحق، وخصوصا إذا كان الحق هو ما أمر به الله عز وجل ورسوله. فنيةُ الجهاد عند ورقة بن نوفل وأن رسول الله ﷺ جاء بالحق وهذه كلها أمور مجتمعة تعطي صورة لدينا نحن كي نأخذ هذه الدروس.

الإمام: لا عجب إذن إذا منعوا الأستاذ المتوكل من المحاضرة، نرجع إلى الواقع.

د. المصطفى الريق: سيدي الفاضل، إذا كان الأمر يتعلق باستلهام روح الخلافة لا بشكل الخلافة كما يريد البعض فلماذا نتشبث بالمصطلحات؟ ونتحدث عن الخلافة الثانية على منهاج النبوة؟

الإمام: الذين ينظرون إلى الظواهر، ظواهر الأمور دون أن ينظروا إلى تنشئة الإنسان المؤمن كيف يُربى؟ وما ينبغي أن ينشأ عليه؟ ما هي النماذج التي يَكبر أمامها؟ ويتمثل بها؟ ويقتفي أثرها؟ إذا لم يكن له شيءٌ يريد أن يصير إليه مَثَلٌ أعلى يريد أن يصل إليه، إذا كان له مثل أعلى في أبطال السينما، أبطال الكرة مثلا، أو أبطال الألعاب، أو الحاكمين، أو رئيس دولة كذا وكذا، إذا لم يكن له نموذج صالح من التاريخ ومن الواقع، وهذا معنى الصحبة والجماعة إن لم تكن له صحبة، الصحبة تكون من الأحياء، لكن الصحبة تكون للسلف الصالح. كيف؟ بالتشبه بهم والنظر في منشئهم. وفي الكيفيات التي نشأوا عليها، وفي المبادئ التي جاهدوا من أجل نصرتها.

د. المصطفى الريق: قبل قليل الأستاذ المتوكل، في نفس السياق كنت تتحدث على أن الخلافة أفق استراتيجي، ومشروع مستقبلي يلزم أن يكون مسبوقا بمراحل وخطوات تمهد لتحقيقه، فإذا كان الأمر كذلك أليست المشاركة في المؤسسات القائمة في ظل النظام الراهن تفتل في حبل هذا الهدف؟

د. عبد الواحد المتوكل: أعتقد بأن المشاركة في مؤسسات بصلاحيات محدودة وفي ظل نظام ينفرد بسلطة القرار ويتحكم في كل شيء، في الصغيرة وفي الكبيرة، لا يفتل إلا في

حبل الاستبداد. وعندما نقول هذا فنحن لا نطعن في النيات، ولا نشكك في صدق المخلصين في هذا البلد، ولكن كما يُقال الواقع لا يرتفع، والواقع أننا بصدد مؤسسات مهترئة متهالكة محكومة بشروط. يعني لا يمكن أن تؤدي وظيفة تذكر.

وهذا بالمناسبة ليس رأيا كما قلت ننفرد به، بل هو رأي نشترك فيه مع آخرين، فالكل يعرف والكل يعلم بأن هذه المؤسسات هي هامشية، وبأن القرار إنما يُطبخ في مكان آخر. وفي حقيقة الأمر وعند النظر في مؤسسات الحكومة والبرلمان فإنما هي موجودة لتجميل وجه الاستبداد، وللظهور بمظهر النظام الديمقراطي المنفتح، فلذلك لا يمكن أن نتصور بأن الدخول في هذه الظروف، وبهذه الشروط يمكن أن يكون خطوة على درب الإصلاح الشامل الذي يمكن بالفعل أن يفضي إلى نظام سياسي إسلامي في مظهره ومخبره.

د. المصطفى الريق: الأستاذ قبيبش، إذا كنتم تعتقدون أن هذه المؤسسات صورية وليس لها جدوى وهي بدون صلاحيات، وبالتالي ترفضون الاشتغال من خلالها، ألا يكرس هذا الموقف الانتظارية والسلبية التي تنتقدونها؟

ذ. حسن اقبيبش: بحسب النظر إلى ما قيل، إذا كنا نعتبر أن المشاركة السياسية إنما تُختزل في الأمر الانتخابي فقط فهذا نظر، أما إذا كنا نتحدث ونعتبر أن المشاركة السياسية لها مفهوم واسع أوسع من هذا، فالمشاركة الانتخابية إنما هي جزء بسيط من العملية السياسية برمتها.

ولا نعتقد بأننا في العملية السياسية نكرس الانتظارية أو ما قيل، والدليل على ذلك أننا لا نحتاج إلى من يبرهن على حضور الجماعة وقوتها في الميدان، فهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل، بل أكثر من ذلك فإن الجماعة لم تكن في منأى أو معزولة عن الأحداث، فقد ساهمت بأوجه كثيرة بمقترحات جريئة، وبمواقف مشهودة. ولحد الآن لم يتم التجاوب المسؤول مع هذه المواقف التي طرحتها الجماعة، ونحن ننتظر الآخر.

نعم بهذا المفهوم نحن ننتظر الآخر أن يقدم مشروعا بديلا، فنحن قدمنا مشاريعنا وقدمنا أكثر من مشروع، فنحن حاضرون في الساحة ونشارك بالطريقة التي نراها تؤدي إلى النفع العام إن شاء الله عز وجل.

د. المصطفى الريق: أستاذي الكريم، الأستاذ المرشد، ما هي الضمانات لكي لا يتحول النظام الذي تتشوفون إليه، هو دون شك يقوم على مبادئ وتشريعات الإسلام، ما هي الضمانة كي لا يتحول إلى نظام ثيوقراطي مستبد فنعود مرة أخرى القهقرى؟

الإمام: عن هذا نبحث. لكي لا نعود القهقرى ولكي لا نعود أدراج الرياح، ينبغي أن يكون القائمون منا، من المؤمنين بالأمر، أناسا يستعصون على الرياح الهوجاء التي تهبُّ ذات اليمين وذات الشمال. رياح الأنانية، وحبّ الثروة، وحب الدنيا، وحب الشفوف على الأقران، وحب المنصب، والتشوف للوزارة... لأن جل من يشتغل بالسياسة أمامه هدف واحد هو أن يتسلق في معارج السلطة، ليكون ذات يوم وزيرا، فكلمة وزير كلمة سحرية، يطيب لبعضهم أن يستمع إليها في أحلامه. عندما يحلم، وربما تكون أحلام في اليقظة، ينظر إلى نفسه: فلان الوزير، ذات يوم سيكتبون فلان وزير، هذا غاية مطلبه.

أما نحن عندما نرجع إلى أصولنا تكون غايتنا الله عز وجل، ويكون السائرون في هذا الطريق في الطريق إلى الله عز وجل العارجون إلى مرضاة الله عز وجل هم أحبابنا وهم من يؤنسنا. وهم من نثق بهم، وهم من نقتدي به. أشخاص إن لم يكن لنا مثل عالٍ فإننا ننزل إلى تَحت، إذا لم تكن صاعدا فإنك تنزل.

الفصل الرابع

حوارات صحفية مختلفة مع الإمام

أولا: حوار مع فرانسوا بورغا (الإسلام السياسي صوت الجنوب)

تم إجراء هذا الحوار بين 1986 و1987م، باللغة الفرنسية بمدينة الرباط، وقد نشره فرنسوا بورغا في كتابه «الإسلام السياسي صوت الجنوب»[1]، بطريقة يستثمر فيها تصريحات الأستاذ عبد السلام ياسين ضمن فقرات تحليلية لوضع الإسلام والصحوة الإسلامية في المغرب وفي العالم.

فرنسوا بورغا: إذا كان معظم المناضلين في تيار الإسلام السياسي يدينون المظاهر التنظيمية المعاصرة المتعلقة بالتصوف وبقيام الأنظمة المختلفة باحتوائه، فإن بعض المناضلين قد تأثر بالبعد الروحي للتصوف وزاوج أحيانا بين التصوف والفاعلية السياسية. فعبد السلام ياسين أحد قادة التيار المغربي قد عاد إلى الإسلام السياسي عن طريق دخوله طريقة الحاج العباس، ولم يترك هذه الطريقة إلا بعد وفاة شيخه في الطريقة، وحتى اليوم فإن عبد السلام ياسين يدافع عن خصوصية تطوره الديني، ويعتبر أنها جزء لا يتجزأ من شخصيته. وهو حريص على أن يذكرنا بـأنه في خط سيره هذا يشبه بعض مؤسسي الإسلام السياسي، وإذا كان خط سير عبد السلام ياسين وضح بالفعل الإضافة الصوفية لفكر الإسلام السياسي فإنه يبرز أيضا التناقضات القائمة بين الصوفية والإسلام السياسي خاصة فيما يتعلق بوسائل العمل الميداني.

الإمام: «من الممكن أن نقول إنه بالنسبة لي شخصيا اليوم، رؤيتي للإسلام أنه نضال، وتعلمون أن كلمة «جهاد» لها في القرآن الكريم وفي السنة مكانة خاصة، ولكن المسلمين فقدوا هذه القدرة على الجهاد. فقدوها نظرا لمرور الزمن وللسُّبات، رزح المسلمون طوال عدة قرون تحت وطأة النظم المتتالية التي كانت شرعية إلى حد ما، إسلامية إلى حد ما، تمارس العنف -إلى حد ما- ضد من يناهضها. واليوم يعيدون اكتشاف هذه الطاقة التي تظهر من جديد في العالم...والتي تعبر عن نفسها بطرق شتى. ويطلق الغرب عليها أحيانا

(1) فرنسوا، بورجا. الإسلام السياسي...صوت الجنوب، ترجمة لورين زكرين، دار العالم الثالث، القاهرة، ط2، 2001م، وقد ورد الحوار في الصفحات الآتية من الكتاب: (من ص 36 إلى ص 39 وفي ص 41، وص 48، وص 54، ومن ص 57 إلى 61، ومن ص 90 إلى 94).

اسم الإرهاب، وفي أحيان أخرى يطلق عليها اسم الأصولية أو التشدد الإسلامي... الخ ويكتفي بالكلمات الفارغة من المعنى. الكلمات تغطي الحقيقة، والحقيقة أنه توجد في الإنسان، في أي إنسان، تلك الومضة الإلهية التي تنتظر إعادة إشعالها، التي تنتظر أن تعود إلى النشاط. وفيما يخصني يمكنني أن أقول إنه في عام 1965م عشتُ ما قد نطلق عليه اسم «أزمة روحية»، «صحوة عفوية»، أو شيئا من هذا القبيل، وفي الحدود التي تتيح معنى للمصادفة عند من يؤمن بالله وبالقدر. لا، لم تكن صلتي بالدين قد انقطعت، تعلمتُ القرآن عندما كنت صغيرا، وذهبت إلى الكتاب ومدرسة ابن يوسف في مراكش، وكان تكويني في البداية تقليديا: القرآن، الفقه. ولم أبدأ في تعلم اللغة الفرنسية إلا في سن التاسعة عشر بينما كنت أواصل دراستي في كلية المعلمين. وبحكم هذا التكوين التقليدي كنت أعيش وفقا لتعاليم الدين الإسلامي بطريقة فطرية، أي أنني كنت أؤدي الصلاة وأقوم أحيانا بتلاوة القرآن الكريم لكي لا أنسى تماما ما سبق أن حفظته منه عن ظهر قلب. وكان من المعروف -في الأوساط التي كنت أتردد عليها- أنني رجل «في حاله»، وفي سن العشرين أصبحت موظفا ومدرسا للغة العربية وفيما بعد مفتشا... الخ، وطوال هذه الفترة كنت سمحا في طريقة اتباعي تعاليم الدين الإسلامي... سمحا ولطيفا أليس كذلك؟ ولم يكن الإسلام في تلك الفترة مصدرا لتساؤلات بالنسبة لي، ولم تكن في تكويني أية بادرة تدل على أنني سأنطلق يوما ما في اتجاه الاحتجاج أو معارضة الأمر الواقع الذي تعيشه الأمة. وفي 1965م، عندما كان عمري 38 سنة، مررت فجأة بهذه الأزمة، لقد قرأتم في الغالب هذه السير الذاتية التي يروي فيها المسيحيون أو المسلمون أو البوذيون مثل هذه الصحوة الروحية التي يعيشونها في حوالي الأربعين، ووجدت نفسي أترك فجأة الكتب التي كنت أقرؤها، وكتب الثقافة الأجنبية... الخ، لكي أنطلق في البحث عن الله.

في ضميري كان هذا مجرد بحث عن الله لا أكثر، لقد طرحت على نفسي بعض الأسئلة الخاصة بالوجود، قلت لنفسي: لقد وصلت إلى سن الأربعين، ماذا فعلت بالحياة؟ أين أذهب؟ قلق الموت، قلق يتعلق بشيء ضائع (...) وانطلقت في طريق هذا البحث الروحي وقرأت كتب الصوفية، بل قرأت أيضا كتبا في اليوجا، وهي غريبة عن الإسلام وكنت دائما أمر على شهادات لأشخاص يقولون وجدوا... وكنتُ أقول لنفسي... إنكَ لم تجد شيئا... يا لك من تعيس!

ثم حدث لقاء، أخبرني شخص ما «هناك شيخ صوفي في المغرب عليك أن تذهب إليه وسيرشدك»، وبالفعل التقيت بالشيخ، كان اسمه الحاج العباس ودامت علاقتنا لمدة ست سنوات، لم يكن أميا ولكن تكوينه كان تقليديا، ريفيا. وهكذا أصبحت، أنا الذي كانت تملؤني عزتي بنفسي، إذ كنتُ شخصية لها أهميتها في وزارة التعليم القومي... أحد مريديه، مريده المتواضع وفهمت ما هو الإسلام وعرفت الله. أعترف بكل تواضع أن هذا الرجل أعطاني الكثير.

ثم رحل الشيخ عن عالمنا، رحل وترك مجموعة من الأشخاص فضَّلتْ أن تتبع تقليد الطريقة الصوفية، التقليد الذي يعرفه الجميع، حيث يحظى الشيخ باحترام الجميع، وحيث الأتباع مجرد مجموعة من البشر ليس لديها أي مشروع...إطار تقليدي... نعم...هو إطار لا يطابق الشريعة إلا إلى حد ما. لم أحاول إصلاحه لأنه لم يكن هناك بالضبط مجموعة منظمة، ولكن حاولت أن أوجهه مع ذلك وجهة تتوافق مع مفهومي عن الإسلام، أي حاولت أن أجمع بين خبرتي الصوفية والمعلومات التي توصلت إليها من قراءة الكتب. وخلال العامين الذين مرا بعد وفاة شيخي المبجل، حدث لي تحوُّل داخلي، تأملتُ كثيرا خط السير الذي اتخذه إخواني في الطريقة، وبدأت أقرأ كتب الإخوان المسلمين... في أماكن مختلفة... كنت ألتقط من هنا وهناك: حسن البنا، بعضا من سيد قطب، وقليلا أيضا من المودودي.

وكان حسن البنا، كما تعلمون صوفيا، فوجدت في كتبه هذا الذوق الروحي الذي لا تجده عند آخرين ولم تكن قراءاتي في الإسلام أو في الإسلام السياسي هي التي حددت اتجاه نشاطي. ولم يكن أيضا اليأس -في أن أرى في يوم ما الطريقة تتحول إلى شيء آخر- هو الذي حدد اتجاه نشاطي، ولكن كان هناك منطق داخلي يملي علي أن الإسلام يجب أن يؤدي إلى الإيمان، والإيمان يجب أن يؤدي إلى قمة الإحسان، وقمة الإحسان هي الجهاد. لم يكن لديَّ طموح شخصي: كان لدي هذا النوع من الطموح الذي يعلو على الموت ويتجاوزه، الحياة والموت معا: كنت أريد أن أنال رضى الله.

وفي عام 1974م، قررت أن أفعل شيئا لكي أخرج من مناخ الطريقة، ثم أخرج لكي أبدأ كذلك نشاطي، لم أخرج من منطق الإسلام. هل أنا خرجت من المنطق الصوفي؟ أي نعم، هناك صوفيون -وأعتقد أنهم الأغلبية- وضعوا حدودا لأنفسهم قائلين: لا نريد التعامل مع

الحكام. وإذا كان مثل هؤلاء الصوفيين قد انغلقوا في إطار منطق معين، فلم يكن الأمر كذلك بالنسبة لجميع الصوفيين. فهناك حركات صوفية كانت منبعا لحركات تاريخية مهمة وأذكر على سبيل المثال السنوسية الليبية أو المهدية في السودان أو أحمد شهيد في الهند، هناك إذن صوفيون مخلصون لمنطق الإسلام اللاصوفي. إن الصوفية شيء جاء فيما بعد، هي شيء يتضمن إلى حد ما نوعا من انحسار تلك الدفعة الأولى للإسلام، اختار بعض الناس أن يظلوا على الأرضية الروحية دون أن يهتموا بالعالم. لا أريد أن أنطلق في نقدهم فالوقت ليس مواتيا لذلك.

الإمام: تطورت الأمور في المغرب بنفس الطريقة بالضبط. ففي أول الأمر نجد «جماعة التبليغ» ولم يكن «الإخوان المسلمون» موجودين منذ البداية. وقبل ذلك كان هناك عدد بسيط للغاية من الدعاة التابعين للإخوان المسلمين ولكنهم لم يتركوا خلفاء لهم. وكانت «جماعة التبليغ» توجه رسالتها إلى الجميع ابتداء من العامل اليدوي حتى الدكتور، وكانت تتحدث إليهم بنفس اللغة بدون مواربة، وبدون أن يكون لها بعد سياسي أو اقتصادي. هؤلاء الأشخاص هم صوت الإسلام العميق الذي يتحدث إلى القلب قبل أن يتحدث إلى العقل. وتعتمد مواعظهم على قدوتهم الحسنة قبل أن تقوم على الخطاب. وكان لهم -وما زال لهم حتى الآن- أفضل تأثير صحي على الحركة الإسلامية. ومن فضائلهم التي تذكر أنهم لا علاقة لهم بالسياسة، الأمر الذي كان يسمح لهم بالسفر بكل حرية بدون مشكلات. وحتى الغرب الذي يعتبر قد جف روحيا -كما أعتقد-، يجد في جماعة التبليغ ما ينقصه... فهم ببساطتهم، وبهذا التدين الصرف، قد أسروا النفوس في إيطاليا حيث كان الناس يأتون إليهم ويسألونهم في الشارع -من أنتم؟- وكانوا بذلك يكتشفون الإسلام لأول مرة في حياتهم، وفي اليابان وفي كندا وفي جنوب إفريقيا وحتى في أمريكا الجنوبية. ونرى اليوم في اجتماعاتهم السنوية ملايين البشر: أعتقد أن ما يقرب من 4 ملايين شخص حضروا اجتماعهم السنوي في العام الماضي في بنجلاديش»[1].

الإمام: «التقييم هو حصر الفوائد والخسائر إنني أرى ليس ثمة خسارة، لم يكن هناك سوى مكسب، سوى المكسب. إن أفضل طريقة -في رأيي- لنقد السلفيين، من أمثال رضا،

(1) حوار للكاتب مع عبد السلام ياسين في الرباط، أكتوبر 1987م.

... إلخ، هو أن نضعهم في إطارهم وأن نرى مشاريعهم. والحدود التي منعت فكرهم من التطور. إنني أوافق -إلى حد كبير- على رأي راشد الغنوشي الخاص بجيل وجد نفسه فجأة وجها لوجه أمام غرب متفوق مقتحم عنيف، استعماري ومختلف عنا. وظن بعض الرجال العظماء مثل محمد عبده أنه من الضروري أن يقدموا بعض التنازلات في بعض بنود الإيمان. فقد تساءل مثلا في بعض كتاباته عن الملائكة والجنة، وهل هي كائنات تتمتع بوجود حقيقي أم لا. ولست أعلم، بأي نوع من التوفيق أصدر أشخاص أتقياء أذكياء، أحكاما على هذه الأشياء تتنافى تماما مع روح الإسلام ومع القرآن الكريم... لا يمكننا القول إن في تاريخ جميع الشعوب طفرات مفاجئة، وأن مثل هذه الظروف المفاجئة هي التي انتزعت من هؤلاء الأشخاص هذه الأحكام، ولكن هذه الأمور كانت في الماضي وتم تجاوزها، نحن نعيش في فترة أخرى، لدينا وسائل أخرى لفهم الغرب بينما لم تكن هذه الوسائل متوفرة لديهم. وأتذكر جملة لمحمد عبده هذا الشيخ الجليل، يقول فيها: «في أوربا إسلام بلا مسلمين وأنتم مسلمون بلا إسلام»، وكان قد فهم أن القيم التي اكتشفها في الغرب مثل الحرية، والنظافة -لأنه تحدث عن مثل هذه التفاصيل- والتنظيم والتكنولوجيا والسلام الاجتماعي، قيم ترتبط بالإسلام، وهذا هو رأيي أنا أيضا، ومنذ ذلك الوقت تطورت الأمور. فأصبح الطابع الأخلاقي للغرب أقل وضوحا وازداد طابعه التكنولوجي. وهنا يبقى السؤال الرئيسي: هل سيقبل الغرب يوما ما أن يعيد التفكير فيما يصلح حاله على المدى القريب والبعيد، وذلك بدلا من الانغماس في دوامة الشؤون الدنيوية»[1].

«أن الإسلام هو الذي صنع قوة العرب وليس العكس»، ولذلك فإنه يكفي لإبراز صحة هذا الموقف أن نذكر أن القومية العربية قد قامت -في أوجه شتى منها- على أيدي أولئك الذي كانوا -في الأراضي المسلمة- لا تسعفهم الظروف أن يستمدوا مفردات مشروعهم السياسي من الدين الإسلامي: ألم يكونوا مسيحيين، وكان أولهم «ميشيل عفلق» مؤسس البعث السوري.

الإمام: «إن رضوخنا أمام التحديات يرجع إلى الشخصية المستعارة التي استطاعت أن تفرضها ثقافة العروبة والعلمانية على شخصيتنا الحقيقية التي تتلخص في كلمة الإسلام.

(1) حوار للكاتب مع الأستاذ عبد السلام ياسين، الرباط، أكتوبر 1987م.

على قمة كل دولة يتربع قوميون لديهم وعي سياسي بضرورة الوحدة العربية. وفي القاعدة شعوب تجد نفسها في الإسلام قبل كل شيء. وإسلام القادة السياسي والأيديولوجي ليس سوى تنازل ديماغوجي أمام معتقدات الشعب (...) وفي الأعماق يقوم عملاء القومية العربية بتقويض أسس الإيمان عندما يقدمون عروبتنا على أنها بعدنا الوحيد، وعندما يقرنون العلمانية بالسمو. إن هؤلاء العملاء أقلية، مسيحية الأصل، ونسبتها حوالي سبعة في المائة من الشعب العربي، وهم أول من كان لهم صلة بالغرب واستطاعوا أن يحتلوا مكانة مميزة في الثقافة العربية المعاصرة، وتعمل هذه الأقلية النشطة والذكية على دفع العجلة نحو الفصل الصريح بين العروبة والإسلام، وهي تفرز منظرين أيديولوجيين ومناضلين يأخذون زمام المبادرة التي ترمي إلى توحيد الدول العربية. إن بعض الرؤساء العرب[1] الذين يدعون أنهم أفلتوا من فخ الأيديوليوجية القومية -أيديولوجية أهل الجاهلية في الماضي والحاضر والمستقبل، أيديولوجية إخواننا في الدم المسيحيين- لا يقدمون إلا أيديولوجيات (دون كيشوتية) ومشروعات جنونية لحظية»[2].

<u>عبد السلام ياسين</u>: الإسلام، العروبة والدولة[3]

<u>السؤال</u>: هل تؤدي عملية إعادة نشر الإسلام بطريقة حتمية إلى إعادة النظر في الحدود التي تفصل بين (الدول-القومية)؟ وهل هذا جزء من العقيدة؟

<u>الجواب</u>: أي نعم، في العقيدة لا يمكن للأمة إلا أن تكون واحدة.

<u>السؤال</u>: بالمعنى الواسع؟

الجواب: أي نعم في العقيدة الأمة بالمعنى الواسع، وهي تتضمن حتى أندونيسيا. ولكن القوميات (والدولة-القومية) ستكون من أكبر العقبات الملموسة التي تستعصي أمام محاولة تجاوزها. وإذا حاولنا إزالة هذه الحدود فورا فسيكون ذلك دليلا على جهلنا بالشريعة الإلهية المنزلة في القرآن والناموس الذي أنزله أيضا على الكون. وعندما سيتم

(1) ربما يشير عبد السلام ياسين إلى العقيد معمر القذافي.

(2) استشهاد ورد باللغة الفرنسية في: **La Révolution à l'Heure de l'Islam, Gagnac-la-Nethe, 1981, p 37**.

(3) حوار مع الكاتب في الرباط، أكتوبر 1987.

إعادة نشر الإسلام ستقوم الدولة الإسلامية رويدا رويدا بالقضاء -على المدى القصير أو الطويل- على الحدود الفاصلة بين طرقنا في الكلام في الإحساس، وهذا يرجع أيضا إلى مسألة تتعلق بالمنهج وبالتربية. هذه المسألة ليست مسألة مذهب ولكنها مرتبطة بالمنهج.

هل أعتبر نفسي عربيا؟

طبعا أعتبر نفسي عربيا حتى لو كنت من أصل بربري أتحدث باللغة العربية، أنا عربي بقلبي وبروحي وبلغتي، إن مَن هم ليسوا عربا يشعرون أكثر ممن هم عرب بأهمية وجوهرية اللغة العربية والعروبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:2).

ومعنى ذلك أن الله وحده هو الذي يعرف الهدف والسبب الذي جعله ينزل شريعته هنا وليس هناك، إذن فالأمة جميعا لديها تجاه العرب شعور الاحترام الذي ورثوه من أجدادهم لأنهم هم الذين نشروا الإيمان، وعلى عكس ذلك فإن المثقفين العرب يتعاملون مع الإسلام كأنه زائدة فطرية للقومية العربية: نحن عرب، والإسلام أحد مكوناتنا، وأعتقد أن مثل هذا الموقف لا يوصف بأقل من أنه شيطاني لأن مثل هذا الموقف يتعامى أمام نور الإسلام وأمام مجرد دراسة التاريخ أيضا: كان العرب عشائر وقبائل متناثرة كانت تتطاحن في الحروب، حروب العصابات والغارات التي لا نهاية لها. وجاء الإسلام فجأة ليعلن للعالم كله (...) أنهم «أمة» -وأضع هنا كلمة أمة بين قوسين- تحمل رسالة أبدية. إن الإسلام هو الذي أعطى العرب قيمتهم وليس العكس. قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات:17)، وهذا التأنيب موجه إلى البدو الذين لم يكن الإسلام قد انتشر بينهم إلا قليلا فكانوا يأتون النبي ويقولون له: ها نحن الذين دافعنا عنك، ونحن الذين استقبلناك، ... الخ. فيتوجه إليهم القرآن قائلا: إنه من نعم الله عليكم أن أخرجكم من الجاهلية وأنه أدخلكم حظيرة الإسلام ولا يصح أن تفخروا أنتم بأنكم فعلتم ذلك. والآن فإن هذه القومية هي كما أعتقد قمة التطور الغربي، هي غاية الأفق الذي لا يمكن تجاوزه. إن هذه القومية بدعة، الدولة القومية بدعة غربية، هي فكرة مهيمنة في الغرب وفرضت علينا، لقد ورثناها مع الاستعمار.

نعم، كانت هناك قبل الاستعمار نزعات شعبوية... إقليمية موروثة من تاريخنا، الإسلام أنزل في الجزيرة العربية حيث كانت توجد نزعات إقليمية واضحة جدا، فكان الانتماء إلى

القبيلة أضيق وأكثر جوهرية من الانتماء إلى الدولة - الأمة، لم يحاول الإسلام هدم هذه الروابط القبلية أو العائلية، بل بالعكس، فقد استخدمها الإسلام كبناء تحتي يعضد الهيكل الجديد. فإن النزعات الإقليمية القائمة على اختلاف العرق، واللغة والدين، ... الخ منتشرة في العالم كله.

وفي تاريخ الإنسانية فإن جميع أنواع التعاسة والسعادة نابعة من هذا التجمع القبلي أو العنصرية. وتنبع منها كذلك جميع الحروب، وجميع أنواع التخريب، وجميع أشكال الحضارات أيضا. وليس من قبيل العبث أن نتحدث حاليا عن الحضارة الأوروبية لأن هناك عنصرا أوروبيا ولغات أوروبية تنتسب الواحدة إلى الأخرى. هناك شيء مشترك كان يدعم هذه الحضارة، أليس كذلك؟ وهناك أيضا حضارة عربية استوعبت الحضارات الأخرى، هناك حضارة تركية وصينية، ... الخ. فإذن النزعات الإقليمية شيء عادي في التاريخ. ولا يحاربها الإسلام. لا يحارب هذه الخصوصيات، وهو يرجو أن تكون هذه الإقليمية في خدمة شيء أكثر نُبلا. وعلى سبيل المثال من الممكن الاستدلال على ذلك بحالة الدول القومية في العالم، بعد الحرب العالمية الثانية، اجتمعت في سان فرانسيسكو لتبني شيئا أكثر نبلا. وكان ذلك عبارة عن فكرة سامية، كانوا يريدون تجاوز هذه القومية التي عانوا منها كثيرا. وإذا قلتم: «هل فرض الاستعمار هذه الدولة-القومية أم لا؟» سأجيبكم: لقد فرض الاستعمار فوق هذا الأساس وهذه الخصوصيات «الدول-القومية»، ولم توضع حدودها بطريقة سليمة. وعلى سبيل المثال، لم يكن هناك حدود صارمة بين البلاد الإسلامية التي كانت تابعة لسلطة استانبول في إطار الإمبراطورية العثمانية، فكانت هذه الخصوصيات تذوب... إلى حد ما في هذه الأخوة الإسلامية (...) وحتى المغرب الذي كان لا يدخل في إطار الإمبراطورية العثمانية والذي كانت له شخصية مميزة جدا منذ دخوله الإسلام، حتى المغرب لم يكن يشعر بأنه مختلف تماما عن العالم الإسلامي. والحدود كانت مفتوحة، والانتقال كان مسموحا به، ولم تكن هناك جمارك، فكانوا يعيشون هذه الأخوة، وكان التجمع في مكة يجمع بين جميع أبناء الأمة، جميع أولئك الإخوة لكي يجددوا إلى حد ما حلف الجماعة... أنا مثالي؟ نعم طبعا. ولكن بوجه عام رغم هذه الخصوصيات ورغم الحروب التي كان يقتل فيها الأخ أخاه والتي كانت دائما موجودة في الإسلام ورغم جميع هذه الاضطرابات القبلية والحروب المستمرة في المغرب وخارجه، ورغم كل ذلك، كان الناس لا يشعرون

أنهم ينتمون إلى مكان بعينه. وإذا كان في استطاعتكم أن تسألوا أحدا منذ ما يقرب من مائة سنة، عما إذا كان (مغربيا) فقد كان مثل هذا السؤال سيثير دهشته وسيجيبكم (أنا مسلم أنا يهودي) أو أي شيء آخر. ولم تجد هذه القومية عندنا تربة تستقبلها، أو اتجاهات على استعداد لتقبلها. ولكن القومية اشتد عودها بعد الاستعمار وأفرزت جميع آثارها السلبية. والآن لكي نعيد فتح الحدود فلن نستطيع أن نقوم بذلك بعد عشرين أو خمسين عاما أو في المستقبل القريب. ولكن هذا لا يمنع أن يكون ذلك أمرا مرغوبا فيه محبذا ويأمرنا به الله. كيف نفعل ذلك؟ تدريجيا. بم نفعله؟ بالتربية. متى نفعله؟ عندما يسمح الله بذلك.

السؤال: ولكن حاليا، أليست مسألة القومية لها أولوية؟

الجواب: لا لا، من الممكن أن نعيش قرنا آخر داخل الحدود. أقول قرنا وذلك على أكثر تقدير. إنني لا أرى كيف يمكننا تجاوز الحدود بإملاء قانون ينص على عدم وجودها. لأن الحدود ستكون دائما موجودة في الأذهان وفي الأرواح وفي الممارسات وفي العادات، ... الخ. لا أتفق إطلاقا مع تلك البدع القذافية التي تؤدي إلى الرغبة في تحقيق الوحدة يمينا ويسارا. فهذه فعلا تذبذبات مضحكة.

تسألونني عن الطلب الذي عبر عنه ملكنا (ملك المغرب) للانضمام إلى الجماعة الأوروبية؟ (...) يحاول الملك أن يعيد إلى الأذهان الدور الذي كان المغرب دائما يلعبه. إن السوق الأوروبية هي المنفذ الرئيسي للمغرب وكأنه سيتحتم علينا أن نلقي بصادراتنا في البحر لو لم يكن لدينا هذا المنفذ على السوق المشتركة. ويفعل الملك -بصفته رب الأسرة- ما يستطيع (...) وهي مسألة لا تستدعي أن ننظر إليها من وجهة النظر الدينية. هذا شيء تفرضه علينا (الظروف المحيطة بنا) كما يقال بالفرنسية «**Conjoncture**»، إنها صفقة تجارية لها بكل تأكيد انعكاسات سياسية ولكن ذلك لن يكون فوق طاقاتنا فقد سبق أن تشبعنا حتى الأعماق بالثقافة الأوروبية والقومية الأوروبية. فالاتصال التجاري بالجماعة الأوروبية لن يزيدنا فوق مصائبنا مصيبة جديدة».

فرنسوا بورغا: ... من الممكن التمييز بين الإسلام السياسي والدين. وسيترتب على ذلك أن نرى في استخدام مفردات الدين للتعبير عن مشروع سياسي بديل، مجرد الوقود

الإيديولوجي لحركات الاستقلال السياسي، وامتدادا ثقافيا لسلسلة محاولات الابتعاد عن «الشمال» التي نشأت في مرحلة ما بعد القضاء على الاستعمار.

وهذا الرأي لا يوافق عليه بالطبع عبد السلام ياسين الذي يعتبر أكثر مناضلي الإسلام السياسي في شمال أفريقيا «تدينا».

الإمام: ماذا عن الله؟

عندما تقرؤون إنتاج الإسلام السياسي... عندما تحللون خطابهم... فأنتم، الدارسون لهذه الظاهرة من الخارج، لا ترون إلا هذا الجزء من الجبل الجليدي الذي يطفو على السطح، هذا الشيء المشترك الذي يمكننا رؤيته مباشرة... أي إدانة السيطرة الثقافية الغربية... إدانة الإدارة السيئة للأمور، وجود هذا الظلم الاجتماعي... هذه الأمور ترونها... أما الباقي، هذه الأمور التي لا يتم الإفصاح عنها أو بالأحرى هذه الأمور التي لا تدركونها، أي الروحانيات، هذه العودة إلى الله، لها وجود بالنسبة لنا، حيث إن «جهازنا» الروحي لم يستأصل تماما... وهذا ما يجمع بيننا...

إنني ألاحظ أنك تُصر وتُلح... بعناد على الجانب المادي (...) إنني أرى أنك متشبع بهذه الجدلية المادية التي استوعبها الغرب سواء اعترف بذلك أم لا. إنك لا تقول إنك ماركسي ومع ذلك فإنك تصر على إعطاء كل شيء الطابع النسبي بالنسبة لهذه الأشياء المطلقة: الجدلية الاجتماعية والجدلية بين الغرب والشرق... والإسلام. إن الإسلام بوصفه دينا يأتي عنصرا تكميليا... فهو بذلك لا يكون أساس المسألة... أساس المشكلة... بينما يمكنني أن أقول لكم أن ما يربطني بأولئك الأشخاص الموجودين أمامكم هنا ليس الحشد الأيديولوجي باسم الإسلام من أجل مكافحة من يلغون شخصيتنا وأصالتنا، من أجل مكافحة عدونا التاريخي... بقدر ما هو تمسكنا بالله.

وعندما أقرأ المقالات التي تكتبها، أجد تحليل شخص غربي صرف يتعاطف مع الإسلام السياسي، أي... نعم... الإسلام شيء جذاب بالنسبة لك. ولكن بالنسبة لك، تظل هذه المنطقة الروحية منطقة معتمة بمحض إرادتك. إنك لا تريد النظر إليها، لا تريد رؤية شيء فيها. إنني أجد في ذلك نفس الخطأ الذي يقع فيه المثقفون الذين يتحمسون لوجهة

نظرهم دون مراعاة لوجهة نظر الآخرين. وهذا ما يجعلهم يتبنون هذا التفسير -وهو في رأيي تفسير سطحي وبه شيء من الاستسهال- الذي يفسر الظاهرة الإسلامية بالحتميات الاقتصادية والسياسية. أتذكر هذه الجملة التي قالها جان فرانسوا كليمون والتي تستشهد بها:

فهو يرى لكي يصبح الشخص مناضلا في التيار الإسلامي «يجب أن يكون قد يئس من الوضع الاقتصادي، وألا يكون لديه إمكانيات، وألا يكون أمامه فرص عمل»، أي أن يكون بشكل ما شخصا يائسا. إنني أرى أن هذا التفسير فيه شيء من الاستسهال وأنه لا يأخذ في الاعتبار العامل الداخلي، العامل الذاتي، لا يأتي الناس في الإسلام بوصفه حلا بديلا لمصائبهم الاجتماعية، إنهم يأتون إليه استجابة لنداء، نداء ينبع من أعماق الروح الإنسانية، لست أعلم ما هي تلك (الحادثة التاريخية) أو ما هي تلك المأساة التي جعلت هذا الإنسان الغربي كما تقولون، **Homo Occidentalis** يفقد هذه الحاسة التي تسمح له بإدراك الأشياء الروحية، فلا يبقى لديه سوى عناصر التحليل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، أي ما يتعلق بالشؤون الدنيوية (...).

بالنسبة لكم ينحصر كل شيء في الفعل الغربي ورد فعل الدول المتخلفة التي تبحث عن أسلوب كفاح، عن أيديولوجية، ويجد هؤلاء الأشخاص -في رأيكم- هذه الأيديولوجية جاهزة في الدين الإسلامي، فهو بناء قوي -أليس كذلك؟- له جذوره بين أفراد الشعب. وجد أنصار الإسلام السياسي هذا الشيء فامتلكوه لكي يحاربوا به الغرب من أجل تجاوزه أو إلغائه، وذلك من أجل استعادة المنجزات المادية التي نقلها عنا الغرب، وتستخدمون عبارة جميلة في هذا الصدد تقولون «الغنيمة» (**Le butin**) التكنولوجية.

فرنسوا بورغا: لا، «الوليمة» (**Le festin**) ولكني استخدمتها في إطار مختلف، لكن من المفروض أن يكون أقرب إلى وجهة نظركم مما تقولون، وعلى أية حال، ستوسع تعليقاتكم -التي سيتضمنها كتابي- من أبعاده المحدودة: لأنني سأقدم أقوالكم بدون تنقيح.

الإمام: حسنا... سيكون كتابكم أفضل بهذه الطريقة إذا استطعتم أن تضعوا الإسلام والغرب وجها لوجه على المستوى الكوني وليس «في مرحلة تاريخية معينة ولكن في إطار مسيرة طويلة للإنسانية، الغرب فقد دينه وأنكر دينه فأصبح الدين بالنسبة له من قبيل الذكريات، ما زال لديكم الفاتيكان، وما زالت البروتيستانتية تتمتع بالحيوية، لكن تلك

الثقافة العلمانية والمادية هي التي تسيطر عندكم بينما أساس كل شيء بالنسبة لنا هو هذا السؤال الجوهري... هل الله موجود أم لا؟

فرنسوا بورغا: ولكنكم تعيشون مع ذلك مسلمين منذ أربعة عشر قرنا فلماذا اختلفت إلى هذا الحد في الزمان والمكان شروط استيعاب نفس الرسالة؟ عليكم أن تعترفوا أننا رأينا تحت راية الإسلام نشأة ونهاية مجموعة كبيرة من الأنظمة السياسية والاقتصادية...إلخ

الإمام: إنك تضع حدودا لنفسك، هذا من حقك بوصفك دارسا من الخارج ولكن الأمر لا يتعلق بالمعرفة... الأمر يتعلق أيضا بالإحساس، ثم على المستوى الذي تنظر منه إلى الأشياء... فإنك لا تخترع أي شيء... إن ما تقوله ليس إلا تكرارا -بطريقة أوسع وأكثر حداثة- لما حاول آخرون قوله بخصوص ظهور الإسلام، لقد أنتج الماركسيون كتبا عديدة ليعبروا عن رأيهم في الإسلام، فقد ظهر في القرن السابع في شبه الجزيرة العربية حيث توفرت جميع الظروف لكي تأتي أيديولوجية جديدة لإنقاذ الموقف، هذا هو الإنسان عندما يريد أن يتعامى عن الواقع، عندما يريد أن يميز نفسه بصفة المطلق فهو بالتالي يفسر كل شيء بالنسبة لنفسه، فهو أناني... فردي... يرجع كل شيء إلى نفسه. وإذا كانت ثقافة أو حضارة فهي تحاول أن ترجع كل شيء إلى نفسها وإلى وجودها في العالم، وهذا هو ما يجعلك تقول الآن: إذا كان الإسلام ظهر في القرون الماضية لماذا لم يبدأ في 1969م في ليبيا... لماذا أصبح من أمور الساعة في تونس في عام 1989م؟ وفي الواقع فإنني أرى أننا... إذا نظرنا للأمور... إذا ارتدينا نظارة الإيمان فإن الله هو الذي يسير الأمور.

فرنسوا بورغا: ولكن هناك مع ذلك مراحل، فمثلا هذا المد الإسلامي يتوافق مع مرحلة معينة من العلاقة بين الشرق والغرب؟

الإمام: نعم، طبعا، لأن تحدي الغرب أصبح غير محتمل. نحن لا نرفض الإطار التاريخي. وإذا رفضناه فقد يكون ذلك من قبيل التعامي. وإذا كنتم في تكوينكم وفي ثقافتكم بوصفكم غربيين، قد استبعدتم الألوهية لصالح الجدلية الإنسانية وحدها، فإنكم تنسون بهذه الطريقة أن هذه الجدلية هي جزء من المشروع الإلهي. فقد عبر الله تعالى عن ذلك صراحة في القرآن ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (البقرة:251).

وإذا لم يكن هذا التعارض المتبادل موجودا لفسدت الأرض والإنسانية، إذن ذلك جزء من المشروع الإلهي. لقد تحدثنا عن ماركس؟ ماذا قال ماركس؟ ما الذي يصنع قوة مذهبه؟ قال: «كان يوجد دائما في العالم طبقات تظلم لمدة طويلة طبقات أخرى...»، لا يستطيع أحد أن ينفي ذلك. أما تحليله التاريخي، والاشتراكية، فهذا أمر آخر. ولكن المهم هو أنه قال هذه الحقيقة الأساسية، التي تعطي للماركسية كل قوتها، كل دفعتها، كل هذه الطاقة العاطفية، هذه الحقيقة الأساسية هي: النداء الموجه إلى المظلومين في العالم...

(...) وفي المقابل إذا قلنا إن الإسلام السياسي هو تقريبا حركة علمانية، فهذا شيء لا أوافق عليه. وأفضل أن أذكركم في هذه الحالة بهذه المسيرة الطويلة التي بدأها المسلمون بعد وفاة النبي بثلاثين عاما (...) لقد جعلتهم ينسون أن الإسلام رسالة كفاح، رسالة جهاد. فهو نداء الله قبل كل شيء. ولكن الله يطلب منا التصدي لكل ما يمنع وصول رسالته إلى من يرسلها إليهم... وفي مرحلة ما، منذ ما يقرب من مائة سنة، أي ابتداء من الأفغاني، ومحمد عبده بعد ذلك، ورشيد رضا ثم حركة الإخوان المسلمين. بدأت تظهر عند الناس الرغبة في مواجهة الغرب. لأن الغرب كان أكبر تحد يهددهم. كان شيئا يهدد جوهر الإسلام. فبدأوا عندئذ يتحدثون بلغة السياسة. ثم حدث، رويدا رويدا، انحراف... أو بالأحرى حدثت عملية «صَقل» للغة، للخطاب الإسلامي. ولكن إذا أخذنا على سبيل المثال حسن البنا سنجد أن خطابه لا يمكن أن يقارن إطلاقا بخطاب علماني. فهو رجل من رجال الله كان يتحدث من أجل الله وكان منشغلا في جميع خطواته كما في تربية جنوده بالحياة الروحية. أما خلفاؤه فمن الممكن -إذا أردتم- أن نجد عندهم المزيد من ذلك الطابع «العلماني» وهنا أضع علماني بين قوسين، إننا حقا نجد عند المودودي مثلا قدرا أقل من الحياة الروحية (...). ولكنهم ليسوا جميعا ساسة تبنوا الدين والعقيدة الإسلامية من أجل استخدامها كأيديولوجية (سياسية)، إطلاقا (...)[1].

(1) من حوار فرنسوا بورغا مع الأستاذ عبد السلام ياسين بالرباط أكتوبر 1987م. انظر: فرنسوا بورغا، الإسلام الساسي صوت الجنوب، ص 94.

ثانيا: حوار مع جريدة دي فرانكفورتر: آراء ومواقف[1]

استجواب باللغة الإنجليزية، أجراه الصحفي الألماني بول فابر مع الإمام عبد السلام ياسين لحساب جريدة فرانكفورتر الجرمانية (Frankfurter Allgemeine)، ترجمه عن اللغة الإنجليزية الدكتور عبد الواحد متوكل.

تقديم:[2]

بعد أن قضى الإمام عبد السلام ياسين في السّجن المدة التي قضى بها عليه الحق سبحانه وتعالى، خرج ليواصل طريقه في الدعوة إلى الله بأسلوبه المتميز، النابذ للعنف، الداعي إلى الحكمة والتبصر، المشجع لكل حوار رزين متعقل ...

ولقد زارته في بيته المطوَّق المحروس شخصيات وطنية وأجنبية، وكان ممن التقى بهم، الصحفي الألماني بول فابر الذي أجرى معه حوارا لحساب الجريدة الألمانية «فرانكفورتر الجرمانية».

وسيلاحظ القارئ الكريم أن أسلوب الأستاذ في المناقشة والإفصاح والتحليل أثناء الحوار قد قويَّ واشتد، ولم تزده المعاناة والمكابدة إلا وضوحا وبيانا.

ومن المؤكد أن ثقته بالله أولا، ثم يقينه بنجاح مسعاه معتمدا على الله ثانيا، واعتماده الوسائل والأسباب المشروعة ثالثا قد رسخت قدمه في حقل الدعوة المبارك، فمضى على هدى من الله يزرع الخير كما يتصوره، ويتصوره معه إخوة له مؤمنون عاهدوا الله على الإخلاص وسلامة النية وسمو الهدف.

(1) ياسين، عبد السلام. آراء ومواقف، حوار مع الصحفي الألماني بول فابر (باللغة الإنجليزية)، عن جريدة فرانكفورتر، ترجمة عبد الواحد متوكل، د. مطبعة، المغرب، ط 1، 1988م. (الإيداع القانوني: D/ 1988/ 168/ 1).

(2) كُتب هذا التقديم سنة 1988م.

وسيلاحظ القارئ الكريم أن أجوبة الأستاذ المرشد لا تتقيد بحرفية الأسئلة، لأنه يرى تشابك القضايا المطروحة وتداخلها وتعقدها لا يفكه جواب مبهم أو موجز أو إشارة عابرة وقد يصادف تحليقا عاليا فوق بعض القضايا الصغيرة، لأن حلّها يتم بالتبعية...

وتنوع الأسئلة وذكاؤها لا يغيبان عن فطنة الأستاذ، ولذلك حرص على توضيح الصلات الحقيقية الفعلية بينها تجنبا للتناقض وتحقيقا للوحدة في التفكير والقول والعمل.

بول فابر: لقد تحدث الرئيس الأمريكي ريغان منذ بعض الوقت عن خطر إسلامي، فأي معلومات يمكن أن تكون قد توفرت لديه من شأنها أن تجعله يتحدث عن هذا الخطر؟

الإمام: إن أناسا كرئيس الولايات المتحدة الأمريكية يكونون عادة أقل اطلاعا على التاريخ من اطلاعهم على المشاكل السياسية الحالية، ومن ثمة لا يستطيعون ربط الأسباب الحقيقية التاريخية بنتائجها في الوقت الراهن.

إنهم يرون الإسلام يصحو الآن، ويرون عرامة هذه الصحوة المباركة، خذ كمثال على ذلك الثورة في إيران وعنفها الذي ليس إلا رد فعل ضد الاستعمار الجديد، الذي فرضه الشاه الأخير الذاهب حارسا له على الشعب. وكانت الصدمة قاسية على أمريكا ولا شك، أنها أحاطت الشاه ونظامه بكل الضمانات اللازمة لاستمراره، وأمدته بآخر مبتكراتها في أساليب القمع إلى جانب ترسانة هائلة جدا من الأسلحة... ثم مُنيت بفشل ذريع أربك حساباتها وقلب مفاهيمها، لأنه مقدمة فشل حضاري عام.

تحامل أعمى مقصود:

إن زعماء السياسة الغربية ينظرون إلينا باعتبارنا معارضة ضد الغرب، بل أعداء العالم الغربي. لقد أعماهم تحاملهم على الإسلام، لذا فإنهم لا يستطيعون أن يروا اقتراحنا الإيجابي لحل مشاكل العالم، ولبناء مستقبل للإنسانية أفضل.

إن الساسة الغربيين يكونون في عجلة من أمرهم عادة بسبب الضغوط اليومية عليهم وليس لديهم الوقت لإنضاج قراراتهم، مما يجعل «السياسة الواقعية» هي التي تتحكم في تصرفاتهم، ليس مصالح كل من الإسلام والعالم الطويلة الأمد.

وفي هذه الحالة يتبدى الإسلام للساسة الغربيين باعتباره عائقا، باعتباره ظاهرة يتعذر ضبطها وتشكل خطرا على السلام في العالم.

إن عدد المسلمين الهائل في العالم أجمع (مليار نسمة تقريبا) ووجودهم في كل مكان من العالم تقريبا، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد حوالي ثلاثين مليونا من السُّود كلهم اعتنق الإسلام عمليا، وإن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ومناطق أخرى من العالم، وما يعرف من هشاشة الأنظمة الإسلامية القائمة وضرورة وجود الزملاء الأقوياء الذين يستطيعون تأمين المصالح الغربية، وانعدام المسؤولية لدى بعض القادة المسلمين... هذه كلها وقائع لا يستطيع الساسة الغربيون صياغتها في معادلة معقولة.

إذا أضفت إلى هذه الاعتبارات الانفجار الدفاعي الصارم ضد الجنود الأمريكيين والفرنسيين في بيروت إذ ذاك تدرك لِمَ يتخوف الغربيون من أن تتفاعل هذه العناصر فتُهدد بالتالي مقدرتهم على ضبط مقاسمة العالم بين الشرق والغرب.

موقف الروس أفظع:

إن الخطر المحس بصورة أوضح من طرف الروس يعالج بهجوم وحشي، فالغارة الحمراء على أفغانستان عام 1979م، توضح هذا الأسلوب وهم إنما يفعلون ذلك آملين أن يضعوا حاجزا في وجه الرياح الثورية القادمة من إيران.

فبعد ثورة أكتوبر، أخضع الحُمر الشعوب المسلمة لآسيا الوسطى (ما وراء القوقاز: تركستان أوزبكستان...) وفصلوها عن بقية البلاد الإسلامية.

والآن وبعد حوالي سبعين سنة فالشعوب الإسلامية التي ضلَّ شعورها الإسلامي طيلة هذه المدة مكبوتا وشيك الظهور. وإن الميزان الديموغرافي في داخل الاتحاد السوفياتي في الطريق لأن يكون لصالح المواطنين ذوي الجذور الإسلامية. فالأمهات المسلمات ينجبن ثلاثة أضعاف ما تنجبه النساء اللاتي ينتمين إلى جنسيات أخرى.

لذا فسيكون في سنة ألفين أكثر من أربعين مليون مواطن سوفياتي من أصل مسلم.

تصور كيف ستكون وضعية الحكومة الحمراء أمام هذه الحقيقة المهددة؟

فالجيوش التي بسببها يعتبر الاتحاد السوفياتي قوة عالمية والتي تضمن استقرار النظام وسمعته سيختل توازنها. وإنه من المتعذر التنبؤ بنتيجة هذا الاختلال في التوازن في المجالات السياسية والاجتماعية والاستراتيجية والاقتصادية.

وكذلك سيكون منظور ثورة في الولايات المتحدة الأمريكية معلنة من طرف ثلاثين مليون من السود وقد أصبحوا جميعا «متطرفين مسلمين» و«إرهابيين».

إن تطور الأشياء والحالة هذه يجعل السلام العالمي ومستقبل الإسلام والأمل في تفاهم دولي أفضل رهنا بمدى إصغاء الشرق والغرب لاقتراحاتنا، ورهنا بما إذا كانت الصحوة الإسلامية الفتية ستمنح الوضعية الشرعية المحترمة أم لا؟

أوروبا ستصغي إلينا مكرهة والاتهامات الزائفة لا تجدي:

إن العالم لا يسمع الآن إلا صوت القذائف الصاروخية، وانفجار السيارات الانتحارية في بيروت وأماكن أخرى، وإن هذه الضجات اليومية ليست هي حجج الإسلام، إنما هي مجرد احتجاجات غاضبة وضعيفة لهذه القوة الفتية.

إن البديل الآخر للتعامل مع الإسلام هو دعم هذه الكتلة الثالثة الناهضة رغم اتسامها بشيء من الاضطراب في الوقت الحالي، هذه الكتلة التي يحتاجها العالم لتلعب دور الوسيط بين العملاقين.

إن أوروبا العجوز محتاجة أيضا في اقتصادها إلى مشاركتنا، وفي دعواها الحوار والتعاون المتكافئ وربما أكثر من ذلك كله في حفظ هويتها وسط صخب هذا العالم الحديث، تلك الهوية التي تشكلت طوال أربعة عشر قرنا من النقاش مع الإسلام، ودراسة علوم الإسلام والإتجار مع الإسلام، ودراسة علوم الإسلام وفنونه وثقافته، إن هذه الهوية مهددة الآن من قبل التطور المسعور للمجتمع، ومن قبل كل أنواع الأزمات الحضارية فضلا عن السباق الذري الجامح إلى الكشف الكوني.

فبخلاف الأمريكيين الذين -لقلة ما أوتوا من الحكمة التاريخية وربطوا أنفسهم وسياستهم في أطماع الصهاينة في الهيمنة- فإن على أوروبا أن تبحث عن الفهم السليم

لجعل السوفيات، رغم اهتمامهم أساسا وقيامهم وبعناية على خدمة دافع الهيمنة لديهم، أكثر حساسية ولباقة تجاه مشكل الشرق الأوسط.

أليس الأمريكيون هم الذين يزودون إسرائيل الباغية بأحدث الأسلحة التي تمكنها من تنفيذ المجازر الوحشية في بلد صغير مثل لبنان، وتدمير عاصمته، وذبح عشرات الألوف من المواطنين الأبرياء؟

إن صيحات الاحتجاج الصاخبة ضد ما أسموه بالإرهاب الإسلامي ما هي في الواقع إلا مهاجمة باطلة ومتحيزة يغطي ضجيجها المذابح الوحشية كتلك التي ارتكبت في صبرا وشاتيلا (فقد هوجم مئات من النساء والأطفال والشيوخ بهمجية نكراء وبأمر من حلفاء أمريكا «الصهاينة»).

بول فابر: ماذا يمكن أن يقال عن تفجير الإسرائيليين للمفاعل النووي العراقي بدون أن يدين أحد هذا العمل الغادر واللاقانوني؟

الإمام: قبل الإجابة عن سؤالك أحب أن أذكر لك صفحة من سجل التسامح الإسلامي تُقابل العدوانية الصهيونية.

إن الأمة الإسلامية معروفة بأنها أمة مجاهدة، ولكن لم يحدث ولو مرة واحدة أن أقدم المسلمون على ارتكاب الإبادة الجماعية وقتل الأبرياء.

فتسامح الحكام المسلمين يشهد به كل المؤرخين حتى أشد المنتقدين من المستشرقين. لقد عاش المسلمون في إسبانيا طوال ثمانية قرون في سلام مع اليهود والمسيحيين ووفروا لهم الحماية، وتركوهم يشاركون بكل حرية في سائر شؤون الجماعة الاقتصادية منها والثقافية والسياسية. ويمكنك أن تقرأ في كتب موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي الشهير الذي توفي عام 1204م والذي كتب كل مؤلفاته بالعربية. إن اليهود قد اعتبروا الحرية التي تمتعوا بها في إسبانيا المسلمة منحة نادرة واعتبروا ذلك العهد بمثابة العهد الذهبي في تاريخ اليهود. ولا يزال من بين اليهود المعاصرين غير الصهاينة من يقدر هذه الشهادة التاريخية، ويرفض ويقاوم الصهيونية معتبرا هذه الإيديولوجية المتطرفة الباب المفتوح «للكارثة».

قارن ازدهار الثقافة اليهودية في تعايشها مع الحضارة العربية، ذلك التعايش الذي أعطانا علماء بارزين أمثال ميمون الشهير، مع حملات التفتيش الكاثوليكية التي حلت محل حكمنا الإنساني الرحيم بإسبانيا. فقد نصبت الخازوقات لحرق المسلمين واليهود سواء بسواء إلا إذا أعلنوا ارتدادهم عن عقائدهم الدينية، واعتنقوا العقيدة الرسمية الإلزامية.

إننا لم نفرض ديننا في الماضي على الآخرين ولن نفعل ذلك أبدا. تذكر فقط وثائقنا التاريخية في هذا المجال أنت الذي تتهم الإسلام بالنوايا القاتمة وظلامية القرون الوسطى.

إن مقيمي الخازوقات القدامى هم الظلاميون، إذ أنهم تجاهلوا قيم الإسلام ورفضوها. وإن القتلة الذين يذبحون الأطفال والنساء العزل، كما حدث في صبرا وشاتيلا، هم الظلاميون العصريون الذين يخاطرون برمي مجتمعنا الإنساني المسكين في الظلام. إن شرعنا واضح، الحفاظ على الكرامة والحياة الإنسانية، والعمل من أجل السلام في العالم.

وتبقى الإجابة عن سؤالك ضمن الإطار العام الذي طرحته.

فإسرائيل العاجزة عن إثبات هويتها ووجودها بغير العنف والتخريب ترى أن تقليم أظافر العرب وكسر شوكتهم لازمان لاستمرارها في البقاء. وللغارة كما تعلم تأثير نفسي سلبي خطر على العرب الميالين إلى التسليم بعجزهم قبل وضع إمكاناتهم وطاقاتهم على محك التجربة، وقد يجد بعض رؤساء العرب راحة فيما حل بالعراق من قصف وتنكيل نظرا لاختلاف النهج السياسي، ودوران هذا النظام أو ذاك في فلك هذا المعسكر أو ذاك.

ولا يخفى أن الصهيونية التي تعيش عمرها الذهبي بسيطرتها المطلقة على توجيه سياسة العالم عامة وعلى توجيه سياسة أمريكا خاصة، لا تعير الاحتجاجات اللفظية الصادرة عن المجتمع الدولي أهمية. وميزان القوى يعمل لصالح الصهاينة تماما حين يقابل القصف والتدمير بالتهديد والوعيد. ولا يتصور أن الروس والأمريكان يختلفان حول ما يحدث في العالم من حروب وضروب الصراع خارج حدودهم الترابية فالعملاقان متفقان تماما على منع أي طرف ثالث ولو على المدى البعيد من اقتسام أريكة الزعامة العالمية معهم. وصورة الإسلام المشوهة والباهتة في النظام العراقي المهزوز لا تنسيهم إمكانية بروز قوة إسلامية

ضاربة تجد سندا من المسلمين المستيقظين غدا لا محالة. وسيكون للتكنولوجيا المتطورة دورها في إعادة الحق إلى أصحابه، وحسابات أمريكا وإسرائيل وتوقعاتهما بعيدة المدى.

بول فابر: كيف ترى مستقبل الشرق الأوسط؟

الإمام: إن إسرائيل في الطريق إلى الاندماج في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الولاية أو الدولة الحادية والخمسين: فهي من الناحية الاستراتيجية محمية بسلاح أمريكا الأم، فضلا عن القنابل الذرية التي أصبحت تنتجها هي نفسها.

إن اتفاقيات إسرائيل الأخيرة مع أمريكا في الميدان الاقتصادي توفر لها سيولة النقد الدولي الضرورية التي تمكنها من إنقاذ اقتصادها الخرب.

ويوم يجلس العرب على مائدة المفاوضات فإن البحث عن حل وسط قابل للتطبيق لن يكون مع إسرائيل المزعومة، وإنما مع أول قوة في العالم، رغم أن السياسات الخارجية المتعلقة بالشرق الأوسط تقرَّر في إسرائيل. فحذار يا أمَّ هذا الطفل المدلل الذي تؤيدينه أيما تأييد أن تخدعي أو تضللي من طرف ابنك المخنث!

لقد كان هجوم الجيوش الإسرائيلية الوحشي والجامح على لبنان، آخر الضغوط التي قادت الحروب الأهلية اللبنانية بكاملها إلى مرحلتها الجنونية الحالية دون أن يتم القضاء على القوة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي كان هو هدف الحملة الخبيثة المنشود.

فلأول مرة نرى الجيوش اليهودية، المتغطرسة والمغرورة، والتي تزعم أنها لا تقهر، توقع نفسها في الوحل العسكري لجنوب لبنان. ولأول مرة تجابَه القوة الإسرائيلية بالمقاومة الشعبية (وهي إسلامية بالدرجة الأولى)، وتجد نفسها سعيدة جدا بدون أن تفقد اعتبارها تماما.

القومية العربية تنهزم، والصحوة الإسلامية هي البديل:

لقد استيقظت روح جديدة عند الشيعة الشباب، فألهبت كل الشباب الإسلامي اللبناني (رغم الفوارق العقدية التي لابد أن تمحى يوما ما)، فلقن الإسرائيليين درسا قاسيا، وقد انهزمت القومية العربية في هذه الغارة الدموية انهزاما سحيقا، ومن بين رفاتها برزت القومة الإسلامية الواعدة.

إن الأحزاب الطائفية المتحاربة في لبنان تتم الآن عملية تمزيق ذلك اليتيم المسكين، وقد عاد القواد العسكريون بلبنان إلى عهد الإقطاعية الوسيط، ويهددون كل دول المنطقة بالانهيار.

بيد أن الصحوة الإسلامية التي يعتبرها الشرق والغرب في الوقت الراهن خطرا داهما، قد أخذت المبادرة وبلورت أمل الوحدة والكرامة بين مليار مسلم في العالم.

لقد طردت الثورة الإسلامية في إيران عهد الإمبريالية الأمريكية الطويلة، ويتلقى الغرور الإسرائيلي ضربة موجعة في لبنان. وإننا لنشعر مع المسلمين بالزيادة السريعة للصحوة الإسلامية باعتبارها البديل لعبء التبعية والإهانة المفروض علينا من طرف الإمبريالية الغربية والذي طالما تحملناه. إن وحدتنا باعتبارنا أمة عظيمة، والتي حتى حدود الساعة ليست إلا حُلما، مازالت تقاوم في ضمائرنا المحتلة ثقافيا من قبل الإديولوجية القومية التي كرست وعززت تجزئة العالم الإسلامي. وإننا لنرى اليوم بزوغ القوة الإسلامية باعتبارها فجر يوم جديد. إنه ليس يوم ظهور «مذهب الفعالية الإسلامية» كما يعتقد، بل إنه يوم وحدتنا الضائعة ومجدنا التاريخي المنسي، يوم السلام العالمي كذلك، ويوم الجماعة الأخوية العالمية التي تنادي بها كل قلوب الشعوب الكئيبة، غنيها وفقيرها، شماليها وجنوبيها، من العالم الأول أو من العالم الثاني أو الثالث.

نتمنى أن يدرك الشرق والغرب الحقيقة الإسلامية حتى لا تتكرر الصدمة التي أفضت إلى حجز الرهائن واحتلال السفارة الأمريكية في طهران.

كان الخميني منذ مدة طويلة، بل منذ عقود في الواقع، ينتقد نظام الشاه مبينا فساده وتعفنه، محذرا الجميع من طبيعة الحكم الظالم البغيض، وكان الشاه نفسه أولى من غيره بسماع هذا التحذير، ولكن أخذته العزة بالإثم فأبى.

أما وإن البركان الشعبي قد انفجر فإن البعض لم يعجبه أن تصاب بعض الوجوه برشاشه المحرق!

وإنه لا ينبغي أن يكون لدى الولايات المتحدة الأمريكية، نظرا لاستخباراتها المتطورة الواسعة الانتشار، من التقدير السليم مما يجعلها تطرح حملا ساكنا بدلا من مساندته

والمصادقة عليه، مما يثير دهشة العالم تجاه السياسة البليدة وغير الفعالة لدولة عظمى كالولايات المتحدة. لقد انطلق الشاه -تحت مرأى ومسمع حليفه القوي أمريكا- يجر جرا وراءه في العالم سوء حظه بعد أن طرد من فوق عرشه شر طردة، وينوء بحصيلة سياسية ثقيلة من الغباوة وسوء التقدير تسبب فيها حليفه الأكبر. وقد كتب الشاه فيما بعد والمرارة تعتصر قلبه أن أمريكا قد طرحته كما يُطرح الفأر الميت، وصار عبرة لمن يعتبر...

إن سياسة واشنطن الجاسوسية يعنى بها ويستعملها ساسة قليلو الاطلاع برغم الإمكانيات التكنولوجية الهائلة التي يتحكمون فيها. وإنه لا يمكن أن يفوت العقل الثاقب إدراك الدراسات العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والشعبية التي كشفت عن تغير الرياح وصعود قيادة جديدة تحمل وتمثل مشروعا جديدا بالنسبة للشعب الإيراني والعالم الإسلامي بوجه عام.

إننا نود أن نُذكر «أبطال الموضوعية» الذين لسنا ندري لمَ يفقدون رزانتهم بمجرد ما يُتلفظ بكلمة «إسلام»، وتطبيق خصوصياته القانونية.

إننا نود أن نذكر منتقدي الإسلام الحنيقين بأن الثورة ثورة سواء كانت برجوازية، أو شيوعية أو منسوبة إلى الإسلام. ولن تجد في التاريخ الإنساني مثالا لثورة دون خسارة في الأرواح. إن دعوة نبينا الكريم ﷺ ستظل بدون شك أكثر الحركات رفقا في التاريخ. فهناك سبعمائة قتيل خلال تسعة أعوام من الحرب المستمرة. تذكر هنا المثل الفرنسي الذي يقول:

«إنك لن تستطيع طبخ الأومليت (البيض المخفوق) دون كسر قشر البيض».

<u>بول فابر</u>: إنك إذا نظرت إلى خريطة العالم، وقرأت وسمعت ورأيت وسائل الإعلام المختلفة لن تجد هناك ما يقرأ أو يسمع عن وحدة إسلامية. فماذا يمكنك أن تقول لي عن الوحدة الاسلامية ومن سيتزعمها؟

<u>الإمام</u>: إن وحدتنا الأولية قد كسرت، فبعد أربعين سنة من تأسيس الجماعة الإسلامية الأولى والدولة من قبل رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، بدأت الأخوة الإسلامية تضعف. وقد عكرت الحروب الأهلية شفافية هذه الجماعة الأولى الرائعة.

وفي وقت مبكر تولت الإمبراطورية الإسلامية الأمر: ورغم أن الديموقراطية الأولية قد اختفت وحل محلها الحكم الوراثي الفردي، فإن الدولة بقوتها العسكرية أصبحت هي الواقع الذي من ورائه قادت القيم الإسلامية الخطوات الأولى، وأنارت الطريق لازدهار ثقافة إسلامية عظيمة وحضارة متألقة.

ومنذ ذلك الحين ضمت الإمبراطورية الإسلامية مجموعة كبرى من الأجناس والأمم التي تقبلت كلها وبالتدريج الديانة الإسلامية وأسلوب العيش الإسلامي، ولكن استيعابها الثقافي كان بنسب متفاوتة.

واحدة من أنصع مجوهرات هذه الإمبراطورية هي الخلافة الإسلامية بإسبانيا. فعلى مقربة من أوروبا الإقطاعية، ازدهر مجتمع رائع جدا، مجتمع وهب فضائل شتى، ليس التسامح أقلها.

إن أوربا مدينة بكثير من نهضتها ومكتسباتها الثقافية للمسلمين المجاورين. إن علوم قرطبة المسلمة، وفنون غرناطة واشبيلية، روافد مباشرة لثقافتكم المتكبرة والمسيطرة الآن.

لقد كانت الإمبراطورية العثمانية هي آخر المظلات التي جمعت المسلمين المشتتين جغرافيا، غير المتماسكين ثقافيا وسياسيا في العالم الإسلامي.

ثم جاء الاستعمار وحمى القومية التي صدرتموها إلينا، فتشكلت انقساماتنا المتخفية منذ وقت طويل في هذه الأجزاء الحالية التي تسمى «أفغانستان» أو «المغرب» أو «العراق» مثلا ... إن القوة العثمانية ظلت طوال أربعمائة سنة أخطر خصم للدول الأوربية التي كانت قيد التشكل، وقد حاصر الجنود الأتراك ڤيينا يوما ما، وفي أواخر القرن الثامن عشر خطت الدول الأوربية خطوات كبيرة قدما في ميادين العلم والتكنلوجيا والإدارة، وأقصيت منذ ذلك الحين القوة التركية شيئا فشيئا.

كانت واحدة من أسبقيات الدول الأوربية الفتية الصاعدة القضاء على العدو المسلم العجوز، الدولة العثمانية التي دعوها عندئذ «الرجل المريض». وإن إسلاب عجوز مهيبة وثرية لجذابة جدا!

وبعد مناوشات دبلوماسية وعسكرية كثيرة، جاءت المناسبة لإنهاء المهمة وتمزيق الامبراطورية المسلمة أثناء الحرب العالمية الأولى.

لقد اختار الأتراك الانحياز إلى ألمانيا، بينما تمكن الحلفاء الآخرون بزعامة فرنسا وبريطانيا من إقناع العرب بأن يخونوا إخوانهم المسلمين، ووعدوهم بانتزاع زعامتهم مرة ثانية للعالم الإسلامي بمجرد ما تعود الإمبراطورية العربية، وفي النهاية آل الأمر إلى تجزئة استعمارية للمنطقة العربية بعد أن انهزمت القوة العثمانية، وهكذا ولدت الكيانات السياسية الصغيرة كسوريا ولبنان وفلسطين والعربية السعودية ... إلى آخره. وذبلت تركيا بعد مقاومة بطولية داخل حدودها في إطار القومية، والعلمانية، والحداثة.

أتاتورك وهو جندي ملحد تماما، ومعجب كثيرا بالغرب، حارب الإسلام بكل صرامة.

أوروبا مسؤولة عن وضعية العالم الإسلامي المتردية الحالية:

إن وضعية العالم الإسلامي الحالية يمكن أن يرمز إليها بمأساة لبنان التي تكشف بكل وضوح الفصام الطائفي والقومي المجنون الذي يهدد بتحجيمنا جميعا، فإذا كانت الدولة الأوربية بعد أن توفر لها الاستقرار السياسي، والاغتناء الاقتصادي تستطيع أن تتحمل بعض النزوات الثقافية كالإقليمية والاختلافات الفردية، دون أن تتجاوز أبدا الحدود المعقولة، فإن الاختلافات الثقافية بالنسبة لنا نحن تكون مشاعر ضعيفة في البداية، ثم لا تلبث أن تتطور فتصبح ضارية وعدوانية، خصوصا القومية المنقولة عنكم. لقد قامت دعاوى صاخبة باسم العروبة والطورانية الخ ...

خذ باكستان بوصفها حالة نموذجية، بعد الانفصال الذي تم بين الآريين البيض آكلي القمح بالشمال وشعب ما يسمى الآن ببنغلاديش آكلي الأرز الأسيويين، إن البنجاب هناك، والسنديين والبلوش، من بين أسر قبلية أخرى يعتبرون قوات «نابذه» باحثة عن الاستقلال ومعطية في نفس الوقت القوى العظمى الأجنبية مجالا واسعا ليناوروا ويزعزعوا أي نظام عنيد لا يخضع لأوامرها.

القومية هي أقوى حاجز مصطنع يمنعنا من تحقيق وحدتنا:

هل القومية هي الحاجز الوحيد الذي يمنعنا من تحقيق وحدتنا؟ إنني على يقين بأننا عندما ننجح في استبدال المواقف السطحية، النفسية والعاطفية، كالقومية، والإقليمية، والطائفية وكل الإيديولوجيات المستوردة المنفتحة على الشرق والغرب بالعقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي، فإن روابطنا العميقة أعني الأخوة الإسلامية، ستنتصر، وستخلصنا من قبضة مشاكل ثانوية أخرى اجتماعية وسياسية.

إن حالة التخلف الراهنة ليست ناتجة عن عجز عرقي، فيكون بالتالي نهائيا. وربما ستساعد حاجتنا الاقتصادية دولنا المشتتة على أن نقترب من بعضنا البعض. بيد أن شعورنا الروحي الإسلامي العميق، هي القوة التي تقوم تدريجيا بصياغة وحدتنا أمام أعينكم المرتابة، معشر الكافرين الماديين.

مختلف الضغوط المفضوحة على العرب والمسلمين:

إننا نشعر جيدا بالضغوط، ضغوط الظرف العالمي الثقيلة: فالإسلام ينتقد نقدا لاذعا، يساوي الإرهاب واللافاعلية، ويوصف بأنه يفتقر إلى الحكمة وملكة التمييز الجيدة.

لقد تسللت الرأسمالية الصهيونية بصورة عميقة إلى جهاز الدعاية الغربية النشيط وسيطرت عليه، إنها تعمل بفاعلية لتحطيم صورة الإسلام، وتضليل الرأي العام الغربي بالأفكار المغرضة، ومعبئة إياه للضغط على إرادة صانعي القرار.

إن المال العربي، ما لا يحصى من ملايين الدولارات، يصب في الأبناك اليهودية بالولايات المتحدة الأمريكية، وأماكن أخرى ليرتد في وجوهنا على شكل رأسمال استثماري يطعم مجهودات أعدائنا الحربية.

إن أموال البترول بدلا من أن تساعد الشعوب المسلمة على التخلص من مظاهر البؤس (كالمجاعة، وسوء التعليم، والمرض، وانعدام الصناعة، والظلم الاجتماعي وكل توابع التخلف)، يبذرها نهابون فسقة، وشيوخ عصاة، أو رجال أعمال عرب في كازينوهات «مارابلا» و«الساحل الأزرق» معززين بذلك الصورة السيئة التي ينحتها لنا أعداؤنا بهذه

القوة السحرية الحديثة المسماة «الإعلام». إنهم يزودون أعداءنا بأدلة حية توضح الاتهامات الإيديولوجية. إن القيادة الليبرالية التي سيطرت على البلاد الإسلامية في الثلاثينيات والأربعينيات فقدت مصداقيتها بعد انتصار الإرهاب الصهيوني المنظم في فلسطين سنة 1948م، ثم جاءت التجربة الاشتراكية أيام عبد الناصر تلك التجربة التي أخافت الغربيين جدا بمواقفها الاستقلالية، وألهبت العالم العربي بشعاراتها البراقة، غير أن هذه التجربة انهارت تماما بعد الانتصار الصهيوني السهل في حرب الأيام الستة عام 1967م.

والآن لم تعد النغمات اللبرالية تفتن، كما أن الدعاية الاشتراكية لم تعد تفتن كذلك، بعد فشل الناصرية المعادية للإسلام.

إن أمريكا وروسيا بإمكانهما أن تعزفا على كل نغمات أجهزتهما الإيديولوجية الخاصة، وأن تبسطا أسلحتهما الاقتصادية والعسكرية لحماية محمييهما، ولكن يبقى من المؤكد أن كل ما ليس إسلاميا لن يجد آذانا صاغية، وهذه الحقيقة قد أدركها جيدا الزعماء المدنيون والعسكريون الحاليون في العالم الإسلامي. لذا نراهم يبحثون عن وسائل التعايش مع الإسلام المنبعث لركوب موجة السلام. لكن لكونهم مخادعين غير بارعين فهم إنما يخدعون أنفسهم. إنهم يرتكبون أخطاء فادحة إذ يلعبون دورا غير متقن في مسرحية غير مهيئة.

إن ذينك الجنرالين، النميري المخلوع، والرئيس الباكستاني الحالي يغلب عليهما الارتجال، ويعوزهما التوفيق، إذ يتحدثان عن الشريعة التي طبقها بشكل صحيح أو خاطئ كل منهما بل بشكل خاطئ على الأرجح، فواحدة من بين أخطائهم الفاضحة المخزية هي أنهم بدأوا بقطع أيدي بعض المساكين مقيمين بذلك مشهدا «إسلاميا» ممسوخا لحماية عملية الرشوة، والنهب والمحسوبية، والسمسرة والفساد الإداري، وفوق ذلك كله الامتثال الحقير للقوى العالمية.

إن النخبات المثقفة والأجيال الشابة تسير الآن في اتجاهين مختلفين: فهناك الماركسيون الثوريون، والقوى الإسلامية الناهضة، وتواجه كل واحدة من هاتين المدرستين المتعارضتين فكرا وأسلوبا نفس المشاكل التي يتعين حلّها.

إن بعض المثقفين لا يزالون يرفضون العقيدة الإسلامية التي تعتبر عقيدة الشعب الأساسية، فمن يتمتع منهم بحصافة رأي وبُعد نظر يعرف جيدا أن لا مستقبل لهم يمكن التنبؤ به في الدول الإسلامية، لذا نجدهم يستعيرون الشعارات الإسلامية لزرع أفكارهم سرا.

إن مصير الإيرانيين الذين تستروا وراء اللافتات الإسلامية الماركسية يعتبر درسا جديرا بالتأمل.

فمن وجهة النظر الإسلامية ليس التفاوت الطبقي أقل المشاكل التي تشغل البال. إن العدل الاجتماعي يعتبر واحدا من أهم أهدافنا، أرجو أن لا نكون مجرد حالمين عندما نعلن بأننا ننوي حل هذه المشاكل ومشاكل أخرى دون حرب الطبقية.

من معالم نهجنا لإصلاح المجتمع:

هل نحن مجرد مصلحين أغرار أو منظرين حالمين في أبراجنا؟

إن مظاهر العنف في العالم، من حروب قومية وأهلية، وثورات دامية، وانقلابات، وإبادات جماعية، وعمليات قتل طائشة في حالات من الفوضى الممزقة للقلوب، في أوغندا أو في جحيم لبنان أو الإبادة العنصرية البغيضة للمواطنين السود في جنوب إفريقيا ... إلخ. كل هذه حقائق قاسية لابد من أن نعايشها. ومرة أخرى أذكرك بأننا قد كنا شعبا مجاهدا دائما، وسنظل كذلك، لأنه لا يمكن لأي إنسان رخو أن يعيش وأن يحقق أي نجاح في هذا العالم العنيف. لا يستطيع أي كائن رخو التفلت من قانون الديالكتيك الحيوي العام.

بيد أننا نتوفر على نموذج تاريخي لثورة اجتماعية غير عنيفة، ومرة أخرى نتوجه بأرواحنا إلى المنبع الأصلي لفكرنا ومنهاجنا: إن رسولنا الكريم محمدا ﷺ، شيد أول مجتمع إسلامي دون إهدار ولو ضحية واحدة، فالحرب التي استغرقت تسع سنوات والتي ذهب ضحيتها سبعمائة فرد كانت في الأغلب عمليات دفاعية للحفاظ على الدولة الإسلامية الحديثة العهد.

لقد سألتني عن القيادة التي ستتزعم الثورة الإسلامية الشاملة العالمية، وسألت عمن يوحد هذه التشكيلة المتنوعة من الأجناس والاختلافات الثقافية والكيانات الوطنية؟

أعتقد أن عمل الشخصيات البارزة هو البداية الضرورية والطبيعية لكل حدث مهم. إن التاريخ الإنساني يعطينا أمثلة متعددة لهذه القاعدة. ففي بعض الطبقات الشعبية نجد اعتقادا متخلفا شبيها والإيمان بالعصر الألفي السعيد، كما هو موجود في ثقافات أخرى، حيث يتصور أن التحرير يتحقق بقيادة فارس مقدس، يمتطي جوادا أبيضا جاء خصيصا «لقطع» دابر الظلم بسيف من نوع خاص!

إننا لا ننكر أن موهبة الزعيم السياسي أو العسكري الخارقة في كل مجتمع، عنصر لا ينبغي إهماله، لكن مهما بلغ شأن تلك الموهبة، فإنه لن يحدث أي تغيير إسلامي دون إيقاظ الشعب، ودون وجود طليعة عازمة، ودون قيادة حكيمة حازمة، ودون أفكار واضحة، تقبلت بحرارة ملائمة، تقترح حلولا عملية معقولة لمشاكل المجتمع الإسلامي ومطالب العالم الحاضرة والمستقبلية.

لقد اخترعت الثقافة الغربية قيمتين واقعيتين: وهما الديموقراطية والاشتراكية، وقد حاول الاستعمار القضاء باسم هاتين القيمتين على ثقافات الشعوب المغلوبة. وما زال هذا الهجوم الثقافي مستمرا بضراوة إلى الحد الذي جعل نخبات مجتمعنا المغرَّب تنتهي إلى الاعتقاد بأن لا سبيل للحداثة إلا باستعارة الإيديولوجية الغربية. وقد ساعدهم ذلك التفكير الخاطئ على الاحتفاظ بدور الزعامة الذي يلعبونه الآن.

إن التغيير الإسلامي يعني بكل وضوح الظهور والتمكين للثقافة الإسلامية وممثليها المهمشين حاليا. إن حافز الحرية والعدالة في مجتمعنا المسلم الفقير يلتقي اليوم بصحوة العقيدة الإسلامية.

إن ديمقراطيتنا بأسلوبها الإسلامي تحمل -وعلى امتداد أربع عشر قرنا ونيف- هذا الاسم المبجل القديم وهو «الشورى». لقد بلغت المظالم الاجتماعية والاقتصادية من الخطورة مبلغا بحيث أن الحكومات المغرَّبة في بلادنا الماسكة بالدفة تركت السفينة تتأرجح على نحو خطير جدا. إن المنظمات الدولية كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي تحب التعامل مع الإدارات المستقرة. وبما أن المال هو الأداة الحيوية بالنسبة لأية حكومة، فإنه يتوجب على الحكام المتعطشين إلى الموارد المالية أن يخضعوا الخضوع التام لهذه المنظمات العالمية، وأن يجرعوا الشعب الدواء مهما كان مرا وضارا.

فبهذه السياسة اللاشعبية يزداد الغني غنى والفقير فقرا.

وهكذا فإن المشاكل تتفاقم وسيصبح من المتعذر السيطرة عليها.

أي ثورة؟ وأي قيادة؟ أنطبق نظاما ماركسيا صريحا خالصا وصارما، مما يجعلنا كيانا تابعا يدور في فلك موسكو التي سنتلقى منها الأوامر؟ أم نختار اللبرالية المهزومة؟ أو نوعا من الاشتراكية الديموقراطية التي ستسمح لأصدقاء واشنطن بمواصلة تحريض السفينة للدمار النهائي؟

إن روح التضحية والجدية التي تحتاجها وضعيتنا لا يمكن أن تنتج إلا عن تغيير إسلامي.

إن الشعب سيتبع بكل ثقة وحزم أي قيادة تعطي الشعب البراهين الصحيحة بأنها مخلصة لله عز وجل ووفية لشريعته.

مشاكل تنتظر الحل

إننا لا نتمنى أن تزداد الأمور سوءا إلى اليوم الذي تصبح فيه الحلول العنيفة ضرورية، لكننا نتخوف من أن يكون التطور الحالي للأحداث في مجتمعنا في طريقه إلى الفوضى. إن الدولة حاضرة في كل مكان إلا أن عجزها عن إنتاج الغذاء للأعداد المتزايدة من السكان يتفاقم يوما بعد يوم.

إن ضغط النمو الديموغرافي يلتقي بالعوامل الطبيعية كالجفاف وانعدام فعالية الفلاحة ليزيد الوضعية سوءا. لذا فإن المجاعة تهدّد على المدى القريب والبعيد كل مكان خارج دول البترول.

لن تنتظر هذه الأجيال المتعددة المحتشدة الإعانات الأجنبية للحصول على غذائها، ولا ما تقدمه من صدقات سخية الإرادة الحرة للطبقة البرجوازية، ولا الغد لتلبية حاجاتها المستعجلة (العادية منها كالسكن المحترم، والعناية الطبية، أو تلك التي تحرض عليها الدعاية المجنونة كالدراجة النارية والتلفاز ... إلخ).

إن المثل الساحر للبرجوازية الفاسدة التي تستفز المشاعر، سواء كانت برجوازية رأسمالية، أو اشتراكية الطبقة الفوقية، إن هذا المثل يوجد هناك لإثارة خطوات عاطفية وغير

منضبطة نحو الثورة، فالفوارق الطبقية، فيلات أنيقة على مرأى من مدن الصفيح وسيارات المرسيدس الجديدة المتلألئة تمر بجانب أطفال حفاة عراة ... الخ. تعلن عن غد مضطرب. إن الثورة الإيرانية تعتبر إعلانا مبكرا لجامعي المال الغافلين.

إن مشكلة القيادة الحالية أن تبحث عن مخرج من مستنقع الإدارة السيئة التي تتردى فيها.

بول فابر: إن دولة إسلامية جديدة ستواجه مشكلات التصنيع، وأنت تعلم كم من الأخطاء ارتكبتها الدول التي تسمى بالدول المصنعة. كيف يمكنكم تفادي هذه الأخطاء؟

الإمام: إن دول العالم الثالث قد انتُهبت مواردها الطبيعية وما زالت تُنتهب، وإن «الشروط المتبادلة» هي لصالح الدول الصناعية لأنها أكثر ثقافة وأكثر تنظيما وأكثر ثروة، هذه الدول هي سيدة التكنولوجيا وهي أقدر على تشكيل رأس المال واستثماره وإدارة عملية الإنتاج، وتوزيع المنتجات في أحسن الظروف ولصالحها دائما، فهذا ما يعنيه التصنيع.

الإسلام والتصنيع:

إن التصنيع لا يمكن أن يتأتى من التجميع الاعتباطي لمعامل جاهزة مستوردة، ولا من المضاربات الأنانية المتفرقة.

لقد حلَّ الروس أيام ستالين مشكل التصنيع بالإرادة الحديدية المركزية. وكلنا يعلم ثمن هذا النجاح في الأرواح البشرية والحريات. ليس لدينا الفراغ للسعي وراء النجاح الرأسمالي الذي نضج خلال قرنين من الزمان أو أكثر. كما أننا لا نود محاكاة الطريقة الستالينية: فقد كان الزحف القوي نحو التصنيع بالنسبة للثورة السوفياتية قضية حياة أو موت كما هو الحال بالنسبة لنا نحن كذلك. وإن مثال النجاح السوفياتي مُغرٍ بالنسبة لكثير من المثقفين وأنصاف المثقفين من الشباب الذين استمالتهم الأفكار اليسارية.

إننا نحن شعوب العالم الثالث لا نحتقر الإنجازات السوفياتية كما تفعلون أنتم انطلاقا من «تفوقكم الرأسمالي»، إنكم معشر الدول المصنعة لا تستطيعون أن تتصوروا قلق هذا الجنس المسكين، العريان الجاهل، المريض، الفاسد، الجائع، والمحتقر، حيال

المستقبل المظلم الذي هيأتموه للإنسانية بطريقتكم المادية، واستعماريتكم الأنانية، القديمة والجديدة.

ليست الماركسية إلا الثمرة النهائية للمادية الغربية، وإن الاشتراكية الامبريالية تشبه إلى حد بعيد الامبريالية القديمة الصريحة. تذكر الغزو المستمر والأسلحة الضخمة التي تدمر الآن أفغانستان: تدمر الشعب والأنعام والطبيعة.

تصنيعنا منزَّه عن التبعية المقيتة والحقد الأعمى:

إننا نحن الإسلاميين نرفض كلا الصورتين للإيديولوجيات المادية، وننوي مقاومة كلا الامبرياليتين لكن لا تتصور أن هناك شعورا بالانتقام دنيئا يحركنا، إنك إن فعلت ذلك فستُكوِّن عنا نظرة أكثر مأساوية من نظرة أولئك الذين يصوروننا شعبا طيعا خنوعا إلى أن يحدث انفجار شعبي يكذب توقعات الاستراتيجيين قليلي الاطلاع، تأمل مرة أخرى إيران.

لا تستطيع أي إحساسات تافهة أن تخدش صفاءنا وتضبب الحصافة التي نحتاجها لتكوين حكم موضوعي، إننا نُقدر جيدا خلاصة العمل الشاق والجدية والذكاء التي تمثل الأساس للإنجازات الحديثة. فهناك تحت تصرف الإنسانية جمعاء الاختراعات الإيجابية، والانتصارات على الطبيعة التي حققتموها للتوصل إلى التنمية الحالية، مستفيدين في ذلك من العمل الجماعي لكل الأمم عبر القرون.

إن إسهامنا في الميراث الإنساني إسهام رائع جدا، لذا فليس لدينا أي عقدة للاقتباس منكم اليوم كما اقتبستم منا بالأمس (أرجو الاطلاع على كتاب «شمس الله تسطع على الغرب» للكاتبة الألمانية زيجريد هونكه).

إن حركة علماء البيئة مثلا، هذه الحركة البالغة الأهمية والتي نعتبرها مدرسة لنا. فلسنا في حاجة إلى اختراع الانتقاد الذي يوجهونه إلى التصنيع والنمو الاقتصادي اللامحدود. وهناك أيضا هذه الفكرة البديهية، وهي البحث عن تكنولوجيا معتدلة والتي من الممكن أن نتعاون قريبا على تطويرها، فلدينا إمكانات ضخمة للقيام بذلك، لأنه ليست هناك أي أدوات معدنية صناعية عتيقة ومكدسة يمكن أن تعيقنا.

ولى زمن الهيمنة الثقافية إلى غير رجعة:

لقد مضى زمن الهيمنة الثقافية التي سجنتكم في أنانيتكم الأروبية، ودعت العالم إلى نموذج واحد وطريقة عقلانية واحدة لرؤية الكون، وعملية واحدة مسقطة من الاعتبار كل «هراء» روحاني، وإلى طريقة معيارية واحدة للتصنيع ولتنظيم العلاقات بين الرأسمال والعمل بعبارة متضاربة، وطريقة واحدة لتنظيم الإنتاج محولين الإنسان بذلك إلى آلة فعالة.

إن طرائق التصاميم المركزية البطيئة والثقيلة، هذا المنهج العسكري للماركسية المفرطة في العقلانية، يعتبر الآن آلية صدئة وعتيقة لا تصلح إلا لأن توضع بأحد متاحف الخردة الحديدية القديمة.

إن الروس يحاولون الآن إدارة معاملهم وفق الطريقة التايلورية، وتحديث محطاتهم العتيقة الطراز، لكي يصبحوا أكثر إنتاجية وتنافسية مع تكنولوجيتكم التي لم تعد جديدة هي أيضا، وإنما أصبحت تشبه أكثر فأكثر دينصورا عجوزا، موعودا بيولوجيا بالانقراض التكنولوجي ليستبدل بالطرائف اليابانية المتقدمة.

لقد مضى زمان كان الستكانوفزم الروسي، المعتمد على المثيرات السيكولوجية والتسجيل الدعائي، بمثابة المكافأة الموعودة التي كانت تستعملها السلطة المركزية لصرف الأنظار عن المحرض الحقيقي «عصا الرفيق الكبير الغليظة»، لقد مضى زمن البطل العامل الثوري، ومضى زمن التسيير الذاتي اليوغوسلافي الذي طالما مجده أصحابه.

إن الصينيين قد فتحوا الآن كل الأبواب للمهارة الرأسمالية، ولتنظيم المثيرات المادية، مستفيدين بطريقة ذكية من أخطاء الرفيق الأكبر. إن كل دروس التاريخ مهمة بالنسبة لنا نحن.

وإننا لن نبحث عن الفعالية على حساب الإنسان. ولن نبحث عن الرفاهية المادية متناسين السعادة الروحية.

إن التكنولوجيات الحديثة بكل أنواعها: الإلكترونية والإعلامية، والطاقية ستساعدنا في محاولتنا لبناء بيئة صناعية إنسانية ونظيفة.

إن الحفاظ على هويتنا يتطلب منا أن نناضل بالوسائل الحديثة من أجل حقيقة الإنسان والسلام في العالم. إن الحفاظ على هويتنا معناه أن نتحمل مسؤوليات لا يمكن أن تتحمل دون الإجابة أولا عن تحدي التخلف.

ليس وجودنا وحده هو الذي في خطر بل وجود الإنسانية كلها. إنه وجود متفوق على إرادة كهنة معبد ميزان الرعب النووي، تلك الإرادة المتقلبة على نحو جد خطير.

إن مستقبل المحيط الحيوي المعرض لكل أنواع الأذى في خطر.

تصنيعنا لا ينفصل عن إيماننا وأخلاقيتنا:

إننا نشعر بمسؤوليتنا تجاه مستقبل الإنسانية الشامل، إننا لا نبحث عن تحول صناعي من أجل مجرد دخلٍ مادي عالٍ جريا خلف الخيالة المادية الأخرى في السباق المجنون إلى الاستهلاكية، محطمين القيم الأخلاقية والحقيقة الروحية، ومحطمين في الوقت ذاته الطبيعة ومطمرين الإنسان تحت الأشياء التي ينتجها، إننا نخشى من أن فقدان كل الأشياء الضرورية للبقاء البسيط، ومن المديونية الضخمة مع العجز عن إنتاج أشياء ذات قيمة بالسوق العالمية الممتلئة إلى حد الاكتظاظ بالبضائع، والمدارة بأساليب غير نزيهة، نخشى من أن تعمل هذه الأشياء على استمرار القسمة العالمية غير العادلة للعمل بين الأمم ومن أن تزيد من حدة الآثار التي تخلفها «التكنولوجيا المسيطرة» والرأسمالية البشعة بمنطقها الرهيب.

إنكم باعتباركم خبراء في التكنولوجيا والتنظيم تتوفرون على هذا العلم المهم والتجارب التي تنقصنا، إن مستقبل التعاون متعدد الجوانب مفتوح بين دول العالم الثالث وبينكم، معاشر الدول الغنية.

وإنكم ستكونون سعداء حقا حين تتخلى روح رأسمالية الغرب الجشعة عن أساليبها الإمبريالية ويوم يتخلى الشرق الاشتراكي عن غزوه الرهيب للبلدان الأخرى، ستكونون سعداء حقا يوم تفسح الهيمنة الشرقية والغربية المجال لتعهدها النبيل بإقامة الإخاء الأرضي عوض الاتجار بالحروب الفضائية.

إن رسالة الإسلام الأخلاقية والروحية للإنسانية في هذه القضية يمكن اختصارها في كلمتين:

1. التضامن بين الدول والأجناس والقبائل والأسر والجيران وحتى الحيوانات.

2. التقلل الذي يعتبر ترياقا ضد الاستهلاكية ونتائجها الطبيعية: من إتلاف للطبيعة وتبديد للموارد المحدودة بأرضنا العزيزة التي نقارنها اليوم بمركبة فضائية.

فتعالوا إلينا معشر الأوربيين بعد أن أتخمتم بالحروب العنيفة وأصبحتم مُهددين بصواريخ (س س 20) السوفياتية، وصواريخ شيطانية أخرى أمريكية. تعالوا إلينا بقلوبكم وتكنولوجياتكم، فلعلنا نتمكن جميعا من أن نري العمالقة طريقا لتعاون حر، لانطلاقة جديدة، لمستقبل أفضل من مستقبل الصراعات بين الأمم والأجناس والطبقات والأقاليم.

إن البديل الإسلامي خيار مشرق بالنسبة لنا جميعا للتخلص من فلسفة الفردانية الأنانية وإديولوجية الجماعة المرعبة.

بول فابر: لقد قضيت أكثر من سنتين بالسجن. وهذه أول مقابلة لك بعد هذه الفترة، ألا تتوقع بعض المشاكل الشخصية بعد ما ينشر هذا الحوار؟

الإمام: إنني أعيش في بلد يكفل دستوره وقوانينه الأخرى للمواطنين الحقوق الديموقراطية كلها. فليس هناك قانون يمنع المواطن من التكلم ونشر رأيه، فممن أخاف إذن؟ لأنني عبرت عن وجهة النظر الإسلامية؟

نحن دولة إسلامية ذات ديموقراطية ناشئة، وكتم الأصوات الحرة يقتلها:

من المنطقي أن تلك الخصوصية ينبغي أن تكون ميزة حسنة لأنها دولة إسلامية، وشرح وجهة النظر الإسلامية يمكن أن يساعد المجتمع على تبديد الأحكام السبقية الخبيثة ضدنا، وتوضيح التأويلات الخاطئة التي تؤدي إلى انتهاك حقوق الإنسان، تلك الحقوق الإنسانية التي تدافعون عنها أنتم، غربيو الغرب، بكل حرارة، لأنها أصبحت القيمة الوحيدة المتبقية للحفاظ على كرامتكم وكرامة أي إنسان.

وإنه لمن المستبعد جدا أن تكون ديموقراطية ناشئة كديموقراطيتنا التي ترقبها عن كثب العيون الناقدة، في الداخل والخارج، قادرة على أن تتحمل اتخاذ إجراءات خاطئة وتتحمل نتائجها كانتهاك الحريات المعلنة في حقي، وعهدي بالسجن قريب.

على أية حال، فإن أي حركة في العمل السياسي تعتبر مجازفة مدروسة، إننا بحساب ما نرى نعتقد أن الوقت قد حان لأن تفتح دولنا المسلمة باب الديموقراطية على مصراعيه للحوار، وخاصة لأولئك الذين برهنوا على أن أصالتهم مضمونة بتشبثهم بالرابطة الأساسية لكل البنى الاجتماعية والوطنية وهي الإسلام.

إن على الحكومة أن تقدر المخاطرة بفقد مصداقيتها تجاه الرأي العام الحساس الوطني والعالمي.

لا! لا أعتقد في الواقع، أن مقابلة (صحفية)، ستكون لها أية عواقب شخصية.

وبعيدا عن معالجة القضايا الداخلية الوطنية، فإن هذا الحديث الحر معك يهدف إلى إلقاء بعض الضوء على مهمة الإسلام العالمية.

ها أنت ترى أننا مشغولو البال بالأخطار المروعة العالمية فالهمُّ الشخصي لن يُقلقنا في الوقت الذي تحترق فيه فلسطين، وخاصة القدس الشريف تحت الاحتلال الصهيوني، الوحشي.

اطمئن عليَّ إذن، وشكرا.

ثالثا: حوار مع جريدة المنقذ الجزائرية

أجرت هذا الحوار جريدة «المنقذ» الجزائرية مع الإمام عبد السلام ياسين يوم 05 أكتوبر 1989م، وهو نفسه أعادت نشره جريدة الهداية، بتاريخ 30-12-1990م. بعنوان:

لقاء مع داعية: الشيخ عبد السلام ياسين

بعد الأحداث المؤلمة في المغرب... من جديد ننشر الاستجواب الكامل مع الداعية الشيخ عبد السلام ياسين الموجود حاليا تحت الإقامة الجبرية في مدينة سلا (الرباط). الشيخ عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والإحسان، رجل متواضع، تلقى تعليمه في المدرسة الابتدائية وفيها تعلم كتاب الله وقواعد اللغة العربية عن طريق معلمين الذين تربى في أحضانهم ومنهم أحد رموز العلم والدعوة إلى الله تعالى ألا وهو محمد مختار السوسي رحمة الله عليه الذي توفي مند سنوات عديدة. اشتغل بالتعليم الابتدائي ثم الثانوي وعين على إثرها مفتشا للتعليم ثم مديرا لمدرسة المعلمين وآخرها مديرا بمركز تكوين المفتشين، ونظرا للأوضاع التي يعيشها المغرب حاليا ارتأينا إعادة نشر الحوار فإليكموه.

المنقذ: سبق أن أرسلتم رسالة مفتوحة الى ملك المغرب تنصحونه فيها بتحكيم شرع الله وسنة رسوله ﷺ فكيف كان الرد؟ وما موقفكم الآن؟

الإمام: «كتاب الإسلام او الطوفان» هو رسالة تحتوي على 100 صفحة تقريبا، كتب سنة 1974م ووجهتُه إلى ملك المغرب سيرا على منهاج علمائنا من الحضور، إذ كانوا يقدرون النصيحة كاشفة وجهها، معلنة لكلمة الحق. دعَوتُه فيها إلى مراجعة نفسه وإلى مراجعة الخط الذي يسير فيه، واستعملت كلمات هي من صميم الدين «تب الى الله، الصلح مع الله» فكان الرد أنني سجنت ثلاث سنوات ونصف، سنتان بمستشفى المجانين، وكان هذا من سنة 1974 إلى 1978م. وموقفنا الآن أن نبدي النصيحة للحكام وهذا من صميم الدين، وعلى العاملين في الحقل الإسلامي أن يلتفوا حول هذا الواجب المقدس اقتداء بقول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»، قالوا لمن يا رسول الله قال: لله ورسوله لأئمة المسلمين وعامتهم»

رواه الإمام مسلم، فواجب الدعاة توجيه النصيحة الصريحة والمخلصة للحكام، ولا عليهم بعد ذلك إن استجابوا أو أعرضوا ولنا بعد ذلك وصية رسول الله ﷺ في النصيحة لعامة المسلمين هي التعرض للأفراد في المسجد وخارج المسجد لوعظهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وهذه أيها الأخ الكريم نصيحة مخلصة، نصيحة فريدة لا يمكنها بمفردها إحياء أمة لأنها إن دخلت في سياق النصيحة العامة وهي الجهر بكلمة الحق والمطالبة بتطبيق شرع الله ومعارضة الباطل والدخول في معمعة السياسة والمطالبة السياسية والتخطيط السياسي واقتراح البديل الإسلامي وعرض لما عنده من حلول لمشكلات العصر، وهذا ما فعلتموه أنتم في الجزائر حيث فتحت لكم نوافذ فاقتحمتم هذه البناية، بناية النظام السياسي بعد الاعتراف بكم وببرنامجكم السياسي وقانونكم الأساسي وخطوتم في ذلك خطوات أما نحن فلا زلنا هنا في المغرب فلا زلنا نلتمس كيفية تخول لنا المجاهرة بالحق عوض هذه النصيحة الضعيفة المتخفية.

المنقذ: عند دخولنا إلى بيتكم لا حظنا وجود حراسة مشددة أمام بيتكم ومضايقة صريحة من طرف السلطات فما السبب في ذلك؟ ومنذ متى؟

الإمام: إنه أمر لا يدعو إلى الغرابة، وضع ألفناه، وهذا عائد لسبب واحد كون الأنظمة التي تحكم في بلاد المسلمين تتخوف من الدعاة وترتاب من تحركاتهم وتتربص بهم الدوائر، فمنذ أن خرجت من السجن في أوائل سنة 1986م والحراسة ضاربة أطنابها حول بيتي، فمنها ما هو من أساليب تخويف ومنها ما هو من أساليب التشويش، وكل أنواع الحراسة، وهكذا فعلوا ولا زالوا يفعلون.

المنقذ: تشغلون الآن منصب المرشد العام لجماعة العدل والإحسان التي كانت تسمى سابقا أسرة الجماعة فما السبب في تغيير الاسم؟

الإمام: جماعتنا تأسست في أول الأمر حول مجلة الجماعة التي كان يصدرها أفراد قلائل، وكان المستجيبون لدعوة هؤلاء قليلين فاختير لها اسم يليق بقلة أفرادها ولهذا سميت «أسرة الجماعة»، وبحول الله انتشر صداها وتوسع امتدادها بداية من هيبتها لدى الأوساط الحكومية، ونشر فكرها واتجاهاتها في مختلف الأجهزة الإعلامية. ومع هذا التطور تحول اسمها من «أسرة الجماعة» إلى «العدل والإحسان» وهاتان الكلمتان وردتا في القرآن الكريم

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ لدلالتهما، فالعدل مطلب شعبي وأمر إلهي فلهذا وجب أن يتحقق في جميع نواحي الحياة والإحسان برنامج تربوي يعتني بالفرد والجماعة وبهذا نكون قد جمعنا بين وظيفتين، وظيفة الدولة ووظيفة الدعوة.

المنقذ: ما هو الوضع القانوني للجمعية حاليا؟

الإمام: وضعيتنا تتأرجح بين واقع معترف بها وهيئات إدارية حكومية ترفضها، حيث سبق لنا وأن قدمنا ملفا وقانون الجمعية الأساسي وقوبلت بالتردد، وقبول في أول الأمر حيث سُجل ذلك بالدوائر القانونية، ثم سحب الاعتراف وهذا هو حال الجمعية، ولكننا سنسير وفق برنامجنا المسطر ولن نحيد عن الطريق وجماعتنا بخير والحمد لله.

المنقذ: إذا سمحتم سنتطرق للقضايا المغاربية ونبدأ من الجزائر، ترى ما هو الصدى الذي تركه اعتراف النظام الجزائري مؤخرا بالجبهة الإسلامية للإنقاذ في الأوساط الإسلامية بالمغرب، هل سيكون لهذا الاعتراف انعكاسات على وضعيتكم السياسية والقانونية؟

الإمام: إن هذا التقارب المغاربي من شأنه أن يفرحنا، فهو يمثل خطوة نحو التوحيد الذي ننشده، وتوحيد الأمة جمعاء، فبحكم الضرورة الاقتصادية، وبحكم التكتلات العالمية الإقليمية منها والسياسية والاقتصادية كان يجب علينا التكتل والاتحاد لمواجهة الغير بالمثل، كما أن هذا سيسمح لنا نحن أبناء القطر الكبير بالتواصل المعرفي والثقافي بعد أن فتحت لنا الحدود مع العلم أن هذا كان ضمن قائمة الممنوعات ولم نكن نتوقع أن يزورنا إخوان أمثالكم من الجزائر، وها نحن نتبادل التجارب وأطراف الحديث كما أن هذا التقارب يحمل في طياته نعمة أخرى وهي الاقتداء بالجيد واجتناب أخطاء الآخرين، فالخامس من أكتوبر عندكم ذو حدث عظيم وها نحن نعيش ذكراه الأولى... وقد سمعت خبرا هذا الصباح مفاده أن النظام الجزائري بهذه المناسبة يسمح بالمظاهرات لكل من أراد ذلك شريطة أن تتحمل الجماعة المنظمة له مسؤولية ما يقع، وهذا نضج سياسي فلا يصح لأي بلد من البلدان العربية التخلف عنه وهذا الموقف التقدمي من قبل «الشاذلي بنجديد» وحكومته ونظامه هو بشارة خير لاعتراف مفروض بنا في المغرب، وبالحركة الإسلامية في موريتانيا وفي ليبيا إن شاء الله.

المنقذ: إذن كيف ترون تطورات الأحداث في تونس بعد مضايقة قادة حزب النهضة غير المعترف به بعد؟

الإمام: إن الحركة الإسلامية في تونس الشقيقة سبق لها أن خاضت غمار المواجهة في عهد «أذكروا موتاكم بخير وإن كان لا يزال حيا فقد مات سياسيا وقد مات معنويا في ضمير كل من تحيا فيه الإنسانية»، ولا يخفى أنها أبلت بلاء حسنا، ومن فضائلها أنها ساهمت بشكل أو بآخر في تنحية «بورقيبة» لمواقفه السلبية المنعكسة حتى في سلوكياته السياسية والإقليمية، مما جعل هذا الرئيس الجديد يخفف من درجة الخناق والمضايقة على الحركة الإسلامية ولكن سرعان ما نكص على عقبيه، ورغم تغييره في الأسبوع الأخير لرئيس الحكومة فإنهم ضيقوا على إخواننا وهذا التخلف يعود على ذلك النظام بالفضيحة أمام موقفكم الباسل المثالي حقا في الجزائر حياكم الله.

المنقذ: تعاطف مع «الجهاد الأفغاني ضد الروس» وعملائه باستثناء بعض الذين يطعنون في عقيدة إخواننا هناك... ولكن نبقى منساقين ولبنان... ويبقى موقف الإسلاميين منها غير واضح مع العلم أن المنظمة تضم فصائل إسلامية وأخرى غير مسلمة. بعض الفصائل اللبنانية موالية لبعض الأنظمة العربية المعادية للإسلام فماذا تقولون في هذا كله؟

الإمام: إن قضية أفغانستان في قلوبنا جميعا، غصة كبيرة لا سيما منذ إعلان رئيسة الحكومة الباكستانية اتفاقا مع الأمريكان ومع الروس عن أفضلية الحل السياسي، وهو الذي كان يطمح إليه المسلمون جميعا، على أن تقوم على أرض أفغانستان دولة يعزز الله بها دعوته في الأرض. ثم إن من الغصص التي تجرعنا من بعض ممن يُدعون «علماء مسلمين» مفاده التشكيك في عقيدة المجاهدين الأفغان... وكان شعار بعض المعتوهين «لا ننصر مشركين على الكفار» نسأل الله أن ينصر المجاهدين في كل مكان. أما شطرك الثاني من السؤال في شأن فلسطين ولبنان، فمنظمة التحرير الفلسطينية يعرف الجميع أنها تضم في صفوفها مسلما ونصرانيا وعلمانيا... وماركسيا جمعتهم صفة الوطنية وتحرير فلسطين... فما موقف الإسلاميين من هذا وما ينبغي أن يكون؟ هل تنصر فلسطين مع كل هذا الخليط المتشبث بتحرير الوطن؟... والآن كما تعلمون فالحركة الإسلامية بفلسطين حقيقة ملموسة ورقم معترف به لما قام به من جهد، فمنظمة حماس ومنظمة الجهاد الإسلامي هما رأسا الشأن في تفجير الانتفاضة

وتزعمها الآن، فإذا الإسلاميون يعون الواقع السياسي وما يتحرك في العالم فمن الضروري أن تكون المطالبة قومية، لنقاوم هذا الظلم اليهودي الصهيوني الأمريكي العالمي والعالم لا يفهم شيئا آخر غير القومية على أساس أن التنظيمات العالمية قائمة على القومية، وفي المرحلة التي مرت بها البلاد الإسلامية عهد الاستعمار كانت المطالب قومية، فبعضها ما كان قوميا قوميا وبعضها ما كان قوميا إسلاميا ومنها ما كان إسلاميا فطغت عليه القومية وتسلطت عليه. كما وقع في الجزائر فالشعب الجزائري قاوم المستعمر الفرنسي انطلاقا من مبدأ عقائدي إسلامي، قام يحارب المسلم عدوه الكافر الذي هاجم أرضه واحتلها، وبعد النصر المبين تولى البناء أناس متعلمون مغربون، أعلنوا ولاءهم للشرق الكافر، أو الغرب الفاجر، وتشبهوا بالكفر الليبيرالي الديموقراطي، أو الاشتراكي الماركسي، فأعرضوا عن الإسلام وحاربوه ولا يزالون يحاربونه، فكل البلدان الإسلامية المستعمرة مرت بهذه الفترة، فترة المغالبة القومية الوطنية بعد الاستقلال السياسي، فلا بد أن تمر فلسطين أيضا من هذه المرحلة. فتقوم دولة فلسطين القومية بأي صفة والتحركات السياسية الحالية تؤكد ذلك، وتفشل الدولة القومية وتجربتها الليبيرالية أو الاشتراكية ويكون الباب يومئذ قد فتح أمام الإسلاميين.

المستقبل للإسلام، فليس علينا أن ننظر إلى المرحلة الحاضرة دون أن نطرحها في الخط المستقبلي ننظر به إلى تطور الأحوال في بلاد المسلمين، فكذلك ما يقع في لبنان الآن هو صراع عقائدي قومي مختلط، تغيير لحالة قومية كانت أضعف الحالات في البلاد الإسلامية لما واجهها الصراع مع اليهود في فلسطين. لم يستطع الكيان اللبناني وهو كيان هجين يحكمه المارونيون ويحكم فيه المسلمون، ولا يمكن لهذا الكيان مواجهة الصدمة عندما دخل الفلسطينيون إلى لبنان وأخذوا يهاجمون إسرائيل انطلاقا منه فتفجر لبنان إثرها إلى طوائف وشيع وإلى ما تعلمون... فما الموقف في مثل هذه الحالة؟

«يسأل ويجيب» هل نقف الآن بجانب ما يسمى بالحزب الإسلامي النصيري المستند إلى الناصرية في سوريا والناصرية كفار. وفيه الدروز المحسوبون على الإسلام... والدروز كفار... هنالك السنة والشيعة فإلى أي حد يمكن أن يتعاون السنة والشيعة لكي يفرضوا الحل الإسلامي في لبنان المتفرقع الآن والمتفجر... فالحل الآن لا ينبغي أن يكون قطريا إلا في المرحلة الأولى التي... فيها نماذج... ونسأل الله تعالى... في المقدمة ونسأل الله تعالى

أن ينجح إخواننا في تونس والسودان ومصر وفي كل بلد إسلامي وفي المغرب أيضا، فعندما ينجح هذا النموذج الإسلامي تكون مرحلة الدولة القومية العلمانية قد انتهت وهذا يتطلب وقتا لأنه لا يمكن أن نقيم نموذجا إسلاميا بين عشية وضحاها، وأنتم الآن في مرحلة تكون الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالإضافة إلى الرابطة التي تسعى إلى ربط الجهود وتقارب الدعاة نسأل الله أن يبارك فيها... فلا بد أن نتعلم كيف نجمع الجهود ولا أقول تتوحد، لأن الوحدة المثالية التي يشهدها كثير من دعاة السلام تقع في سماء الملائكة، أما بين البشر حتى وإن كانوا مسلمين فلا بد أن يكون هناك خلاف والأمر المهم هو أن يكون التآلف والتعاون بين الفئات الإسلامية في القطر الواحد على الأقل... ويجب أن نعلم كيف ننظم وكيف ننظر... وكيف نطرح البديل... ولا بد من وقت لجمع الكفاءات المرشحة لتسيير دواليب الدولة لأن جل الإسلاميين حاليا دعاة وليسوا رجال دولة... رجال الدولة هم المتخصصون، هذا في الاقتصاد وهذا في السياسة الخارجية... إلخ. فلا بد إذن من وقت ليقوم النموذج الإسلامي وعندما ينجح في قطر أو قطرين عندئذ تصبح مسألة الدولة القومية العلمانية مسألة مضت وانقضت واندثرت كما هو الأمر الآن عند الاشتراكية الماركسية التي فشلت فشلا ذريعا وكذلك يحدث للأنظمة المجربة في البلاد الإسلامية وسيكون الإسلام هو البديل.

المنقذ: في هذا الصدد لقد اشتعلت نار القومية في الاتحاد السوفياتي مؤخرا في ظل بيريسترويكا غورباتشوف والتي كان لها انعكاسا آخر على البلدان السائرة في معسكر الشرق، فما تقييمكم لذلك بناء على المستجدات الأخيرة؟

الإمام: في الأسبوع الأخير وفي هذا الأسبوع انتظمت بين ألمانيا الشرقية والغربية قوافل المرحلين المهاجرين من جنة الاشتراكية الماركسية قالوا: لو استطاع كل السكان في المعسكر الاشتراكي أن يهربوا «من جنة ماركس ولو وجدوا من يستقبل... الألمان الغربيون إخوانهم الشرقيين يعطونهم الجنسية والجوازات ليهربوا جميعا والدليل ما وقع في هذه الليلة وفي الصباح، جماهير غفيرة في ألمانيا الشرقية تقف أمام القطارات يقولون نريد جميعا أن نسافر... من هذا الذي يسمح في هذا الوطن العزيز، إلا إذا كان يعلم أن وطنه جحيم لا يطاق بالمقارنة لما يعيش الآخرون فيه من رفاه ومن سعة في الاقتصاد ومن حرية ومن فرص في العمل... الإعجاب المخدر من شبابنا للنظام الاشتراكي والفكر الماركسي باد وانقرض والذي يقيم مراسيم القضاء على هذا النظام وأصوله وأسسه وفكره هو غورباتشوف رئيس

الاشتراكية رقم 1... لقد انتهت وفشلت التجربة الاشتراكية في العالم... نحن الآن نعيش في عصر عجيب من هذه العصور... لأن الإنسانية في هذه المائة سنة منذ أن أبرز ماركس فكرته عاشت في حلم يصور لها مستقبلا لا تكون فيه طبقة ولا يكون فيه عاطل ولا يكون فيه محتاج... أما النظام الليبيرالي معناه أن نقبل صلاح المادة مقابل فساد الإنسان الكلي... الفساد الخلقي، الروحي، الاجتماعي... ولا بد للإنسانية أن تستمع يوما لداعي الله عز وجل ولدعاة الإسلام، وأول من هو مضطر لأن يستمع هم المسلمون والحاكمون في البلاد الإسلامية. في الجزائر اليوم عندكم صيغة من صنع البريسترويكة وأدوات الإعلام الروسية تعلن عن إضرابات وتنقل تساؤلات العمال وممثلي الأحزاب الجديدة.

نشكر فضيلة الشيخ عبد السلام ياسين على هذه الأجوبة وإلى لقاء آخر.

السلام عليم ورحمة الله وبركاته.

المنقذ.

ملاحظة: مع العلم أن الشيخ عبد السلام ياسين لا يزال تحت الإقامة الجبرية نسأل الله له ولإخواننا المغاربة الفرج القريب، وإن الظلم لا يدوم.

رابعا: الندوة الصحفية التي عقدها الإمام عقب رفع الحصار

نُظمت هذه الندوة بتاريخ 20 ماي 2000م، مباشرة بعد كسر الحصار الظالم الذي فُرض على الإمام أكثر من عشر سنوات.

بعد عشر سنوات من الحصار يعقد الإمام رحمه الله ندوة صحافية يوم السبت 16 صفر 1421ه الموافق لـ 20 ماي 2000م في مقر الجماعة بسلا. وجاءت هذه الندوة بعد سلسلة من الأحداث كانت بدايتها تصريح أدلى به وزير الداخلية أحمد الميداوي أمام البرلمان يومه الأربعاء 6 صفر 1421ه الموافق لـ 10 ماي 2000م حيث صرح في معرض جواب له عن سؤال شفوي بخصوص حصار الإمام أن «المعني بالأمر حر يذهب حيث شاء ويستقبل في بيته من شاء»، ويوم الاثنين 11 صفر 1421ه الموافق لـ 15 ماي 2000م أعلن الأستاذ ياسين في بلاغ للصحافة ووسائل الإعلام أنه عزم على الخروج لأداء صلاة الجمعة بمسجد الحي. وهكذا وبعد أن نشر هذا البلاغ يوم الثلاثاء 12 صفر 1421ه الموافق لـ 16 ماي 2000م غادر رجال الشرطة المرابطون بباب إقامة الأستاذ ياسين موقع حراستهم.

وفي مساء اليوم نفسه صرح وزير الداخلية على القناتين المغربيتين أن «المعني بالأمر» حر، إلا أن أي إخلال من جانبه بالقانون سيعاقب بصرامة. وبالفعل يوم الجمعة 15 صفر 1421هـ الموافق لـ 19 ماي 2000م، خرج الإمام لأداء الصلاة في مسجد الحي تحت حراسة أمنية مشددة وبحضور عدد كبير من وسائل الإعلام الوطنية والأجنبية. وفي ما يلي نص الندوة كاملا.

الإمام: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

معشر الإخوة الكرام الحاضرين، أحييكم بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبدأ قبل كل شيء بشكر المنظمات الحقوقية والمجلات والجرائد، أخص بالذكر جريدة لوموند (**Le Monde**) التي كانت دائما تحاول أن تبقى موضوعية وقناة الجزيرة التي لم تحرف الكلم عن مواضعه، فلكم الشكر جميعا. ولكم الشكر على حضوركم. حضرت معنا شخصيات في ميدان الصحافة ومن المثقفين، وأرجو أن يكون كلامي مسؤولا وأن ينقلوا عني نقلا مسؤولا. فإن من الناس من يحلو لهم الاصطياد في الماء العكر وأن يؤولوا كلام الناس كما يحلو لهم هم.

أشكر المنظمات التي ساندتنا، المنظمات القريبة من حزب الاستقلال والعصبة المغربية ومنظمة جاري في السجن الأستاذ بنعمرو، إن كان حاضرا هنا فأنا أحييه وإن لم يكن حاضرا فأبلغوه سلامي، كان جاري في الزنزانة في سجن لعلو. أحيي كل هؤلاء الذين ساندونا، ثم أقول كلمة عن فك الحصار. ماذا يعني فك الحصار في عرف الناس؟ احتفل كثير من الناس يتساءلون منذ زمان: فك الحصار، رجع الحصار، متى يفك الحصار؟ والحقيقة أنه لم يفك حصار.

جماعة العدل والإحسان لا تزال محاصرة مضطهدة. إن كان الرمز خرج إلى الشارع فالجماعة لا تزال في الزنزانة. آخر منع المنع الذي سلط علينا، منع جريدة «الفتوة» ومنع الجريدة التي كان يرجى لها أن ترى النور. فهنا أمامي ملف جريدة «العدل والإحسان». كان رخص أن تظهر، وذهبت إلى المطابع بملفها كاملا المطبعة الأولى: ممنوع، الشرطة تمنع، تضغط، تهدد. المطبعة الثانية ايتونا بملف جديد! وأنتم تعرفون جيدا وسائل البيروقراطية والتسويف والمنع. فهم لا يجرؤون ليقولوا هذا ممنوع، لأن حرية الصحافة يضمنها الدستور. وأنتم تناضلون ونحن معكم في حق الصحافيين، فقد منعوا الصحيفة لجورنال، منعوا قبل ذلك... وهم يمنعون وسيمنعون. فنحن نتضامن مع الصحافيين في حرية الرأي

وحرية التعبير. الاضطهادات كثيرة لا تكاد تحصى، لنا مخيم في ناحية الناظور أحرق، حرق تحريقا، منازل أخرى لمخيماتنا منعت. ومن الآن يهدد الناس إن جاءوا للتخييم. وكان التخييم مظهرا لقوة جماعتنا.

Je voudrais dire un mot aux journalistes et aux personnes présentes qui ne comprennent pas l'Arabe. Je serai reconnaissant qu'ils lèvent la main, de sorte que je puisse faire l'équilibre un peu.

Vous m'excuserez, je reviendrai, je m'adresserai à vous en français tantôt. Soyez un peu patients s'il vous plaît.

J'ai remercié les organisations des droits de l'homme qui nous ont épaulés et qui n'ont pas essayé de changer la vérité. Vous m'excuserez parce que mon français date un peu de loin, c'est une langue que je pratique rarement et que j'ai pratiqué d'ailleurs pendant deux ou trois ans, dans le temps, il y a de cela 40 ans. Donc si je cherche mes mots, ayez l'obligeance et la charité de me souffler le mot, s'il vous plaît.

J'ai dit aussi que ce Hissar porte en lui-même beaucoup de significations. Cette assignation à résidence que nous appelons en arabe Hissar a des significations propres au Maroc et à la gestion des Droits de l'Homme au Maroc.

On a donc enlevé le Hissar concernant la personne, mais pour le reste, notre association reste toujours sous le Hissar. On a brûlé un campement dans la région du Nord, à Nador. L'année dernière et les années d'avant, nos campings ont remporté un grand succès et il faut croire qu'on ne veut pas que Al Adl Wal Ihsane montre son visage.

En prison, il y a douze étudiants des nôtres, qu'on a accusés de meurtre, il y a de cela 8 ans : condamnés à vingt ans pour avoir osé dire qu'il n'y a de Dieu que Dieu, dans les universités. Ils sont là pour douze ans encore à moins que…

Nous sommes allés leur rendre visite hier, on nous l'a interdit, ce qui est contraire à toutes les législations du Maroc. Visiter les prisonniers est un droit que garantit la constitution et les textes législatifs. On nous interdit de rendre visite à nos prisonniers. Cinq des nôtres sont condamnés à perpétuité in absentia.

قلت للإخوان إنه بالأمس ذهبنا لنزور إخواننا بسجن القنيطرة ولم نستطع الدخول. حاولنا الاتصال بهم بالهاتف، قوطعنا مرات عديدة، آخر الأمر بلغناهم سلامنا ورجعنا. ممنوع زيارة المساجين. وهذا من الحقوق التي يضمنها القانون، القانون يضمن أن العائلة

من حقها أن تزور المساجين. قلنا بأن الحصار رفع والحقيقة أنه لم يرفع حصار. وإنما هو تهديد على تهديد.

Interdit de rendre visite aux prisonniers, interdit de circuler, interdits comme organisation, alors que notre organisation est bel et bien reconnue par le régime.

On va vous distribuer un texte dans lequel nous avons annoncé, il y a vingt ans de cela, que nous sommes contre la violence, que nous sommes pour que tout le monde jouisse de ses droits. On va vous distribuer également un texte, un fac-simili du jugement rendu lors d'un procès précédent à Kénitra. Ceux d'entre vous qui ont assisté à notre commémoration de la dixième année d'assignation à résidence ont reçu ce dossier, pour les autres, on va vous donner le texte en question.

إذا هذه مقدمة بأن الحصار لم يرفع ولا يزال الضغط على جماعتنا على أشده. قرأت جرائد هذا الصباح، وأمس وقبل أمس وكل هذا الأسبوع منذ أن تكلم السيد وزير الداخلية: كلها تهديد، كلها تهديد. الناس كلها تقول: فلان خرج من السجن ونفرح بهذا. ويتحدث الناس عن القانون وعن خرق القانون، من وضع القانون أيها الإخوان؟ من يخرق القانون؟ أصحاب القانون هم من يفعلون! ونبدأ بكلام السيد المحترم وزير الداخلية. من خرق القانون؟ هو. كيف؟ يوم الأربعاء في الجلسة العلنية للبرلمان قال: إن هذا الملف من اختصاص القضاء، القضاء يقرر، وثلاثة أيام بعد ذلك، يخرق وزير الداخلية هذا القانون، ويعلن أن الحصار رفع.

ومسألة رفع الحصار هذه يجب أن نقول عنها كلمتين: الوزير لم يرفع الحصار، بل نحن فعلنا. أعطيناه فرصة ليخرج من المأزق الذي كان فيه وكانت فيه الحكومة وكانت فيه الدولة. هو تلقف هذا ونحن تلقفنا كلامه، فوجدها فرصة. هل تشاوروا أم لا؟ هل هذا قرار الحكومة أم لا؟ لسنا ندري. إذن من يخرق القانون هم أم نحن؟ هم يخرقون القانون.

Je disais donc que nous sommes une organisation légale, le texte qu'on va vous distribuer tout à l'heure vous dira que notre organisation est belle et bien reconnue par l'autorité légale.

Chez nous, au Maroc, on se targue d'être un pays en voie de démocratisation, voire un pays démocrate. Eh bien ! Dans un pays démocrate, le tribunal a son mot à dire ! La troisième autorité, le troisième pouvoir a son mot à dire ! Or le verdict du tribunal ne vaut

rien ici, la preuve en est qu'il y a des années que l'autorité judiciaire nous a reconnus alors que les autres autorités, s'il y en a plusieurs, ne nous reconnaissent pas.

Je vois quelques visages crispés mais qu'à cela ne tienne… Je continue.

Il semble que quelques personnalités, quelques gentlemen bien élevés, ont un plaisir particulier à semer au vent. Comme un bon Larousse qui n'aurait dans son vocabulaire que deux mots : « interdiction » et « menace ». Ces gentilshommes prennent du plaisir à cafouiller, ces personnages haut perchés n'ont cessé de le faire. Ils ont cafouillé au moment où ils ont interdit aux membres de ma famille de se rendre à la Mecque pour le pèlerinage. M. Midaoui a reconnu que c'était lui qui avait donné l'ordre de les en empêcher. Les concernés ont fait un sit-in au ministère de l'Intérieur. Ils ont été reçus après par M. Lahlimi (ministre des affaires générales du gouvernement), ensuite par le ministre de l'Intérieur qui a reconnu que c'était lui qui avait donné l'ordre de les évacuer après le sit-in.

Les gentilshommes, les gentlemen bien élevés ont cafouillé après cela et n'ont cessé de le faire.

J'ai parlé tout à l'heure de la déclaration du ministre de l'Intérieur devant le Parlement annonçant que la justice prendra son chemin. Quelques jours après, il n'y a plus de justice, il n'y a plus de pouvoir judiciaire, il n'y a que les ordres du ministre de l'Intérieur, il n'y a que l'autorité, l'autorité directe.

Qui gouverne ce pays ?

On ne sait pas. Je ne sais pas si M. Youssoufi a été consulté ou non.

Cafouillage encore, et menace, lorsqu'on a planté autour de la mosquée beaucoup de policiers. Les agents de l'autorité ont occupé un bâtiment près de la mosquée, ils attendaient qu'on fasse un faux pas pour reprendre le même scénario qu'en 1995 : Il n'y a pas de Hissar, retour au Hissar.

On ne leur a pas donné l'occasion de se jouer de nous, pour une bonne raison, c'est que nous ne sommes pas à l'image, au son, des vieux disques, qui tournent au gramophone et qui, une fois enrayés, répètent la même chose. Non, nous n'avons jamais pensé refaire un sermon à la mosquée, et nous ne l'avons pas fait.

Il y a eu une chose plus importante encore, un discours plus éloquent, un discours qui marche sur ses deux pieds, c'est la foule qui est venue voir le « vieux reclu de Salé », à quoi il ressemble? Qu'est-ce qu'il va dire ? La foule qui a accouru n'est pas la foule des

barbus, vous avez pu le constater, il y avait très peu de barbus, nous en avons donné l'ordre. C'est la foule, c'est le peuple qui veut nous voir.

A la mosquée, certains d'entre vous ont fait de faux pas, ils ont oublié qu'ils sont musulmans, et tout musulman doit respecter les lieux d'adoration, que ce soit la mosquée, que ce soit l'église ou que ce soit un autre lieu de culte.

La foule a dit son mot, elle est venue voter par ses pieds. Nous avons plusieurs flèches dans notre arc.

Je vais bientôt finir, pour vous laisser l'occasion de poser vos questions. S'il vous plaît, soyez concis et n'attendez pas que je fasse des développements longs, nous avons un temps limité et nous allons si Dieu le veut nous arrêter à l'appel de la prière.

نعيد ما قلناه باللغة العربية. إن التهديد المسلط علينا ينتظرنا أن ندخل إلى المسجد ونقول كلمة أو خطبة كما فعلنا في 1995م. لأن هؤلاء الناس يفكرون بالماضي، فتفكيرهم قديم ونحن لدينا أفكار جديدة، ليس فقط الدخول إلى المسجد وإلقاء خطبة وهذا ما ينتظرونه خائفين مرعوبين، نحن كما قلت بالفرنسية لسنا مثل تلك الاسطوانة القديمة التي متى تلفت تعيد نفس الكلام. ثم إن ما وقع كان أهم من الخطبة وأكثر من الموعظة وأكثر من الكلام في المسجد، الشعب تكلم وعبر برجليه. قرأت في جرائد هذا الصباح قول من زعم أنه لم يكن هناك إلا صبيان صغار حول المسجد عند صلاة الجمعة بالأمس.

Dans les journaux de ce matin, j'ai lu que les gens qui ont assisté à la prière, hier, sont des enfants des alentours, c'est une façon de dire que notre sortie est un non-événement.

Si M. Tuquoi est là je lui donne la parole. Je vous salue, je salue « le Monde ». A tout seigneur tout honneur, d'autant plus que vous nous avez épaulés tout le temps.

Jean Paul Tuquoi (le Monde) : Je vous remercie de me proposer de poser la première question. En fait j'aurais beaucoup de questions à vous poser. Est-ce-que vous vous considérez aujourd'hui comme un homme libre ?

L'Imam : Non, du moment qu'il y a une menace constante qui pèse sur moi et sur notre association, donc je ne suis pas libre. Les gens qui sont libres ne sont pas menacés tout le temps. Moi je suis menacé tout le temps.

Ils ont beau dire que la sortie de Yassine est un non-événement et qu'il est sorti comme n'importe quelle personne. Mais le tapage qui a accouru à la mosquée et qui a accueilli notre arrivée prouve que ce n'est pas vrai.

Jean Paul Tuquoi : Est-ce que vous comptez donner une suite à la fameuse lettre que vous avez adressée en début d'année au roi ?

L'Imam : Eh bien ! Je vais vous dire quelque chose M. Tuquoi, ce que j'avais à dire, je l'ai dit et redit et c'était clair. Je n'ai pas à me répéter, je l'ai dit tout à l'heure, j'ai d'autres chats à fouetter maintenant.

Jean Paul Tuquoi : Lesquels ?

L'Imam : Lesquels ? Je vous le dirai ! C'est d'abord m'occuper de Jamâat Al Adl Wal Ihsane, du mouvement Al Adl Wal Ihsane. Vous parlez dans vos articles de l'association « Justice et Bienfaisance », c'est une traduction erronée. Parce que les deux mots Al Adl et Al Ihsane sont deux vocables coraniques. Al Adl veut bien dire justice, justice sociale, justice économique, … etc. Mais Al Ihsane est un mot propre au Coran qu'on ne peut pas traduire d'un seul mot, ni de plusieurs mots. Ihsane veut dire haute spiritualité, Ihsane veut dire aussi bienfaisance. J'opterai volontiers pour une belle traduction de feu Jacques Berque, qui a traduit le Coran et qui est un orientaliste amoureux de la langue arabe, il le dit, il ne s'en cache pas. Ce monsieur est un prestidigitateur de la langue française. Il traduit Al Ihsane par le bel-agir : agir beau, agir bien, faire du bien.

S'il vous plaît, Al Jazira (chaîne de TV du Qatar). (Chahut…).

Vous n'y verrez pas d'inconvénient à ce que les gens qui nous ont soutenus prennent d'abord la parole.

قناة الجزيرة: لدي سؤالان، الأول: التعاطي السياسي لجماعة العدل والإحسان في المستقبل وكيف ترى تعامل الحكومة مع الجماعة. والسؤال الثاني: يؤاخذ عليكم دائما أن هناك علاقات مع جماعات إسلامية أخرى في الجوار أو في البلدان الإسلامية، ما مدى حقيقة الأمر؟

الإمام: أبدأ بالسؤال الثاني: لنا علاقات بالجماعات الإسلامية، هي علاقات مودة قبل كل شيء وليست علاقات تنظيم. علاقات مودة وعلاقات تعاطف مع الإخوة في السودان وما يقع لهم في الوقت الحاضر من تضييق وما هم فيه نسأل الله تعالى أن يرفع عنهم هذا. وقد وقعنا بالأمس عارضة تعاطف مع الأستاذ الدكتور الترابي.

أما سؤال ما هو عملنا المستقبلي؟ فقد يظن الناس أن تنظيما يسمى جماعة العدل والإحسان إن هو إلا حزب سياسي يفكر كما تفكر الأحزاب السياسية، ويتصرف كما

تتصرف الأحزاب السياسية ويتسابق إلى الانتخابات وإلى مواقع السلطة، ليس هذا من شأننا أبدا، هذا بعض شأننا، هذا بعض اهتمامنا. الاشتغال بالسياسة ضروري لأن تبليغ كلمتنا للشعب المسلم في المغرب وخارج المغرب لن يكون إلا بواسطة حرية صحافية ونحن ممنوعون، هذه جريدة الفتوة الناطقة باسم شباب جماعة العدل والإحسان مُنعت. انظروا في الصورة لتعرفوا لماذا منعت وانظروا في الخلف لتعرفوا لماذا منعت، الصورة معبرة جدا، لست أدري من أين جاءوا بها، لكن الصورة تعبر وفيها جواب لسؤالكم.

الحكومة تتعامل معنا بحذر وبخوف، وهذا التهديد إنما جاء من الخوف، يخافون أن يقع انزلاق. سبحان الله! وكأنهم لا يقرؤون التاريخ، تاريخ الجماعة منذ 20 سنة. كتبنا ثم كتبنا ومنذئذ لم نفتأ نكتب أننا ضد العنف.

On parle aujourd'hui de consensus, nous avons demandé qu'il y ait un consensus, un vrai, depuis 20 ans, mais on ne veut pas lire ce que nous écrivons. J'ai écrit quelque part que ce qui s'écrit en arabe n'est, aux yeux de ces messieurs, que du charabia, ça ne vaut rien du tout.

نقول دائما وما فتئنا نكتب منذ 20 سنة بل منذ 25 سنة أننا ضد إقصاء أي كان. لا نريد نحن أن نقصي أحدا، نحن المقصون، أقصونا. بما أن كل الناس يقولون إننا مسلمون فالحمد لله، ما قال لك أحد إنك كافر أو مجرم ما عدا إذا عبرت عن ذلك بلسانك وقلت لا أشهد أن لا إله إلا الله. وتلك مقالة ما نطق بها أحد، وما يقدر على قولها أحد، حتى من في قلبه شيء فهو يضمره والله أعلم به. إذا علينا فقط أن نتفق أي إسلام نريد، نتفق، نجلس، نتناقش على ملإ من الشعب ويسمعنا الناس ويسمعنا العالم كله. بينما التوافق التراضي أين أبرم؟ أبرم في الكواليس. نحن ندعو لميثاق يطلع على مبادئه الشعب ويحكم أي الناس يستحق الثقة والاستئمان.

A. R. D. (chaîne allemande) : Il y a beaucoup d'allemands qui disent : Ah voilà, ça se termine en Algérie avec l'islamisme et ça recommence au Maroc, ça va devenir terrible, qu'est-ce-que vous leur répondez ?

L'Imam : C'est simple, ce que je vais vous dire est simple. C'est que le Maroc n'est pas l'Algérie, primo, le Maroc n'est pas l'Algérie, le FIS est une association faite à l'impromptu Il y avait une grande tension en Algérie qui a abouti à l'ouverture de 1988, subitement.

Soudain, les islamistes sont survenus, il y a les autres qui ont des intérêts, la classe occidentalisée, les militaires. Alors ceux-là ont vu dans les barbus une menace à leurs intérêts égoïstes. Ils ont donc pris peur, ils ont fait appel aux militaires et il y a eu les carnages infernaux qu'on connaît. Nous sommes tout à fait terrorisés rien que de voir les images que nous renvoient les télévisions : les images d'enfants tués c'est horrible, c'est inhumain, comme nous sommes terrorisés de voir la vieille femme, la bonne femme otage aux Philippines qu'on torture, c'est inhumain, c'est inhumain, c'est inhumain ! En Algérie, le FIS est apparu subitement, il y avait avant une main de fer. Il y avait le parti unique, le F.L.N., subitement les islamistes ont trouvé après les événements de 1988 la brèche, ils s'y sont engagés, les autres ont pris peur. Aujourd'hui, on ne sait pas pourquoi, ici au Maroc, on a peur de nous alors que nous n'avons cessé d'affirmer et de prouver que nous sommes contre la violence. Il est difficile de trouver un écrit de notre association qui ne parle pas de non-violence.

سألني هذا الصحفي من ألمانيا عما وقع في الجزائر وعن خوف الناس من أن يقع مثله في المغرب. أجبته أن جماعة الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي نحترمها ونقدرها. وخصوصا نقدر السيد عباسي مدني ونقدر جميع هؤلاء العلماء الذين قاموا بهذه النهضة المباركة التي أريد لها أن تقف. هذه الجماعة وجدت ورأت النور في سنة 1988م. رأت مدخلا لتشم الهواء الحر. كان هنالك ضغط، ضغط الحزب الوحيد الذي دام سنين منذ استقلال الجزائر فاجتمع العلماء المؤمنون الأفاضل وتقدموا للميدان وأحرزوا على ما تعرفونه من نصر كبير. صوت لهم الشعب كله فرأى الناس الآخرون أن مصالحهم في خطر المسألة بسيطة ويعرفها الجميع. فنادوا العساكر ليحموا مصالح النخبة التي استغنت من مال البترول. هذا معروف وبسيط جدا.

قلت له نحن جماعتنا تكونت منذ عشرين سنة ولم نفتأ نذكر بأننا ضد العنف. ونحن ضد العنف ونكررها. ولا تكاد تجد مكتوبا من مكتوباتنا ليس فيه نبذنا للعنف. لكن الناس لا يريدون أن يسمعوا. الناس لا يريدون أن يسمعوا لأنهم وصلتهم صورة مصنوعة أن كل ذي لحية وكل ذات نقاب إرهابيون متطرفون قتالون سفاكون. نحن نرفض العنف على المسلمين ونتقزز منه ونستعظمه لأنه جريمة مع الله تعالى في حق الإنسان. المرأة الألمانية التي رأيناها جميعا في التلفزيون يعذبونها وهي مريضة هذا شيء ننبذه وتقشعر منه جلودنا. لا نحب هذا الأمر.

A. F. P. (Agence France Presse) : On a entendu, M. Yassine, vos critiques des autorités comme quoi il y a eu la libération du symbole et non pas de votre association. Est-ce-que vous avez aujourd'hui la même appréciation politique générale du Maroc que celle que vous aviez eu en 1995 ?

L'Imam : Non, évidemment pas. Le Maroc est en voie de changement, mais de changement vers quoi, c'est à eux de le décider. On ne sait pas où va le Maroc, le Maroc change rapidement, mais il y a des rétrogressions, on fait un pas en avant et deux en arrière.

رسالة الفتوة: نهنئك على خروجك ونؤكد معك بأن الحصار هو حصار دعوة وليس حصار رجل. لدي سؤالان. الأول هو أن في مذكرة إلى من يهمه الأمر اهتمام خاص بالشباب، وتعلم الوضعية المزرية التي يعيشها الشباب. كيف تتصور مساهمة هذا الشباب في إنقاذ هذه البلاد وإخراجها مما تعيشه. السؤال الثاني...

الإمام: يكفي سؤال واحد. أنا أجيب عن هذا: ما هو مطلوب من الشباب ومطلوب من الشيوخ ومن الرجال ومن النساء هو أن يرجعوا إلى دين الله عز وجل. وأشكرك على هذا السؤال لأنه يرجعني إلى شيء محوري هو أن جماعتنا جماعة دعوة وليست حزبا سياسيا. ما هي الدعوة؟ أن يرجع الناس إلى الله تعالى، أن يتوبوا إلى الله تعالى. الناس في ضياع لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وبالمصير. وإننا في مكتوباتنا وأدبياتنا نلح على ذلك. في رسالة الفتوة تجدون صفحتين دائما للتذكير باليوم الآخر وبعرض الإنسان على الله. سوف نموت كلنا أنا وأنت وهو. أنت لا زلت شابا في الخامسة والعشرين وأنا في السبعين سيان سوف نموت يوما ونرد على الله تعالى. سوف أترجم هذا الكلام إلى الفرنسية لأنه مهم.

Que doit faire la jeunesse ? J'ai dit que les jeunes aussi bien que les vieux doivent se rappeler qu'ils sont des mortels comme les civilisations d'ailleurs, comme le dit l'un de vos philosophes français dont j'ai oublié le nom, donc nous sommes mortels, un jour nous serons là, étendus et morts. Ne soyez pas étonnés si dans mes écrits je parle de la mort, ne pensez pas que c'est une vieille baderne, un vieux monsieur qui ne parle que de la tombe. La tombe n'est que la première étape vers un autre monde, une autre vie, la vie de la géhenne, ou celle du paradis. Évidemment, pour les gens qui ont été moulus et vermoulus par une certaine pédagogie qui les écrase, qui écrase leur être intime, qui les façonne, nous ne sommes que des tubes digestifs et des animaux. J'appelle cela « le postulat bestial ». Dire que nous ne sommes que des bêtes évoluées c'est avouer que le darwinisme est passé

par là et qu'il a changé toute la conception de l'homme de lui-même. Si nous ne sommes que des animaux, alors jouissons de la vie et c'est très bien. C'est logique.

Mais s'il y a une deuxième vie, eh bien, il faut s'y préparer. Comment s'y préparer ? Revenir à Dieu ! Comment revenir à Dieu ? C'est notre métier de le dire aux gens, de le dire à nous-mêmes.

Tout à l'heure on m'a posé la question : à quoi vous allez vous atteler maintenant ? C'est à cela, enseigner à nous-mêmes et aux gens que l'islam est la solution non pas politique, mais la solution existentielle de l'homme. C'est la parole que tout le monde attend et c'est notre mission de répandre cette vérité. Nous sommes des missionnaires de l'islam. Notre devoir est de dire à l'homme, à l'humanité, à la femme, à l'être humain qu'il n'est pas un ver de terre évolué, qu'il n'est pas le descendant d'un singe, qu'il n'est pas un singe supérieur.

رسالة الأمة: انطلاقا من التصريح الذي قاله وزير الداخلية، قال بأن لا وجود «للعدل والإحسان» في الخريطة السياسية، وكما أن بعض مخالفيكم يقولون إن «العدل والإحسان» لم تعرف إلا من خلال قطاعها الطلابي والتخييم، القطاع الطلابي انطلاقا من الصدامات التي وقعت سابقا.

الإمام: فهمت. أنا أحيي رسالة الأمة وأحيي الإخوان أينما كانوا. إذا قالوا بأنه لا وجود لنا فهذه سياسة معروفة، هذه سياسة النعامة. قانونيا اعترف بنا القضاء فعليا. لم نعرف في الجامعة فقط بل عرفنا قبل الجامعة وفي السجون والمعتقلات، وفي الصراعات وفي الشارع. سياسة النعامة هذا شيء لانهتم به.

وكالة رويترز: الآن الدعوة محاصرة، نريد أن نعرف ما العمل. السؤال الثاني ما هو تقييمكم للوضع السياسي بالمغرب ولعمل حكومة عبد الرحمن اليوسفي...

الإمام: الله يجازيك بخير، أرجوك، لا تسألوني عن السياسة السياسوية كما يقولون. لا حاجة لنا بها، اسألني عن شيء آخر. عملنا قبل كل شيء تربوي، وعملنا قبل كل شيء هو أننا نمتنع ونقاوم ونصمد. اترك الآخرين يضربونا، تقول قصة قديمة إن أحدهم ضربه إنسان آخر، فأجابه إنما على ظهرك تضرب. إذا هم ضربونا فإنما ظهرهم يضربون، سيعذبوننا

وقد نسجن ولكن لا ضير، هم المتضررون سياسيا وإسلاميا، لأننا يوم القيامة كلنا ميتون وسيؤدون الحساب.

Naïm Kamal (l'Opinion) : Vous dites que vous êtes pour le consensus et que vous êtes pour le pluralisme. Le pluralisme prêché est un pluralisme autour de votre projet. Pas en négociation avec les autres composantes de la classe politique, et je voudrais savoir comment vous avez apprécié le prêche du vendredi, hier.

L'Imam : J'ai répondu pour la prière d'hier, M. Kamal Naïm qui est un orfèvre de la parole, n'est pas un journaliste ordinaire. Je le salue. Il me pose la question du consensus, il dit que le consensus que nous voulons est un consensus autour de notre projet.

Je crois que vous lisez mal notre littérature, il faut y revenir, notamment le livre qui a été rejeté par l'élite occidentalisée « dialogue avec les honorables démocrates ». Nous les avons invités, comme j'ai dit tout à l'heure, à ce que chacun avance ses propositions, comment il conçoit l'avenir du Maroc, comment il conçoit son islam.

Du moment que tout le monde se prétend bon musulman, alors dites-nous votre façon d'être bon musulman et votre projet, c'est au peuple de juger, ce n'est pas à moi d'imposer au peuple et aux partis de gauche et de droite ma vision du monde. C'est au peuple de choisir, que chacun expose au peuple dans la clarté totale, dans la transparence totale sa conception de l'islam, celle d'être musulman, et c'est au peuple de choisir. Nous n'avons jamais pensé à imposer quoi que ce soit aux gens.

جريدة التجديد: قلتم إن لديكم أفكارا جديدة. ما هي ملامح هذه الجدة؟ ومن جهة أخرى هل خولت لكم فرصة الاختلاء بالذات مدة عشر سنوات مراجعة مقوماتكم في التغيير ببلادنا؟

الإمام: أحيي جريدة التجديد وأحيي السيد بولوز كذلك. أجيب عن الشطر الثاني من سؤالكم. الجماد هو الذي لا يتغير. هنالك ثوابت، ولكن تطبيقها على الواقع لا يمكن أن يكون تصور الإنسان وهو بعيد عن الميدان كما وهو في الميدان. ما قرب الإنسان من الواقع إلا وأفكاره الثابتة تصطبغ بصبغة جديدة وسألتني ما هو الجديد في تفكيرنا. في هذه السنوات الأخيرة صدرت لي كتب عديدة والحمد لله على ذلك. يقول بعضهم كتب أكثر من عشرين كتابا!!! عجب! عجب! عجب! لماذا يصبح الفكر تهمة وعجبا؟ لأن أرضهم قاحلة، أرضهم الفكرية قاحلة، وإذا كتبوا يكتبون كلاما ممجوجا، كلاما لا قيمة له. أما أنا فاكتب كلاما

مسؤولا، مسؤولا عنه في الدنيا وأمام الله سبحانه وتعالى. في الأيام المقبلة إن شاء الله سيصدر لي كتاب هو من آخر ما كتبت عنوانه «العدل». صدر منذ سنوات كتاب «الإحسان»، والآن سيصدر كتاب «العدل» وسترون أن سيرنا النظري وسيرنا العملي يتوازيان. «العدل» فيه فكرنا وما نطرحه على الأحزاب السياسية مبينين كيف نتصور الميثاق، وسيظهر الكتاب قريبا إن شاء الله إذا لم يمنعوا المطابع من طبعه...

سؤال لأحد الحاضرين: نريد ملخصا قصيرا للكتاب إن أمكن.

الإمام: هذا غير ممكن، هذا كتاب من 700 صفحة وأكثر. في زمننا، زمن الإعلام السريع يُفضل الناس ملخصا. نحن أناس نروم العمق ولسنا في عجلة من أمرنا، لسنا نجري وراء الحكم، لدينا كل الوقت، يجب أن نفكر ونفكر بعمق لأنه لا يصح إلا الصحيح كتاب «العدل» من 780 صفحة، قد يقول قائل إن هذا كثير. إذا كان كثيرا فاقرأ ملخصا...

بنعيسى الفاسي (بي بي سي): طبعا نحن نقدر الظرف الذي تعيشه جماعة «العدل والإحسان». فبعد الإفراج عن سماحتكم وبطبيعة الحال نحن لا ننتظر تصريحات سياسية ولكن بما أن الإسلام دين ودنيا وأنتم تدعون إلى تربية النشء وإلى النهي عن المنكر. والواقع أن المجتمع المغربي، وهذا بشهادة الحكومة نفسها، يعيش فوارق طبقية ويعيش مشاكل اجتماعية وعدم تطبيق العدالة الاجتماعية كما يدعو لها العاهل المغربي. بطبيعة الحال لكم تصور أو بديل. لنفرض أنه سمح لكم بالممارسة السياسية ودخلتم الانتخابات قبل أوانها، وبدون شك الناس يعرفون النتائج ومن سيفوز ولكن إذا سمحتم سيدي أن تعطونا تصورا ولو سريعا عن بديلكم...

الإمام: جزاك الله خيرا السيد بنعيسى الفاسي ليس رجلا صحافيا فحسب بل هو رجل فيلسوف. وأنا استمعت إليه في بعض البرامج الإذاعية وهو رجل له أفكار ولديه عمق. وبالنسبة إليك السيد بنعيسى الفاسي عليك بكتاب العدل فستجد فيه مأربك. وسأجيبك بالفرنسية فذاك أحسن.

Benaïssa El Fassi (BBC) qui n'est pas seulement un journaliste, mais un philosophe et un homme de lettres me demande : si vous arrivez au pouvoir qu'est-ce-que vous allez

faire ? Les élections sont proches. Eh bien, je ferai ici une distinction, un distinguo, entre une plate-forme électorale et un projet de société.

Certains partis politiques sont devenus la risée de tout le monde. On a dit qu'il y a certaines imprimeries qui distribuent des programmes électoraux à ceux qui n'en ont pas. Nous, nous avons un projet de société, nous, nous sommes en train de l'appliquer. Qu'est-ce que c'est que notre projet de société ? Primo, éducation, secundo, éducation, tertio, éducation. Toujours éducation pour changer ce dont souffre le peuple : la misère et tous les maux que vous connaissez tous et que vous ne cessez de montrer. Il faut d'abord s'adresser à l'homme, lui dire, lui porter la bonne nouvelle c'est-à-dire qu'il n'est pas un animal, qu'il doit se conformer à ce que lui disent les Prophètes de Dieu, à savoir la fraternité humaine.

Vous me direz que ce n'est pas la bonne méthode pour moraliser la politique, pour moraliser la société. Je vous dis oui, cela ne suffit pas surtout si on prêche ce qu'on ne pratique pas, si on dit aux gens soyez pieux, craignez Dieu et que soi-même on ne pratique pas les principes de l'islam… Donc éducation avant tout. Une fois que l'éducation aura donné ses fruits, nous aurons des hommes et des femmes capables d'être justes, capables d'appliquer la justice.

Nous ne sommes pas pressés, nous avons encore le temps, nous ne sommes pas pressés d'aller aux élections d'aussitôt, dans deux ans ou dans cinq ans. Pourquoi ? Le jour où nous aurons vu, nous aurons constaté qu'il s'est passé au Maroc des élections propres non trafiquées, à ce moment-là nous opinerons, je ne dis pas nous entrerons parce que c'est à nous de choisir notre moment.

Que ceux que l'épouvantail algérien inquiète soient tranquilles, nous ne sommes pas des quémandeurs, des demandeurs de pouvoir, pas d'aussitôt. J'ai écrit quelque part qu'un jour nous serons le recours et je répète, le recours spirituel, moral et politique. Les gens viendront à ce moment-là nous dire voilà nous sommes dans l'impasse, qu'est-ce qu'il faut faire ? Cela en politique ne se fait pas mais dans l'histoire des peuples cela se fait. Les changements réels se passent de cette façon.

سألني الأخ الكريم قال: ما هو البديل الذي تطرحونه يعني ما هو الشيء الذي تقترحونه لإنقاذ المغرب من الفقر، من التفاوت الطبقي ومن سائر الأمراض. فأجبته أن هنالك شيئين متمايزين: البرنامج الانتخابي وقلت -وهذا بين هلالين إن شئتم- إن بعض الأحزاب السياسية أصبحت مسخرة عند الناس لأن ما يسمونه برنامجا يشبه بعضه بعضا،

حتى قال بعض الناس –ولا أدري ما وراء هذا الكلام– إنهم يذهبون إلى المطابع فيشترون البرامج. فنحن عندنا مشروع مجتمعي، وهذا المشروع المجتمعي مكتوب ولم ينفك يكتب منذ 20 سنة بل أكثر من 20 سنة. مقروء لمن شاء أن يقرأ، وبالعمق الذي يناسب. وكتب باللغة العربية وكتب بالفرنسية لكي يفهم الجميع.

J'ai écrit en français, cette belle langue que je n'utilise pas, que je ne pratique pas, que j'ai d'ailleurs pratiqué très peu de temps. Si j'ai écrit c'est que je m'y suis appliqué. Il faut s'appliquer. Je ne cherche pas mes mots parce qu'il y a le dictionnaire pour trouver le mot juste.

إذا فما نطرحه من بديل: أولا التربية، ثانيا التربية، ثالثا التربية... إلخ. تربية الإنسان إخبار الإنسان أنه ليس دابة تسعى، وليس قردا ابن قرود. فعندما يرجع الإنسان إلى الله تعالى ويعرف قيمته ورسالته في هذه الدنيا، يرجع إلى الإسلام يرجع إلى لا إله إلا الله محمد رسول الله، عندئذ يتغير كل شيء. عندما يتهيأ الناس، هؤلاء الأجيال... مسألتنا نحن مسألة أجيال.

Notre affaire à nous est une affaire de générations, nous ne sommes pas pressés. Cette précipitation diabolique, satanique, nous ne sommes pas pour. Nous ne sommes pas des inquiets, nous avons toute l'éternité devant nous.

Jean Paul Tuquoi : Je veux d'abord vous rassurer sur votre français, il est excellent !

L'Imam : الحمد لله

Jean Paul Tuquoi : Ça c'est la première chose, deuxième chose il y a une question que tout le monde aimerait vous poser, je pense. Vous avez entendu ce qu'a dit M. Midaoui, il y a un point sur lequel semble-t-il, il est très vigilant, c'est votre position sur le statut du roi, du monarque. Dans la constitution il est écrit que le monarque est le commandeur des croyants.

L'Imam : Je vous répondrai d'un seul mot, cela je l'ai dit, il y a vingt-cinq ans, n'est-ce pas, j'ai explicité mon opinion sur le sujet je n'y reviendrais pas.

عبد الكبير العلوي، (الزمن): هناك سؤال يقع بين سؤالي الزميلين نعيم كمال والزميل بن عيسى الفاسي والسؤال كما يلي: بين التعددية والمشروع المجتمعي، هناك التهييء لهذه

الأجيال: هل تفكرون في هيكلة حزبية سياسية، ثم هل تقبلون القوانين الانتخابية كما هي مطروحة وما هي مطالبكم؟

الإمام: أهلا وسهلا السيد العلوي أنا أحييك وأحيي جريدة الزمن ومطبوعات الجريدة. سيدي عبد الكبير نحن نقدر الأشراف آل البيت ونعظمهم ونحبهم كيفما كانوا. سوف لن أجيب على الشطر الثاني من السؤال فهذه من السياسة السياسوية وليس هذا هو موضوعنا. أنا قلت إن جماعة العدل والإحسان تنظر إلى الواقع بعينين. أعبر تعبيرا آخر: بعين العدل الذي يقول لا بد لهذه الأمة من عدل يسوي بين الطبقات ويقرب على الأقل ما بين هذه الفروق الفظيعة التي نراها في المغرب. التربية على الإحسان تكلمت فيها قبل قليل: تذكير الإنسان بالله تعالى، وبأنه ليس حيوانا وليس قردا، وأن يرجع الناس إلى الله تعالى. التربية على المطالبة بأن يكون عدل. لأنه لا يمكن أن تقول: من فضلكم كونوا لطيفين وأقيموا العدل هذا لا يصح إلا بمواجهة صارمة والمواجهة تلزمها هيكلة. تلزمها قوة سياسية تطلب العدل. القوى السياسية كلها تقول نريد عدلا! نحن أيضا متفقون معكم يا سادة. هيا ما العمل؟ فإذا الهيكلة موجودة وواقع، ولا نحتاج إلى هيكلة جديدة فلدينا مؤسساتنا فلتطمئنوا. بعض الناس يقولون جماعة العدل والإحسان « **Un groupuscule insignifiant** ». الناس اعترفوا بأن تنظيمنا تنظيم محكم، مسيراتنا منظمة. بل من تفاهات بعض الناس أنهم قالوا إن هؤلاء الإسلاميين والمحجبات منظمون كالعساكر ويريدون أن يعودوا بنا إلى عهد فرانكو وموسوليني وهتلر. هل النظام مطلوب أم لا؟ هذا يعني أن الناس يفكرون قبل أن يمشوا بأرجلهم. فقالوا إنه في مسيرة الرباط كان الناس يرقصون ويغنون كانت هناك **convivialité** هذه تفاهات!

قلنا إن جماعة العدل والإحسان منظمة تنظيما محكما ولها مؤسساتها ومسؤولوها ومسؤولاتها وليست همجا من الرعاع. ولها فكرها ونظرتها ورجالها ونساؤها. جمعياتها لا تكاد تحصى في الوقت الحاضر، منها ما عرفوا فأوقفوها ومنعوها. هنا معي ملف لجمعية لنا في أكادير منعوها وأخرى في وجدة، منعونا في الدار البيضاء إلخ. إذا نحن منظمون ولسنا همجا وليكن الناس على يقين من ذلك.

Nicolas Marmier (Associated Press) : Ma première question concerne votre projet politique. Je voudrais savoir si cela ne rentre pas dans une logique politique ? Est-ce

que vous considérez que ce que vous faites aujourd'hui ne ressort pas de la politique, la seconde, en janvier dans le Mémorandum qui a été publié vous avez qualifié le souverain de jeune et sympathique. Je voulais savoir si ce jugement, compte tenu des dernières évolutions qu'a connu votre association, reste le jugement que vous portez sur le souverain.

L'Imam : Je ne répondrai pas à cette deuxième question, sinon par dire que ce que j'ai dit, je l'ai dit et je continue à le dire et c'est fini, je tourne la page. J'ai l'habitude d'être responsable chaque fois que je parle. Chaque fois que nous faisons une déclaration nous sommes responsables de ce que nous écrivons et de ce que nous disons.

Nicolas Marmier : Donc il reste jeune et sympathique ?

L'Imam : Je ne répondrai pas. Il est toujours jeune et sympathique, c'est à chacun son goût ! Pour moi, il est d'abord descendant du Prophète, c'est une lourde responsabilité, beaucoup plus lourde que la responsabilité de souverain.

Quant à votre première question, apparemment c'est de la politique. La presse c'est de la politique par excellence, parce que c'est vous les intermédiaires qui, quelques fois, semez de l'ivraie, ça ne fait rien, cela fait partie du risque.

Apparemment c'est de la politique mais dans le fond de moi-même et dans quelques bribes de mon discours je n'ai cessé de dire que nous sommes des mortels, et qu'il y a la vie dernière. Je ne dis pas l'au-delà parce que l'au-delà ce n'est rien, on ne sait pas ce que c'est, la vie dernière est décrite dans le détail dans un seul livre, dans l'unique livre qui vous en parlera : le Coran, nulle part ailleurs. Vous n'y trouverez une description de ce qui nous attend, vous et moi, tout le monde. La vie dernière n'est pas un vain mot. Ce n'est pas une conviction personnelle, mais il y a maintenant un milliard et demi de musulmans de par le monde, un milliard et quelques de toute façon. Ils y croient. Qu'est-ce que cela veut dire ? Ils sont fidèles à Dieu. Pourquoi ? Parce qu'ils ont fait l'expérience spirituelle. C'est pour cela que j'ai dit et j'ai souligné que l'Adl Wal Ihsane veut dire Justice et Spiritualité ou bien bel agir. Donc j'aurais répondu à votre question.

أريد أن أعطي الكلمة للنساء، أنا أريد أن يكون للمرأة حقها ولا أريد للنساء أن يغلبهن الرجال.

Bahia Laamrani (le Reporter) :

L'Imam : لا إله إلا الله

Bahia Laamrani : Pourquoi لا إله إلا الله?

L'Imam : لأن «عمراني» يعني أنك من آل البيت وأنت شريفة وهذه مسؤولية كبيرة أمام الله تعالى

Bahia Laamrani : بارك الله فيك يا سيدي.

Je vais poser ma question en français. Vous avez dit que la politique n'est qu'une partie de votre activité, que votre association ne va pas se présenter aux élections, et que vous allez vous occuper de spiritualité plutôt. Est-ce-qu'on peut savoir exactement et concrètement en quoi ça consiste ? Est-ce-qu'il y a un changement ? Qu'est-ce-que vous allez faire concrètement ? Autre chose est-ce-que vous avez eu des relations, des contacts, des félicitations, des autres forces politiques ou certaines parties des autorités ?

L'Imam : Je répondrais à la deuxième partie de votre question. Ce matin j'ai lu les félicitations, le bonheur et la joie de M. Ismaïl El Alaoui, le ministre. J'ai reçu quelques félicitations écrites très rares jusqu'ici. De toute façon je remercie les gens qui ont partagé la joie, parce que les pauvres pensent, quand on n'a pas de vie intérieure, de vie spirituelle, qu'être consigné à domicile pendant dix ans sans aller un peu voir le jardin, sans aller voir le printemps, les nouvelles fleurs, c'est dur à supporter. Pour moi c'était un bonheur parce qu'il y avait la vie intérieure, c'est ça la vie spirituelle.

Je reviens au début de votre question : moi personnellement je ne peux pas faire grand-chose. Je ne peux pas m'occuper de tout le monde qui viendrait demander : eh bien monsieur montrez nous comment faire pour être un bon musulman ! Je vous dirai une chose très simple : cherchez des contacts avec des organisations d'Al Adl Wal Ihsane, ils vous recevront à bras ouverts, ils vous ouvriront leurs cœurs et leurs bras pour vous dire comment nous sommes. Venez assister à une séance de Dhikr. Qu'est-ce-que c'est le Dhikr ? C'est la souvenance. C'est un mot que j'ai un peu inventé il y a de ça plus de vingt ans dans le premier livre que j'ai commis, qui s'intitule « La révolution à l'heure de l'islam ». La souvenance de Dieu, se rappeler ce qu'on est. Il y a Dieu et moi.

Farida Mouha :

L'Imam : Farida Mouha, eh bien Farida Mouha me fait peur un peu, je vais vous dire pourquoi, parce qu'une personne aussi illustre que Farida Mouha, de renommée, … eh bien je n'insiste pas !

Farida Mouha : Cheikh Yassine, merci ! Vous avez évoqué à maintes reprises votre projet de société. Moi je vais vous poser une question très simple, quel est votre avis,

qu'est-ce-que vous pensez du statut de la femme ? Quelle est votre réaction à propos du plan d'intégration de la femme et notamment à propos de la réforme de la moudawana ? Vous parlez toujours de Al Adl Wal Ihsane est-ce-que vous ne pensez pas que la situation de la femme ici au Maroc est une situation injuste. Et qui a totalement atteint un point absolument de non-retour. On a beaucoup entendu parler votre fille Nadia Yassine, on la remercie, on voudrait avoir votre avis.

L'Imam : Eh bien, moi je pense que la situation de la femme, au Maroc et ailleurs, est une situation horrible et non pas seulement désastreuse. La femme est l'opprimée de l'homme. L'homme est inculte. L'homme n'est pas éduqué. L'homme n'est pas juste. Donc elle est l'opprimée au second plan.

Quant à la moudawana, je vous dirais ceci : ma fille a déclaré que la moudawana n'est pas une chose sacrée ; on a pris cette phrase, et on en a fait mauvais usage. Ou bien il y avait un malentendu. La moudawana est un texte qui a été pondu au lendemain de l'indépendance. Donc ce n'est pas une pensée, ce n'est pas un Ijtihad bien réfléchi, bien pesé. Il y a des choses qui sont à revoir. Il y a beaucoup de choses qui sont à revoir. Il faut revoir le statut de la femme, parce que la femme est l'opprimée au deuxième ou troisième stade…

Farida Mouha : Et le plan d'intégration de la femme, Cheikh ?

الإمام: هذه مسيرة الدار البيضاء، كان هناك اهتمام خاص من قبل إخواننا في التوحيد والإصلاح في جريدتهم وتنظيمهم، وجمعوا... الأذان... لا إله لا إله إلا الله... بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين.

اسمحوا لي لن نستطيع المتابعة هذا أذان الظهر، نداء مولانا الكريم ينادينا: هلموا إلى الصلاة، كلنا مسلمون، إذا الصلاة جزاكم الله خيرا.

خامسا: حوار مع جريدة إلبايس الإسبانية(1)

أجرى الحوار الصحفي: ايغناسيو سمبريرو (IGNACIO CEMBRERO)

نص الحوار مع جريدة إلبايس (El País) الإسبانية المنشور بتاريخ 23 يوليوز 2000 باللغة الفرنسية:

L'Imam : On ne peut effectuer un changement profond de la société, si on n'éduque pas les générations futures. Quand on m'a posé la question : à quoi est-ce que je vais m'atteler après la levée de l'assignation à résidence ? J'ai répété le mot « éducation » trois fois et j'ai dit que j'allais m'atteler à la spiritualité du mouvement sans toutefois laisser de côté la politique. Vous vous êtes sans doute rendus compte, vous, observateurs étrangers, que notre mouvement Al Adl Wa Ihsane (Justice et Spiritualité) n'est pas une pièce de savon qu'on peut dissoudre aisément. Pour le moment, le gouvernement ainsi que les forces politiques au Maroc sont préoccupés par ce que certains ont appelé « guerre des plages » …

El País : Justement, la « guerre des plages » … C'est quoi cette guerre ? je présume que vous ne l'appelez pas « guerre de plage », vous l'appelez autrement…

L'Imam : Non ! Ce sont les médias qui appellent ça « guerre des plages ». Nous n'avons jamais déclaré la guerre à qui que ce soit… Certes, nous nous sommes parfois adressés aux gens d'une façon peu amène, mais déclarer la guerre… Nous n'avons pas l'intention de déclarer la guerre à qui que ce soit… Et nous ne l'avons jamais fait dans le passé… nous n'avons pas inventé ce vocable de « guerre de plage » qui ne peut faire partie de notre lexique… « Confrontation » oui ! Il y a eu confrontation sur les plages du Maroc. Pourquoi ? Sachez que pendant de nombreuses années, depuis 1986, nous campons sur des plages étalées sur le littoral marocain… des plages que nous nous sommes tués à défricher, à débroussailler et à aménager pour en faire des plages fréquentables pour les estivants. L'année dernière, ces plages ont tellement pris de l'ampleur que les médias nationaux et internationaux se sont mis à leur consacrer leurs manchettes les qualifiant

(1) النص الأصلي لهذا الحوار باللغة الفرنسية والذي ننشره لأول مرة في هذا الكتاب مع ترجمته إلى اللغة العربية، ويشكل سبعة أضعاف النص المنشور في البابيس على الرابط الآتي:
https://elpais.com/diario/23/07/2000/internacional850215_964303218/.html#?rel=mas.

de « plages…islamiques ». Une déclaration de guerre par la connotation que ce terme prend chez vous, occidentaux, les islamistes étant vos ennemis désignés. Les autorités nous ont donc déclarés la guerre, une guerre verbale et médiatique d'abord… Puis, Il y a deux à trois mois, le gouvernement a commencé à proférer des menaces : Ces plages ne doivent plus être occupées par les islamistes qui n'en ont plus droit… Des menaces suivies de l'interdiction nette de nous rendre sur ces six plages. Pire encore : notre campement de Nador, au nord du Maroc, a été tout simplement saccagé puis brûlé par les forces de police. Sur d'autres plages, il y a eu mobilisation des forces auxiliaires, des agents de la Police et de la Gendarmerie et des parachutistes qui ont bloqué l'accès à ces plages. Ils croyaient nous avoir neutralisés, mais nous avons d'autres flèches dans notre carquois… Ils ne pensaient pas que nous oserions un jour descendre sur les plages publiques et fréquenter paisiblement nos concitoyens. Mais ils ont eu la désagréable surprise de nous voir gagner ce défi.

La réaction du pouvoir ne s'est pas fait attendre. Perdant leurs esprits, les autorités ont commencé dès la première semaine à tabasser les estivants et à arrêter les gens. Certains mêmes ont été poursuivis en justice pour être allés se baigner en mer. Mais ils ont dû en fin de compte et sur le conseil d'une des rares personnes encore intelligentes dans le gouvernement qu'il était temps de cesser cette absurdité, sinon, c'en était fait de la réputation de « l'Etat de droit et de la loi » Mais nous continuons à fréquenter les plages et nous continuerons dans les mois à venir laissant nos adversaires s'empêtrer dans leurs intrigues.

El País : Pourquoi cette voie ? Quels sont vos objectifs ?

L'Imam : Il s'agit, en fait, pour nous d'affirmer que nous sommes là et que nous resterons là. Nous avons des droits que nous continuerons à réclamer. Pour nos adversaires, la confrontation a un objectif très clair : nous arrêter, nous empêcher d'être. C'est un peu la politique de l'autruche qui enfouit sa tête dans le sol en prétendant que nous n'existons pas. Notre existence leur fait mal ; elle les irrite et les rend furieux. En fait, ils ne savent comment se comporter vis-à-vis de notre mouvement.

El País : Ce dimanche, c'est le 1er anniversaire de la mort du roi Hassan… Vous pouvez nous faire un bilan de cette première année… quels sont les bienfaits et quels mauvais constats faites-vous de cette année ? Une chose est sûre : Il y a au moins un point positif : on est là avec vous… ça aurait été impossible, il y a un an … On a essayé mais c'était impossible ; on nous arrêtait toujours à la porte…

L'Imam : Bon, la levée de cette assignation à résidence est bonne pour vous qui ne pouviez pas me rencontrer comme pour moi qui ne pouvais pas rencontrer librement mes amis… Et quand c'est levé… C'est une chose positive bien sûr… Mais cette levée de l'assignation à résidence inquiète le pouvoir. Aussi a-t-il formellement mis fin à cette mesure pour mieux nous serrer de près. Vous n'êtes pas sans savoir que pendant toute ma tournée dans les régions du Maroc, nous étions suivis par une cohorte de voitures…

El País : C'était peut-être pour vous escorter…

L'Imam : Oui, ils nous escortaient mais de quelle manière ! Les journaux ont publié des photos que nous avons prises à Tanger ou à Tétouan où ils ont failli nous entrer dedans et tuer deux personnes de l'escorte qui m'accompagnait… Donc, la levée de l'assignation à résidence, c'était pour les faire sortir de cette impasse. Car des années durant, tout le monde réclamait la levée de cette mesure, à commencer par les partis politiques marocains et les organisations des droits de l'homme. Bref, c'était une épine dans leur pied… Ils ont cru sortir de cette situation mais leur véritable intention se voit dans leurs actes. Nous avons certaines fois été poursuivis par dix voitures de police… Une fois à Safi, ils étaient quarante-deux personnes à guetter ma sortie de la maison où j'avais passé la nuit… Donc, ils ont levé l'assignation visible pour resserrer leur étau.

Maintenant, qu'est-ce qu'on constate : que le roi va d'une ville à l'autre pour exprimer sa préoccupation de l'état des pauvres, sa compassion envers la veuve et l'orphelin, les handicapés… Il multiplie ce genre d'initiatives, mettant le gouvernement dans l'embarras… car, ainsi, c'est, aux dires des gens, le roi qui fait tout… Mais ça résume surtout un déplacement continuel avec des résultats tangibles. Maintenant, il faudra attendre pour voir si ces résultats seront visibles lorsque l'économie marocaine s'essoufflera … Les discours que le roi et le gouvernement tiennent affirment qu'ils vont venir en aide aux victimes de la désertification et de la sècheresse. Au fait, il s'agit d'un prêt par-ci et d'un autre par-là octroyés pour financer les semences, nourrir le bétail dans les campagnes… Cela n'est pas suffisant… Il s'agit en fait de discours pléthoriques que la réalité du simple citoyen ne cesse d'infirmer.

El País : Donc, selon vous, le bilan de cette année s'avère négatif ?

L'Imam : Le chef du gouvernement, M. El Youssefi, a déclaré au début qu'il allait épurer l'administration. A ce que je sache, le Maroc est toujours au 125ème rang parmi les autres nations. Sur le plan du développement, le taux de croissance cette année 99 est de 0.01%… celui de l'année à venir sera pire. Cela, malgré les déclarations prometteuses du

ministre des finances qui a annoncé en novembre dernier que le Maroc va connaitre un taux de croissance de 6%, sinon plus.

El País : Vous dites que le roi n'a fait que se déplacer au chevet des malades et des pauvres, etc. et que vous attendez de voir si cela sera suivi de faits… mais je me demande si la fondation Hassan II qui a pris depuis quelques mois de l'ampleur ne joue pas un rôle social positif. Il s'agit quand même en quelque sorte du bras charitable du Palais.

L'Imam : La pauvreté ici au Maroc est une plaie profonde. Appliquer des pansements pour alléger les douleurs, ce n'est pas la bonne façon pour guérir le malade. Le peuple marocain est malade… La grande majorité de cette nation vit dans la pauvreté absolue… Il suffit de se balader dans les rues pour vous en rendre compte… Vous pouvez visiter les taudis pour vérifier cela. Donc, un analgésique qui calme la douleur ne peut mettre fin à la situation gravissime que vit le citoyen moyen.

El País : Et qu'est-ce qu'il faudrait selon vous pour améliorer la situation ici au Maroc…

L'Imam : Changer les principes et les orientations et s'investir plus dans les actes au lieu de s'adonner au verbiage sur la démocratie. Verbalement, on est prodigue en promesses : Nous allons servir la démocratie… Nous allons établir la démocratie … Nous allons construire la démocratie… Nous allons adapter la démocratie… Mais sur le terrain, rien ne bouge ! C'est toujours l'absolutisme absolu qui règne. C'est toujours le Makhzen qui mène le jeu sans donner de compte à quiconque. Ce qu'il faudrait faire, c'est changer d'orientation et cesser de mentir au peuple… aux marocains… Promettre monts et merveilles aux gens puis rien… Juste avant cette interview, j'écoutais à la télévision une intervention de l'opposition marocaine à propos de cette affaire du championnat du monde 2006… Des heures à protester contre le gouvernement qui avait promis aux Marocains d'accueillir cette coupe 2006 au Maroc ! Que, selon eux, c'était gagné. Ils ont dépensé des milliards de dirhams pour un résultat nul. Le Maroc a obtenu une voix… Une seule voix… Rien que de la propagande pour justifier leurs vols. Et Dieu seul sait combien de fois les responsables… les ministres… le gouvernement… les gens qui ont disposé de ce dossier ont cassé la tête des marocains avec leurs inepties. Bref, il faudra changer de Cap… Il faudra changer… cesser de mentir. En attendant, nous ne cesserons jamais, tant qu'ils profèrent des mensonges, de crier au scandale et de dénoncer les menteurs. En attendant qu'ils trouvent un remède à leur mal… Et ce n'est pas à nous de leur dire comment !

El País : Pourtant, ce n'est pas parce qu'on a cessé de mentir qu'on peut atteindre le taux de croissance économique de 6% promis.

L'Imam : Bien-sûr… mais le mensonge a des impacts sur l'action des hommes. Pourquoi les investisseurs étrangers dont le Maroc a grand besoin n'ont pas cette confiance ? Parce que les responsables marocains leur mentent. Ils leur promettent d'ouvrir un guichet unique leur permettant d'investir facilement au Maroc. Sur le terrain, ils ont la désagréable surprise qu'il faille passer par le bakchich (pot de vin) … partout… dans tous les bureaux. Mais, pourquoi empêcher l'ouverture du guichet unique qui aurait rendu facile l'investissement au Maroc ? Tout simplement parce que toutes les composantes de notre chère bureaucratie demandent du Bakchich et veulent se graisser la patte…

El País : Et qu'en est-il des partis politiques qui ont longtemps réclamé votre libération. Une fois l'assignation à résidence levée, y a-t-il eu des contacts avec eux… des discussions… des négociations ?

L'Imam : Rien ! Pas de contact, ni de discussion… Il n'y a pas eu de dialogue avec les partis politiques… sinon au travers de nos publications… Les journaux partisans, surtout les journaux francophones ne cessent de nous déclarer la guerre tous les jours… Chaque mouvement que fait notre organisation est interprété d'une manière qui porte atteinte à notre réputation et fait naître un sentiment de répulsion chez les gens. Ainsi, sur cette affaire de plages où nous avons un contact amical avec les baigneurs… vous avez peut-être lu que les barbus sont descendus sur les plages pour attaquer les gens. Ils ont même répandu le bruit que nous aurions assassiné des gens sur des plages, des enfants mêmes … En cela, ils capitalisent sur la réputation que certains médias occidentaux ont fait des islamistes… surtout vu ce qui se passe en Algérie… Et les gens peuvent facilement croire que nous aussi au Maroc voisin puisque nous portons la même barbe que les algériens que nous sommes des assassins… Voilà le contact quotidien que nous avons avec les journaux… Ils nous attaquent et nous n'avons pas les moyens de nous défendre, nos publications étant interdites.

El País : Oui, mais vous avez toujours votre site internet.

L'Imam : Oui… oui... mais le site internet est là pour qui ? Pour une élite… pour les gens qui savent se servir d'un ordinateur, qui ont surtout les moyens d'acheter un ordinateur… Mais la grande majorité du peuple n'a pas accès à l'internet…

El País : Quand vous dites qu'il n'y a pas de contact avec les partis politiques, cela inclut le Parti Justice et Développement… Vous n'avez pas de contact avec eux ?

L'Imam : Les membres du PJD sont nos frères. Certes, ils ont leurs propres options : Ils ont choisi de collaborer avec le pouvoir en intégrant le parlement, se positionnant ainsi

contre notre option. Mais vu que nous sommes des musulmans qui avons la même foi, la différence est d'ordre tactique. La différence actuelle de nos positions qui nous sépare sur ce point-là n'entraîne nullement la rupture des liens profonds que nous avons avec eux. Pour nous, ce sont nos frères avec lesquels nous ne sommes pas d'accord. Mais, dans l'avenir, une fois la situation devenue favorable, nous pouvons envisager un contact plus étroit avec les frères qu'ils demeurent pour nous.

El País : Serait-il possible à l'avenir que vous suiviez la voie empruntée par le PJD et devenir un parti politique qui ait des rapports étroits avec… ?

L'Imam : Mais il y a eu déjà des contacts avant 10 ans, en 1990… C'était notre 1ère année d'assignation à résidence. Les membres du Conseil d'Orientation de notre Mouvement étaient en prison... Le gouvernement a envoyé ses émissaires nous contacter… Ils nous ont proposé de reconnaître notre mouvement, de relâcher nos prisonniers, de nous reconnaitre comme parti politique qui siègerait au Parlement avec les privilèges qu'on sait, etc... Ces contacts secrets ont avorté car nous avons rejeté leurs propositions. Nous étions conscients que cette reconnaissance est conditionnée par notre soumission totale au Makhzen. Et cela, nous ne pouvons l'accepter !

El País : Et si, actuellement, on vous refait la même proposition, vous aurez la même réponse ?

L'Imam : Absolument ! Qu'est-ce qui a véritablement changé pour nous faire changer d'avis ? Le jour où il y aura véritablement des élections démocratiques, où il n'y aurait plus de marchandage… où les élections ne seront plus manipulées… Nous sommes las des mensonges proférés à longueur de journée. Nous demandons à voir des faits et non plus à entendre. Le jour où les élections ne seront plus soumises à l'arbitraire, nous verrons. Et ce n'est pas l'affaire d'une année ou deux. Avec la volonté de Dieu, nous agirons en fonction de ce qui se passe au niveau de la politique intérieure comme de la politique extérieure. Nous ne voulons pas entrer dans le jeu pour répéter le drame de l'Algérie. Au niveau international, les islamistes que nous sommes ne sont pas fréquentables, les médias manipulés donnent des islamistes une image rébarbative… une image qu'ils ne cessent de noircir… Les pseudo-islamistes, ces monstres qui tuent des enfants et égorgent les gens en Algérie ou ailleurs sont des bêtes sauvages qui assassinent par plaisir. Cette image noircie que les médias ne cessent de noircir fait que les islamistes ne sont pas fréquentables internationalement. Supposons que nous participions aux élections, il y aura de fortes chances que nous les remportions. Il n'y a qu'à lire et à relire les manchettes de certains journaux francophones qui avaient titré il y a quelque mois : Alternance 2 : «les islamistes vont arriver». Autrement dit, vous avez sûrement entendu que notre

organisation est la première force politique du Maroc et nous le prétendons aussi. Connaissant la popularité que nous avons auprès du large public, nous le prétendons aussi… et ce n'est pas seulement en termes de nombre de votants possibles mais en terme aussi de qualité. Notre organisation ne ressemble pas aux autres organisations partisanes. Les liens entre ses membres sont bien plus solides que ceux existant entre les membres des autres organisations.

El País : Pourquoi ces liens entre les membres de votre mouvement sont-ils plus solides que ceux existant entre les membres de l'Union Socialiste des Forces Populaires ou les membres de l'Istiqlal ?

L'Imam : Tout simplement parce que les intérêts individuels de ce monde comme la promotion sociale ou le gain n'entrent pas dans nos calculs. Ces bas calculs de l'intérêt personnel, de ce que nous allons gagner dans ce bas monde n'existent pas chez nous. Nous en avons d'autres : être agréables à Dieu et gagner le salut et la félicité éternels… ce discours peut vous paraître étrange à vous autres occidentaux parce que la religion est la dernière de vos préoccupations.

El País : M. Abdessalam Yassine, Il y a quelques années, un dialogue a été initié entre des intellectuels et certains mouvements extra-parlementaires avec les islamistes. Qu'en est-il pour votre Mouvement ?

L'Imam : Il y a eu en effet quelques tentatives, notamment avec des membres de l'Istiqlal mais il s'avère que nous ne sommes pas sur la même longueur d'onde. Il reste qu'il n'y a rien d'officiel, c'est sur le plan informel et intellectuel. Vous parlez de dialogue, je vous rappelle que nous avons lancé, il y a 7 ans, un appel au dialogue. J'ai écrit en 94 « Dialogue avec nos vaillants démocrates » qui a provoqué tout un tapage médiatique. Nos intellectuels occidentalisés se sont sentis offusqués par le mot « vaillants », le considérant comme une insulte à leur égard. La majorité entre eux ne comprenant pas l'arabe, ils ont assimilé le mot arabe « fodalae » à une autre formule de mépris alors qu'il signifie tout simplement « vertueux ».

Ici, au Maroc, les partisans aussi bien que l'élite occidentalisée disent comme nous le disons aussi que nous sommes tous musulmans. D'accord, montrez-nous de quelle façon vous êtes musulmans… qu'est-ce que cela veut dire que d'être musulman ? Pour eux, être musulman c'est s'appeler Larbi, Abdellah ou Mohammed et c'est tout. Être musulman, pour nous, c'est autre chose. Pour le connaître, il faudrait au départ lire le coran. Lisez le coran et vous y trouverez les questions qui rongent la conscience occidentale et auxquelles, on ne trouve pas de réponses.

El País : Vous avez dit que vous ne voudriez pas entrer dans le jeu démocratique pour éviter le drame de l'Algérie et cela vous n'en voulez pas. Qu'est-ce que vous voulez dire par cela ?

L'Imam : Oui, sinon cela se reproduira de la même façon !

El País : Vous croyez que si jamais il y a des élections démocratiques… vraiment démocratiques, vous remporterez les élections comme le FIS en 1992.

L'Imam : oui… oui… et la même réaction aura lieu car les gens qui sont au pouvoir au Maroc ont des alliés très forts, financièrement et militairement. Ce qui s'est passé en Algérie peut facilement se reproduire chez nous … et cela nous ne le voulons pas … cela va apporter le malheur à tous les marocains… nous ne le voulons. Nous attendrons donc notre heure… nous ne sommes pas pressés. Nous attendrons une génération … 10 générations mêmes, s'il le faut. Nous sommes sûrs que l'avenir appartient à l'islam et non pas à cette génération actuelle. Accéder au pouvoir maintenant, c'est tout sacrifier pour rien. La perte véritable, c'est quand on perd son devenir et son salut après la mort.

El País : Que pensez-vous du système plus au moins démocratique qu'on a en Espagne ou en France… la démocratie parlementaire… un président tous les quatre ans… Est-ce que c'est un système qui aurait un sens au Maroc ?

L'Imam : Pour nous, c'est excellent la démocratie malgré ses défauts que vous connaissez mieux que moi. Comme l'affirmait Churchill, c'est la manière la moins mauvaise d'organisation du pouvoir qui existe. Pour nous, il y a une différence entre la procédure de la démocratie qui consiste à faire sortir le choix du peuple. Nous sommes pour le libre choix du peuple. Nous sommes pour, même si demain le peuple marocain choisit une autre voie que l'islam. Mais une démocratie qui a comme corolaire intrinsèque le rejet de la religion ou la laïcisation forcée de la société musulmane qui reléguerait la foi dans un recoin éloignée de la mosquée, nous n'en voulons pas. Notre démocratie à nous, notre idéal démocratique à nous, c'est la choura. C'est toute une philosophie du pouvoir, une philosophie d'être, une philosophie de bien-être, une philosophie de résolution des problèmes du pouvoir.

El País : Le gouvernement marocain vient de rappeler son ambassadeur du Qatar ; quelle lecture faites-vous de cette mesure ?

L'Imam : La raison, ils l'ont déclarée explicitement : nous allons rappeler notre ambassadeur à cause de ces attaques médiatiques et à cause d'autres attaques politiques.

Le Qatar vient récemment d'acheter aux USA des armes qu'il a passées aux algériens. Sur le plan médiatique, le discours en vogue est peu amène.

El País : Merci beaucoup de nous avoir reçus.

L'Imam : Nous sommes contents de vous accueillir et vous remercions à El País. Il y a quelques années, M. Arsalane avait fait une déclaration que vous avez publiée à propos de choses que tout le monde pense sans avoir le courage de le dire ouvertement. Et vous l'avez publiée

الإمام: لا يمكننا إنجاز تغيير عميق للمجتمع إذا لم نقم بتربية الأجيال القادمة. عندما طرح عليَّ السؤال بعد رفع الإقامة الجبرية حول ما سأقوم به الآن، أجبت بترديد كلمة «التربية» وقلت بأنني سأعكف على الجانب الروحي للجماعة دون إلغاء الجانب السياسي. أظن أنكم أدركتم من موقعكم كملاحظين أجانب أن جماعة العدل والإحسان ليست جسما هلاميا تسهل إذابته. حاليا، ينشغل نظام الحكم والقوى السياسية بما سماه البعض «حرب الشواطئ»...

إلبايس: بالضبط، ما هي حرب الشواطئ؟ أظن أنكم لا تطلقون عليها هذا الاسم؟

الإمام: لا، أبدا. وسائل الإعلام هي التي أطلقت عليها هذا الاسم. فنحن لم نعلن الحرب على أية جهة. ورغم أننا أحيانا نخاطب الناس بأسلوب متجهم نوعا ما إلا أننا أبدا لم نعلن الحرب على أي أحد. ولم نقم أبدا باختلاق هذا المصطلح «حرب الشواطئ» الذي لا يتلاءم أبدا مع معجمنا وتصورنا. «مواجهة»، نعم كانت هناك مواجهة على الشواطئ المغربية. لماذا؟ اعلموا أننا منذ سنة 1986م نقوم بالتخييم على امتداد الواجهات البحرية للمغرب. فقد قمنا باستصلاح العديد من الشواطئ وتهيئتها لاستقبال المصطافين. مما جعلها خاصة في السنة الماضية تكتسب صيتا واسعا دفع الصحف الوطنية والدولية لتخصيص مقالات لها بعد وصفها بـ»الشواطئ... الإسلامية». كان ذلك بمثابة إعلان حرب علينا باعتبار الشحنة الدلالية التي يحملها هذا الوصف عندكم كغربيين يعادون الإسلاميين. أعلنت السلطات إذن علينا الحرب الشفوية والإعلامية قبل أن تنتقل خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة إلى التهديد، مؤكدة أن هذه الشواطئ يجب أن تخلى من الإسلاميين الذين لاحق لهم فيها. تهديدات أعقبها الحظر الرسمي للدخول إلى هذه الشواطئ الستة. بل قامت قوات الشرطة بتخريب وحرق مخيمنا في الناضور، شمال المغرب. وتم تجنيد عناصر من القوات

المساعدة والشرطة والدرك بل والمظليين لإغلاق المنافذ المؤدية إلى هذه الشواطئ. وبذلك، ظنوا أنهم قاموا بشل حركتنا ولم يعلموا أن لدينا سهاما أخرى في جعبتنا. لم يدر ببالهم أبدا أننا سنتجرأ في يوم من الأيام على النزول إلى الشواطئ العمومية لنعاشر مواطنينا بسلام، فكانت دهشتهم عظيمة حين رأونا نفعل ذلك. لم تلبث السلطات أن ردت علينا بأن قامت بضرب المصطافين واعتقالهم بل تمت متابعة بعضهم قضائيا. لكنهم في نهاية الأمر توقفوا بعد نصح أحد الأشخاص الأذكياء القلائل الذين لازالوا موجودين في هذا النظام بأنه قد آن الأوان لوقف هذا العبث وإلا ضاعت سمعة «دولة الحق والقانون». ولا زلنا وسنظل ننزل إلى الشواطئ خلال الأشهر القادمة وسنترك خصومنا يتخبطون في مؤامراتهم الدنيئة.

إلبايس: لماذا اخترتم هذا الطريق؟ ما هي أهدافكم؟

الإمام: لأننا بكل بساطة نريد أن نؤكد أننا هنا وسنظل هنا وأن لنا حقوقا سنظل نطالب بها. أما خصومنا، فهدفهم واضح من هذه المواجهة: إيقافنا ومنعنا من الوجود. هم ينهجون سياسة النعامة بدفن رؤوسهم في الرمال والادعاء بأننا غير موجودين. لأن وجودنا يؤلمهم ويثير غيظهم. ولأنهم حائرون في الطريقة التي عليهم أن يتعاملون بها مع جماعتنا.

إلبايس: يوم الأحد، ستكون الذكرى الأولى لوفاة الملك الحسن... هل من حصيلة لهذه السنة الأولى... ما هي المنجزات التي تم تحقيقها؟ وما هي السلبيات؟ هناك شيء إيجابي بالتأكيد: هذا اللقاء معكم. فقبل سنة، كان الأمر مستحيلا. لقد حاولنا مرات عديدة، دون جدوى. كانوا يوقفوننا عند الباب ويمنعوننا من الدخول.

الإمام: طيب. رفع هذه الإقامة الجبرية جيد بالنسبة إليكم أنتم الذين كانوا يمنعونكم من لقائي وبالنسبة إليَّ أنا الذي كنت ممنوعا من لقاء أصحابي. لكن رفع هذه الإقامة الجبرية تقلق النظام الذي قام مكرها بهذا الإجراء مع تشديد قبضته علينا في نفس الوقت. فأنتم تعلمون طبعا أنني خلال جولتي في المغرب، كنت دائما ملاحقا برتلٍ من السيارات...

إلبايس: لعلهم كانوا يقومون بمرافقتكم...

الإمام: أجل. كانوا يحرسوننا... وكيف ذلك؟ لقد قامت الصحف بنشر صور لنا في طنجة أو تطوان حيث كادوا يصدموننا وكادوا يقتلون اثنين مرافقي. أي أن رفع الإقامة الجبرية كان من أجل إخراجهم من الورطة التي كانوا فيها بعد أن تعالت صيحات الجميع،

وأولها ببعض الأحزاب السياسية المغربية والجمعيات الحقوقية لسنوات عديدة تطالب بهذا الإجراء. فعلا، كانت شوكة في حلق النظام ولذلك ظن أن رفع الإقامة سيخرجه من الورطة. أما نيته الحقيقية فتبدو من خلال أفعاله. لقد تمت ملاحقتنا أحيانا من طرف عشر سيارات.... بل كانوا اثنين وأربعين شخصا يحيطون بالبيت الذي استضافني في آسفي... لقد قاموا برفع الإقامة من أجل تشديد قبضتهم علينا.

طيب، ما الذي نلاحظه اليوم؟ أن الملك يتنقل من مدينة إلى أخرى ليعبر عن تهممه بوضعية الفقراء وعطفه على الأرامل واليتامى والمعاقين... وهو بمضاعفته لمثل هذه المبادرات، يضع الحكومة في حرج ليصبح حسب أقوال الناس هو الذي يقوم بكل شيء. فهو يتنقل دون توقف ويحقق نتائج ملموسة. الآن، علينا أن ننتظر لنرى هل ستظل هذه النتائج قائمة عندما ينهك الاقتصاد المغربي. فبينما تؤكد خطابات الملك والحكومة أنهم سيمدون يد العون إلى ضحايا التصحر والجفاف فإن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد منح قرض هنا وقرض هناك لتمويل البذور وعلف الماشية في البوادي... لكن ذلك لا يكفي... فالأمر لا يعدو أن يكون خطابات وادعاءات يكذبها واقع المواطن البسيط.

إلبايس: أي أن حصيلة هذه السنة حسب رأيكم سلبية؟

الإمام: لقد صرح رئيس الحكومة السيد اليوسفي أنه سيقوم بتطهير الإدارة. وحسب علمي، لا زال المغرب يحتل الرتبة 125 بين البلدان الأخرى. ومؤشر النمو الذي لم يتجاوز هذه السنة ٪0.01 مرشح للتراجع أكثر في العام المقبل. هذا رغم التصريحات الواعدة التي أطلقها في نونبر الفائت وزير المالية بأن المغرب سيحقق معدل ٪6 إن لم يكن أكثر.

إلبايس: تقولون بأن الملك يكتفي بالتنقل قريبا من المرضى والفقراء وأنكم تنتظرون لترون هل ستتلو ذلك أفعال حقيقية... لكنني أتساءل: هل مؤسسة الحسن الثاني التي جلبت الانتباه إليها منذ بضعة أشهر لا تقوم بدور اجتماعي إيجابي، فهي على كل حال تمثل الذراع الخيري للقصرٍ؟

الإمام: إن الفقر في المغرب عاهة مستشرية لا يكفي لعلاجها وضع بعض الضمادات لتخفيف الآلام الناتجة عنها. فالشعب المغربي عليل وغالبيته تعيش الفقر المدقع. يكفي أن

تتجولوا في الشوارع وتزوروا المساكن الشبيهة بالأكواخ لتتحققوا من ذلك. إن المسكنات لا يمكن أبدا أن تستأصل الوضع المتأزم الذي يعيشه المواطن العادي.

إلبايس: وما الذي ينبغي فعله حسب رأيكم لتحسين الوضع في المغرب؟

الإمام: تغيير المبادئ وتعديل التوجهات ثم الانخراط في الأفعال بدل الهدر الذي لا يكاد ينقطع حول الديمقراطية. فنحن لا نتوقف عن تقديم الوعود السخية: سنعمل على خدمة الديمقراطية... سننشئ الديمقراطية... سنقوم ببناء الديمقراطية... بتكييف الديمقراطية! بينما لا يتحرك أي شيء على أرض الواقع! لا زال الحكم المطلق هو المهيمن ولا زال المخزن هو الذي يمسك بخيوط اللعبة دون أية مساءلة أو محاسبة. ما يجب فعله هو تعديل الوجهة والتوقف عن الكذب على المغاربة وبيع الأوهام للناس. فقبيل هذه المقابلة، كنت أستمع إلى مداخلة للمعارضة المغربية حول قضية بطولة العالم لسنة 2006. ساعات طويلة للاحتجاج على الحكومة التي كانت قد وعدت المغاربة باحتضان بلدهم لهذه البطولة. ملايير الدراهم أهدرت دون أية نتيجة تذكر سوى صوت واحد يتيم لصالح بلدنا... صوت وحيد! وكل هذه الدعاية لتبرير السرقات التي تمت تحت هذا الغطاء. وحده الله يعلم كم عدد المرات التي كان المسئولون وأعضاء الحكومة والأشخاص الذين عالجوا هذا الملف يصدعون رؤوس المغاربة بهدرهم هذا. يجب تعديل المسار والكف عن التدليس. وفي انتظار ذلك، وما داموا لا يكفون عن الكذب فلن نكف عن فضحهم وإدانة ادعاءاتهم. في انتظار عثورهم على علاج لآفاتنا ولسنا مطالبين بأن نقول لهم كيف ذلك.

إلبايس: لكن مجرد الكف عن الكذب لا يمكن أن يكفل تحقيق نسبة 6٪ الموعودة.

الإمام: طبعا، لكن للكذب وقعه على أفعال البشر. فلماذا لا تتوفر الثقة لدى المستثمرين الأجانب الذين يحتاج إليهم البلد؟ لأن المسئولين المغاربة يكذبون عليهم! فهم يعدونهم بالشباك الوحيد الذي سيسهل عليهم الاستثمار في المغرب. لكنهم في الواقع يفاجئون بضرورة تقديم البقشيش (الرشوة) في جميع المكاتب. لماذا إذن تعطيل الشباك الوحيد الذي كان كفيلا بتسهيل عملية الاستثمار؟ بكل بساطة، لأن العاملين في مختلف مستويات جهازنا البيروقراطي العتيد يطلبون البقشيش (الرشوة)...

إلبايس: وما قولكم في الأحزاب السياسية التي طالما طالبت برفع الإقامة عنكم، هل كان هناك اتصالات أو محاورات أو مفاوضات بينكم؟

الإمام: أبدا. لا اتصالات ولا نقاشات! لم يكن هناك أي حوار مع الأحزاب السياسية إلا من خلال منشوراتنا. أما الصحف الحزبية وخاصة منها الفرنكفونية فلا تتوقف عن شن الحرب علينا. إذ يتم تأويل كل تحرك لجماعتنا بشكل يسيء إلينا ويولد نفور الناس منا. ففيما يخص دائما مسألة الشواطئ التي خالطنا فيها الناس بشكل ودي، لا شك أنكم قرأتم في الصحف أن الملتحين نزلوا إلى الشواطئ لمهاجمة الناس. بل إنها ادعت أننا قتلنا بعض الناس ومنهم أطفال... اعتمادا على السموم التي تبثُّها بعض وسائل الإعلام الغربية عن الإسلاميين وعلى ما يقع في الجزائر... مما يجعل الناس يصدقون أننا قتلة ما دمنا مثلهم ملتحين. هذا هو الاتصال اليومي الذي لدينا مع الصحف: هي تهاجمنا ونحن لا نملك وسائل الدفاع عن أنفسنا، ما دامت منشوراتنا ممنوعة.

إلبايس: أجل. لكن لازال لديكم موقعكم الإلكتروني.

الإمام: نعم، لكن الموقع موجه لنخبة معينة، للناس الذين يستخدمون الحاسوب والذين لهم القدرة على امتلاك حاسوب. لكن الأغلبية الساحقة ليست لديهم هذه الإمكانية.

إلبايس: حين تقولون بأنه ليست هناك أية اتصالات مع الأحزاب السياسية هل يشمل ذلك العدالة والتنمية؟ أليس لديكم أي اتصال بهم؟

الإمام: أعضاء العدالة والتنمية إخوتنا. فرغم أن لديهم اختياراتهم التي تسمح لهم بالتعاون مع النظام ودخول البرلمان عكس ما نرى، إلا أننا جميعا مسلمون لنا نفس العقيدة. أما الاختلاف فهو تكتيكي محض. لذلك لا يدفعنا الاختلاف الحالي بين اختياراتنا إلى قطع الروابط العميقة التي لدينا معهم. فهم إخوتنا الذين قد يكون لنا معهم في المستقبل اتصال وثيق جدا... حين تتغير الأوضاع.

إلبايس: هل يمكن في المستقبل أن تتبعوا نفس الخط الذي تبنته العدالة والتنمية لتصبحوا حزبا سياسيا له اتصالات مع...؟

الإمام: لقد كان لدينا اتصالات قبل عشر سنوات، سنة 1990م... كانت تلك أولى سنوات للإقامة الجبرية. كان أعضاء مجلس الإرشاد في السجن. أرسلت الحكومة مبعوثيها للاتصال بنا مرفقين بالعروض التالية: أن يتم الاعتراف بجماعتنا وأن يطلق سراح معتقلينا وأن يسمح لنا بتشكيل حزب سياسي له مقاعد في البرلمان مع الامتيازات التي نعرف. فشلت هذه الاتصالات السرية بعد رفضنا لعروضهم حين أدركنا أن هذا الاعتراف مشروط بخضوعنا التام للمخزن، وهو ما لم نكن لنقبله أبدا.

إلبايس: وهل سيكون لديكم نفس الرد إذا تلقيتم اليوم نفس العرض؟

الإمام: تماما! فما الذي تغير اليوم لكي نبدل رأينا؟ عندما ستكون هناك انتخابات ديمقراطية حقيقية، حين تتوقف التلاعبات بالأصوات... لقد سئمنا الأكاذيب التي لا تتوقف على امتداد ساعات اليوم. نريد أن نرى أفعالا بدل سماع الأقوال. واليوم الذي لن تكون فيه الانتخابات خاضعة لعصا الاستبداد، سنرى حينها! حقا لن تتغير الأوضاع في غضون سنة أو سنتين. سنتصرف بإذن الله حسب ما يمليه علينا الوضع على مستوى السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. لا نريد أن ندخل في اللعبة لنكرر مأساة الجزائر. فالإسلاميون بما فيهم نحن غير مرغوب فيهم دوليا والصورة التي تعرضها وسائل الإعلام لهم منفرة للغاية... صورة تتعرض للتشويه بدون انقطاع... «هؤلاء الإسلاميون المزيفون»... «هؤلاء الوحوش» الذين يتلذذون بتذبيح الأطفال والناس في الجزائر وفي غيرها لا يمكن معاشرتهم. فلنفرض أننا شاركنا في الانتخابات التي سنفوز فيها بكل تأكيد. ويكفي أن نطالع صفحات بعض الصحف الفرنكفونية التي عنونت مقالاتها قبل بضعة أشهر بـــ: «التناوب الثاني: الإسلاميون قادمون». بالتأكيد، أنتم تعلمون أننا نشكل القوة السياسية الأولى في المغرب ونحن نؤكد ذلك، نظرا للشعبية التي نحظى بها لدى الغالبية العظمى من الشعب والتي لا تتجلى فقط في عدد الناخبين المحتملين بل في نوعيتهم. فجماعتنا لا تشبه التنظيمات الأخرى نظرا لمتانة الروابط التي تجمع بين أعضائها.

إلبايس: ولماذا تكون هذه الروابط أكثر متانة من تلك التي تجمع بين أعضاء الاتحاد الاشتراكي أو حزب الاستقلال مثلا؟

الإمام: ببساطة لأن المصالح الشخصية مثل الارتقاء الاجتماعي أو الربح لا تدخل في حساباتنا ولا توجد لدينا. حساباتنا نحن هي التقرب من الله والفوز برضاه... قد يبدو هذا الخطاب غريبا لديكم أنتم الغربيون لأن الدين لا يدخل في اعتباراتكم.

إلبايس: منذ عدة سنوات، انطلق حوار بين بعض المثقفين وبعض الحركات غير البرلمانية مع الإسلاميين. ما هو الوضع بالنسبة لجماعتكم؟

الإمام: فعلا، كانت هناك عدة محاولات خاصة مع أعضاء من حزب الاستقلال لكننا لم نستطع التفاهم. ليس هناك أي اتصال رسمي بل فقط على المستوى غير الشكلي والثقافي. أنتم تتحدثون عن الحوار وأنا أذكركم بأننا أطلقنا قبل 7 سنوات نداء للحوار. كنت قد ألفت كتاب «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين» الذي أثار زوبعة إعلامية بعد أن أحس مثقفونا المغرَّبون بالإهانة لاستعمالي كلمة «الفضلاء» وظنوا أنني أشتمهم.

طيب. الجميع هنا، أحزابا ونخبا مغربة ونحن أيضا نقول إننا مسلمون... أجل، كيف ذلك؟ ما معنى أن نكون مسلمين؟ هم يظنون أن الإسلام يعني أن تسمى العربي أو عبد الله أو محمد فقط. أما نحن فنرى أمرا آخر لن نعرفه إلا إذا تلونا القرآن أولا. اقرؤوا القرآن وستجدون الأسئلة التي ما فتئت تزعج العقل الغربي والتي لم يتوصل إلى الإجابة عنها.

إلبايس: قلتم بأنكم لا تريدون الدخول إلى اللعبة الديمقراطية حتى تتفادوا تكرار مأساة الجزائر. ماذا تعنون بذلك؟

الإمام: أجل وإلا تكرر الأمر بنفس الطريقة.

إلبايس: هل تظنون أنكم في حالة تنظيم انتخابات ديمقراطية حقيقية، سيكون لكم الفوز الساحق كما حدث بالنسبة لجبهة الإنقاذ؟

الإمام: أجل. وسيحدث نفس رد الفعل لأن أصحاب السلطة في المغرب لهم حلفاء أقوياء عسكريا وماليا. ما حدث في الجزائر يمكن أن يتكرر في بلدنا بكل سهولة... وهو ما لا نريده... بفعل المآسي التي ستترتب عن ذلك... سننتظر إذن ساعتنا ولو تطلب الأمر أجيالا قد تصل إلى العشرة. فلسنا مستعجلين ونحن موقنون بأن المستقبل للإسلام. لذلك لن

نسعى إلى الحكم الآن حتى لا نضحي بكل شيء من أجل لا شيء. فالخسران الحقيقي هو خسارة المصير بعد الموت.

إلبايس: ما رأيكم في النظام الديمقراطي نسبيا الذي لدينا في إسبانيا أو فرنسا... الديمقراطية البرلمانية... انتخاب رئيس كل أربع سنوات... هل سيكون مناسبا لبلد مثل المغرب؟

الإمام: أرى أن الديمقراطية جيدة رغم نقائصها التي تعرفونها أفضل مني. فكما صرح تشرشل، هي الطريقة الأقل سوء لتنظيم السلطة. بالنسبة إلينا، نحن نميز بين مسطرة الديمقراطية التي تبرز اختيارات الشعب... نحن مع الاختيار الحر للشعب. نؤيد ذلك ولو اختار الشعب المغربي غدا طريقا أخرى غير الإسلام. لكننا ننبذ الديمقراطية التي يصاحبها رفض الدين أو الأَلْيَكَة الإجبارية التي تفرض على الإيمان أن يقبع في ركن منزوٍ من المسجد. ديمقراطيتنا نحن... نموذجنا الديمقراطي هو الشورى... التي هي فلسفة للسلطة، فلسفة للوجود، فلسفة تمكن من حل مشاكل السلطة.

إلبايس: قام المغرب باستدعاء سفيره في قطر. ما هي قراءتكم لهذا الحدث؟

الإمام: لقد أعلنوا بوضوح عن السبب: سنقوم باستدعاء سفيرنا بسبب هذه الهجمات الإعلامية وبسبب حملات أخرى ذات طابع سياسي. فقد قامت قطر مؤخرا بشراء أسلحة من الولايات المتحدة قامت بتسليمها للجزائريين. بينما كان الخطاب الإعلامي السائد فاترا للغاية.

إلبايس: شكرا جزيلا على استقبالكم لنا.

الإمام: نحن سعداء باستقبالكم ونشد على أيديكم. فقبل بضع سنوات، نشرتم تصريحا للأستاذ أرسلان حول بعض القضايا التي ينظر إليها الجميع بنفس النظرة دون التجرؤ على التعبير عنها علانية. وأنتم قمتم بنشرها مشكورين.

سادسا: حوار مع قناة سويسرية

أُجري هذا الحوار مع الإمام باللغة الفرنسية (نهاية سنة 2000م)، وتم تفريغه من نص شريط مسموع إلى نص مكتوب، قبل ترجمته إلى اللغة العربية.

Interview SUISS MASTER REV :

J. Z : Bon ! Je suis journaliste indépendant et je travaille en freelance pour le journal de Zurich, pour une radio suisse allemande et pour d'autres journaux. Je travaille assez souvent sur le Maghreb, principalement sur les mouvances islamiques. Je suis considéré comme l'un des spécialistes du Maghreb.

L'Imam : Vous avez déjà fait des reportages sur le Maroc ?

J. Z : Pas des reportages mais des articles dans des journaux et des émissions radio. Je vous ai envoyé les cassettes des entretiens que j'ai eus avec vous il y a un an. Et justement, j'ai eu des problèmes avec les autorités à ma sortie du Maroc.

L'Imam : Je peux vous dire pour commencer que chaque fois qu'on vient nous interviewer sur notre mouvement, nous ne sommes pas perçus comme un parti politique. L'esprit occidental ne peut admettre qu'un mouvement islamiste soit à la fois à vocation spirituelle et politique. Chez vous, les athées, les catholiques et les protestants sont plus au moins politisés ; ils ont des réclamations et des demandes pour tout gouvernement. Pour nous, c'est autre chose. Et nous devons fournir beaucoup d'efforts pour effacer un peu l'image que vous avez et éliminer vos préjugés sur les islamistes. C'est trop demander à un occidental mais c'est le prix qu'il devra payer pour être intègre !

J. Z : Oui, c'est vrai ! Il y a beaucoup de préjugés en Europe sur l'Islam et sur les mouvements islamistes. C'est clair et cela fait partie de mon travail : dissiper les préjugés et faire directement entendre la voix de ces gens, communiquer à l'Europe spécialement ce que veulent ces gens, ce que sont ces gens. … ce qu'ils pensent vraiment… ne pas se fier aux idées préconçues et aux préjugés… Je pense que cela fait partie de mon travail.

L'Imam : Oui, je pense que, chez vous en Suisse, vous êtes moins braqués contre l'islamisme qu'ailleurs… qu'en France par exemple… Historiquement, vous êtes plus ouverts et plus neutres que les autres qui répètent sans vérifier des informations biaisées, sans se donner la peine d'aller puiser dans les sources que ces gens utilisent… ils ne

cessent de calomnier l'islamisme… faisant recours à des symboles sur lesquels ils font leur fonds de commerce. Aussitôt qu'on parle d'islamisme, l'image de gens massacrés, d'enfants maltraités… des talibans. De la surenchère, pure et dure ! Pour avoir une vision correcte, il faut se libérer de toutes ces idées préconçues et écouter les autres quand ils parlent, honnêtement et librement. C'est la première des conditions pour que votre discours soit véridique.

Nous agissons en toute clarté et avançons à visage découvert. Oui ! Nous sommes opposés au régime tout en nous opposant catégoriquement à la violence, à la clandestinité. Notre loyauté est acquise à Dieu et à l'Islam… Notre message s'adresse à l'Homme en tant qu'Homme et non seulement aux marocains et aux arabes. Nous déclarons aux Hommes que vous êtes avant tout des êtres humains élus de Dieu et ayant une mission sur cette terre. Votre devoir est de vous libérer de cette désinformation parce qu'aussitôt qu'un islamiste parle de sa foi et de sa mission dans le monde, il est taxé de pragmatisme politique et de prosélytisme. Cela n'est pas bon parce les mots d'ici-bas disparaissent et la vérité demeure. Il faut avouer à ce propos que l'homme occidental est en perdition totale et qu'il ne sait pas comment s'en sortir. En fait, c'est un être dont l'apparence donne l'illusion du bonheur alors qu'il est profondément plongé dans la souffrance. Ce n'est qu'un consommateur, un spectateur, un jouisseur… tout ce que vous voulez, toutes les valeurs d'ici-bas qui ont cours dans la culture et la vie occidentales… Exhorter l'Homme à faire la quête de la vérité de son existence… de sa destinée après la mort… voilà l'essentiel de notre discours tenu dans nos assises spirituelles.

J. Z : Monsieur Yassine, vous avez été remis en liberté en mai dernier par le Ministre de l'Intérieur qui vous a annoncé que vous étiez un homme libre à condition que vous respectiez la constitution et les lois en vigueur… Est-ce que vous bénéficiez actuellement de cette liberté ? Vous êtes un citoyen libre ou bien vous êtes toujours soumis à des restrictions ? Est-ce que vous pouvez par exemple accueillir sans problème des journalistes, des membres de votre mouvement, vos amis ? Y a-t-il toujours des problèmes à ce propos ?

L'Imam : Avant, il y avait quelques individus devant la porte de ma maison, personne ne pouvait sortir, ni entrer… Maintenant, ils ont mis un commissariat à côté de chez moi et ma garde a été quadruplé, pour ne pas dire multipliée par 20. Maintenant, je peux sortir librement dans la rue pour découvrir qu'il y a jusqu'à dix voitures garées tout près de ma maison. Je reçois des journalistes qui sont surveillés de très près. Le Ministre de l'Intérieur a déclaré que je suis libre mais il a accompagné cette déclaration de menaces : « Attention ! Il ne faut que tu dépasses les limites ! Il faut que tu respectes les institutions du Royaume ! Fais attention à ne pas faire ceci ! ». Nous avons reçu ces messages mais

nous continuerons à nous comporter comme avant… Ce n'est pas la première fois que la police nous menace… que le gouvernement nous menace. Cela fait plus de 25 ans et on en a pris l'habitude… Nous n'avons jamais cessé d'être poursuivis ou emprisonnés. Hier, un de nos militants est mort à Fnidek, près de Tétouan, après les sévices subis au commissariat de police. C'est horrible !

J. Z : Donc, vos courriers… vos appels téléphoniques sont certainement surveillés.

L'Imam : Pas seulement nos téléphones. Cette maison qui nous sert de siège est truffée de gadgets permettant de nous espionner. Mais nous n'avons pas peur d'être espionnés. Ce que nous avons à dire, nous le disons à haute voix. C'est écrit en français, en arabe et c'est traduit dans différentes langues.

J. Z : Donc, votre liberté en tant que citoyen est très relative. Ceci alors que, vue de l'extérieur, l'attitude du gouvernement Youssefi a totalement changé. Votre assignation à résidence a été levée et tous les médias au Maroc en parlent … mais, en réalité, ce changement n'est que très relatif !

L'Imam : Cela fait plus de 10 ans que les médias parlent de ma libération. Il fallait donc à ce gouvernement une voie de secours qui lui aurait permis de se disculper et de redorer sa façade : « Voilà, nous sommes fréquentables au niveau international ! Nous avons des droits de l'homme que nous respectons ! ». Ma détention était une transgression flagrante des droits humains. Aussi, le gouvernement éprouve-t-il aujourd'hui le besoin de parler beaucoup de ma libération et d'en faire un acte valable auprès des instances internationales pour se refaire une réputation.

J. Z : Parlant des droits internationaux, votre cas est tellement connu que le gouvernement y réfléchira par deux fois avant de tenter quelque chose contre vous. Avant, c'était …

L'Imam : Ah oui, bien-sûr ! Vu sous cet angle, les instances internationales sont tenues de payer un tribut à ce droit international. Cet occident qui impose chez lui le respect des droits humains est contraint de faire de même dans les pays du sud. Donc, on en parle publiquement mais, sous la table, l'occident mobilise cette machine de guerre médiatique dans la campagne de dénigrement menée contre l'Islam. On diabolise les islamistes et on leur façonne l'image du monstre qui part en guerre terroriste contre l'occident. Ceci alors que ces derniers sont désarmés, au moins chez nous au Maroc. Nous avons horreur d'en parler ! Ces individus qui assassinent des victimes innocentes, ces otages en Algérie, nous avons horreur de ça… Des actes inhumains, barbares ! Des cas que l'occident fait monter

en scène dans ses campagnes médiatiques pour déclarer la guerre à ces mouvements. A l'exception de quelques rares médias, le discours en vogue à ce propos est tissé de préjugés et d'idées préconçues sans fondement objectif ou scientifique. Je serais pleinement heureux si une campagne de réhabilitation est organisée au profit de ce même islamisme calomnié.

J. Z : J'ai une autre question concernant vos rapports avec le gouvernement, qui sont, je crois, tendus ces derniers temps ?

L'Imam : Vous voulez sûrement parler de cette pseudo-« guerre des plages ». Bon ! Voilà à peu près dix ans depuis que nous avons commencé à camper sur les plages ; des plages sauvages que nous avions année après année débroussaillées pour y installer et aménager de modestes colonies de vacances. Et effectivement, elles ont été fréquentées par des gens qui avaient besoin de camper en toute tranquillité, pudeur et repos. Ayant remporté un grand succès, elles ont l'année dernière connu une très forte affluence : des milliers de marocains et de marocaines en ont fait leur destination d'estivage. Or, ce succès-là n'a pas plu à certaines forces politiques du Maroc, le gouvernement en premier. Elles ont donc décidé d'interdire nos campings et de réquisitionner nos équipements. Pire encore, elles ont mobilisé leurs forces pour en interdire les accès et ont même démoli et incendié notre site de Nador. Ils croyaient que nous allions croiser les bras ou réagir par la violence. Mais, ils ont eu la désagréable surprise de nous voir descendre sur les plages publiques pour fréquenter paisiblement nos concitoyens estivants.

J. Z : Qu'est-ce qui donc s'est passé?

L'Imam : D'abord, ils ne pouvaient concevoir un scénario pareil. Au lieu de nous contenter de 6 plages, nous avions décidé d'« envahir » les autres plages aussi. Sous le choc, leurs premières réactions ont été pour le moins irréfléchies. De jeunes gens sont descendus sur les plages de Kénitra et d'El Jadida et ont été arrêtés et poursuivis en justice, du mois de juin au mois de juillet. Et il y a eu encore d'autres procès.

J. Z : Ça a coïncidé avec votre tournée au Maroc !

L'Imam : Oui ! A Tétouan, à Fès, à Oujda… Nous avons tenu des réunions avec nos concitoyens de diverses obédiences. Mais, en même temps, les menaces et les violences n'ont pas cessé. Ils ont même failli tuer mes accompagnateurs. Je ne veux pas les accuser de tentative d'homicide, mais ils ont failli une fois, à Tanger, nous rentrer dedans avec leurs voitures. Constatant l'immense affluence des gens aux assemblées que nous tenons, ils ont perdu leurs esprits et resserré leur étau. Parmi les gens qui ont été détenus, Mourad,

le chauffeur qui nous a amenés ici et d'autres personnes aussi. C'est là un des niveaux de confrontation que nous avons eues avec l'appareil du Makhzen.

J. Z : Donc, les agents de l'autorité sont intervenus sur les plages pour vous stopper ?

L'Imam : Oui ! Tout d'abord, en usant de guerre psychologique. Ils ont mobilisé leurs agents pour nous diaboliser en prétendant que nous étions des assassins qui étaient descendus sur les plages pour égorger les gens. Bien-sûr, au début, les gens ont cru cela et ont pris peur. Mais ils se sont très vite rendus compte que c'était de la calomnie, que nous sommes des gens très gentils. Et à la fin de cette campagne, ils avaient complètement changé d'idée sur notre compte. Oui, Dieu est avec nous ! Nous avons remporté une victoire probante et le pouvoir a regretté ce mauvais pas, mais c'était trop tard ! Je crois que si le temps faisait marche arrière, ils auraient plutôt opté pour notre confinement dans ces 6 plages où notre cercle d'influence aurait été plus réduit.

Puis, ils ont usé d'un autre moyen pour nous empêcher d'entrer en contact avec les estivants. Ils ont organisé des concerts et des compétitions pour les jeunes sur les plages. Ils ont installé des hauts parleurs pour perturber les activités que nous organisions aussi. Bref, voilà l'état des lieux ! Reste à savoir ce qu'ils prépareront l'année prochaine pour saboter notre ouvrage.

J. Z : Pourquoi le gouvernement Youssefi… pourquoi ont-ils peur de votre message ?

L'Imam : Pour la simple raison qu'ils croient que nous avons, aux dires de leurs organes de presse, fait main basse en 1995 sur le mouvement estudiantin. Or, dans les campus universitaires, le seul discours qui était en vogue pendant plus de 20 années, était d'abord celui de la gauche marxiste-léniniste-staliniste et puis celui de l'organisation socialiste de M. Youssefi. Ils considéraient le mouvement estudiantin comme leur « propriété privée ». Aussi, leur « état-major » était-il descendu en 1995 à l'université Hassan II pour récupérer ce qu'ils considéraient comme leur bien propre en organisant un meeting avec les étudiants. A leur grande surprise, ils furent chassés non seulement par nos militants mais aussi et surtout par les autres étudiants. Et cela, ils ne sont pas près de l'oublier !

J. Z : Oui, mais au niveau de la pratique politique, le Ministre de l'Intérieur et les partis politiques ont peur de vous, même si vous n'y participez pas directement en tant que parti. A l'approche des élections, ils ont peur que vous ne fassiez pencher les résultats du côté des islamistes qui pourraient remporter la majorité des voix.

L'Imam : Disons que leur peur vient du constat qu'ils ont fait que notre Mouvement n'existe pas seulement dans les universités mais aussi dans tous les pans de la société. Ils ont peur de la déferlante islamiste lors des élections prochaines qui auront lieu d'ici deux ans. Il y a aussi nos marches pacifistes dont celle du 12 mars dernier qui a rassemblé plus d'un million et demi d'islamistes, femmes et hommes.

J. Z : Est-ce vrai que partout la gauche perd une partie de son électorat et que les gens se reconvertissent plus à l'islamisme qu'aux partis de gauche… ?

L'Imam : Oui, mais nous ne sommes pas pressés, même si ça nous prend des générations. Nous ne pensons pas aux élections même si on nous y invite. Car, il se peut que la conjoncture impose de nous demander de participer pour se donner un peu de respectabilité à ce processus. Les élections chez nous est un mot qui ne signifie rien. Voilà plus de 40 ans qu'elles sont organisées avec des scores qu'on connaît à l'avance et qui ont été de tout temps trafiquées. Et maintenant, on parle de transparence !

Il y a dix ans, des contacts ont été entamés : des émissaires du pouvoir nous ont été envoyés pour nous inviter à créer un parti … mais sous conditions. Et à cause de ces conditions, nous avons refusé car nous ne sommes pas pressés et nous n'avons guère envie d'entrer dans le jeu pseudo-démocratique qui se tient au Maroc.

J. Z : Vous auriez dû quand même accepter certaines conditions imposées par la vie politique au Maroc !

L'Imam : Eh bien ! Les conditions qu'ils nous ont posées étaient pour ainsi dire contraires à nos convictions et à nos principes.

J. Z : Le pouvoir au Maroc voudrait-il toujours vous voir transformés en parti politique ? Avez-vous eu la tentation d'accepter ? Avez-vous donné une réponse ? Ou bien vous avez définitivement abandonné ce projet-là ?

L'Imam : Nous n'avons jamais demandé à être reconnus comme parti politique. Notre Mouvement a été reconnu par les autorités judiciaires en 1990 comme une organisation tout-à-fait légale. Et le statut de notre association stipule clairement que le spectre de nos activités dépasse le cadre de l'action caritative pour couvrir aussi la pratique politique, culturelle et sociale telles que mentionnées dans les articles de la constitution. Ceci dit, en nous privant de nos droits, les autorités se trouvent en contradiction flagrante avec les règles du jeu démocratique qu'ils prétendent mener. Et pour cause ! Chez nous, le pouvoir judicaire n'étant guère indépendant du pouvoir exécutif.

J. Z : A ma connaissance, votre association a toujours refusé de jouer le jeu de Makhzen et de vous soumettre à ses instructions. Vous avez toujours adopté une ligne dure par rapport à…

L'Imam : Oui, voilà maintenant près de 5 ans que nous avons adopté une position qui n'accepte pas de compromis. Nous avons des principes ! Nous avons un projet de société que nous proposons, que nous avons détaillé dans nos écrits. Mon dernier ouvrage en français intitulé : « Islamiser la Modernité » expose les fondements du genre de société à laquelle nous aspirons. Mais certains de nos concitoyens n'en veulent pas. Elevés dans le dogme de l'occidentalisme, cette gente aliénée mentalement et culturellement à nos anciens colonisateurs est mobilisée contre nous. Usant de l'arme idéologique qu'elle s'est appropriée, elle s'acharne contre nous. Elle parle de crépuscule en nous évoquant. Mais ces gens du crépuscule ne peuvent pas « envahir » 25 à 26 plages au Maroc avec des centaines de milliers de campeurs à la fois.

J. Z : Les circonstances n'ont-elles pas changé depuis l'intronisation de Mohammed VI ? Est-ce que vous ne pouvez pas participer actuellement à la vie politique intérieure au Maroc ? N'est-ce pas là une chance pour vous de faire le premier pas et d'intégrer … ?

L'Imam : Depuis le début de son règne, le nouveau roi a fait des déclarations d'intention très généreuses. Le jeune roi est très actif : il voyage beaucoup, il intervient sur de grands dossiers donnant ainsi une belle image de lui à l'extérieur ; contrairement au gouvernement qui, en apparence, ne fait rien ! Mais, en fait, que fait véritablement le roi ? Quoi qu'il fasse, il ne peut faire faire machine arrière au convoi de la monarchie makhzénienne. Il ne peut qu'emprunter la même voie empruntée par ses ancêtres. Les pressions qu'il subit de toute part, à l'intérieur comme à l'extérieur, ne lui laissent qu'une marge de manœuvre très étroite. Je ne peux que le plaindre, le pauvre ! Le lourd héritage qu'on lui a légué l'empêche de manœuvrer à sa guise. Il ne peut, même avec les bonnes intentions qu'il a, que discourir !

J. Z : Vous reconnaissez quand même la bonne volonté qu'il a de changer et de lutter contre certains fléaux ?

L'Imam : Oui, bien sûr ! Un nouveau roi doit faire cela pour s'imposer et donner une belle image de lui-même.

J. Z : Donc, pour vous, c'est surtout une question d'image de se proclamer « Roi des jeunes » ?

L'Imam : Oui, il a besoin de se faire une image et il y travaille jour et nuit. Mais quelle image reflète-t-il ? Il se déplace sans cesse pour inaugurer, pour… Il partira en Espagne pour… donnant une fausse image de ce Maroc resplendissant, ce Maroc béni, ce Maroc riche avec maintenant cette manne promise du pétrole. Or, la jeunesse marocaine en a assez de ces promesses sans lendemain ! Elle ne veut plus de ce Maroc tant que le gouvernement, tant que le régime continue à mentir aux gens… à fonder son existence… sa légitimité sur le mensonge.

J. Z : Est-ce que vous contestez la légitimité de la dynastie en place ? Vous étiez connu comme l'un des principaux opposants ayant osé critiquer ouvertement le roi défunt. Quelle est votre position par rapport à cette dynastie qui est en place depuis plus de trois siècles ?

L'Imam : Je n'ai rien contre la dynastie elle-même, ni contre les personnes, mais contre les faux principes sur lesquels elle est bâtie. Idem pour les dynasties précédentes.

J. Z : Plus concrètement, s'il vous plaît !

L'Imam : Dans les faits, le roi du Maroc est roi… Il a la force effective avec lui ; il a la constitution que son père lui a léguée … il a hérité du peuple marocain. Mais, étant Prince des croyants, il a d'autres devoirs !

J. Z : Ce statut de commandeur des croyants que vous contestez et que le Roi acquiert automatiquement de par sa descendance, est-ce qu'il n'est pas consolidé par son élection par les Marocains ?

L'Imam : Après la mort du défunt roi Hassan II, il y a eu une cérémonie organisée par le Ministre des Habous et des Affaires Islamiques qui a, le premier, prêté serment au nouveau roi. Ce même serment a été ensuite prononcé par un nombre réduit de personnalités du Makhzen. Or en Islam, le Commandeur des Croyants doit être élu par tout le peuple.

J. Z : Donc pour vous, l'Emir El Mouminine doit être choisi par toute la nation ! Mais, cela ne s'est produit en Islam que quelques décennies à l'aube de l'histoire musulmane ?

L'Imam : Oui, mais après la déviation du pouvoir que l'histoire des musulmans a connue à ses débuts, ce principe d'élection a été bafoué et une tradition déformée s'est installée. Partant, et par effet de réactions en chaîne, la nation s'est entre-déchirée pendant des siècles et a fini en petits états : Maroc, Algérie, Tunisie, etc. Aussi, se contente-t-on d'un Prince des Croyants en réduction qui gouverne une masse réduite limitée

géographiquement et qu'on place à la tête d'un état en minuscule bien que ses initiales s'écrivent en majuscules…

J. Z : Le principe de la monarchie héréditaire, est-ce que vous êtes pour… ?

L'Imam : La monarchie héréditaire ? C'est un fait ! Chez vous comme dans l'histoire des nations. C'est un monarque ; je ne dis pas le contraire. Le sultan est un roi : il a la constitution pour lui, il a la force, il a la cérémonie de l'allégeance. Vous avez sans doute vu sur les télévisions marocaines qu'à l'occasion de la fête annuelle de l'intronisation du roi, les notables du royaume viennent se prosterner devant le roi. Tout cela, ce cérémonial n'a rien à voir avec les principes islamiques.

J. Z : Il y a de cela une année, vous avez adressé au Roi un mémorandum qui fut interdit et dans lequel vous lui faites la proposition de…

L'Imam : Notre devoir en tant que musulman, c'est d'échanger les bons conseils avec tous les musulmans. Et lui, avant d'être roi, il est musulman et nous devons lui donner en tant qu'individu, en tant que musulman, en tant que roi, nous devons lui adresser notre conseil. Mais ce mémorandum visait aussi à produire un impact politique. La preuve est la manière avec laquelle on a lui répliqué : l'abstention de répondre puis la violence ! Cela résume bien l'impact que cette missive a eu. C'est plein de leçons !

J. Z : Dans cette lettre, vous déclarez que le roi Hassan II avait expatrié une somme faramineuse et acheté à des prix énormes des biens à l'étranger !

L'Imam : Il n'y a rien de surprenant en cela pour vous, Suisse que vous êtes. Vous êtes beaucoup plus informé que moi sur la question, quoique les banques suisses soient tenues par le devoir du secret. Pour notre part, nous nous sommes basés sur les chiffres communiqués par les médias, vos médias ! Nous n'avons pas les moyens de faire des investigations auprès des banquiers pour leur demander le montant des biens du monarque et de sa famille. D'autant plus que leurs possessions sont très diverses : des biens mobiliers et immobiliers, des tableaux, des fonds en devises, de l'or… Il suffit de lire l'article publié à ce propos par le journal « Le Monde ».

J. Z : Les marocains en sont-ils conscients ?

L'Imam : Oui, ils en ont conscience : le mémorandum est un bestseller aujourd'hui. Il a été publié et diffusé sur une large échelle, d'autant plus qu'il est disponible sur internet. Le message est passé. Le mémorandum a trouvé lecteur !

J. Z : Logiquement, il y a et il y aura des gens qui adhéreront à votre position…disons simpliste et qui vous applaudissent même pour cela !

L'Imam : Nous savons et vous savez très bien que le Roi est impuissant… Et ça je le dis et je le répète. L'héritage qu'on lui a légué est très lourd et il ne peut faire grand-chose. Je lui ai proposé un plan à base de conseils valables, s'il veut, lui descendant du Prophète, revenir, lui et sa famille, à Dieu. Entouré des doctes de la loi islamique, il doit les consulter et suivre leurs orientations. Bien-sûr, la conception prédominante actuellement du pouvoir est à l'opposé de celle que nous préconisons. L'islam que nous pratiquons ne met pas de ligne de séparation entre l'activité politique et l'activité spirituelle. Mais ces gens se demandent ce que c'est l'Islam ? La réponse est toute naturellement : l'islam est une religion. Or, sitôt ce mot prononcé, il appelle la charge sémantique qu'il a pris en Occident pour le catholicisme comme pour d'autres religions comme le bouddhisme et le judaïsme. Ce mot ne peut donc rendre compte de ce qui se passe. L'islam n'est pas une religion telle qu'on la conçoit chez vous. Pour saisir toute sa portée, il faut prendre en considération les dimensions de l'homme intégral, de la philosophie de l'existence, de la philosophie de la mort, de l'après la mort, ce que l'individu doit faire pour être agréable à Dieu, ce que la société musulmane doit faire pour emprunter le bon chemin. Or, le dogme du modernisme, l'occident moderniste veut nous imposer sa pensée unique. Naturellement, il détient une part de vérité. Mais il y a une vérité absolue : que Dieu existe et qu'après la mort, nous sommes destinés soit au bonheur, soit au malheur éternel.

J. Z : Certains journalistes affirment que le Mouvement Al Adl Wal Ihsane doit clarifier ses positions vis-à-vis de la démocratie comme mode de gestion politique. Votre approche est assez vague ! Après avoir critiqué la démocratie pendant des années… il paraît que vous avez changé d'avis récemment !

L'Imam : Ces gens-là n'ont ni le temps, ni le désir d'aller étudier en profondeur ce que nous avons écrit à propos de la démocratie comme des questionnements que le monde moderne pose au musulman. Je suis prodigue en écriture et c'est pour eux une tare. Bref, Nous n'avons pas changé de position. Notre point de vue sur la démocratie n'a guère changé. Seule la manière de présenter la chose a changé. Pour eux, le discours que nous empruntons est rébarbatif, la langue arabe étant pleine de subtilités.

Chez vous, la démocratie est indissociable de la laïcité. Nous reconnaissons à la démocratie ses avantages qui permettent de gérer le pouvoir sans recourir à la violence, le pluralisme qu'elle impose, la séparation des pouvoirs, la constitution, etc. Oui, tout en admettant cela et en faisant le constat des tares qu'elle a chez elle, nous réclamons pour nous le droit d'avoir notre propre mode de gouvernement qui concorde avec notre foi et

qui convient à notre espace islamique. Nous ne le dirons jamais assez : laissez-nous nous gouverner nous-mêmes ! Ne nous imposez pas vos options ! J'ai une fois évoqué cette « démocratie islamique », une notion qui vous paraît paradoxale mais…

J. Z : Dernière question : vous dites que vous acceptez la démocratie ; certains prétendent que vous acceptez la manifestation politique de la démocratie en attendant votre arrivée au pouvoir, que vous acceptez la démocratie comme le moindre des maux… comme une stratégie permettant d'accéder au pouvoir mais pas en tant que forme d'organisation politique…

L'Imam : Chez vous en occident, la véritable démocratie est corrélée au laïcisme. Pour nous, une démocratie conditionnée par l'adoption du laïcisme n'est pas une démocratie, le laïcisme étant tout à fait contraire à l'Islam. Ce n'est pas le cas pour la procédure qui permet d'organiser l'espace politique. Elle est la bienvenue en tant que procédure, mais si elle est conditionnée par notre éloignement de l'islam, elle n'est plus admissible pour nous. Ceci dit, on veut toujours nous faire dire ce que nous n'avons jamais l'intention de dire, ni de faire. Ils ne cessent de répéter que ces islamistes qui sont nourris par la démocratie n'hésiteront pas à l'assassiner une fois arrivés au pouvoir. Je le dis et je le répète avec insistance : le choix du peuple sera toujours respecté par nous. S'il opte pour un gouvernement islamiste, nous serons d'accord. Mais si le vote populaire aboutit à la victoire d'une quelconque autre partie, nous laisserons faire et nous continuerons à proposer et à expliciter notre projet de société jusqu'à ce qu'il soit assimilé par ce même peuple. Que cela prenne une décennie, une génération, un siècle, nous ne sommes pas pressés. Notre projet se projette sur le moyen et le long terme, il ne doit pas se plier aux exigences d'un échéancier électoral prédéfini.

ترجمة النص إلى اللغة العربية(1)

ص. ز: أقدم نفسي أولا: أنا صحفي مستقل أعمل لحساب عدد من الصحف السويسرية أهمها صحيفة زوريخ ولحساب إذاعة ألمانية سويسرية. أشتغل بكثرة على منطقة المغرب العربي وخاصة الحركات الإسلامية، وأعتبر أحد المتخصصين في شؤون هذه المنطقة.

الإمام: هل قمت من قبل بإنجاز تقرير عن المغرب؟

ص. ز: لم أنجز تقارير لكن قمت بتحرير مقالات في عدة صحف وأنجزت برامج إذاعية. لقد أرسلت إليك أشرطة المقابلات التي أجريتها معك قبل سنة وكما كان متوقعا، وقعت لي مشاكل مع السلطات في المغرب.

الإمام: أود أولا أن أقول لك بأن كل من يأتي لاستجوابنا لا يعتبر جماعتنا حزبا سياسيا. فالعقل الغربي لا يقبل بأن يكون لحركة معينة توجه روحي ونشاط سياسي في نفس الوقت. هذا رغم أن الملحدين والكاثوليك والبروتستانت في دياركم مسيسون بدرجات متفاوتة ولهم مطالبهم ورغباتهم التي يعرضونها على كل الحكومات. أما بالنسبة إلينا نحن فالأمر يختلف. إذ علينا أن نبذل جهودا كبرى لمحو الصورة والأفكار المسبقة التي لديكم عنا. ورغم أن الثمن الذي نطلبه من غربي مثلكم كبير، إلا أنكم ملزمون بدفعه حتى تتحقق فيكم النزاهة المفترضة في كل صحفي.

ص. ز: أجل! هناك العديد من الأفكار المسبقة حول الإسلام والحركات الإسلامية. الأمر واضح ويشكل جزءا لا يتجزأ من عملي: تبديد الأفكار المسبقة وتمكين هؤلاء الناس من إسماع صوتهم بشكل مباشر، إطلاع الناس في أوربا بصفة خاصة على ما يريده هؤلاء الناس، تمكينهم من التعرف عليهم مباشرة ومعرفة ما يجول في أذهانهم بدل الاستسلام للأحكام الجاهزة السائدة في هذا الموضوع... أظن أن ذلك يدخل في إطار عملي.

الإمام: نعم! وأظن أنكم في سويسرا أقلّ تعصبا ضد التيار الإسلامي مما هو عليه الشأن في بلدان أخرى مثل فرنسا مثلا. فأنتم تاريخيا أكثر انفتاحا وحيادية من الآخرين الذين يرددون معلومات مغلوطة دون محاولة الرجوع إلى المصادر التي ينهل منها هؤلاء الناس والذين لا

(1) أنجز الترجمة الدكتور جواد مفتي زادة جزاه الله خيرا.

يتوقفون عن الافتراء على الإسلاميين مستندين في ذلك إلى رموز مصطنعة يستغلونها أبشع استغلال. فكلما أثير الموضوع، بدأت المزايدات المقيتة عبر عرض صور الأشخاص الذين تم قتلهم والأطفال الذين تم ذبحهم ومجتمع الطالبان الذي... لذلك، لابد من التخلص من كل هذه الأحكام والإصغاء بكل حياد للآخرين حين يتحدثون. ذلك هو الشرط الأول لكي يكتسب خطابكم شيئا من المصداقية.

فنحن نتحرك بوضوح ونتقدم بوجه مكشوف. أجل! نحن معارضون للنظام ومعارضون بقوة للعنف والسرية. ولاؤنا لله عز وجل وللإسلام. ورسالتنا موجهة للإنسان باعتباره إنسانا وليس للمغاربة والعرب فقط. ننادي البشر ونذكرهم بأنهم بشر اصطفاهم ربهم ليقوموا بمهمة معينة على وجه الأرض. أما أنتم فعليكم التحرر من قبضة التزييف الإعلامي الذي يجعلكم تتهمون كل إسلامي يتحدث عن إيمانه وعن رسالته في الكون بالنفعية السياسية والوعظ التبشيري. لكن مثل هذه الألفاظ تذهب أدراج الرياح وتبقى الحقيقة: أن الإنسان الغربي في حالة ضياع تام لا يعرف كيف يتخلص منها وأن وهم السعادة الذي يتشبث به عاجز عن ستر حقيقة البؤس الداخلي الذي يتغلغل في أعماقه. هو مجرد مستهلك ومتفرج ومتمتع... يغرق في لجة القيم الدنيوية المهيمنة على الثقافة والحياة الغربيتين... دعوة الإنسان إلى البحث عن حقيقة وجوده ومصيره بعد الموت... ذلك هو جوهر الخطاب السائد في جلساتنا الروحية.

<u>ص. ز</u>: السيد ياسين، لقد تم رفع الإقامة الجبرية عنكم في مايو الماضي من طرف وزير الداخلية الذي أعلن أنك منذ ذلك الحين شخص حر شريطة أن تلتزم بالدستور والقوانين السائدة. هل تتمتعون فعليا بهذه الحرية؟ هل أصبحت بالفعل مواطنا حرا أم لازلت خاضعا للقيود؟ هل يمكنك مثلا استقبال الصحفيين أو أعضاء جماعتك أو أصدقائك دون مشاكل؟ هل لازالت هناك مشاكل بهذا الخصوص؟

<u>الإمام</u>: من قبل، كان هناك بعض الأفراد الذين يرابطون أمام باب منزلي ولم يكن يسمح لأحد بالدخول أو الخروج... أما اليوم، فقد فتحوا مركزا للشرطة بجواري وتضاعف عدد حراسي أربع بل عشرين مرة. اليوم، يمكنني أن أخرج بحرية إلى الشارع لأكتشف أن هناك عشر سيارات مركونة قرب بيتي. حقا أصبحت أستقبل الصحفيين لكنهم بدورهم مراقبون عن كثب. لقد صرح وزير الداخلية بأنني أصبحت حرا لكنه أردف هذا التصريح بالوعيد:

إياك أن تتجاوز الحدود! عليك أن تحترم مؤسسات الدولة! افعل كذا وإياك أن تفعل كذا! تلقينا هذه الرسائل لكننا سنتصرف كما كنا نفعل من قبل فليست هذه المرة الأولى التي نتلقى فيها مثل هذه التهديدات من الشرطة ومن الحكومات المتعاقبة. لقد اعتدنا هذا الأمر منذ أكثر من 25 سنة ولم تكف المتابعة أو الاعتقال عنا منذ ذلك الحين. بل إن أحد أعضائنا لقي حتفه في الفنيدق، شمال المغرب، بفعل التعذيب الذي تعرض له في مخفر الشرطة!

ص. ز: إذن، فرسائلكم ومكالماتكم مراقبة؟

الإمام: ليس فقط هواتفنا بل في أنحاء هذا البيت الذي اتخذناه مقرا لنا زرعت أجهزة متعددة للتجسس علينا. لكننا لا نخشى التجسس. فنحن نصدع بما نفكر فيه ونعبر عنه بلغات عديدة وعبر وسائط متنوعة.

ص. ز: هذا يعني أن حريتك كمواطن نسبية للغاية، بينما يبدو من الخارج أن موقف حكومة اليوسفي قد تغير تماما. فقد تم رفع الإقامة الجبرية عنكم بشهادة جميع وسائل الإعلام في المغرب. لكنكم ترون شيئا آخر؟

الإمام: لم تكف وسائل الإعلام منذ أكثر من 10 سنوات عن الحديث عن إطلاق سراحي. وكانت الحكومة في أمس الحاجة إلى مخرج يمكنها من تبرئة ساحتها وتلميع صورتها، حتى تتبجح بالادعاء التالي: «ها نحن قد أصبحنا قابلين للمعاشرة على المستوى الدولي! فلدينا نحن أيضا حقوق للإنسان نحترمها». لقد كان احتجازي خرقا سافرا لهذه الحقوق ولذلك شعرت الحكومة حاليا بالحاجة إلى الحديث المتكرر عن إطلاق سراحي والتركيز عليه عند محاورتها للهيآت الدولية حتى تلمع صورتها وترمم سمعتها على المستوى الخارجي.

ص. ز: عند الحديث عن حقوق الإنسان، يتم مباشرة استحضار حالتكم التي اشتهرت لدرجة جعلت السلطة تفكر مليا قبل أن تحاول من جديد التعرض لكم بسوء...

الإمام: أجل! فالهيآت الدولية ملزمة بأداء هذه الضريبة الحقوقية. وهذا الغرب الذي يفرض في دياره احترام حقوق الإنسان ملزم بانتهاج نفس السلوك في بلدان الجنوب. لذلك، يتم الحديث علنيا عن الموضوع بينما تتم في الكواليس تعبئة الآلة الحربية الإعلامية لشن الحملة المغرضة على الإسلام. وهكذا تتم شيطنة الإسلاميين عبر تسويق صورة الملتحي

الإرهابي المغير على الغرب. حقا! لا نفتأ نذكر باشمئزازنا من هؤلاء الأفراد الذين يقتلون الضحايا الأبرياء، وآخرهم رهائن الجزائر... أفعال همجية غير إنسانية! بينما يقوم الغرب في حملاته الإعلامية بالتركيز على هذه الأفعال الاستثنائية لإعلان الحرب على الحركات الإسلامية جملة وتفصيلا. وباستثناء بعض وسائل الإعلام النادرة، يزخر الخطاب السائد بأحكام مسبقة لا أساس لها من الموضوعية أو العلمية. سأكون سعيدا إذا ما تم تنظيم حملة لإعادة الاعتبار لهذا التيار الإسلامي ذي التوجه السلمي الذي لا تتوقف الحملات التشويهية ضده.

ص. ز: لدي سؤال آخر يتعلق بعلاقتكم المتوترة مع الحكومة في الآونة الأخيرة؟

الإمام: تقصدون ما سموه بحرب الشواطئ. عليكم أن تعلموا أننا قبل حوالي عشر سنوات بدأنا الاصطياف في الشواطئ التي كانت مهجورة وغير مهيئة. قمنا تدريجيا على امتداد سنوات بإعداد مخيمات متواضعة فوقها. وبالفعل، لقيت إقبالا متزايدا من طرف المصطافين الذين كانوا يرغبون في التخييم في جو يسوده الهدوء والحياء. وبفعل النجاح الذي عرفته، بلغ عدد المصطافين والمصطافات في السنة الماضية آلاف المغاربة. وهو ما لم تستسغه بعض القوى السياسية وعلى رأسها نظام الحكم. قرروا إذن حظر مخيماتنا وقاموا بحجز معداتنا بعد أن جندوا مختلف قواتهم ومنعوا الناس من الوصول إليها. بل إنهم قاموا بتخريب وإحراق مخيمنا في الناضور، شمال البلاد. كانوا يظنون أننا سنقف مكتوفي الأيدي أو أننا سننفعل ونرد بالعنف. لكنهم فوجئوا بنا ننزل إلى الشواطئ العمومية ونختلط بالمصطافين من مواطنينا بكل سلام.

ص. ز: وما الذي وقع إذن؟

الإمام: لم يخطر أبدا ببالهم مثل هذا السيناريو. فبدل أن نكتفي بستة شواطئ، قررنا أن «نكتسح» الشواطئ الأخرى أيضا. كانت صدمتهم قوية، ولذلك كان رد فعلهم أهوج. فقد قاموا باعتقال ومتابعة بعض الشباب الذين نزلوا إلى شواطئ القنيطرة والجديدة خلال شهري يونيو ويوليوز، دون الحديث عن المحاكمات الأخرى.

ص. ز: جاء ذلك متزامنا مع جولتك في مدن المغرب!

الإمام: أجل. في فاس وتطوان ووجدة... كان لنا اجتماعات مع مواطنينا من مختلف التوجهات رغم عدم توقف التهديدات والتعنيفات. بل إنهم كادوا أن يقتلوا بعض مرافقي. لا أريد أن أتهمهم بمحاولة اغتيالي لكنهم كادوا مرة في طنجة أن يصدمونا بسياراتهم. وبعد رؤيتهم للأعداد الضخمة التي كانت تتوافد علينا، فقدوا صوابهم وعزموا على تشديد قبضتهم. وذلك أحد مظاهر المواجهة التي كانت لنا مع جهاز المخزن.

ص. ز: أي أن أعوان السلطة قاموا بالتدخل في الشواطئ لإيقافكم؟

الإمام: أجل. أولا باستعمال الحرب النفسية عبر أعوانهم الذين كانوا يقومون بشيطنتنا ببث الإشاعات حولنا: أننا قتلة نزلوا إلى الشواطئ لذبح الناس. وطبعا كان الناس يصدقون ذلك في البداية ويتخوفون. لكنهم سرعان ما أدركوا أن ذلك مجرد بهتان وأننا عكس ما تدعيه السلطة وديعون للغاية. وفي نهاية الحملة، تغيرت نظرتهم إلينا تماما. أجل فإن الله معنا. لقد كان نصرا واضحا جعل النظام يندم على تسرعه، لكن بعد فوات الأوان. وأظن أنهم لو تريثوا قليلا لاختاروا بدلا من ذلك أن يحاصرونا في الشواطئ الستة التي خيمنا فيها ويقلصوا بذلك من دائرة تأثيرنا.

بعد ذلك، لجأوا إلى وسيلة أخرى لمنعنا من الاتصال بالمصطافين عبر تنظيم حفلات موسيقية صاخبة ومسابقات للرقص للشباب في الشواطئ. وقاموا بوضع أبواق للتشويش على الأنشطة التي كنا ننظمها أيضا! ولا ندري ما الذي يعدونه السنة المقبلة لإعاقة تحركنا.

ص. ز: لماذا تتخوف حكومة اليوسفي... لماذا يتخوفون من رسالتكم؟

الإمام: بكل بساطة، لأنهم يظنون أننا حسب ما تبثه صحفهم قمنا سنة 1995م بالسطو على الحركة الطلابية. فقبل ذلك التاريخ، كان الخطاب الوحيد السائد في الكليات والأحياء الجامعية ولأكثر من 20 سنة هو خطاب اليسار الماركسي اللينيني الستاليني ثم خطاب المنظمة الاشتراكية للسيد اليوسفي وكانوا يعتبرون هذه الحركة «ملكية خاصة» لهم. لهذا، قامت «قيادتهم العليا» في نفس السنة بالنزول إلى جامعة الحسن الثاني لاسترداد «مملكتهم» عبر تنظيم لقاء مع الطلبة. لكنهم فوجئوا بالطلبة عامة وليس فقط مناضلونا يطردونهم. وهذه الواقعة لا يمكن أن ينسوها أبدا!

ص. ز: أجل! لكن على مستوى الممارسة السياسية، يتخوف وزير الداخلية والأحزاب السياسية منكم حتى ولو لم تشاركوا فيها كحزب سياسي. فباقتراب موعد الانتخابات، هم يخافون أن تمنحوا أصواتكم للإسلاميين وتمنحوهم بذلك الأغلبية.

الإمام: تخوفهم نابع أساسا مما يلاحظونه من تغلغل جماعتنا في مختلف شرائح المجتمع وليس فقط في أنحاء الجامعة. هم يخافون من اكتساح موجة الإسلاميين العارمة للانتخابات القادمة بعد سنتين. كما أن هناك أيضا مسيراتنا السلمية الضخمة وآخرها مسيرة 12 مارس الماضي التي فاق عدد المشاركين والمشاركات فيها المليون ونصف.

ص. ز: هل حقا فقد اليسار جزءا كبيرا من ناخبيه؟ وهل ينضم الناس إلى التيار الإسلامي أكثر من انضمامهم إلى الأحزاب اليسارية؟

الإمام: أجل، لكننا غير مستعجلين ولو تطلب الأمر أجيالا عديدة. فنحن لا نفكر في الانتخابات وعيا منا بأن الظرفية قد تفرض عليهم دعوتنا للمشاركة لتجميل وجه هذا المسلسل. ففي ديارنا، لا تعني كلمة الانتخابات شيئا. فمنذ 40 سنة وهي تنظم لتتمخض عن نتائج مفصلة مسبقة. واليوم نتحدث عن الشفافية!

قبل 10 سنوات، حاولوا الاتصال بنا وأرسل النظام مبعوثيه لدعوتنا إلى تشكيل حزب سياسي لكن بشروط مفروضة. رفضنا العرض لأننا غير مستعجلين ولا رغبة لنا في الانخراط في لعبة الديمقراطية المزيفة التي تجري في المغرب.

ص. ز: كان عليكم مع ذلك أن تقبلوا بالنظر للظروف التي تعرفها الحياة السياسية بالمغرب.

الإمام: كانت الشروط التي حاولوا فرضها علينا متعارضة مع قناعاتنا ومبادئنا.

ص. ز: هل ما زال نظام الحكم في المغرب يريد منكم أن تتحولوا إلى حزب سياسي؟ هل راودت هذه الفكرة ذهنكم من قبل؟ ما كان جوابكم؟ أم أنكم تخليتم عن هذا المشروع؟

الإمام: لم نقدم أبدا طلبا بالاعتراف بنا كحزب سياسي. وتم الاعتراف بجماعتنا كتنظيم قانوني من طرف السلطات القضائية سنة 1990م. كما أن النظام الأساسي لجمعيتنا ينص

بوضوح على أن دائرة أنشطتنا تتجاوز المجال الخيري لتغطي الممارسة السياسية والثقافية والاجتماعية المدرجة في نص الدستور. وبما أن السلطات تحرمنا من حقوقنا، فهي تتناقض تماما مع قواعد اللعبة الديمقراطية التي يدعون تطبيقها. ففي بلادنا، لا تتمتع السلطة القضائية بأية استقلالية اتجاه السلطة التنفيذية.

ص. ز: حسب علمي، كانت جمعيتكم ترفض دائما أن تلعب لعبة المخزن وتخضع لتعليماته. كنتم دائما تنهجون خطا متشددا من...

الإمام: نعم، فمنذ 5 سنوات تقريبا ونحن نتبنى موقفا لا يقبل بالحلول الوسطى. لدينا مبادئنا ولدينا مشروعنا المجتمعي الذي لا نكف عن عرضه بالتفصيل. ففي آخر كتاب لي بالفرنسية: «الإسلام والحداثة»، قمت باستعراض أسس المجتمع الذي نطمح إليه. لكن بعض مواطنينا يرفضون ذلك بفعل التربية الاستلابية التي خضعوا لها ذهنيا وثقافيا والتي عبأتهم كليا ضدنا. فهم لا يتوقفون عن استخدام السلاح الإيديولوجي الذي تلقفوه من يد المستعمر السابق للهجوم علينا. وهم يتحدثون عن الغروب حين يذكروننا وينسون أن الحركات المحتضرة لا يمكن أن «تكتسح» 25 شاطئ على امتداد الواجهتين البحريتين للبلاد بمئات الآلاف من المصطافين.

ص. ز: لكن ألم تتغير الظروف منذ تنصيب محمد السادس ملكا؟ ألا يمكن أن تشاركوا حاليا في الحياة السياسية داخل المغرب؟ ألا يشكل ذلك بالنسبة إليكم فرصة تمكنكم من إنجاز الخطوة الأولى والانخراط في...؟

الإمام: منذ بداية عهده، والملك الجديد يعبر عن نواياه الطيبة ويضاعف تحركاته: فهو يسافر باستمرار ويقوم بالتدخل في الملفات الكبرى مما يحسن صورته في الخارج، بعكس الحكومة التي يبدو ظاهريا أنها لا تقوم بأي شيء. لكن، ما الذي يقوم به الملك فعليا؟ مهما يفعل، فإنه سيظل عاجزا عن العودة بالآلة المخزنية إلى الخلف ولا يمكنه أن يسلك طريقا أخرى غير طريق أسلافه. فالضغوط التي تمارس عليه داخليا وخارجيا لا تترك له إلا مجالا ضيقا للتحرك. المسكين يستحق الشفقة والإرث الثقيل الذي تلقاه يكبله ويمنعه من تنفيذ ما ينويه. هو لا يستطيع رغم نياته الطيبة سوى إصدار الخطابات ومنح الوعود!

ص. ز: أي أنك تعترف بالنية الحسنة التي لديه لإحداث التغيير ولمكافحة بعض الظواهر الخطيرة؟

الإمام: طبعا! فكل ملك جديد ملزم بفعل ذلك ليفرض وجوده ويعرض صورة جميلة له.

ص. ز: أي أن الأمر بالنسبة إليكم مجرد تلميع للصورة حين يطلق على نفسه لقب «ملك الفقراء»؟

الإمام: أجل! فهو محتاج إلى مثل هذه الصورة وهو يسعى إلى ذلك باستمرار. لكن، ما هي الصورة التي يعكسها فعليا؟ إنه يتنقل دون انقطاع لتدشين هذه المؤسسة أو افتتاح تلك... وعما قريب سيتوجه إلى إسبانيا من أجل... مما يعكس صورة مزيفة لهذا المغرب البراق، هذا المغرب المبارك، هذا المغرب الغني الذي سيغتني أكثر بما ستدره عليه آبار النفط الموعودة. لكن الشبيبة المغربية سئمت هذه الوعود الوهمية! ولم تعد ترغب في هذا المغرب الذي لا تتوقف فيه الحكومة والنظام عن الكذب على الناس... الذي يبنيان وجودهما فيه ومشروعيتهما على الكذب.

ص. ز: هل تعترضون على مشروعية العائلة الحاكمة؟ اشتهرت بكونك أحد أبرز المعارضين الذين تجرؤوا على الانتقاد العلني للملك الراحل: ما موقفك من هذه العائلة الحاكمة منذ ثلاثة قرون؟

الإمام: ليس لدي اعتراض على الأسرة ذاتها، ولا ضد الأشخاص بل أنا أعارض المبادئ المزيفة التي تنبني عليها، مثلما أفعل بالنسبة لسابقاتها.

ص. ز: بعبارة أوضح، من فضلك!

الإمام: في الواقع، يظل الملك ملكا... فهو يمتلك القوة الفعلية... وهو يحتكر الدستور الذي خلفه والده... كما أنه ورث الشعب المغربي بأكمله. لكنه ملزم باعتباره أميرا للمؤمنين بعدة واجبات.

ص. ز: لكن مركز أمير المؤمنين الذي تنتقده والذي يحوزه الملك بصفة آلية بفعل نسبه الشريف، ألا يدعمه انتخاب المغاربة له؟

الإمام: فور وفاة الملك الحسن الثاني، عقد اجتماع ترأسه وزير الأوقاف الذي بادر إلى مبايعة الملك الجديد قبل الجميع. وتردد بعد ذلك نفس القسم على ألسنة عدد محدود من الشخصيات المخزنية التي تم انتقاؤها بعناية. أما في الإسلام فأمير المؤمنين ينتخب من طرف الشعب.

ص. ز: أي أن أمير المؤمنين يجب، حسب رأيك، أن ينتخب من الأمة كلها. لكن هذا الأمر لم يحدث في تاريخ المسلمين إلا لبضعة عقود في بداية الإسلام؟

الإمام: أجل. لأن الانحراف الذي عرفه نظام الحكم في بداية التاريخ الإسلامي ولد من جهة القضاء على مبدإ الانتخاب ورسخ من جهة أخرى تقليدا مزيفا خضع له هذا المجال. وهو ما قاد بعد تناحرات امتدت عدة قرون إلى تشتت العالم الإسلامي وانقسامه إلى دويلات مقزمة: المغرب، الجزائر، تونس، إلخ. لذا يتم الاكتفاء بأمير للمؤمنين مقزم يحكم كتلة جغرافية محدودة ويقود دويلة صغيرة.

ص. ز: هل تؤيد مبدأ الملكية الوراثية؟

الإمام: الملكية الوراثية؟ هذا أمر واقع، عندكم أيضا وفي تاريخ العديد من الأمم. هو ملك، ولا يمكنني أن أدعي العكس. فهو يملك الدستور والقوة ويقام له حفل البيعة. لعلك رأيت على شاشة التلفزة المغربية كيف تقام البيعة السنوية للملك بمناسبة عيد العرش وكيف يركع وجهاء المملكة لشخص الملك. طقوس لا علاقة لها بمبادئ الإسلام.

ص. ز: قبل حوالي سنة، وجهت مذكرة إلى الملك تم منعها بعد أن اقترحت عليه أن...

الإمام: إن واجبنا كمسلمين أن يبادل بعضنا بعضا النصيحة. وهو قبل أن يكون ملكا مسلم علينا واجب النصح له كفرد أولا وكولي لأمر المسلمين ثانيا. لكن المذكرة كانت أيضا ترمي إلى إحداث أثر سياسي. ولذلك تراوح الرد عليها بين الامتناع عن الرد وممارسة العنف ضدنا. مما يظهر مدى الأثر الذي أحدثته.

ص. ز: في هذه الرسالة، قلت بأن الملك الحسن الثاني كان قد هرب مبلغا خياليا واقتنى بأثمنة هائلة ممتلكات في الخارج!

الإمام: لا غرابة في ذلك بالنسبة إليكم باعتباركم سويسريين. فأنتم أدرى مني بالأمر رغم أن البنوك السويسرية ملزمة بالحفاظ على السر المهني. أما نحن، فنعتمد على الأرقام التي تنشرها وسائل الإعلام، وسائل إعلامكم. وليست لدينا الوسائل التي تمكننا من مطالبة أصحاب البنوك بالكشف عن حسابات وممتلكات الملك وأسرته في الخارج، خاصة وأن هذه الأخيرة شديدة التنوع: عقارات، لوحات فنية، أرصدة، قطع ذهبية ومجوهرات... يكفي أن ترجعوا إلى عدد صحيفة لوموند في الموضوع.

ص. ز: هل المغاربة يدركون ذلك؟

الإمام: نعم، خاصة بعد الشهرة التي اكتسبتها المذكرة بعد نشرها على أوسع نطاق خصوصا في الأنترنت. وأظن أن الرسالة وصلت بعد القبول الذي حظيت به المذكرة لدى طيف واسع من الناس.

ص. ز: منطقيا فإن لكم وسيكون لكم أنصار يؤيدون موقفكم... التبسيطي هذا.

الإمام: نحن نعلم وأنتم تعلمون جيدا أن الملك عاجز... أقول هذا وأكرره. فالميراث الذي ورثه ثقيل للغاية وهو لا يستطيع القيام بشيء مهم. لذلك اقترحت عليه خطة تقوم على نصائح قيمة إن شاء باعتباره من ذرية الرسول ﷺ أن يعود هو وأسرته إلى الله عز وجل. عليه أن يستشير العلماء الذين يحيطون به ويتبع توجيهاتهم. طبعا، يتناقض التصور السائد للحكم مع ما نقترحه باعتبار الإسلام لا يفصل بين الحركة السياسية والنشاط الروحي. لكن هؤلاء الناس يتساءلون: وما الإسلام؟ والجواب أن الإسلام دين. لكن بمجرد النطق بهذه اللفظة، يستحضر الإنسان الغربي الدلالة القدحية التي التصقت بها هناك بفعل الملابسات التاريخية التي عاشتها الكاثوليكية في العصور الوسطى خاصة. لذلك أود أن أوضح أن الإسلام ليس دينا بالمفهوم الغربي نظرا لكونه يغطي سائر أبعاد الإنسان ويعنى بفلسفة الوجود وفلسفة الموت وفلسفة ما بعد الموت... ويوجه المرء والمجتمع إلى ما يحبه الخالق سبحانه. لكن مذهب الحداثة... الغرب الحداثي يريد أن يفرض علينا فكره الأوحد. ورغم أنه يمتلك جزءا من الحقيقة، إلا أن عليه أن يخضع للحقيقة المطلقة المتجسدة في وجود الإله وأننا بعد الموت صائرون إلى النعيم أو الجحيم الأبدي.

ص. ز: بعض الصحفيين يرون أن على جماعة العدل والإحسان أن توضح موقفها من الديمقراطية باعتبارها أسلوبا لتدبير الحياة السياسية. لأن مقاربتكم لا زالت غامضة ولأنكم بعد انتقادكم للديمقراطية طيلة سنوات... يبدو أنكم غيرتم رأيكم مؤخرا!

الإمام: هؤلاء الناس ليس لهم الرغبة ولا الوقت للرجوع إلى ما كتبناه حول الديمقراطية وحول التساؤلات التي يطرحها العالم الحديث على المسلم المعاصر. فهم يعتبرون غزارة كتاباتي عائقا بالنسبة إليهم. باختصار، أنا لم أغير موقفي ونظرتنا إلى الديمقراطية لم تتبدل. وحدها طريقة عرض المسألة تبدلت. وهم يجدون صعوبة كبيرة لاستيعاب خطابنا خاصة وأن اللغة العربية دقيقة للغاية.

فالديمقراطية في مجتمعاتكم لا تنفصل عن اللائيكية. وهي حسب رأينا زاخرة بالإيجابيات التي تمكن من التدبير السلمي للسلطة بفعل التعددية التي تفرضها وفصل السلط والدستور، إلخ. لكننا مع اعترافنا بذلك وملاحظتنا للعاهات التي لديها، نطالب بحقنا في امتلاك أسلوبنا الخاص في الحكم الذي ينسجم مع إيماننا والذي يناسب فضاءنا الإسلامي. لن نمل من تكرار ما يلي: دعونا نحكم أنفسنا بأنفسنا! لا تفرضوا علينا اختياراتكم! لقد استحضرت من قبل تعبيرا بدا لكم متناقضا هو «الديمقراطية الإسلامية لكن....

ص. ز: سؤال أخير: تقولون بأنكم تحترمون الديمقراطية: لكن البعض يدعي أنكم تقبلون التمظهر السياسي للديمقراطية إلى أن تصلوا إلى الحكم وأنكم تقبلون بالديمقراطية باعتبارها أقل الخيارات سوءا... أنكم تتبنون هذه الاستراتيجية التي ستمكنكم من الوصول إلى السلطة ولكن ليس باعتبارها شكلا لتنظيم الحكم...

الإمام: في بلدانكم الغربية، تعتبر الديمقراطية اللصيقة باللائيكية ديمقراطية حقة. أما نحن فلا نعتبرها كذلك نظرا لكون اللائيكية مناقضة تماما للإسلام. لكننا نرحب بالمسطرة الديمقراطية التي تمكن من تنظيم الفضاء السياسي، شريطة ألا تفرض علينا الابتعاد عن ديننا الإسلامي. لكن بعض الناس يقولوننا دائما ما لا نقوله ولا ننوي فعله ولا يملون من تكرار ادعاءاتهم السخيفة: أن هؤلاء الإسلاميين الذين تغذيهم الديمقراطية لن يترددوا فور امتلاكهم السلطة في اغتيالها. لذلك لا أفتأ أقول وأؤكد أننا سنلتزم دائما باختيار الشعب، وأنه إن اختار الحكومة الإسلامية فسنرحب بذلك. أما إذا أفرز التصويت الشعبي انتصار طرف

آخر غير الإسلاميين فلن نعترض على ذلك وسنظل نطرح ونوضح مشروعنا المجتمعي إلى حين استيعابه من طرف نفس الشعب. قد يتطلب الأمر عقدا من الزمن أو جيلا بأكمله بل حتى قرنا كاملا، فلسنا مستعجلين ومشروعنا يستشرف المدى المتوسط والبعيد دون التقيد بمواعد انتخابية آنية.

سابعا: حوار مع الإمام بقناة الحوار في لندن

الصابرون في غزة، هو عنوان حوار مع الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله بخصوص أحداث غزة، مع إذاعة قناة «الحوار» بلندن، بتاريخ 20 يناير 2009م.

سؤال: ما هو المطلوب من الأمة الآن والحال أن الحصار مستمر حتى الساعة؟

الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم، هو لا محالة نصر والمطلوب من الأمة أن تشكر الله عز وجل على ما وسع عليها بعد هذا الضيق وعلى ما ادّخره للمجاهدين في سبيله من فضل وكرم ليوم يبعثون، تلك تجارة أحسن الله إلى هذه الأمة بأن مهد لها رجالا في غزة، الرجال العظام الصابرين المجاهدين المرابطين في سبيل الله عز وجل، صابرين على اللأواء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، يقول الله عز وجل يلوم القاعدين لما استنفر النبي ﷺ القبائل من حول المدينة المنورة في غزوة تبوك: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:120).

هذا ما كتبه الله عز وجل للمجاهدين المرابطين منه ما الله به عليم في غزة المباركة، نسأل الله أن يزيدنا ويزيدهم من فضله. فهم صبروا وصابروا وأدوا ما فرضه الله عليهم، وعلى الأمة أن تشكر لهم هذا الجميل الذي أسدوه للأمة.

سؤال: يا شيخ عبد السلام ياسين، هم صابروا وثابروا ودافعوا عن أرضهم وعن الأمة كما يقول الكثيرون، ولكن الحال في الدول العربية وأنت أعلم به، هناك دول عربية تمنع حتى المظاهرات لأجل غزة، هناك سلطات عربية تنزع حتى «الشاش» الفلسطيني من على أكتاف الشباب وتدخلهم إلى السجون بسبب هذا «الجرم الكبير»، هناك دول مازالت

تفرض الحصار على غزة، يعني نحن العرب الرسميون، على الأقل، يبدو أننا من يريد ذبح الفلسطينيين وليس فقط إسرائيل؟

الإمام: هذا تمحيص من الله سبحانه وتعالى وفرقان بين المنافقين والصالحين الصادقين من عباد الله، الصابرون في غزة يصيبهم ظمأ ويصيبهم نصب كبير، تصيبهم مخمصة وهو المجاعة الكبيرة ويطؤون موطأ يغيظ الكفار كل نهار، فموقعهم وموقفهم وصمودهم في غزة يغيظ الكفار وينالون به من عدوهم نيلا كبيرا، وكلها أعمال تكتب في صحائفهم، نسأل الله أن لا نكون من المتخلفين عن النصرة، وأن تنهض الأمة كما ظهر ذلك في بلاد العرب والعجم من المسلمين وغير المسلمين، هذه الهبة لنصرة أهل غزة، نسأل الله عز وجل أن لا يكون حظنا من الجهاد والمساهمة في نصرة أصحابنا وإخواننا في غزة أن نهب ونقوم ونذرع الطريق ونذرع الشوارع ونصيح ونلعن الكافرين اليهود، بل نساعد بكل ما أوتينا من قوة لكي نكون من الذين يغيظون الكفار.

سؤال: هو هذا السؤال الشيخ عبد السلام ياسين، سؤالي الأخير لك، بعيدا عن الشعارات كما يقول الكثيرون التي ترفعها المظاهرات وحيث التعاطف، أنت قلت كلمة مهمة: أن نساعدهم بكل ما أوتينا من قوة، ما هو شكل هذه المساعدة على الأرض لأن الحصار مستمر ولا شيء في القريب أن مصر ستفتح معبر رفح الرئيسي وأن العرب سيعلنون كسرا رسميا للحصار، لم نسمع هذا الكلام في قمة الكويت؟

الإمام: على المدى القريب نعمل ما نستطيع، لكن هذا لا يكفي، ينبغي للأمة أن تنظر لأصل البلاء عندما ظهر المنافقون، ومن أين أتى هؤلاء المنافقون، أتوا ليحكموا علينا وليحكموا في صالح الآخرين الأعداء، هؤلاء ليسوا منا بل هم مدسوسون في الأمة، من أين أتانا هذا الدس؟ من سكوتنا على فساد الحكم. الحكم العاض والجبري الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ، جاءنا فخلط الأوراق وجعل الأمة غثاء تسير مع كل ناعق، إذا ينبغي علينا أن نصحح على المدى البعيد، المبادئ التي نبدأ بها وهو أن يكون حكمنا شورى بيننا وأن لا نترك للمنافقين مجالا يعيثون فيه فسادا ويتحالفون فيه مع الأعداء، على المدى القريب كان هناك فرقان بين المنافقين والصادقين، بين المجاهدين والقاعدين، لكن على المستوى البعيد وهذا لمستقبل الأمة ينبغي أن نصحح المسار من أوله وأن لا نترك مجالا للمنافقين

لكي يحكموا علينا، هؤلاء العاضون، هؤلاء الجبريون، هؤلاء المنافقون ينبغي أن تتخلص الأمة منهم، ينبغي أن تتخلص الأمة منهم.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

محتويات الكتاب